

طريق العفول

تأليف إسماعيل بن محمد

بیت

السلامة الإسلامية من الكفر والبدعة

ص ١٠٠

دار الكتب الإسلامية

مِرْآةُ الْعُقُولِ

فَسَّحْ أَخْبَارِ آلِ الرَّسُولِ

تَأْلِيفُ

الْعَلَامَةِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ مَوْلَى مُحَمَّدٍ بَاقِرِ الْمَجْلِسِ
تَسْلِيمًا

شَيْخِ كَامِلِ الْكَافِي لِقَوْلِ الْأَمِيرِ الْأَكْبَرِ الْكَلْبِيِّ الْمَيُتَوَفَّى فِي ٢٨ رَجَبِ ١٢٣٨ هـ

الجزء الثاني

حقوق الطبع محفوظة

لناشر

الطبعة الثانية

۱۴۰۲ هـ ق = ۱۳۶۳ هـ ش

* نام کتاب: مرآة العقول جلد ۲

* تألیف: علامه مجلسی

* ناشر: دارالکتب الاسلامیه

* تیراژ: ۱۰۰۰ نسخه

* نوبت چاپ: سوم

* چاپ از: مروی

* تاریخ انتشار: ۱۳۷۰

آدرس ناشر: تهران - بازار سلطانی - دارالکتب الاسلامیه

تلفن: ۵۲۰۴۱۰ و ۵۲۷۴۴۹

مرآة العقول

قدّمه

العالم بالحجة السيد مرتضى العيسوي

إخراج ومقابلة وتصحيح
السيد شمس الدين الموسوي

بنفقة

دار الكتب الإسلامية

لصاحبها الشيخ محمد الآخوند

تهران - بازار سلطانی

تفص ۵۲۰۴۱۰

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

كلمة المصحح

الحمد لله رب العالمين و صلى الله على رسوله محمد وآله الطاهرين و لعنة الله على أعدائهم اجمعين .

و بعد : فمما من الله عليّ - بلطفه - أن وفقني لتصحيح هذا الاثر القيم الذي هو من أحسن الشروح علي كتاب الكافي تأليف ثقة الاسلام محمد بن يعقوب الكليني رضوان الله تعالى عليه .

وقد طبع الكتاب للمرة الاولى في سنة ١٣٢١ على الطبع الحجري بايران في أربع مجلدات وهذه هي الطبعة الثانية التي نهضت بمشروعه مكتبة وليّ مصر عليه السلام وقام بطبعه ونشره مدير دار الكتب الاسلامية الشيخ محمد الاخوندي وقد راجعت في تصحيحه ومقابلته وتحقيقه - مضافاً إلى كتب كثيرة من التفسير والحديث والتاريخ واللغة وغيرها - إلى عدة نسخ من الكتاب - .

منها - نسخة مخطوطة مصحّحة نفيسة - من أوّل الكتاب إلى آخر كتاب التوحيد - وأكثرها بخطّ الشارح (ره) وهي نسخة التي أهداها الخطيب البارع الشيخ محمد رضا الملقّب بحسام الواعظين إلى مكتبة مولانا الامام عليّ بن موسى الرضا عليه آلاف التحيّة والثناء في سنة ١٣٦٩ ق ، وهي نسخة ثمينة جداً ، ونرى أنموذجاً من صورتها الفتو غرافية في الصفحات الآتية .

و منها - نسخة مخطوطة - مصححة من هذه المكتبة الشريفة أيضاً - من أول الكتاب إلى آخر كتاب التوحيد - كلها بخط العالم الجليل السيد بهاء الدين محمد الحسيني النائيني رحمه الله تعالى ، من معاصري الشارح قدس سره الشريف ، و ممن كتب له إجازة الحديث و الرواية بخطه ، و صورة الإجازة موجودة في ظهر النسخة. ومنها - نسخة مخطوطة جيدة لمكتبة العلامة النسابة آية الله السيد شهاب الدين المرعشي النجفي دام ظله ، من ابتداء الكتاب إلى آخر كتاب الحجة .
و الحديثه اولاً و آخرآ - و انا العبد : السيد هاشم الرسولي المحلاتي

حمداً خالداً لولىّ النعم حيث أسعدنى بالقيام بنشر
هذا السفر القيم فى الملأ الثقافى الدينى بهذه الصورة الرائعة .
و لرواد الفضيلة الذين و ازرونا فى انجاز هذا المشروع المقدس
شكر متواصل .

الشيخ محمد الاخوندى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ باب النهى عن الجسم والصورة ﴾

١ - أحمد بن إدريس ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن صفوان بن يحيى ، عن عليّ ابن أبي حمزة ، قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : سمعت هشام بن الحكم يروي عنكم أنّ الله جسم ، صمدى نورى ، معرفته ضرورة ، يمنّ بها على من يشاء من خلقه ؟ فقال عليه السلام : سبحان من لا يعلم أحدٌ كيف هو إلّا هو ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، لا يحدُّ

باب النهى عن الجسم والصورة

الحديث الاول : موثق .

قوله : معرفته ضرورة : أي تقذف في القلب من غير اكتساب أو تحصيل بالرؤية تعالى الله عن ذلك ، وقد يؤول كلامه بأن مراده بالجسم الحقيقة العينية القائمة بذاتها لا بغيرها وبالصمدى ما لا يكون خالياً في ذاته عن شيء فيستعدّ أن يدخل هو فيه ، أو مشتملاً على شيء يصحّ عليه خروجه عنه ، وبالنورى ما يكون صافياً عن ظلم المواد وقابلياتها ، بل عن المهيّة المغايرة للوجود وقابليتها .

قيل : ولما كان السائل فهم من هذا الكلام ما هو الظاهر ولم يحمله على ما ذكر ، أجاب عليه السلام لا بتخطئة اطلاق الجسم بل بنفي ما فهمه عنه سبحانه ، فقال : سبحان من لا يعلم أحد كيف هو إلّا هو ، أي ليس لأحد أن يصفه بصفة يعرفها من صفات ذاته الفانية وصفات أشباهه من الممكنات ، فأنه لا يكون معرفة شيء منها معرفة « ليس كمثله شيء » وهو السميع البصير « أي لا بآلة وقوة وهو « لا يحد » وكلّ جسم محدود متناه « ولا يجس » أي لا يمسّ وكلّ جسم يصحّ عليه أن يمسّ « ولا تدركه الأبصار » أي الأوهام ، ولا الحواس الظاهرة والجسم يدرك بالحواس الباطنة والظاهرة « ولا

ولا يحسُّ ولا يجسُّ ولا تدركه [الأَبصار ولا] الحواس ولا يحيط به شيء ولا جسم ولا صورة ولا تخطيط ولا تحديد .

٢ - محمد بن الحسن : عن سهل بن زياد ، عن حمزة بن محمد قال : كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام أسأله عن الجسم والصورة فكتب : سبحان من ليس كمثله شيء لا جسم ولا صورة ؛ ورواه محمد بن أبي عبد الله إلا أنه لم يسم الرجل .

٣ - محمد بن الحسن ، عن سهل بن زياد ، عن محمد بن إسماعيل بن بزيع ، عن محمد بن زيد قال : جئت إلى الرضا عليه السلام أسأله عن التوحيد فأملى عليّ : الحمد لله فاطر الأشياء إنشاءً ، ومبتدعها ابتداءً بقدرته وحكمته ، لا من شيء فيبطل الاختراع ولا العلة فلا يصحُّ الابتداء ، خلق ما شاء كيف شاء ، متوحداً بذلك لا يظهر حكمته و حقيقة ربوبيته ، لا تضبطه العقول ولا تبلغه الأوهام ولا تدركه الأبصار ولا يحيط به مقدار ، عجزت عنه العبارة وكلت عنه الأبصار وضل فيه تصاريف الصفات ، احتجب بغير حجاب محجوب ، واستتر بغير ستر مستور ، عرف بغير رؤية ، ووصف بغير صورة ، و نعت بغير جسم ؛ لا إله إلا الله الكبير المتعال .

يحيط به شيء» إحاطة عقلية أو وهمية أو حسية « ولا جسم» لأنّ معناه حقيقة متقدّر محدود « ولا صورة ولا تخطيط» أي تشكّل كيف ، والصورة والتشكّل لا ينفكّ عن التحديد ولا تحديد .

الحديث الثاني : ضعيف وآخره مرسل و محمد بن أبي عبد الله هو محمد بن جعفر ابن عون .

قوله : لم يسم الرجل أي الرَّأوي .

الحديث الثالث : ضعيف .

قوله : بقدرته وحكمته ، متعلّق بالابتداء أو به وبالفطر والانشاء وقد مرّ شرح تلك الفقرات في شرح خطبة الكتاب .

٤ - محمد بن أبي عبدالله ، عمن ذكره ، عن علي بن العباس ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن محمد بن حكيم قال : وصفت لأبي إبراهيم عليه السلام قول هشام بن سالم الجواليقي وحكيت له : قولا هشام بن الحكم إنّه جسم فقال : إنّ الله تعالى لا يشبهه شيء أي فحش أو خنى أعظم من قول من يصف خالق الأشياء بجسم أو صورة أو بخلقة أو بتحديد وأعضاء ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

٥ - علي بن محمد رفعه ، عن محمد بن الفرج الرُّخجى قال : كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام أسأله عما قال هشام بن الحكم في الجسم وهشام بن سالم في الصورة فكتب : دع عنك حيرة الحيران واستعذ بالله من الشيطان ، ليس القول ما قال الهشامان .

الحديث الرابع : مرسل والجواليقي بائع الجواليق وهو جمع جولق معرب جوال ، والخناء : الفحش والفساد .

قوله : أو بخلقة ، أي مخلوقة أو بأعضاء كأعضاء المخلوقين .

الحديث الخامس : مرفوع ولا ريب في جلاله قدر الهشامين وبرائتهما عن هذين القولين ، وقد بالغ السيّد المرتضى قدّس الله روحه في برائة ساحتها عما نسب إليهما في كتاب الشافي مستدلاً عليها بدلائل شافية ، ولعلّ المخالفين نسبوا إليهما هذين القولين معاندة كما نسبوا المذاهب الشنيعة إلى زرادة وغيره من أكابر المحدثين ، أو لعدم فهم كلامهما ، فقد قيل أنّهما قالا بجسم لا كالأجسام ، وبصورة لا كالصور فلعلّ مرادهم بالجسم الحقيقة القائمة بالذات ، وبالصورة المهيّبة وإن أخطأ في إطلاق هذين اللفظين عليه تعالى .

قال المحقق الدواني : المشبهة منهم من قال : أنّه جسم حقيقة ثم افتروا فاقال بعضهم : أنّه مرّكب من لحم ودم ، وقال بعضهم : هو نور متألّف كالسبيكة البيضاء ، طوله سبعة أشبار بشبر نفسه ، ومنهم من قال : أنّه على صورة إنسان ، فمنهم من يقول : انه شابّ إمرد جعد قطط ، ومنهم من قال : انه شيخ أشمط الرأس واللحية ، ومنهم من قال : هو من جهة الفوق مماس للصفيحة العليا من العرش ، ويجوز عليه الحركة

والإنتقال ، وتبدل الجهات ، وتأطّ العرش تحته أطيط الرّحل الجديد تحت الراكب الثقيل ، وهو يفصل عن العرش بقدر أربع أصابع ، ومنهم من قال : هو محاذ للعرش غير مماسّ له وبعده عنه بمسافة متناهية ، وقيل : بمسافة غير متناهية ، ولم يستتف هذا القائل عن جعل غير المتناهي محصوراً بين حاصرين ، ومنهم من تسترّ بالبللغة ^(١) فقال : هو جسم لا كالأجسام وله حيّز لا كالأحياء ، ونسبته إلى حيّزه ليس كنسبة الأجسام إلى أحيائها ، وهكذا ينفي جميع خواصّ الجسم عنه حتّى لا يبقى إلا اسم الجسم وهؤلاء لا يكفرون بخلاف المصرّ حين بالجسميّة « انتهى » .

قال الشهرستاني : حكى الكعبي عن هشام بن الحكم أنّه قال : هو جسم ذو أبعاد له قدر من الأقدار ، ولكن لا يشبه شيئاً من المخلوقات ولا تشبهه ، ونقل عنه أنّه قال : هو سبعة أشبار بشبر نفسه ، وأنّه في مكان مخصوص ، وجهة مخصوصة وأنّه يتحرك وحرّكه فعله ، وليست من مكان إلى مكان ، وقال : هو متناه بالذات غير متناه بالقدر ، وحكى عنه أبو عيسى الورّاق أنّه قال : أن الله تعالى مماسّ لعرشه لا يفضل عنه شيء من العرش ، ولا يفضل عنه شيء ، وقال هشام بن سالم : أنّه تعالى على صورة إنسان أعلاه مجوّف وأسفله مصمت ، وهو نور ساطع يتلأل ، وله حواس خمس ويد ورجل وأنف وأذن ، وعين ، وفمّ ، وله وفرة سوداء ، هو نور أسود لكنّه ليس بلحم ولا دم ، ثم قال : وغلا هشام بن الحكم في حق عليّ عليه السلام ، حتّى قال : أنّه إله واجب الطاعة ، وهذا هشام بن الحكم صاحب غور في الأصول لا يجوز أن يغفل عن التزاماته على المعتزلة ، فإن الرّجل وراء ما يلزمه على الخصم ، ودون ما يظهره من التشبيه وذلك أنّه ألزم العلاّف ، فقال : إنك تقول إنّ الباري تعالى عالم بعلم ، وعلمه ذاته فيشارك المحدثات في أنّه عالم بعلم وبيانها في أنّ علمه ذاته فيكون عالماً لا كالعالمين ، فلم لا نقول هو جسم لا كالأجسام ، وصورة لا كالصور ، وأنّه قدرة لا كالأقدار إلى غير ذلك .

(١) وفي نسخة « بالبلغة » ولم أقف على معنى لها - على اختلاف النسخ - في كتب اللغة .

٦ - محمد بن أبي عبد الله ، عن محمد بن إسماعيل ، عن الحسين بن الحسن ، عن بكر بن صالح ، عن الحسن بن سعيد ، عن عبد الله بن المغيرة عن محمد بن زياد قال : سمعت يونس بن ظبيان يقول : دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت له : إن هشام بن الحكم يقول قولاً عظيماً إلا أننى أختصر لك منه أحرفاً ، فزعم أن الله جسم لأن

أقول : فظهر أن نسبة هذين القولين إليهما إما لتخطئة رواة الشيعة وعلمائهم لبيان سفاهة آرائهم ، أو أنهم لما ألزموهم في الاحتجاج بأشياء إسكاثاً لهم ، نسبوها إليهم ، والائمة عليهم السلام لم ينفوها عنهم إبقاءً عليهم ، أو لمصالح آخر ، ويمكن أن يحمل هذا الخبر على أن المراد : ليس القول الحق ما قال الهشامان بزعمك أو ليس هذا القول الذي تقول ، ما قال الهشامان بل قولهما مباين لذلك ، ويحتمل أن يكون هذان مذهبهما قبل الرجوع إلى الائمة عليهم السلام ، والأخذ بقولهم ، فقد قيل : إن هشام بن الحكم قبل أن يلقي الصادق عليه السلام كان على رأي جهم بن صفوان ، فلما تبعه عليه السلام تاب ورجع إلى الحق ، ويؤيده ما ذكره الكراجكى في كنز الفوائد من الرد على القائلين بالجسم بمعنييه ، حيث قال : وأما موالاتنا هشاماً (ره) فهي لما شاع عنه واستفاض من تركه للقول بالجسم الذي كان ينصره ، ورجوعه عنه وإقراره بخطائه فيه وتوبته منه ، وذلك حين قصد الامام جعفر بن محمد عليهما السلام إلى المدينة فحجبه وقيل له : أنه أمرنا أن لا نوصلك إليه ما دمت قائلاً بالجسم ، فقال : والله ما قلت به إلا لأننى ظننت أنه وفاق لقول إمامي عليه السلام ، فأما إذا أنكره علي فأننى تائب إلى الله منه فأوصله الامام عليه السلام إليه ، ودعا له بخير ، وحفظ عن الصادق عليه السلام أنه قال لهشام : إن الله تعالى لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء ، وكل ما وقع في الوهم فهو بخلافه ، وروى عنه أيضاً أنه قال : سبحان من لا يعلم أحد كيف هو إلا هو ، ليس كمثل شيء وهو السميع البصير لا يحد ولا يحس ولا تدركه الابصار ، ولا يحيط به شيء ، ولا هو جسم ولا صورة ولا بذى تخطيط ولا تحديد .

الحديث السادس : ضعيف .

الأشياء شيئان : جسم وفعل الجسم ، فلا يجوز أن يكون الصانع بمعنى الفعل و يجوز

قوله :جسم وفعل الجسم ، هذا الكلام يحتمل وجهين «الاول» أن يكون مبنياً على ما يذهب اليه وهم أكثر الناس من أن الوجود منحصر في المحسوس وما في حكمه وكل ما لا وضع له ولا إشارة حسية إليه ، فعندهم فرض وجوده مستحيل ، فالشيء عندهم إما جسم وإما عرض قائم بالجسم وهو المراد بفعل الجسم لأنه تابع له في الوجود. الثاني : أن يكون أراد بالجسم الحقيقة القائمة بذاتها المغايرة للأفعال من غير اعتبار التقدير والتحدد كما مرّت الإشارة إليه ، فالمراد بقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : أما علم أنّ الجسم محدود، أنّه مخطئ في إطلاق الجسم على كل حقيقة قائمة بالذات ، وعلى التقديرين قوله : فإذا احتمل ، استدلال على نفى جسميته سبحانه بأنه لو كان جسماً لكان محدوداً بحدود متناهية إليها لا استحالة لا تنتهي الأبعاد وكلّ محتمل للحدّ قابل للانقسام بأجزاء متشاركة في الاسم والحدّ ، فله حقيقة كلية غير متشخصة بذاتها ولا موجودة بذاتها أو هو مرّكب من أجزاء ، حال كل واحد منها ما ذكر فيكون مخلوقاً أو بأن كلّ جسم متناه ، وإذا كان متناهياً كان محدوداً بحدّ واحد معين أو حدود معينة فيكون مشكلاً ، فذلك الحدّ المعين والشكل المخصوص إما أن يكون من جهة طبيعة الجسمية بما هي جسمية ، أو لأجل شيء آخر ، والاول باطل ، وإلا لزم كون جميع الأقسام محدودة بحدّ واحد وشكل واحد ، لاشتراكها في معنى الجسمية بل يلزم أن يكون مقدار الجزء والكل وشكلهما واحد ، فيلزم أن لا جزء ولا كل ولا تعدّد في الأجسام وهو محال ، والثاني أيضاً باطل ، لأنّ ذلك الشيء إمّا جسم أو جسماني أو مفارق عنهما ، والكل محال ، لأنّه ان كان جسماً آخر فيعود المحذور ويلزم التسلسل وان كان جسمانياً فيلزم الدور اذ وجوده لكونه جسمانياً يتوقف على تحدّد ذلك الجسم ، لأنّ الجسم مالم يتحدّد لم يوجد ، وإذا كان وجود ذلك الجسم وتحدّده متوقفين عليه كان وجوده متوقفاً على ما يتوقف عليه وجوده ، فيتوقف وجود ذلك الشيء على وجوده ، وكان تحدّد الجسم متوقفاً على ما يتوقف على تحدّده ، فيتوقف

أن يكون بمعنى الفاعل؛ فقال أبو عبد الله عليه السلام : ويجه أما علم أن الجسم محدود متناه والصورة محدودة متناهية فإذا احتمل الحدّ احتمل الزيادة والنقصان وإذا احتمل الزيادة والنقصان كان مخلوقاً قال : قلت : فما أقول ؟ قال : لا جسم ولا صورة وهو مجسم الأجسام ومصور الصور ، لم يتجزء ولم يتناه ولم يتزايد ولم يتناقص ، لو كان كما يقولون لم يكن بين الخالق والمخلوق فرق ولا بين المنشئ والمنشأ لكن هو المنشئ فرّق بين من جسّمه وصوّره وأنشأه ، إذ كان لا يشبهه شيء ولا يشبهه هو شيئاً .

٧ - محمد بن أبي عبد الله ، عن محمد بن إسماعيل ، عن علي بن العباس ، عن الحسن ابن عبد الرحمن الحماني قال : قلت لأبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام : إن هشام

تحدّد ذلك الجسم على تحدّده ، فيلزم تقدّم الشيء على نفسه وهذا محال ، وإن كان أمراً خارجاً عن الأجسام والجسمانيات فيلزم كون الجسم المفروض إلهاً مفقراً في وجوده إلى أمر مفارق لعالم الأجسام ، فيكون هو الاله لا الجسم ، وقد فرض الجسم إلهاً وهذا خلف ، على أنه عين المطلوب ، وهو نفي كونه جسماً ولا صورة في جسم .

ثم استدللّ عليه السلام بوجه آخر وهو ما يحكم به الوجدان : من كون الموجد أعلى شأنًا وأرفع قدرًا من الموجد ، وعدم المشابهة والمشاركة بينهما ، وإلا فكيف يحتاج أحدهما إلى العلة دون الآخر ، وكيف صار هذا موجداً لهذا بدون العكس ، ويحتمل أن يكون المراد عدم المشاركة والمشابهة فيما يوجب الاحتياج إلى العلة فيحتاج إلى علة أخرى .

قوله : فرق ، بصيغة المصدر أي الفرق حاصل بينه وبين من صوّره ، ويمكن أن يقرأ على الماضي المعلوم ، أي فرق بين من جسّمه وصوّره ، وبين من لم يجسّمه ولم يصوّره ، أو بين كلّ ممّن جسّمه وغيره من المجسمات ، وقوله : إذ كان لا يشبهه شيء أي من غير مشابهة شيء له ، أو مشابهته لشيء أو المراد أنه لما لم يكن بينه وبين الأشياء المفرقة مشابهة صحّ كونه فارقاً بينهما .

الحديث السابع : ضعيف .

ابن الحكم زعم أن الله جسم ليس كمثله شيء ، عالم ، سميع ، بصير ، قادر ، متكلم ، ناطق ، والكلام والقدرة والعلم يجري مجرى واحد ، ليس شيء منها مخلوقاً فقال : قائله الله أما علم أن الجسم محدود والكلام غير المتكلم معاذ الله وأبرء إلى الله من هذا القول ، لا جسم ولا صورة ولا تحديد وكل شيء سواء مخلوق ، إنما تكون الأشياء بإرادته ومشئته من غير كلام ولا تردّد في نفس ولا نطق بلسان .

٨ - على بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن محمد بن حكيم قال :

قوله : ليس كمثله شيء ، يؤمى إلى أنه لم يقل بالجسمية الحقيقية ، بل خطأ في إطلاق لفظ الجسم عليه تعالى ، ونفي عنه صفات الأجسام كلها ، ويحتمل أن يكون مراده أنه لا يشبهه شيء من الأجسام ، بل هو نوع مباين لسائر أنواع الاجسام فعلى الأوّل نفي عليه السلام إطلاق هذا اللفظ عليه تعالى ، بأنّ الجسم إنما يطلق على الحقيقة التي يلزمها التقدير والتحدّد فكيف يطلق عليه تعالى .

وقوله : يجري مجرى واحد ، إشارة إلى عينية الصفات وكون الذات قائمة مقامها ، فنفي عليه السلام كون الكلام كذلك ولم ينه من سائر الصفات ، ثمّ نبّه على بطلان ما يوهّم كلامه من كون الكلام من أسباب وجود الأشياء ، فلفظة «كن» في الآية الكريمة كناية عن تسخير الأشياء ، وإنقيادها له من غير توقف على التكلم بها ، كما قال سيّد السّاجدين عليه السلام : «فهي بمشيئتكم دون قولكم مؤتمرة ، وإرادتكم دون نهيكم منزجرة» على أقرب الاحتمالين ، ثمّ نفي عليه السلام كون الإرادة على نحو إرادة المخلوقين من خطور بال أو تردّد في نفس ، ويحتمل أن يكون المقصود بما نسب إلى هشام : كون الصفات كلّها مع زيادتها مشتركة في عدم الحدوث والمخلوقيّة فنفاه عليه السلام بإثبات المغايرة أوّلاً ، ثمّ بيان أن كلّ ما سواه مخلوق ، والاولّ أظهر ، وقوله : تكون يمكن أن يقرء على المعلوم من المجرّد أو المجهول من بناء التفعيل .

الحديث الثامن : مجهول .

وصفت لابی الحسن عليه السلام قول هشام الجواليقي وما يقول في الشاب الموفق ووصفت له قول هشام بن الحكم فقال : إن الله لا يشبهه شيء .

﴿ باب صفات الذات ﴾

١ - على بن إبراهيم ، عن محمد بن خالد الطيالسي ، عن صفوان بن يحيى ، عن ابن مسكان ، عن أبي بصير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : لم يزل الله عز وجل ربنا والعلم ذاته ولا معلوم والسمع ذاته ولا مسموع والبصر ذاته ولا مبصر والقدرة ذاته ولا مقدور ، فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم والسمع على

باب صفات الذات

الحديث الاول : مجهول .

قوله: وقع العلم منه على المعلوم ، أي وقع على ما كان معلوماً في الأزل وانطبق عليه ، وتحقق مصداقه ، وليس المقصود تعلقه به تعلقاً لم يكن قبل الابداد أو المراد بوقوع العلم على المعلوم العلم به على أنه حاضر موجود ، وكان قد تعلق العلم به قبل ذلك على وجه الغيبة ، وأنه سيوجد والتغير يرجع إلى المعلوم لا إلى العلم وتحقيق المقام : إن علمه تعالى بأن شيئاً وجد هو عين العلم الذي كان له تعالى بأنه سيوجد ، فإن العلم بالقضية إنما يتغير بتغيرها ، وهو إما بتغير موضوعها أو محمولها ، والمعلوم ههنا هي القضية القائلة بأن زيداً موجود في الوقت الفلاني ، ولا يخفى أن زيداً لا يتغير معناه بحضوره وغيبته ، نعم يمكن أن يشار إليه إشارة خاصة بالموجود حين وجوده ولا يمكن في غيره ، وتفاوت الإشارة إلى الموضوع لا يؤثر في تفاوت العلم بالقضية ، ونفس تفاوت الإشارة راجع إلى تغير المعلوم لا العلم .

وأما الحكماء فذهب محققوهم إلى أن الزمان والزمانيات كلها حاضرة عنده تعالى ، لخروجه عن الزمان كالخيوط الممتدة من غير غيبة لبعضها دون بعض ، وعلى هذا فلا إشكال لكن فيه اشكالات لا يسع المقام إيرادها .

المسموع والبصر على المبصر والقدرة على المقدور ، قال : قلت : فلم يزل الله متحرّكاً ؟ قال : فقال : تعالى الله [عن ذلك] إنّ الحركة صفة محدثة بالفعل ، قال : قلت : فلم يزل الله متكلّماً ؟ قال : فقال : إنّ الكلام صفة محدثة ليست بأزليّة كان الله عزّ وجلّ ولا متكلّم .

٢ - محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسين ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم ، عن محمد بن مسلم ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : سمعته يقول : كان الله عزّ وجلّ ولا شيء غيره ولم يزل عالماً بما يكون ، فعلمه به قبل كونه كعلمه به بعد كونه .

٣ - محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسين ، عن صفوان بن يحيى ، عن الكاهليّ

ثمّ أعلم ان صفاته سبحانه على ثلاثة أقسام منها سلبية محضة كالقدوسيّة والفرديّة ومنها إضافية محضة كالمبدئيّة والخالقيّة والرازقيّة ، ومنها حقيقيّة سواء كانت ذات إضافة كالعالميّة والقادريّة أو لا ، كالحيّة والبقاء ، ولا شك أنّ السّلوب والإضافات زائدة على الذات ، وزيادتها لا توجب إنفعالاً ولا تكثراً ، وقيل : إنّ السّلوب كلّها راجعة إلى سلب الإمكان ، والإضافات راجعة إلى الموجديّة ، وأمّا الصفات الحقيقيّة فالحكماء والإماميّة على أنّها غير زائدة على ذاته تعالى ، وليس عينيتها وعدم زيادتها بمعنى نفي أضدادها عنه تعالى ، حتى يكون علمه سبحانه عبارة عن نفي الجهل ليلزم التعطيل ، فقيل : معنى كونه عالماً وقادراً أنّه يترتب على مجرد ذاته ما يترتب على الذات والصفة ، بأن ينوب ذاته مناب تلك الصفات ، والأكثر على أنّه تصدق تلك الصفات على الذات الأقدس ، فذاته وجود وعلم وقدرة وحيّة وسمع وبصر ، وهو أيضاً موجود عالم قادر حيّ سميع بصير ، ولا يلزم في صدق المشتقّ قيام المبدء به ، فلوفرضنا بياضاً قائماً بنفسه لصدق عليه أنّه أبيض .

الحديث الثاني : صحيح .

الحديث الثالث : حسن .

قال : كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام في دعاء : الحمد لله منتهى علمه ، فكتب إلى لا تقولن منتهى علمه فليس لعلمه منتهى ولكن قل : منتهى رضا .

٤ - محمد بن يحيى ، عن سعد بن عبد الله ، عن محمد بن عيسى ، عن أيوب بن نوح أنه كتب إلى أبي الحسن عليه السلام يسأله عن الله عز وجل أكان يعلم الأشياء قبل أن خلق الأشياء وكونها أولم يعلم ذلك حتى خلقها وأراد خلقها وتكوينها فعلم ما خلق عندما خلق وما كونه عندما كونه ؟ فوقع بخطه : لم يزل الله عالماً بالأشياء قبل أن يخلق الأشياء كعلمه بالأشياء بعد ما خلق الأشياء .

٥ - علي بن محمد ، عن سهل بن زياد ، عن جعفر بن محمد بن حمزة قال : كتبت إلى الرضا عليه السلام أسأله : أن مواليك اختلفوا في العلم فقال بعضهم : لم يزل الله عالماً قبل فعل الأشياء ، وقال بعضهم : لا نقول : لم يزل الله عالماً لأن معنى يعلم يفعل

قوله فليس لعلمه : أي لمعلوماته عدد متناه ، فلا يكون لعلمه عدد ينتهي إلى حدٍّ أو ليس لعلمه بحمده نهاية بانتهاء حمده إلى حدٍّ لا يتصور فوقه حد ، ولكن للرضا نهاية بالمعنيين ، فإن لرضا بحمد العبد منتهى عدداً أو لرضا بحمد العبد حدّاً لا يتجاوزه .

الحديث الرابع : صحيح .

الحديث الخامس : ضعيف .

قوله : لأن معنى يعلم يفعل ، أي يفعل العلم ويوجده ، على أن العلم إدراك والإدراك فعل ، وقال بعض المحققين : هذا الكلام يحتمل وجهين :

أحدهما أن تعلق علمه بشيء يوجب وجود ذلك الشيء وتحققه ، فلو كان لم يزل عالماً كان لم يزل فاعلاً فكان معه شيء في الأزل في مرتبة علمه أعني ذاته ، أو غير مسبوق بعدم زمني ، وهذا على تقدير كون علمه فعلياً .

وثانيهما أن تعلق العلم بشيء يستدعي إكشاف ذلك الشيء وإكشاف الشيء يستدعي نحو حصوله ، وكل حصول ووجود لغيره سبحانه مستند إليه سبحانه فيكون

فإن أثبتنا العلم فقد أثبتنا في الأزل معه شيئاً فإن رأيت جعلني الله فداك أن تعلمني من ذلك ما أقف عليه ولا أجوزه ؟ فكتب عليه السلام بخطه : لم يزل الله عالماً تبارك وتعالى ذكره .

٦ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن القاسم بن محمد عن عبد الصمد بن بشير ، عن فضيل بن سكرة ، قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : جعلت فداك إن رأيت أن تعلمني هل كان الله جل وجهه يعلم قبل أن يخلق الخلق أنه وحده ؟ فقد اختلف مواليك فقال بعضهم : قد كان يعلم قبل أن يخلق شيئاً من خلقه ، وقال بعضهم : إنما معنى يعلم يفعل فهو اليوم يعلم أنه لا غيره قبل فعل الأشياء فقالوا : إن أثبتنا أنه لم يزل عالماً بأنه لا غيره فقد أثبتنا معه غيره في أزليته ؟ فإن رأيت ياسيدي أن تعلمني ما لأعدوه إلى غيره ؟ فكتب عليه السلام : ما زال الله عالماً تبارك وتعالى ذكره .

من فعله ، فيكون معه في الأزل شيء من فعله فأجاب عليه السلام بأنه لم يزل عالماً ولم يلتفت إلى بيان فساد متمسك نافية ، لأنه أظهر من أن يحتاج إلى البيان ، فانه على الاول مبني على كون العلم فعلياً وهو ممنوع ، ولوسلم فلا يستلزم فعلية العلم عدم انفكاك المعلوم عنه عيناً بمعنى عدم مسبقية بعدم زماني ، أو كون المعلوم في مرتبة العالم وعلى الثاني مبني على كون الصور العلمية صادرة عنه صدور الأمور العينية ، فيكون من أقسام الموجودات العينية ومن أفعاله سبحانه وهو ممنوع ، فإن الصور العلمية توابع غير عينية لذات العالم ولا تحصل لها عدى الانكشاف لدى العالم ، ولا حظ لها من الوجود والحصول العيني أصلاً ، ولا مسبقية لها إلا بذات العالم ، لكنها ليست في مرتبة ذاته ، ولا يجب فيها نحو التأخر الذي للأفعال الصادرة عن المبدأ بالايجاد .

الحديث السادس : ضعيف .

﴿باب آخر وهو من الباب الاول﴾

١ - علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى بن عبيد ، عن حماد ، عن حريز ، عن محمد بن مسلم ، عن أبي جعفر (عليه السلام) أنه قال في صفة القديم : إنه واحدٌ صمدٌ أحديٌّ المعنى ليس بمعاني كثيرة مختلفة ، قال : قلت : جعلت فداك يزعم قومٌ من أهل العراق أنه يسمع بغير الذي يبصر ويبصر بغير الذي يسمع ، قال : فقال : كذبوا وألحدوا و شبهوا تعالى الله عن ذلك ، إنه سميع بصير يسمع بما يبصر ويبصر بما يسمع ، قال : قلت : يزعمون أنه بصير على ما يعقلونه ، قال : فقال : تعالى الله إنما يعقل ما كان بصفة المخلوق وليس الله كذلك .

٢ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن العباس بن عمرو ، عن هشام بن الحكم قال

باب آخر وهو من الباب الاول

الحديث الاول : صحيح ، ولعل المراد بوحده أنه لا يشاركه غيره في حقيقته لتشخصه بذاته ، وبصديته كونه غير محتمل لأن يحلّه غيره ، ولا يصحّ عليه الخلوّ عمّا يمكن أن يدخل فيه ، وبأحديته أن لا يصحّ عليه الائتلاف من معان متعددة ، أو الانحلال اليها ، وقوله : ليس بمعان كثيرة ، تفسير لأحدى المعنى ، ويحتمل أن يكون تفسيراً لكل واحد من الثلاثة .

قوله : على ما يعقلونه ، أي من الابصار بآلة البصر فيكون نقلاً لكلام المجسّمة او باعتبار صفة زائدة قائمة بالذات ، فيكون نقلاً لمذهب الاشاعرة ، والجواب انه انما يعقل بهذا الوجه من كان بصفة المخلوق ، أو المراد : تعالى الله أن يتّصف بما يحصل ويرتسم في العقول والاذهان ، والحاصل أنهم يثبتون لله تعالى ما يعقلون من صفاتهم والله منزّه عن مشابهمتهم ومشاركتهم في تلك الصفات الامكانية .

الحديث الثاني : مجهول ، وقدمر الكلام فيه ، ويدل على زيادة الصفات

في حديث الزنديق الذي سأل أباعبد الله عليه السلام : أنه قال له : أقول : إنه سميعٌ بصيرٌ ؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام : هو سميعٌ بصيرٌ ، سميعٌ بغير جارحة وبصير بغير آلة بل يسمع بنفسه ويبصر بنفسه وليس قولي : إنه سميع بنفسه أنه شيء والنفس شيء آخر ولكنني أردت عبارة عن نفسي إذ كنت مسؤولاً وإفهاماً لك إذ كنت سائلاً فأقول يسمع بكلمة لا أن كلاً له بعض لأن الكل لنا [له] بعض ولكن أردت إفهامك والتعبير عن نفسي وليس مرجعي في ذلك كلمة إلا أنه السميع البصير العالم الخبير بلا اختلاف الذات ولا اختلاف معنى .

أي نفى صفات موجودة زائدة على ذاته سبحانه ، وأما كونها عين ذاته تعالى بمعنى أنها تصدق عليها أو أنها قائمة مقام الصفات الحاصلة في غيره تعالى أو أنها أمور اعتبارية غير موجودة في الخارج ، واجبة الثبوت لذاته تعالى فلا نص فيه وفي أمثاله على شيء منها ، وإن كان ظاهر أكثرها أحد الأولين .

قال المحقق الدواني : لا خلاف بين المتكلمين كلهم ، والحكماء ، في كونه تعالى عالماً قدير أمر بدياً متكلاً ، وهكذا في سائر الصفات ، ولكنهم تخالفاً في أن الصفات عين ذاته أو غير ذاته أو لاهو ولا غيره ، فذهبت المعتزلة والفلاسفة إلى الأول وجمهور المتكلمين إلى الثاني ، والأشعري إلى الثالث ، والفلاسفة حققوا عينية الصفات بأن ذاته تعالى من حيث أنه مبدء لا تكشف الأشياء عليه علم ، ولما كان مبدء الانكشاف عين ذاته كان عالماً بذاته ، وكذا الحال في القدرة والإرادة وغيرهما من الصفات قالوا : وهذه المرتبة أعلى من أن تكون تلك الصفات زائدة عليه ، فأننا نحتاج في انكشاف الأشياء علينا إلى صفة مغايرة عنها قائمة بنا ، والله تعالى لا يحتاج إليه بل بذاته ينكشف الأشياء عليه ، ولذلك قيل محصول كلامهم نفى الصفات وإثبات نتائجها وغاياتها ، وأما المعتزلة فظاهر كلامهم أنها عندهم من الاعتبار العقلية التي لا وجود لها في الخارج « انتهى » .

﴿ باب ﴾

﴿ (الارادة انها من صفات الفعل و سائر صفات الفعل) ﴾

١ - محمد بن يحيى العطار ، عن أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري ، عن الحسين ابن سعيد الأهوازي ، عن النضر بن سويد ، عن عاصم بن حميد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت : لم يزل الله مريداً ؟ قال : إن المرید لا يكون إلا لمراد معه ، لم يزل [الله] عالماً قادراً ثم أراد .

باب الارادة انها من صفات الفعل وسائر صفات الفعل

الحديث الاول : صحيح ، واعلم ان ارادة الله سبحانه عند متكلمي الامامية هي العلم بالخير والنفع وما هو الاصلح ولا يشتون فيه تعالى وراء العلم شيئاً ، ولعل المراد بتلك الأخبار الدالة على حدوث الارادة هو أنه يكون في الانسان قبل حدوث الفعل اعتقاد النفع فيه ، ثم الرؤية ، ثم الهمة ، ثم إنبعاث الشوق منه ، ثم تأكده حتى يصير إجماعاً باعثاً على الفعل ، وذلك كله فينا إرادة متوسطة بين ذاتنا وبين الفعل وليس فيه سبحانه بعد العلم القديم بالمصلحة من الامور المقارنة سوى الاحداث والايجاد فالاحداث في الوقت الذي تقتضي المصلحة صدور الفعل فيه قائم مقام ما يحدث من الامور في غيره تعالى ، فالمعنى ان ذاته تعالى بصفاته الكمالية الذاتية كافية في حدوث الحادث من غير حاجة إلى حدوث أمر في ذاته عند حدوث الفعل .

قوله عليه السلام : إلا لمراد معه : قال بعض المحققين أي لا يكون المرید بحال إلا حال كون المراد معه ، ولا يكون مفارقاً من المراد ، وحاصله أن ذاته تعالى مناط لعلمه وقدرته ، أي صحة الصدور والاصدور بأن يريد فيفعل ، وأن يريد فيتترك ، فهو بذاته مناط لصحة الارادة وصحة عدمها ، فلا يكون بذاته مناطاً للإرادة وعدمها ، بل المناط فيها الذات مع حال المراد ، فالارادة أي المخصصة لأحد الطرفين لم يكن من صفات الذات فهو بذاته عالم قادر مناط لهما ، وليس بذاته مريداً مناطاً لها ، بل بمدخلية مغاير متأخر عن الذات ، وهذا معنى قوله : لم يزل عالماً قادراً ثم أراد .

٢ - محمد بن أبي عبد الله ، عن محمد بن إسماعيل ، عن الحسين بن الحسن ، عن بكر ابن صالح ، عن علي بن أسباط ، عن الحسن بن الجهم ، عن بكير بن أعين قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : علم الله ومشيتته هما مختلفان أومتفقان ؟ فقال : العلم ليس هو المشيئة ألا ترى أنك تقول : سأفعل كذا إن شاء الله ولا تقول : سأفعل كذا إن علم الله فقولك إن شاء الله دليل على أنه لم يشأ فإذا شاء كان الذي شاء كما شاء وعلم الله السابق للمشيئة .

٣ - أحمد بن إدريس ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن صفوان بن يحيى قال : قلت لأبي الحسن عليه السلام : أخبرني عن الإرادة من الله ومن الخلق ؟ قال : فقال : الإرادة من الخلق الضمير وما يبدولهم بعد ذلك من الفعل وأما من الله تعالى فإرادته إحداثه

الحديث الثاني : ضعيف ولعل المراد المشيئة المتأخرة عن العلم ، الحادثة عند حدوث المعلوم ، وقد عرفت أنه في الله تعالى ليس سوى الإيجاد ، ومغايرته للعلم ظاهر ، ويحتمل أن يكون المقصود بيان عدم اتحاد مفهوميهما ، إذ ليست الإرادة مطلق العلم ، إذ العلم يتعلق بكل شيء ، بل هي العلم بكونه خيراً وصلاًحاً ونافعاً ولا يتعلق إلا بما هو كذلك ، وفرق آخر بينهما ، وهو أن علمه تعالى بشيء لا يستدعي حصوله بخلاف علمه به على النحو الخاص ، فالسبق على هذا يكون محمولاً على السبق الذاتي الذي يكون للعام على الخاص ، والاول أظهر كما عرفت .

قوله عليه السلام وعلم الله السابق للمشيئة^(١) : بنصب المشيئة ليكون معمولاً للسابق ، أو بجرها باضافة السابق اليه ، وربما يقرأ بالرفع ليكون خبراً ، ويكون السابق صفة للعلم ، ولا يخفى بعده ، وفي التوحيد سابق للمشيئة .

الحديث الثالث : صحيح ، قال بعض المحققين في شرح هذا الخبر : الظاهر أن المراد بالإرادة مخصص أحد الطرفين وما به يرجع القادر أحدهم قدوره على الآخر لا ما يطلق في مقابل الكراهة ، كما يقال يريد الصلاح والطاعة ، ويكره الفساد والمعصية . وحاصل الجواب : أن الإرادة من الخلق الضمير ، أي أمر يدخل في خواطرهم

(١) كذا في النسخ ، و يظهر منها انها موافقة لنسخة الشارح (ره) من كتاب الكافي و لكن في ما عندنا من النسخ «سابق للمشيئة» و كأنها غير محتاجة الى الاحتمالات المذكورة في كلام الشارح (ره) .

لاغير ذلك لانه لا يروى ولا يهمل ولا يتفكر ، وهذه الصفات منفية عنه وهى صفات الخلق ، فإرادة الله ، الفعل ، لاغير ذلك يقول له : كن فيكون باللفظ ولا نطق بلسان ولاهمة ولا تفكر ولا كيف لذلك ، كما أنه لا كيف له .

وأذهانهم ، ويوجد في نفوسهم ويحلّ فيها ، بعد ما لم يكن فيها ، وكانت هي خالية عنه ، وقوله : وما يبدو لهم بعد ذلك من الفعل ، يحتمل أن يكون جملة معطوفة على الجملة السابقة والظرف خبراً للموصول ، ويحتمل أن يكون الموصول معطوفاً على قوله الضمير ، ويكون قوله من الفعل بياناً للموصول ، والمعنى على الأول أن الإرادة من الخلق الضمير والذي يكون لهم بعد ذلك من الفعل ، لا من إرادتهم ، وعلى الثاني أن إرادتهم مجموع ضمير يحصل في قلبهم وما يكون لهم من الفعل المترتب عليه ، فالقصد هنا من الفعل ما يشمل الشوق الى المراد وما يتبعه من التحريك اليه والحركة ، وأما الإرادة من الله فيستحيل أن يكون كذلك فأنه يتعالى أن يقبل شيئاً زائداً على ذاته ، بل إرادته المرجحة للمراد من مراتب الأحداث لا غير ذلك ، إذ ليس في الغائب إلا ذاته الأحديّة ، ولا يتصور هناك كثرة المعاني ولا له بعد ذاته وما لذاته بذاته إلا ما ينسب إلى الفعل ، فإرادة الله سبحانه من مراتب الفعل المنسوب إليه لا غير ذلك .

أقول : ويحتمل على الاحتمال الأول أن يكون المراد بالضمير تصوّراً لفعل وبما يبدو بعد ذلك إعتقاد النفع والشوق وغير ذلك ، فقوله : من الفعل ، أى من أسباب الفعل أو من جهة الفعل ، وقوله ^(التعالى) : ولا كيف لذلك ، أى لا صفة حقيقية لقوله ذلك وإرادته كما أنه لا كيف لذاته ، أو لا يعرف كيفية إرادته على الحقيقة ، كما لا يعرف كيفية ذاته وصفاته بالكنه .

وقال الشيخ المفيد قدس الله روحه : إنّ الإرادة من الله جلّ اسمه نفس الفعل ومن الخلق الضمير وأشباهه ممّا لا يجوز إلا على ذوى الحاجة والنقص ، وذلك لأنّ العقول شاهدة بأنّ القصد لا يكون إلا بقلب ، كما لا تكون الشهوة والمحبة إلا لذى

٤ - على بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن عمر بن أذينة ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : خلق الله المشيئة بنفسها ثم خلق الاشياء بالمشيئة .

قلب ، ولا تصح النية والضمير والعزم إلا على ذى خاطر يضطر معها في الفعل الذي يغلب عليه إلى الارادة له ، والنية فيه والعزم ، ولما كان الله تعالى يجلب عن الحاجات ويستحيل عليه الوصف بالجوارح والأدوات ، ولا يجوز عليه الدواعي والخطرات بطل أن يكون محتاجاً في الأفعال إلى القصور والعزمات ، وثبت أن وصفه بالارادة مخالف في معناه لوصف العباد ، وانها نفس فعله الاشياء ، وبذلك جاء الخبر عن ائمة الهدى ثم أورد هذه الرواية ، ثم قال : نص على إختياري في الارادة ، وفيه نص على مذهب لى آخر ، وهو أن إرادة العبد تكون قبل فعله ، وإلى هذا ذهب البلننى ، والقول في تقدم الارادة للمراد كالقول في تقدم القدرة للفعل ، وقوله عليه السلام : ان الارادة من الخلق الضمير وما يبدو لهم بعد الفعل ، صريح في وجوب تقدمها للفعل ، اذا كان الفعل يبدو من العبد بعدها ، ولو كان الامر فيها على مذهب الجبائي لكان الفعل بادياً في حالها ولم يتأخر بدوه إلى الحال التي هي بعد حالها .

الحديث الرابع : حسن ويحتمل وجوهاً من التأويل :

الاول : أن لا يكون المراد بالمشيئة الارادة بل إحدى مراتب التقديرات التي اقتضت الحكمة جعلها من أسباب وجود الشيء كالتقدير في اللوح مثلاً والاثبات فيه ، فإن اللوح وما أثبت فيه لم يحصل بتقدير آخر في لوح سوى ذلك اللوح ، وانما وجد سائر الأشياء بما قدر في ذلك اللوح ، وربما يلوح هذا المعنى من بعض الأخبار كما سيأتي في كتاب العدل ، وعلى هذا المعنى يحتمل أن يكون الخلق بمعنى التقدير .

الثاني : أن يكون خلق المشيئة بنفسها كناية عن كونها لازمة لذاته تعالى غير متوقفة على تعلق إرادته أخرى بها ، فيكون نسبة الخلق إليها مجازاً عن تحققها بنفسها منتزعة عن ذاته تعالى بلا توقف على مشيئة أخرى أو أنه كناية عن أنه اقتضى علمه الكامل ، وحكمته الشاملة كون جميع الاشياء حاصلة بالعلم بالأصلح ، فالمعنى انه

لما اقتضى كمال ذاته أن لا يصدر عنه شيء إلا على الوجه الأصلح والأكمل ، فلذا لا يصدر شيء عنه تعالى إلا بأرادته المقتضية لذلك .

الثالث : ما ذكره السيد الداماد قدس الله روحه : أن المراد بالمشيئة هنا مشيئة العباد لا فعالهم الاختيارية لتقدسه سبحانه عن مشيئة مخلوقه زائدة على ذاته عز وجل وبالأشياء أفعالهم المترتب وجودها على تلك المشيئة ، وبذلك تنحل شبهة ربما أوردت هاهنا وهي أنه لو كانت أفعال العباد مسبوقة بإرادتهم لكانت الإرادة مسبوقة بإرادة أخرى ، وتسلسلت الإرادات لا إلى نهاية .

الرابع : ما ذكره بعض الأفاضل وهو أن للمشية معنيين « أحدهما » متعلق بالشئ وهي صفة كمالية قديمة هي نفس ذاته سبحانه وهي كون ذاته سبحانه بحيث يختار ما هو الخير والصالح .

« والآخر » يتعلق بالمشي وهو حادث بحدوث المخلوقات لا يتخلف المخلوقات عنه وهو إيجاد سبحانه إيائها بحسب اختياره ، وليست صفة زائدة على ذاته عز وجل وعلى المخلوقات ، بل هي نسبة بينهما تحدث بحدوث المخلوقات لفرعيتها المنتسبين معاً فنقول : أنه لما كان ههنا مظنة شبهة هي أنه إن كان الله عز وجل خلق الأشياء بالمشيئة فبم خلق المشيئة ؟ أم مشيئة أخرى فيلزم أن تكون قبل كل مشيئة مشيئة إلى ما لا نهاية له ، فأفاد الامام (عليه السلام) أن الأشياء مخلوقة بالمشيئة ، وأما المشيئة نفسها فلا يحتاج خلقها إلى مشيئة أخرى ، بل هي مخلوقة بنفسها لأنها نسبة وإضافة بين الشئ والمشئ تتحصل بوجوديهما العيني والعلمي ، ولذا أضاف خلقها إلى الله سبحانه لأن كلا الوجودين له وفيه ومنه ، وفي قوله (عليه السلام) بنفسها دون أن يقول بنفسه إشارة لطيفة إلى ذلك ، نظير ذلك ما يقال : إن الأشياء إنما توجد بالوجود ، فأما الوجود نفسه فلا يفتقر إلى وجود آخر ، بل إنما يوجد بنفسه .

الخامس : ما ذكره بعض المحققين بعد ما حقق أن إرادة الله [المتحققة]

٥ - عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد البرقي ، عن محمد بن عيسى ، عن المشرقي حمزة بن المرتفع عن بعض أصحابنا قال : كنت في مجلس أبي جعفر عليه السلام إذ دخل عليه عمرو بن عبيد فقال له : جعلت فداك قول الله تبارك وتعالى : « ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى » ^(١) ما ذلك الغضب ؟ فقال أبو جعفر عليه السلام : هو العقاب ، يا عمر وإني من زعم أن الله قد زال من شيء إلى شيء فقد وصفه صفة مخلوق وإن الله تعالى لا يستغفره شيء فيغيره .

المتجددة هي نفس أفعاله المتجددة الكائنة الفاسدة ، فأرادته لكل حادث بالمعنى الإضافي يرجع إلى إيجاده ، وبمعنى المرادية ترجع إلى وجوده ، قال : نحن إذا فعلنا شيئاً بقدرتنا وإختيارنا فأردناه أولاً ثم فعلناه بسبب الإرادة ، فلا إرادة نشئت من أنفسنا بذاتها لا بإرادة أخرى ، وإلا لتسلسل الأمر لا إلى نهاية ، فالإرادة مرادة لذاتها ، والفعل مراد بالإرادة ، وكذا الشهوة في الحيوان مشتهة لذاتها ، لذينة بنفسها ، وسائر الأشياء مرغوبة بالشهوة ، فعلى هذا المثل حال مشيئة الله المخلوقة ، وهي نفس وجوذاً الأشياء ، فإن الوجود خير ومؤثر لذاته ، ومجوعول بنفسه ، والأشياء بالوجود موجودة ، والوجود مشيئاً بالذات والأشياء مشيئة بالوجود وكما أن الوجود حقيقة واحدة متفاوتة بالشدة والضعف والكمال والنقص ، فكذا الخيرية والمشيشية ، وليس الخير المحض الذي لا يشوبه شر إلا الوجود البحت الذي لا يمازجه عدم ونقص ، وهو ذات الباري جل مجده ، فهو المراد الحقيقي ... إلى آخر ما حققه ، والوافق بأصولنا هو الوجه الأول ، والله يعلم .

الحديث الخامس : ضعيف .

قوله عليه السلام : هو العقاب ، أي ليس فيه سبحانه قوة تغير عن حالة إلى حالة تكون إحداهما رضا والاخرى غضبه ، إنما أطلق عليه الغضب باعتبار صدور العقاب عنه ، فليس التغير إلا في فعله صفة مخلوق من إضافة المصدر إلى المفعول « لا يستغفر » أي لا يستخفه ولا يزعجه ، وقيل : أي لا يجده خالياً عما يكون قابلاً له فيغيره للحصول له تغير الصفة لموصوفها .

٦ - على بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن العباس بن عمرو ، عن هشام بن الحكم في حديث الزنديق الذي سأل أبا عبد الله عليه السلام فكان من سؤاله أن قال له : فله رضا وسخط ؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام : نعم ولكن ليس ذلك على ما يوجد من المخلوقين وذلك أن الرضا حال تدخل عليه فتقله من حال إلى حال ؛ لأن المخلوق أجوف معتمل مرگب ، للأشياء فيه مدخل ، وخالفنا لمدخل للأشياء فيه لأنه واحدٌ واحدٌ الذات واحدٌ المعنى فرضاه ثوابه وسخطه عقابه من غير شيء يتداخله فيهيجه وينقله من حال إلى حال لأن ذلك من صفة المخلوقين العاجزين المحتاجين .

الحديث السادس : مجهول .

قوله : وذلك إن الرضا حال... في التوحيد وذلك لأن الرضا والغضب دخال ، والحاصل أن عروض تلك الأحوال والتغيرات إنما يكون لمخلوق أجوف له قابلية ما يحصل فيه ويدخله « معتمل » بالكسر أي يعمل بأعمال صفاته وآلته ، أو بالفتح أي مصنوع رگب فيه الأجزاء والقوى ، والأول أولى ، ليكون تأسيساً مرگب من أمور مختلفة للأشياء من الصفات والجهات والآلات فيه مدخل ، وخالفنا تبارك اسمه لا مدخل للأشياء فيه لاستحالة الترگب في ذاته فاته واحدٌ الذات واحدٌ المعنى فاذن لاكثره فيه لا في ذاته ولا في صفاته الحقيقية ، وإنما الاختلاف في الفعل فيثيب عند الرضا ويعاقب عند السخط من غير مداخله شيء فيه ، يهيجه وينقله من حال إلى حال ، لأن ذلك ينافي وجوب الوجود ، فلا يكون من صفاته سبحانه ، بل من صفات المخلوقين العاجزين ، قال السيد الدآماد قدس سره : المخلوق أجوف لما قد برهن واستبان في حكمة مافوق الطبيعة أن كل ممكن زوج تركيبي ، وكل مرگب مزوج الحقيقية فاته أجوف الذات لا محالة ، فما لا جوف لذاته على الحقيقة هو الأحد الحق سبحانه لا غير ، فاذن الصمد الحق ليس هو إلا الذات الأحدثية الحققة من كل جهة ، فقد تصحح من هذا الحديث الشريف تأويل الصمد بما لا جوف له ، ولا مدخل لمفهوم من المفهومات وشيء من الأشياء في ذاته أصلاً .

٧ - عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ خَالِدٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ أَبِي عَمِيرٍ عَنْ ابْنِ أُذَيْنَةَ ، عَنْ مُحَمَّدَ بْنِ مُسْلِمٍ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ : الْمَشِيئَةُ مُحَدَّثَةٌ .

❦ (جُمْلَةُ الْقَوْلِ فِي صِفَاتِ الذَّاتِ وَ صِفَاتِ الْفِعْلِ) ❦

إِنَّ كُلَّ شَيْئَيْنِ وَصَفَتْ اللَّهُ بِهِمَا وَكَانَا جَمِيعاً فِي الوجودِ فَذَلِكَ صِفَةُ فِعْلٍ ؛ وَتَفْسِيرُ هَذِهِ الْجُمْلَةِ : أَنَّكَ تَثْبِتُ فِي الوجودِ مَا يَرِيدُ وَمَا لَا يَرِيدُ وَمَا يَرْضَاهُ وَمَا يَسْخَطُهُ وَمَا يَحِبُّ وَمَا يَبْغِضُ ، فَلَوْ كَانَتِ الْإِرَادَةُ مِنْ صِفَاتِ الذَّاتِ مِثْلَ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ كَانَ مَا لَا يَرِيدُ نَاقِضاً لِتِلْكَ الصِّفَةِ وَلَوْ كَانَ مَا يَحِبُّ مِنْ صِفَاتِ الذَّاتِ كَانَ مَا يَبْغِضُ نَاقِضاً لِتِلْكَ الصِّفَةِ ، أَلَا تَرَى أَنَّنَا لَا نَجِدُ فِي الوجودِ مَا لَا يَعْلَمُ وَمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ وَكَذَلِكَ صِفَاتُ ذَاتِهِ الْأَزَلِيِّ لَسْنَا نَصِفُهُ بِقُدْرَةٍ وَعَجْزٍ [وَعِلْمٍ وَجَهْلٍ وَسُفْهِ وَحِكْمَةٍ وَخَطْأٍ وَعِزٍّ] وَذَلِكَ يُوجِزُ أَنْ يُقَالَ : يَحِبُّ مِنْ أَطَاعِهِ وَيَبْغِضُ مِنْ عَصَاهُ وَيُؤَالِي مِنْ أَطَاعِهِ وَيُعَادِي مِنْ عَصَاهُ وَإِنَّهُ

الحديث السابع : صحيح .

قوله : جُمْلَةُ الْقَوْلِ . . . هَذَا التَّحْقِيقُ لِلْمُصَنِّفِ (رَه) وَلَيْسَ مِنْ تَمَمِهِ الْخَبَرِ وَغَرَضُهُ

الفرق بين صِفَاتِ الذَّاتِ وَ صِفَاتِ الْفِعْلِ ، وَأَبَانَ ذَلِكَ بِوُجُوهٍ :

الْأَوَّلُ : أَنَّ كُلَّ صِفَةٍ وَجُودِيَّةٍ لَهَا مُقَابِلٌ وَجُودِيٌّ فَهِيَ مِنْ صِفَاتِ الْأَفْعَالِ لَا مِنْ صِفَاتِ الذَّاتِ ، لِأَنَّ صِفَاتِهِ الذَّاتِيَّةَ كُلَّهَا عَيْنُ ذَاتِهِ ، وَذَاتُهُ مِمَّا لَا ضِدَّ لَهُ ، ثُمَّ يَبَيِّنُ ذَلِكَ فِي ضَمَنِ الْأَمْثَلَةِ وَأَنَّ اتِّصَافَهُ بِسَبْحَانِهِ بِصِفَتَيْنِ مُتَقَابِلَتَيْنِ ذَاتِيَّتَيْنِ مُحَالٌ .

وَالثَّانِي : مَا أَشَارَ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ : وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ يَقْدِرُ أَنْ يَعْلَمَ .

وَالْحَاصِلُ : أَنَّ الْقُدْرَةَ صِفَةُ ذَاتِيَّةٌ تَتَعَلَّقُ بِالْمُمَكِّنَاتِ لَا غَيْرَ ، فَلَا تَتَعَلَّقُ بِالْوَاجِبِ وَلَا بِالْمُمْتَنِعِ ، فَكُلُّ مَا هُوَ صِفَةُ الذَّاتِ فَهُوَ أَزَلِيٌّ غَيْرُ مُقَدَّرٍ ، وَكُلُّ مَا هُوَ صِفَةُ الْفِعْلِ فَهُوَ مُمَكِّنٌ مُقَدَّرٌ ، وَبِهَذَا يَعْرِفُ الْفَرْقَ بَيْنَ الصِّفَتَيْنِ ، وَقَوْلُهُ : وَلَا يَقْدِرُ أَنْ لَا يَعْلَمَ ، الظَّاهِرُ أَنَّ لَا لِتَأْكِيدِ النِّفْيِ السَّابِقِ ، أَيِ لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ يَقْدِرُ أَنْ لَا يَعْلَمَ ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مِنْ مَقُولِ الْقَوْلِ الَّذِي لَا يَجُوزُ ، وَتَوْجِيهِهِ : أَنَّ الْقُدْرَةَ لَا يَنْسَبُ إِلَّا إِلَى الْفِعْلِ نَفِيًّا أَوْ إِبْثَاتًا ، فَيُقَالُ : يَقْدِرُ أَنْ يَفْعَلَ أَوْ يَقْدِرُ أَنْ لَا يَفْعَلَ ، وَلَا يَنْسَبُ إِلَى مَا لَا

يرضى ويسخط ويقال في الدعاء : اللهم ارض عني ولا تسخط عليّ وتولني ولا تعادني ولا يجوز أن يقال : يقدر أن يعلم ولا يقدر أن لا يعلم ، ويقدر أن يملك ولا يقدر أن لا يملك ويقدر أن يكون عزيزاً حكيماً ، ولا يقدر أن لا يكون عزيزاً حكيماً ويقدر أن يكون جواداً ولا يقدر أن لا يكون جواداً ويقدر أن يكون غفوراً ولا يقدر أن لا يكون غفوراً ولا يجوز أيضاً أن يقال : أراد أن يكون ربّاً وقديماً وعزيزاً وحكيماً

يعتبر الفعل فيه لا إثباتاً ولا نفيّاً ، فما يكون من صفات الذات التي لا شائبة للفعل فيها كالعلم والقدرة وغيرهما ، لا يجوز أن ينسب إليها القدرة ، فإن القدرة إنما يصح استعمالها مع الفعل والتترك ، فلا يقال يقدر أن يعلم ولا يقال ولا يقدر أن لا يعلم ، لأن العلم لا شائبة فيه من الفعل .

أقول : ويحتمل أن يكون الواو للحال ، والحاصل : أن من لا يقدر ان لا يعلم كيف يصح أن يقال له يقدر أن يعلم ، إذ نسبة القدرة الى طرفي الممكن على السواء واما الجود والغفران فيحتمل أن يكونا على سياق ما تقدم بأن يكون المراد بالجود ذات يليق به الجود ، وبالمغفور من هو في ذاته بحيث يتجاوز عن المؤاخذة لمن يشاء ، فمرجه إلى خيريته وكماله وقدرته ، لا فعل الجود والمغفرة حتى يكونا من صفات الفعل ، ويحتمل أن يكونا مقطوعين عن السابق ، لبيان كون الجود وفعل المغفرة مقذورين .

الثالث : ما أشار اليه بقوله : ولا يجوز أن يقال أراد أن يكون ربّاً .

والحاصل : أن الارادة لما كانت فرع القدرة فما لا يكون مقدوراً لا يكون مراداً ، وقد علمت ان الصفات الذاتية غير مقدورة فهي غير مرادة ايضاً ، ولكونها غير مرادة وجه آخر وهو قوله : لان هذه من صفات الذات « الخ » ومعناه أن الارادة لكونها من صفات الفعل فهي حادثة ، وهذه الصفات يعني الربوبية والقدم وأمثالهما لكونها من صفات الذات فهي قديمة ، ولا يؤثر الحادث في القديم فلا تعلق للإرادة بشيء منها ، وقوله : ألا ترى توضيح لكون الارادة لا تعلق بالقديم بأن إرادة شيء

وما لكأ وعالماً وقادراً لأن هذه من صفات الذات والإرادة من صفات الفعل ، ألا ترى أنه يقال : أراد هذا ولم يرد هذا ، وصفات الذات ، تنفى عنه بكل صفة منها ضدّها ، يقال : حيّ وعالمٌ وسميعٌ وبصيرٌ وعزيزٌ وحكيمٌ ، غنيٌّ ، ملكٌ ، حلِيمٌ ، عدلٌ ، كريمٌ فالعلم ضدّه الجهل والقدرة ضدّها العجز والحياة ضدّها الموت والعزّة ضدّها الذلّة والحكمة ضدّها الخطاء وضدّ الحلم العجلة والجهل وضدّ العدل الجور والظلم .

﴿ باب حدوث الاسماء ﴾

١ - عليّ بن محمّد ، عن صالح بن أبي حمّاد ، عن الحسين بن يزيد ، عن الحسين ابن عليّ بن أبي حمزة ، عن إبراهيم بن عمر ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إنّ الله تبارك

مع كراهة ضدّه والقديم لا ضدّ له كما قيل ، أو المعنى أنّ القديم واجب الوجود والإرادة متعلّقه الحادث الممكن ، ثمّ رجع الى أوّل الكلام لمزيد الايضاح فقال : وصفات الذات الى آخره .

باب حدوث الاسماء

الحديث الاول : مجهول وهو من متشابهات الأخبار وغوامض الأسرار التي لا يعلم تأويلها إلّا الله والرّاسخون في العلم ، والسكوت عن تفسيره والافرار بالعجز عن فهمه أصوب وأولى وأحوط وأحرى ، ولنذكر وجهاً تبعاً لمن تكلم فيه على سبيل الاحتمال .

فنقول : « أسماء » في بعض النسخ بصيغة الجمع ، وفي بعضها بصيغة المفرد والآخر أظهر ، والاول لعلّه مبنيّ على أنّه مجزئ بأربعة أجزاء ، كلّ منها اسم ، فلذا أطلق عليه صيغة الجمع .

وقوله « بالحروف غير متصوّت » وفي أكثر نسخ التوحيد غير منعوت وكذا ما بعده من الفقرات تحتل كونها حالاً عن فاعل خلق ، وعن قوله أسماء ، ويؤيد الاول ما في أكثر نسخ التوحيد خلق أسماء بالحروف ، وهو عزّ وجلّ بالحروف غير منعوت

وتعالى خلق اسماً بالحروف غير متصوّت ، وباللفظ غير منطوق وبالشخص غير مجسّد وبالتشبيه غير موصوف وباللون غير مصبوغ ، منفى عنه الأقطار ، مبعّد عنه الحواجز ، محجوب عنه حسّ كل متوهّم ، مستتر غير مستور ، فجعله كلمة تامّة على أربعة أركان معاً ، ليس منها واحدٌ قبل الآخر ، فأظهر منها ثلاثة أسماء لفاقة الخلق إليها وحجب منها واحداً وهو الاسم المكنون المخزون ، فهذه الأسماء التي ظهرت ، فالظاهر هو

فيكون المقصود بيان المغايرة بين الاسم والمسمّى بعدم جريان صفات الاسم بحسب ظهوراته النطقية والكتيبية فيه تعالى ، وأمّا على الثاني فلعلّه إشارة إلى حصوله في علمه تعالى فيكون الخلق بمعنى التقدير والعلم ، وهذا الاسم عند حصوله في العلم الأقدس ، لم يكن ذات صوت ولا ذات صورة ولا ذا شكل ولا ذا صبغ ، ويحتمل أن يكون إشارة إلى أن أوّل خلقه كان بالاضافة على روح النبي ﷺ وأرواح الائمة عليهم السلام بغير نطق وصبغ ولون وخط بقلم ، ولنرجع الى تفصيل كلّ من الفقرات وتوضيحها ، فعلى الأوّل قوله غير متصوّت إمّا على البناء للفاعل ، اي لم يكن خلقها بإيجاد حرف وصوت ، أو على البناء للمفعول أي هو تعالى ليس من قبيل الأصوات والحروف ، حتّى يصلح كون الاسم عينه تعالى .

وقوله ﷺ : وباللفظ غير منطوق بفتح الطاء اي ناطق ، أو أنّه غير منطوق باللفظ كالحروف ليكون من جنسها ، أو بالكسر اي لم يجعل الحروف ناطقة على الإسناد المجازي كقوله تعالى « هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق » ^(١) وهذا التوجيه يجري في الثاني من إحتمالي الفتح وتطبيق تلك الفقرات على الاحتمال الثاني ، وهو كونها حالا عن الاسم بعد ما ذكرنا ظاهر ، وكذا تطبيق الفقرات الآتية على الاحتمالين .

قوله ﷺ : مستتر غير مستور ، اي كنه حقيقته مستور عن الخلق مع أنه من حيث الآثار أظهر من كلّ شيء ، أو مستتر بكمال ذاته من غير ستر وحاجب أو أنّه غير مستور [عن الخلق] بل هو في غاية الظهور ، والنقص إنّما هو من قبلنا ، ويجري

الله تبارك وتعالى ، وسخر سبجانه لكل اسم من هذه الأسماء أربعة أركان ، فذلك اثنا عشر ركناً ، ثم خلق لكل ركن منها ثلاثين اسماً فعلاً منسوباً إليها فهو الرحمن

نظير الاحتمالات في الثاني ، ويحتمل على الثاني أن يكون المراد أنه مستور عن الخلق غير مستور عنه تعالى ، وأما تفصيل الأجزاء وتشعب الاسماء فيمكن أن يقال أنه لما كان كنه ذاته تعالى مستوراً عن عقول جميع الخلق فالاسم الدال عليه ينبغي أن يكون مستوراً عنهم ، فالاسم الجامع هو الاسم الذي يدل على كنه الذات مع جميع الصفات الكمالية ، ولما كانت اسماءه تعالى ترجع إلى أربعة لأنها إما أن تدل على الذات أو الصفات الثبوتية الكمالية أو السلبية التنزيهية أو صفات الأفعال ، فجرى ذلك الاسم الجامع إلى أربعة أسماء جامعة ، واحد منها للذات فقط ، فلما ذكرنا سابقاً استبدت تعالى به ولم يعطه خلقه وثلاثة منها تتعلق بالأشياء الثلاثة من الصفات فأعطاه خلقه ليعرفوه بها بوجه من الوجوه ، فهذه الثلاثة حجب ووسائط بين الخلق وبين هذا الاسم المكنون ، إذ بها يتوسلون إلى الذات وإلى الاسم المختص بها إذ في التوحيد «بهذه الاسماء» وهو أظهر ، ولما كانت تلك الاسماء الأربعة مطوية في الاسم الجامع على الإجمال لم يكن بينها تقدم وتأخر ، ولذا قال : ليس منها واحد قبل الآخر ، ويمكن أن يقال على بعض الاحتمالات السابقة : أنه لما كان تحققها في العلم الأقدس ، لم يكن بينها تقدم وتأخر ، أو يقال أن إيجادها لما كان بالإفاضة على الأرواح المقدسة ولم يكن بالتكلم لم يكن بينها وبين أجزائها تقدم وتأخر في الوجود ، كما يكون في تكلم الخلق ، والاول أظهر ثم يبين الاسماء الثلاثة .

وهنا اختلاف بين نسخ الكافي والتوحيد ، ففي أكثر نسخ الكافي فالظاهر هو الله تبارك وتعالى ، وسخر لكل اسم ، وفي بعضها وتبارك ، وفي نسخ التوحيد فالظاهر هو الله وتبارك وسبحانه لكل اسم ، فعلى ما في الكافي يحتمل أن يكون المعنى أن الظاهر بهذه الاسماء هو الله تعالى وهذه الاسماء إنما جعلها ليظهر بها على

الرحيم ، الملك ، القدوس ، الخالق ، الباري ، المصور ، الحي ، القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، العليم ، الخبير ، السميع ، البصير ، الحكيم ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، العلي ، العظيم ، المقتدر ، القادر ، السلام ، المؤمن ، المهيمن [الباري] ، المنشي ،

الخلق ، فالظاهر هو الاسم ، والظاهر به هو الرب سبحانه .

ويحتمل أن يكون بياناً للأسماء الثلاثة ، ويؤيده نسخة الواو ، وما في التوحيد فأولها « الله » وهو الدال على النوع الأول لكونه موضوعاً للذات مستجمعاً للصفات الذاتية الكمالية ، والثاني « تبارك » لأنه من البركة والنمو وهو إشارة إلى أنه معدن الفيوض ومنبع الخيرات التي لا تنهاى ، وهو رئيس جميع الصفات الفعلية من الخالقية والرازقية والمنعمية وسائر ما هو منسوب إلى الفعل ، كما أن الأول رئيس الصفات الوجودية من العلم والقدرة وغيرهما ، ولما كان المراد بالاسم كل ما يدل على ذاته وصفاته تعالى أعم من أن يكون اسماً أو فعلاً أو جملة لا محذور في عد « تبارك » من الاسماء .

والثالث هو « سبحانه » الدال على تنزيهه تعالى عن جميع النقائص ، فيندرج فيه ويتبعه جميع الصفات السلبية والتنزيهية ، هذا على نسخة التوحيد ، وعلى ما في الكافي الاسم الثالث « تعالى » لدلالته على تعاليه سبحانه عن مشابهة الممكنات وما يوجب نقصاً أو عجزاً ، فيدخل فيه جميع صفات التنزيهية ، ثم لما كان لكل من تلك الاسماء الثلاثة الجامعة شعب أربع ترجع إليها ، جعل لكل منها أربعة أركان ، هي بمنزلة دعائمه ، فاما « الله » فدلالته على الصفات الكمالية الوجودية له أربع دعائم هي وجوب الوجود المعبر عنه بالصمدية والقيومية ، والعلم والقدرة والحياة ، أو مكان الحياة للطف ، أو الرحمة أو العزة ، وانما جعلت هذه الاربعة أركاناً لأن سائر الصفات الكمالية إنما يرجع إليها كالسميع والبصير والخبير مثلاً ، فإنها راجعة إلى العلم ، والعلم يشملها وهكذا ، وأما « تبارك » فله أركان أربعة : هي الابداد ، والترية في الدارين ، والهداية في الدنيا ، والمجازاة في الآخرة ، أي الموجد أو الخالق

البدیع ، الرفیع ، الجلیل ، الکریم ، الرازق ، المحیی ، الممیت ، الباعث ، الوارث ،
فهذه الأسماء وما كان من الأسماء الحسنی حتی تتم ثلاث مائة وستین اسماً فهي

والربّ والهادي والديّان ، ويمكن إدخال الهداية في الترية وجعل المجازاة ركنين
الاثابة والانتقام ، ولكلّ منها شعب من أسماء الله الحسنی كما لا يخفى بعد التأمل
والتتبع .

وامّا « سبحان » أو « تعالى » فلكلّ منهما أربعة أركان لأنّه إمّا تنزيه الذات
عن مشابهة الممكنات ، أو تنزيهه عن إدراك الحواسّ والأوهام والعقول ، أو تنزيه
صفاته عما يوجب النقص ، أو تنزيه أفعاله عما يوجب الظلم والعجز والنقص ، ويحتمل
وجهاً آخر وهو تنزيهه عن الشريك والأضداد والأنداد ، وتنزيهه عن المشاكلة
والمشابهة ، وتنزيهه عن إدراك العقول والأوهام ، وتنزيهه عما يوجب النقص والعجز
من التركّب والصاحبة والولد ، والتغيّرات والعوارض والظلم والجور والجهل وغير
ذلك ، وظاهر أنّ لكلّ منها شعباً كثيرة ، فجعل عليه السلام شعب كلّ منها ثلاثين وذكر
بعض أسمائه الحسنی على التمثيل وأجل الباقي .

ويحتمل على ما في الكافي على الإحتمال الأوّل أن تكون الأسماء الثلاثة ما
يدلّ على وجوب الوجود والعلم والقدرة ، والاثنان عشر ما يدلّ على الصفات الكمالية
والتنزيهية التي تتبع تلك الصفات ، والمراد بالثلاثين صفات الافعال التي هي آثار
تلك الصفات الكمالية ، ويؤيده قوله : فعلاً منسوباً اليها ، وعلى الأوّل يكون
المعنى أنّها من توابع تلك الصفات ، فكأنّها من فعلها .

هذا ما خطر ببالي في حلّ هذا الخبر ، وانما أوردته على سبيل الاحتمال من
غير تعيين لمراد المعصوم عليه السلام ، ولعلّه أظهر الاحتمالات التي أورها أقوام على وفق
مذاهبهم المختلفة ، وطرائقهم المتشعبة .

وإنّما هداني إلى ذلك ما أوردته ذريعتي إلى الدرجات العلى ، ووسيلتي إلى
مسالك الهدى بعد أئمة الورى عليهم السلام أعني والدي العلامة قدّس الله روحه في

نسبة لهذه الاسماء الثلاثة وهذه الاسماء الثلاثة أركان، وحجب الاسم الواحد المكنون المخزون بهذه الاسماء الثلاثة .

شرح هذا الخبر على ما في الكافي حيث قال :

الذي يخطر بالبال في تفسير هذا الخبر على الإجمال ، هو أن الاسم الأول كان إسمًا جامعًا للدلالة على الذات والصفات ، ولما كان معرفة الذات محجوبة عن غيره تعالى ، جزء ذلك الاسم على أربعة أجزاء ، وجعل الاسم الدال على الذات محجوباً عن الخلق ، وهو الاسم الأعظم باعتبار ، والدال على المجموع اسم أعظم باعتبار آخر ، ويشبه أن يكون الجامع هو الله والدال على الذات فقط هو ، وتكون المحجوبة باعتبار عدم التعيين كما قيل : أن الاسم الأعظم داخل في جملة الأسماء المعروفة ولكنها غير معينة لنا ، ويمكن أن يكونا غيرهما والأسماء التي أظهرها الله للخلق على ثلاثة أقسام ، منها ما يدل على التقديس مثل العلي العظيم العزيز الجبار المتكبر ، ومنها ما يدل على علمه تعالى ، ومنها ما يدل على قدرته تعالى ، وانقسام كل واحد منها إلى أربعة أقسام بأن يكون التنزيه إما مطلقاً أو للذات أو للصفات أو الأفعال ، ويكون ما يدل على العلم إما مطلق العلم أو للعلم بالجزئيات كالسميع والبصير أو الظاهر أو الباطن ، وما يدل على القدرة إما للرحمة الظاهرة أو الباطنة أو الغضب ظاهراً أو باطناً ، أو ما يقرب من ذلك التقسيم ، والأسماء المفردة على ما ورد في القرآن والأخبار يقرب من ثلاثمائة وستين اسماً ذكرها الكفعمي في مصباحه ، فعليك بجمعها والتدبر في ربط كل منها بركن من تلك الأركان . « انتهى كلامه رفع الله مقامه » .

أقول : وبعض الناظرين في هذا الخبر جعل الاثناعشر كناية عن البروج الفلكية والاثلاثمائة وستين عن درجاتها ، ولعمري لقد تكلف بأبعد ممّا بين السماء والارض ، ومنهم من جعل الاسم كناية عن مخلوقاته تعالى ، والاسم الأول الجامع عن أول مخلوقاته ، وبزعم القائل هو العقل ، وجعل ما بعد ذلك كناية عن كيفية تشعب

وذلك قوله تعالى: «قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى» (١).

٢ - أحمد بن إدريس ، عن الحسين بن عبدالله ، عن محمد بن عبدالله وموسى بن عمر ، والحسن بن علي بن عثمان ، عن ابن سنان قال : سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام هل كان الله عز وجل عارفاً بنفسه قبل أن يخلق الخلق ؟ قال : نعم ، قلت : يراها ويسمعا ؟ قال : ما كان محتاجاً إلى ذلك لأنه لم يكن يسألها ولا يطلب منها ، هو نفسه ونفسه هو ، قدرته نافذة فليس يحتاج أن يسمي نفسه ، ولكنه اختار لنفسه أسماء لغيره يدعوه بها لأنه إذا لم يدع باسمه لم يعرف ، فأول ما اختار لنفسه :

المخلوقات ، وتعدّ العوالم ، وكفى ما أو مانا إليه للاستغراب ، وذكرها بطولها يوجب الاطناب .

قوله : وذلك قوله عز وجل ، استشهاد لأن له تعالى أسماء حسنى ، وأنه إنما وضعها ليدعوه الخلق بها ، فقال تعالى : قل ادعوه تعالى بالله أو بالرحمن أو بغيرهما فالمقصود واحد ، وهو الرب ، وله أسماء حسنى كل منها يدل على صفة من صفاته المقدسة فأيها ما تدعوه فهو حسن ، قيل : نزلت الآية حين سمع المشركون رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : يا الله ، يا رحمن ، فقالوا : أنه ينهانا أن نعبد إلهين وهو يدعوا إلهاً آخر ؟ وقالت اليهود : أنك لتقلّ ذكر الرحمن وقد أكثره الله في التوراة ، فنزلت الآية ردّاً لما توهّموا من التعدّد ، أو عدم الاتيان بذكر الرحمن .

الحديث الثاني : ضعيف على المشهور .

قوله : ويسمعا ، على بناء المجرّد أى بأن يذكر اسم نفسه ويسمعه ، أو على بناء الأفعال لأن المخلوق يعرفه تعالى بأسمائه ويدعوه بها ، فزعم أن الخالق أيضاً كذلك لأنه أعلى الأشياء ، أى أنّما سمى بالعلوّ لأنه أعلى الأشياء ذاتاً ، وبالعظيم لأنه أعظمها صفاتاً ، فهذان إسمان جامعان يدلّان على تنزّهه تعالى عن مناسبة المخلوقات ومشابهتها بالذات والصفات ، فمعناه « الله » أي مدلول هذا اللفظ ، ويدلّ على أنه أخصّ الاسماء بالذات المقدّس ، بل على أنه اسم بازاء الذات لا باعتبار صفة من

العلیّ العظیم لانه اعلیٰ الأشياء کلها ، فمعناه الله واسمه العلیّ العظیم ، هو أوّل أسمائه ، علا علی کلّ شیء .

٣ - وبهذا الاسناد عن محمد بن سنان قال : سألته عن الاسم ما هو ؟ قال : صفة لموصوف .

٤ - محمد بن أبی عبدالله ، عن محمد بن إسماعیل ، عن بعض أصحابه ، عن بكر بن صالح ، عن علیّ بن صالح ، عن الحسن بن محمد بن خالد بن یزید ، عن عبد الاعلی ، عن أبی عبدالله عليه السلام قال : اسم الله غیره ، وكلّ شیء وقع علیه اسم شیء فهو مخلوق ما خلا الله فأما ما عبّر به الألسن ، أو عملت الأیدی ، فهو مخلوق ، والله غایة من غایاته

الصفات « علا علی کلّ شیء » أي علا الاسم علی کلّ الاسماء الدالة علی الصفات ، أو هو تفسیر للإسم تأكیداً لما سبق .

الحديث الثالث : ضعیف علی المشهور .

قوله عليه السلام : صفة لموصوف ، ای سمة وعلامة تدلّ علی ذات فهو غیر الذات ، أو المعنی أن اسماء الله تعالی تدلّ علی صفات تصدق علیه ، أو المراد بالاسم هنا ما أشرنا إليه سابقاً ، ای المفهوم الکلیّ الذي هو موضوع اللفظ .

الحديث الرابع : ضعیف .

قوله عليه السلام : إسم شیء ، أي لفظ الشيء أو هذا المفهوم المرکّب والأوّل أظهر ، ثم یبّين المغایرة بأنّ اللفظ الذي یعبر به الألسن والخطّ الذي تعمله الأیدی فظاهر أنّه مخلوق .

قوله : والله غایة من غایاه ^(١) ، إعلم أنّ الغایة تطلق علی المدى والنهایة ، وعلی امتداد المسافة وعلی الغرض والمقصود من الشيء ، وعلی الرأیة والعلامة ، وهذه العبارة تحتمل وجوهاً :

(١) و فی الاصل کماتری « من غایاته » و توافقت النسخة التي عندنا علیه ، و أشار
إليه الشارح (ره) ایضاً فی الاحتمال الثالث .

والمعنى غير الغاية ، والغاية موصوفة وكل موصوف مصنوعٌ وصانع الأشياء غير موصوف

الاول : أن تكون الغاية بمعنى الغرض والمقصود ، أي كلمة الجلالة مقصود من جعله مقصوداً ، وذريعة من جعله ذريعة ، أي كل من كان له مطلب وعجز عن تحصيله بسعيه يتوسل إليه باسم الله ، والمعنى بالعين المعجمة والياء المثناة المفتوحة أي المتوسل إليه بتلك الغاية غير الغاية ، أو بالياء المكسورة أي الذي جعل لنا الغاية غاية هو غيرها ، وفي بعض النسخ والمعنى بالعين المهملة والنون ، أي المقصود بذلك التوسل ، أو المعنى المصطلح ، غير تلك الغاية التي هي الوسيلة إليه .

الثاني : أن يكون المراد بالغاية النهاية ، وبالله : الذات لا الاسم أي الرب تعالى غاية آمال الخلق يدعونه عند الشدائد بأسمائه العظام ، والمعنى بفتح الياء المشددة المسافة ذات الغاية ، والمراد هنا الأسماء فكأنها طرق وممالك توصل بالخلق إلى الله في حوائجهم ، والمعنى أن العقل يحكم بأن الوسيلة غير المقصود بالحاجة ، وهذا لا يلايمه قوله والغاية موصوفة إلا بتكلف تام .

الثالث : أن يكون المراد بالغاية العلامة وصحفت غاياه بغاياته ، وكذا في بعض النسخ أيضاً ، أي علامة من علاماته ، والمعنى أي المقصود ، أو المعنى أي ذوالعلامة غيرها .
الرابع : أن يكون المقصود أن الحق تعالى غاية أفكار من جعله غاية وتفكر فيه ، والمعنى المقصود أعني ذات الحق غير ما هو غاية أفكارهم ، ومصنوع عقولهم ، إذ غاية ما يصل إليه أفكارهم ويحصل في أذهانهم موصوف بالصفات الزائدة الإمكانية وكل موصوف كذلك مصنوع .

الخامس : ما صحفه بعض الأفاضل حيث قرأ : عانة من عاناه أي الاسم ملابس من لابهس ، قال في النهاية : معاناة الشيء ملابسته ومباشرته ، أو مهم من اهتم به من قولهم عنيت به فأننا عان ، أي اهتممت به واشتغلت أو أسير من أسره ، وفي النهاية العاني الأسير ، وكل من ذل واستكان وخضع فقد عناينوه فهو عان ، أو محبوس من حبسه ، وفي النهاية وعنا بالاصوات أي احبسوها ، والمعنى أي المقصود بالاسم غير

بعد مسمى ، لم يتكوّن فيعرف كينونيته ب صنع غيره ، ولم يتناه إلى غاية الأكانت
غيره ، لا يزل من فهم هذا الحكم أبداً ، وهو التوحيد الخالص ، فارعوه وصدّ قوه

العانة اي غير ما تتصوره ونعقله .

ثم اعلم انه على بعض التقادير يمكن ان يقرأ والله بالكسر ، بأن يكون
الواو للقسم .

قوله : غير موصوف بحدّ ، اي من الحدود الجسمانية أو الصفات الامكانية ، أو
الحدود العقلية ، وقوله : مسمى صفة لحدّ ، للتعميم كقوله تعالى « لم يكن شيئاً
مذكوراً » ^(١) ويحتمل أن يكون المراد انه غير موصوف بالصفات التي هي مدلولات
تلك الأسماء ، وقيل : هو خبر بعد خبر أو خبر مبتدء محذوف .

قوله : لم يتكوّن فيعرف كينونته ^(٢) ب صنع غيره . . . قيل : المراد انه لم يتكوّن
فيكون محدثاً بفعل غيره ، فتعرف كينونته وصفات حدوثه ب صنع صانعه كما تعرف
المعلولات بالعلل .

اقول : لعل المراد انه غير مصنوع حتى يعرف بالمقايسة إلى مصنوع آخر ،
كما يعرف المصنوعات بمقايسة بعضها إلى بعض ، فيكون الصنع بمعنى المصنوع وغيره
صفة له ، أو أنه لا يعرف بحصول صورة هي مصنوعة لغيره ، إذ كل صورة ذهنية
مصنوعة للمدرك ، معلولة له .

قوله : ولم يتناه ، اي هو تعالى في المعرفة أو عرفانه أو العارف في عرفانه الى
نهاية إلا كانت تلك النهاية غيره تعالى ومباينة له غير محمولة عليه .

قوله عَلَيْهِ السَّلَام : لا يزل ، في بعض النسخ بالذال ، اي ذل الجهل والضلال من فهم
هذا الحكم وعرف سلب جميع ما يغيره عنه ، وعلم أن كلّما يصل اليه أفهام الخلق فهو
غيره تعالى .

(١) سورة الانسان : ١ .

(٢) كذا في النسخ ، وفي المتن « كينونته » .

وتفهّموه باذن الله ، من زعم أنّه يعرف الله بحجاب أو بصورة أو بمثال فهو مشركٌ لأنّ حجابهِ ومثاله وصورته غيره وإنّما هو واحد متوحّد فكيف يوحدّه من زعم

قوله ﷺ : من زعم أنّه يعرف الله بحجاب . . . اي بالاسماء التي هي حجب بين الله وبين خلقه ، ووسائل بها يتوسّلون إليه ، بأن زعم أنّه تعالى عين تلك الأسماء أو الأنبياء أو الأئمّة عليهم السلام ، بأن زعم أنّ الربّ تعالى اتحد بهم أو بالصفات الزائدة فاتها حجب عن الوصول إلى حقيقة الذات الأحديّة أو بأنّه ذو حجاب كالمخلوقين « أو بصورة » اي بأنّه ذو صورة كما قالت المشبهة ، أو بصورة عقلية زعم أنّها كنه ذاته وصفاته تعالى « أو بمثال » أي خياليّ أو بأن جعل له مماثلاً ومشابهاً من خلقه « فهو مشرك » لما عرفت مراراً من لزوم تركّبه تعالى وكونه ذا حقايق مختلفة ، وذا أجزاء ، تعالى الله عن ذلك .

ويحتمل أن يكون إشارة إلى أنّه لا يمكن الوصول إلى حقيقة تعالى بوجه من الوجوه لا بحجاب ورسول يبيّن ذلك ، ولا بصورة عقلية ولا خيالية ، إذ لا بدّ بين المعرف والمعرف من مماثلة وجهة اتّحاد ، وإلاّ فليس ذلك الشيء معرّفاً أصلاً ، والله تعالى مجرّد الذات عن كلّ ما سواه ، فحجابهِ ومثاله وصورته غيره من كلّ وجه ، إذ لا مشاركة بينه وبين غيره في جنس أو فصل أو مادّة أو موضوع أو عارض ، وإنّما هو واحد موحد فرد عمّا سواه ، فإنّما يعرف الله بالله إذا نفى عنه جميع ما سواه ، وكلّما وصل إليه عقله كما مرّ أنّه التّوحيد الخالص .

وقال بعض المحقّقين : من زعم أنّه يعرف الله بحجاب أو بصورة أو بمثال اي بحقيقة من الحقايق الإمكانية كالجسم والنور أو بصفة من صفاتها التي هي عليها كما أسند إلى القائلين بالصورة أو بصفة من صفاتها عند حصولها في العقل كما في قول الفلاسفة في رؤية العقول المفارقة فهو مشرك ، لأنّ الحجاب والصورة والمثال كلّها مغايرة له غير محمولة عليه ، فمن عبد الموصوف بها عبد غيره ، فكيف يكون موحداً له عارفاً به ، إنّما عرف الله من عرفه بذاته وحقيقته المسلوب عنه جميع ما يفايرهُ ، فمن لم يعرفه به فليس يعرفه ، إنّما يكون يعرف غيره .

أنه عرفه بغيره ، وإنما عرف الله من عرفه بالله ، فمن لم يعرفه به فليس يعرفه ، وإنما يعرف غيره ، ليس بين الخالق والمخلوق شيء ، والله خالق الأشياء لا من شيء كان ،

أقول : لا يخفى أن هذا الوجه وما أوردته سابقاً من الاحتمالات التي سمحت بها قريحتي القاصرة لا يخلو كل منها من تكلف ، وقد قيل فيه وجوه أخر أعرضت عنها صفحاً ، لعدم موافقتها لأصولنا ، والأظهر عندي أن هذا الخبر موافق لما مر ، وسيأتي في كتاب العدل أيضاً من أن المعرفة من صنعه تعالى وليس للعباد فيها صنع ، وأنه تعالى يهبها لمن طلبها ولم يقصّر فيما يوجب استحقاق إفاضتها ، والقول بأن غيره تعالى يقدر على ذلك نوع من الشرك في ربوبيته وإلهيته ، فإن التوحيد الخالص هو أن يعلم أنه تعالى مفيض جميع العلوم والخيرات ، والمعارف والسعادات كما قال تعالى :

« ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك » ^(١) فالمراد بالحجاب إما أئمة الضلال وعلماء السوء الذين يدعون أنهم يعرفونه تعالى بقولهم ولا يرجعون في ذلك إلى حجج الله تعالى ، فانهم حجب يحجبون الخلق عن معرفته وعبادته تعالى ، فالمعنى أنه تعالى إنما يعرف بما عرف نفسه للناس لا بأفكارهم وعقولهم ، أو أئمة الحق أيضاً فإنه ليس شأنهم إلبان الحق للناس فأما إفاضة المعرفة والوصول إلى البغية فليس إلا من الحق تعالى كما قال سبحانه : « إنك لا تهدي من أحببت » ^(٢) ويجرى في الصورة والمثال ما مر من الاحتمالات ، فقوله ﷻ : ليس بين الخالق والمخلوق شيء ، أي ليس بينه تعالى وبين خلقه حقيقة أو مادة مشتركة حتى يمكنهم معرفته من تلك الجهة ، بل أوجدتهم لا من شيء كان ، ويؤيد هذا المعنى ما ذكره في التوحيد تتمه لهذا الخبر : « والأسماء غيره والموصوف غير الواسف ، فمن زعم أنه يؤمن بما لا يعرف فهو ضال عن المعرفة ، لا يدرك مخلوق شيئاً إلا بالله ، ولا يدرك معرفة الله إلا بالله ، والله خلو من خلقه وخلقه خلو منه ، وإذا أراد شيئاً كان كما أراد بأمره من غير نطق ، لا ملجأ لعباده مما قضى ، ولا حجة لهم فيما ارتضى

والله يسمّى بأسمائه وهو غير أسمائه والأسماء غيره .

لم يقدرُوا على عمل ولا معالجة ممّا أحدث في أبدانهم المخلوقة إلّا برّبهم ، فمن زعم أنّه يقوّى على عمل لم يردّه الله عزّ وجلّ فقد زعم أنّ إرادته تغلب إرادة الله تبارك الله ربّ العالمين » ووجه التأييد ظاهر لمن تأمل فيها .

تذييل :

إعلم أنّ المتكلمين اختلفوا في أنّ الاسم هل هو عين المسمّى أو غيره ، فذهب أكثر الأشاعرة إلى الأوّل والإماميّة والمعتزلة إلى الثاني ، وقد وردت هذه الاخبار ردّاً على القائلين بالعينية وأوّل بعض المتأخّرين كلامهم لسخافته وإنكّات كلماتهم صريحة فيما نسب إليهم .

قال شارح المقاصد : الاسم هو اللفظ المفرد الموضوع للمعنى على ما يعمّ أنواع الكلمة ، وقد يقيّد بالاستقلال والتجرّد عن الزمان ، فيقابل الفعل والحرف على ما هو مصطلح النحاة ، والمسمّى هو المعنى الذي وضع الاسم بازائه ، والتسمية هو وضع الاسم للمعنى وقد يراد بها ذكر الشيء باسمه كما يقال يسمّى زيداً ولم يسمّ عمرواً ، فلا خفاء في تغاير الأمور الثلاثة ، وإنّما الخفاء فيما ذهب إليه بعض أصحابنا من أنّ الاسم نفس المسمّى ، وفيما ذكره الشيخ الأشعري من أنّ أسماء الله تعالى ثلاثة أقسام ما هو نفس المسمّى مثل « الله » الدالّ على الوجود ، أي الذات ، وما هو غيره كالخالق والرازق ونحو ذلك ممّا يدلّ على فعل ، وما لا يقال أنّه هو ولا غيره كالعالم والقادر وكل ممّا يدلّ على الصفات ، وأمّا التسمية فغير الاسم والمسمّى .

وتوضيحه : أنهم يريدون بالتسمية اللفظ وبالاسم مدلوله كما يريدون بالوصف قول الواصف ، وبالصفة مدلوله ، وكما يقولون : أنّ القراءة حادثة والمقروّ قديم ، إلّا أنّ أصحاب اعتبروا المدلول المطابق فأطلقوا القول بأن الاسم نفس المسمّى للقطع بأنّ مدلول الخالق شيء ماله الخلق لا نفس الخلق ، ومدلول العالم شيء ماله العلم لا نفس العلم ، والشيخ أخذ المدلول أعمّ ، واعتبر في أسماء الصفات المعاني المقصودة ،

﴿ باب معاني الاسماء واشتقاقها ﴾

١ - عِدَّةٌ من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ؛ عن القاسم بن يحيى ؛ عن جدّه الحسن بن راشد ، عن عبدالله بن سنان قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن تفسير

فزعم ان مدلول الخالق الخلق وهو غير الذات ، ومدلول العالم العلم وهو لا عين ولا غير انتهى .

باب معاني الاسماء واشتقاقها

الحديث الاول : ضعيف .

قوله عليه السلام : الباء بهاء الله ، يظهر من كثير من الأخبار ان للحروف المفردة أوضاعاً ومعاني متعدّدة لا يعرفها إلا حجاج الله عليه السلام ، وهذه إحدى جهات علومهم واستنباطهم من القرآن ، وقد روت العامة في « الم » عن ابن عباس ان ألف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه ، والباء الحسن ، والسناء بالمدّ : الرفعة ، والمجد : الكرم والشرف .

وأقول : يمكن أن يكون هذا مبنياً على الاشتقاق الكبير والمناسبة الذاتية بين الالفاظ ومعانيها ، فالباء لما كانت مشتركة بين المعنى الحرّفي وبين البهاء فلا بدّ من مناسبة بين معانيهما ، وكذا الاسم والسناء لما اشتركا في السّين فلذا اشتركا في معنى العلو والرفعة ، وكذا الاسم لما اشترك مع المجد والملك فلا بدّ من مناسبة بين معانيها ، وهذا باب واسع في اللغة يظهر ذلك للمتتبع بعد تتبع المباني والمعاني ، فالمراد بقوله عليه السلام والسّين سناء الله ، ان هذا الحرف في الاسم مناط لحصول هذا المعنى فيه ، وكذا البواقي ، والتأمل في ذلك يكسر سورة الاستبعاد عن ظاهر هذا الكلام ، وهذا ممّا خطر بالبال في هذا المقام .

ولعله أقرب ممّا أفاده بعض الاعلام ، حيث قال : لما كان تفسيره بحسب معنى حرف الاضافة ، ولفظ الاسم غير محتاج إلى البيان للعارف باللغة أجاب عليه السلام بالتفسير

بسم الله الرحمن الرحيم قال : الباء بهاء الله والسين سناء الله والميم مجد الله ، وروى بعضهم : الميم ملك الله ، والله إله كل شيء ، الرحمن بجميع خلقه والرحيم بالموؤمنين خاصة .

بحسب المدلولات البعيدة ، أو لانه لما صار مستعملاً للتبرك مخرجاً عن المدلول الاول ففسره بغيره مما لوحظ في التبرك ، والمراد بهذا التفسير إما أن هذه الحروف لما كانت أو ايل هذه الالفاظ الدالة على هذه الصفات أخذت للتبرك أو أن هذه الحروف لها دلالة على هذه المعاني إما على أن للحروف مناسبة مع المعاني بها وضعت لها ، وهي أوائل هذه الالفاظ فهي أشد حروفها مناسبة وأقواها دلالة لمعانيها أو لأن الباء لما دلت على الارتباط والاضيف ومناط الارتباط والاضيف إلى شيء وجدان حسن مطلوب للطالب ، ففيها دلالة على حسن وبهاء مطلوب لكل طالب ، وبحسبها فسرت ببهاء الله ، ولما كان الاسم من السمو الدال على الرفعة والعلو والكرم والشرف ، فكل من الحرفين بالاضضمام إلى الآخر دال على ذلك المدلول فنسبت الدلالة على السناء بحسب المناسبة إلى السين ، وفسرها بسناء الله والدلالة على المجد أو الملك بحسبها إلى الميم ، وفسرها بالمجد أو الملك على الرواية الاخرى « والله إله كل شيء » اي مستحق للعبودية لكل شيء والحقيق بها ، والرحمن لجميع خلقه .

إعلم أن الرحمن أشد مبالغة من الرحيم ، لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى ، وذلك انما يعبر تارة باعتبار الكمية وأخرى باعتبار الكيفية ، فعلى الاول قيل : يا رحمن الدنيا لأنه يعم المؤمن والكافر ، ورحيم الآخرة لأنه يخص المؤمن وعلى الثاني قيل : يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما بتخصيص الاول بجلال النعم والثاني بغيرها ، والثاني أيضاً يحتمل أن يكون محمولاً على الوجه الاول ، اي رحمن الدارين بالنعم العامة ، والرحيم فيهما بالنعم الخاصة بالهداية والتوفيق في الدنيا والجنة ودرجاتها في الآخرة ، والاخير في هذا الخبر أظهر .

٢ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن النضر بن سويد ، عن هشام بن الحكم أنه سأل أبا عبد الله عليه السلام عن أسماء الله واشتقاقها : الله ممّا هو مشتق ؟ فقال : يا هشام الله مشتق من إله وإله يقتضى مألوهاً والاسم غير المسمّى ، فمن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شيئاً ، ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك وعبد اثنين ، ومن عبد المعنى دون الاسم فذاك التوحيد ، أفهمت يا هشام ؟ قال : قلت : زدني قال : لله تسعة وتسعون اسماً فلو كان الاسم هو المسمّى لكان كل اسم منها إلهاً ولكن الله معني يبدل عليه بهذه الأسماء وكلها غيره ، يا هشام الخبز إسم للمأكول ، والماء اسم للمشروب ، والثوب اسم للملبوس ، والنار اسم للمحرق ، أفهمت يا هشام فهماً تدفع به وتناضل به أعداءنا المتخذين مع الله عز وجل غيره ؟ قلت : نعم ، فقال : نفعلك الله [به] وثبتك يا هشام قال : فوالله ما قهرني أحد في التوحيد حتى قمت مقامى هذا .

٢ - عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد البرقي ، عن القاسم بن يحيى ، عن جدّه الحسن بن راشد ، عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال : سئل عن معنى

الحديث الثانی : حسن وقد مرّ بعينه متنّاً وسنداً في باب المعبود فلا نعيد

شرحہ .

الحديث الثالث : ضعيف .

قوله عليه السلام : استولى ، لعله من باب تفسير الشيء بلازمه ، فإن معنى الإلهية يلزمه الاستيلاء على جميع الأشياء دقيقتها وجليلها ، وقيل : السؤال إنما كان عن مفهوم الاسم ومناطه ، فأجاب عليه السلام بأن الاستيلاء على جميع الأشياء مناط المعبودية بالحق لكل شيء .

أقول : الظاهر أنه سقط من الخبر شيء ، لأنّه مأخوذ من كتاب البرقي وروى في المحاسن بهذا السند بعينه عن القاسم عن جدّه الحسن عن أبي الحسن موسى عليه السلام وسئل عن معنى قول الله « على العرش استوى » ^(١) فقال : استولى على

الله فقال : استولى على ما دقّ وجلّ .

٤ - عليّ بن محمّد ، عن سهل بن زياد ، عن يعقوب بن يزيد ، عن العباس بن هلال قال : سألت الرضا عليه السلام عن قول الله : « الله نور السماوات والأرض »^(١) فقال : هاد لأهل السماء ، وهاد لأهل الأرض ، وفي رواية البرقيّ هدى من في السماء وهدى من في الأرض .

٥ - أحمد بن إدريس ، عن محمّد بن عبد الجبار ، عن صفوان بن يحيى ، عن فضيل بن عثمان ، عن ابن أبي يعفور قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجلّ « هو الأوّل والآخر »^(٢) وقلت : أمّا الأوّل فقد عرفناه وأمّا الآخر فبيّن لنا تفسيره فقال : إنّه ليس شيء إلّا يبيد أو يتغيّر ، أو يدخله التغيّر والزوال ، أو ينتقل من لون إلى لون ، ومن هيئة إلى هيئة ، ومن صفة إلى صفة ، ومن زيادة إلى نقصان ، ومن

مادقّ وجلّ ، وروى الطبرسي في الاحتجاج أيضاً هكذا ، فلا يحتاج إلى هذه التكاليف إذ أكثر المفسرين فسروا الاستواء بمعنى الاستيلاء ، وقد حققنا في مواضع من كتبنا أنّ العرش يطلق على جميع مخلوقاته سبحانه وهذا أحد إطلاقاته لظهور وجوده وعلمه وقدرته في جميعها ، وهذا من الكلينيّ غريب ولعله من النسخ .

الحديث الرابع : ضعيف على المشهور وآخره مرسل .

قوله عليه السلام : هاد لأهل السماء . . . أقول : النور ما يكون ظاهراً بنفسه وسبباً لظهور غيره ، والله سبحانه هو الموجود بنفسه ، الموجود لغيره ، والعالم بذاته المفيض للعلوم على من سواه ، فهو هاد لأهل السماء وأهل الأرض ، وهدى لهم بما أوجد وأظهر لهم من آيات وجوده وعلمه وقدرته ، وبما أفاض عليهم من العلوم والمعارف .

الحديث الخامس : صحيح .

قوله عليه السلام : يبيد ، أي يهلك ، والرفات : المتكسر من الأشياء اليابسة ، والرّميم ما بلى من العظام ، والبلح محرّكة بين الخلال والبسر ، قال الجوهرى : البلح قبل البسر لأنّ أوّل التمر طلع ، ثم خلال ثم بلح ثم بسر ثم رطب . أقول : الغرض إنّ

نقصان إلى زيادة إلا رب العالمين فإنه لم يزل ولا يزال بحالة واحدة ، هو الأول قبل كل شيء وهو الآخر على ما لم يزل ، ولا تختلف عليه الصفات والأسماء كما تختلف على غيره ، مثل الانسان الذي يكون تراباً مرة ، ومرة لحمًا ودمًا ، ومرة رفاتاً ورميمًا ، وكالبسر الذي يكون مرة بلحاً ، ومرة بسرًا ، ومرة رطباً ، ومرة تمرًا ، فتبدل عليه الأسماء والصفات والله جل وعز بخلاف ذلك .

٦ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن ابن أذينة ، عن محمد بن حكيم ، عن ميمون البان قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام وقد سئل عن « الأول والآخر » فقال : الأول لا عن أول قبله ، ولا عن بدء سبقه ، والآخر لا عن نهاية كما يعقل من صفة المخلوقين ، ولكن قديم أول آخر ، لم يزل ولا يزول بلا بدء ولا نهاية لا يقع عليه الحدوث ولا يحول من حال إلى حال ، خالق كل شيء .

٧ - محمد بن أبي عبدالله رفعه إلى أبي هاشم الجعفري قال : كنت عند أبي جعفر

دوام الجنة والنار وأهلها وغيرها لا ينافي آخريته تعالى وإختصاصها به فإن هذه الاشياء دائماً في التغير والتبدل وبمعرض الفناء والزوال ، وهو سبحانه باق من حيث الذات والصفات ، أزلاً وأبداً بحيث لا يعتريه تغير أصلاً ، فكل شيء هالك وفان إلا وجهه تعالى ، وقيل : آخريته سبحانه باعتبار أنه تعالى يفتي جميع الأشياء قبل القيامة ثم يعيدها كما يدل عليه ظواهر بعض الآيات وصريح بعض الأخبار ، وقد بسطنا القول في ذلك في الفرائد الطريفة في شرح الدعاء الأول .

الحديث السادس : مجهول ومضمونه قريب من الخبر السابق .

« لا عن أول قبله » أي سابق عليه بالزمان أو علة « ولا عن بدء » بالهمز أي ابتداء أو بدى على فعل أي علة « لا عن نهاية » أي من حيث الذات والصفات كما مر « لا يقع عليه الحدوث » ناظر إلى الأولية « ولا يحول » ناظر إلى الآخرة .

الحديث السابع : مرفوع .

الثاني ﷺ فسأله رجل فقال : أخبرني عن الربّ تبارك وتعالى له أسماء وصفات في كتابه ؟ وأسماءه وصفاته هي هو ؟ فقال أبو جعفر ﷺ : إن لهذا الكلام وجهين إن كنت تقول : هي هو ، أي أنّه ذو عدد وكثرة فتعالى الله عن ذلك وإن كنت تقول : هذه الصفات والأسماء لم تزل فإنّ " لم تزل " محتمل معنيين فإن قلت : لم تزل عنده في علمه وهو مستحقّها ، فنعم ، وإن كنت تقول : لم يزل تصويرها وهجاؤها وتقطيع

قوله : له أسماء وصفات : الظاهر أنّ المراد بالأسماء ما دلّ على الذات من غير ملاحظة صفة ، وبالصفت ما دلّ على الذات مع ملاحظة الاتصاف بصفة فأجاب ﷺ بالاستفسار عن مراد السائل وذكر احتمالاته وهي ثلاثة ، وينقسم بالتقسيم الأوّل إلى احتمالين ، لأنّ المراد به إمّا معناه الظاهر أو مأوّل بمعنى مجازي ، لكون معناه الظاهر في غاية السخافة ، فالأوّل وهو معناه الظاهر : أن يكون المراد كون كلّ من تلك الاسماء والحروف المؤلّفة المركّبة عين ذاته تعالى ، وحكم بأنّه تعالى منزّه عن ذلك لا يستلزامه ترتبه وحدوثه وتعدّده تعالى الله عن ذلك .

الثاني : أن يكون قوله : " هي هو " كناية عن كونها دائماً معه في الأزل فكأنّها عينه وهذا يحتمل معنيين :

« أحدهما » أن يكون المراد أنّه تعالى كان في الأزل مستحقّاً لإطلاق تلك الاسماء عليه ، وكون تلك الأسماء في علمه تعالى من غير تعدّد في ذاته تعالى وصفاته ومن غير أن يكون معه شيء في الأزل فهذا حقّ .

« وثانيهما » أن يكون المراد كون تلك الاسماء والحروف المؤلّفة دائماً معه في الأزل فمعاذ الله أن يكون معه غيره في الأزل ، وهذا صريح في نفي تعدّد القدماء ولا يقبل تأويل القائلين بمذاهب الحكماء ، وقوله ﷺ : تصويرها ، أي إيجادها بتلك الصوّر والهيئات ، وهجاؤها ، أي التكلم بها ، وفي القاموس : الهجاء ككساء تقطيع اللفظ بحروفها ، وهجيت الحروف وتهجّيته « انتهى » .

فقوله : وتقطيع حروفها ، كالتفسير له ، ثم أشار ﷺ إلى حكمة خلق الأسماء

حروفها، فمعاذ الله أن يكون معه شيء غيره ، بل كان الله ولا خلق ، ثم خلقها وسيلة بينه وبين خلقه ، يتضرعون بها إليه ويعبدونه وهي ذكره وكان الله ولاذكر ، والمذكور بالذكر هو الله القديم الذي لم يزل . والأسماء والصفات مخلوقات والمعاني ، والمعنى بها هو الله الذي لا يليق به الاختلاف ولا الائتلاف ، وإنما يختلف وتألف المتجزئ

والصفات بأنها وسيلة بينه وبين خلقه يتضرعون بها إليه ويعبدونه ، « وهي ذكره » بالضمير اي يذكر بها ، والمذكور بالذكر قديم ، والذكر حادث ، ومنهم من قرء بالتاء قال الجوهرى : الذكر والذكرى نقيض النسيان ، وكذلك الذكرة .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : والاسماء والصفات مخلوقات ، أقول : ههنا اختلفت نسخ الحديث ففي توحيد الصدوق مخلوقات المعاني ، اي معانيها اللغوية ومفهوماتها الكلية مخلوقة وفي احتجاج الطبرسي ليس لفظ المعاني أصلاً ، وفي الكتاب والمعاني بالعطف ، فالمراد إما مصداق مدلولاتها ، ويكون قوله والمعنى بها عطف تفسير له ، أو هي معطوفة على الأسماء ، اي والمعاني وهي حقايق مفهومات الصفات مخلوقة ، أو المراد بالأسماء الألفاظ وبالصفات ما وضع أسماؤها له ، وقوله : مخلوقات والمعاني خبران للاسماء والصفات ، اي الأسماء مخلوقات والصفات هي المعاني والمعنى بها هو الله اي المقصود بها المذكور بالذكر ، ومصداق تلك المعاني المطلوب بها هو ذات الله تعالى ، والمراد بالاختلاف تكثر الافراد أو تكثر الصفات ، أو الأحوال المتغيرة أو اختلاف الاجزاء وتباينها بحسب الحقيقة ، أو الانفكاك والتحلل والائتلاف التركب من الاجزاء أو اتفاق الاجزاء في الحقيقة ، وحاصل الكلام ان ذات الله سبحانه ليس بمؤتلف ولا مختلف لأنه واحد حقيقي ، وكل ما يكون واحداً حقيقياً لا يكون مؤتلفاً ولا مختلفاً ، أما أنه واحد حقيقي فلقدمه ، ووجوب وجوده لذاته .

وأما ان الواحد لا يصح عليه الائتلاف والاختلاف ، لأن كل متجزئ أو متوهم بالقلّة والكثرة مخلوق ، ولا شيء من المخلوق بواحد حقيقي لمغايرة الوجود والمهيّة وللتحلل الى المهيّة والتشخص ، فلا شيء من الواحد بمتجزئ ولا شيء من

فلا يقال : الله مؤتلف ولا الله قليل ولا كثير ولكنه القديم في ذاته ، لأن ما سوى الواحد متجزئ والله واحد لا متجزئ ولا متوهم بالقلّة والكثرة وكل متجزئ أو متوهم بالقلّة والكثرة فهو مخلوق دالّ على خالق له . فقولك : إن الله قدير خبرت أنّه لا يعجزه شيء ، فنفيت بالكلمة العجز وجعلت العجز سواء ؛ وكذلك قولك : عالم إنّما نفيت بالكلمة الجهل وجعلت الجهل سواء وإذا أفنى الله الأشياء أفنى الصورة والهباء والتقطيع ولا يزال من لم يزل عالماً .

المتجزئ بواحد ، وقوله ﷻ : فقولك إن الله قدير ، بيان لحال توصيفه سبحانه بالصفات كالقدرة والعلم ، وإن معانيها مغايرة للذات ، فمعنى قولك : إن الله قدير خبرت بهذا القول أنّه لا يعجزه شيء ، فمعنى القدرة فيه نفى العجز عنه لصفة وكيفية موجودة ، فجعلت العجز مغايراً له منفياً عنه ، ونفى المغاير للشيء مغاير له كالمنفى عنه ، وكذا العلم وسائر الصفات .

وقوله ﷻ : فاذا أفنى الله الأشياء استدلال على مغايرته تعالى للاسماء وهجائها وتقطيعها ، والمعاني الحاصلة منها من جهة النّهاية ، كما أن المذكور سابقاً كان من جهة البداية .

والحاصل أن علمه تعالى ليس عين قولنا عالم ، وليس اتّصافه تعالى به متوقفاً على التكلم بذلك ، وكذا الصّور الذّهنيّة ليست عين حقيقة ذاته وصفاته تعالى ، وليس اتّصافه تعالى بالصفات متوقفاً على حصول تلك الصّور إذ بعد فناء الأشياء تفنى تلك الامور مع بقائه تعالى متّصفاً بجميع الصفات الكمالية ، كما أن قبل حدوثها كان متّصفاً بها ، وهذا الخبر ممّا يدلّ على أنّه سبحانه يفنى جميع الأشياء قبل القيامة . ثمّ اعلم أن المقصود بما ذكر في هذا الخبر وغيره من أخبار البايين هو نفى تعقل كنه ذاته وصفاته تعالى ، وبيان أن صفات المخلوقات مشوبة بأنواع النقص والعجز والله تعالى متّصف بها ، معرّى عن جهات النقص والعجز ، كالسمع فأنه فينا العلم بالمسموعات بالحاسة المخصوصة ، ولمّا كان توقف علمنا على الحاسة لعجزنا وكان حصولها لنا من

فقال الرجل : فكيف سمّيناربتنا سميماً ؟ فقال : لأنّه لا يخفى عليه ما يدرك بالأسماع ، ولم نصفه بالسمع المعقول في الرأس ، وكذلك سمّيناه بصيراً لأنّه لا يخفى عليه ما يدرك بالأبصار ، من لون أو شخص أو غير ذلك ، ولم نصفه ببصر لحظة العين وكذلك سمّيناه لطيفاً لعلمه بالشيء اللطيف مثل البعوضة وأخفى من ذلك ، وموضع

جهة تجسّمنا وإمكاننا ونقصنا ، وإيضاً ليس علمنا من ذاتنا لعجزنا وعلمنا حادث لحدوثنا ، وليس علمنا محيطاً بحقائق ما نسمعه كما هي ، لقصورنا عن الاحاطة ، وكلّ هذه نقايص شابت ذلك الكمال ، فلذا أثبتنا له سبحانه ما هو الكمال ، وهو أصل العلم ونفينا عنه جميع تلك الجهات التي هي سمات النقص والعجز ، ولما كان علمه سبحانه غير متصور لنا بالكنه ، ورأينا الجهل فينا نقصاً فنفيناه عنه ، فكأنّا لم نتصور من علمه تعالى إلاّ عدم الجهل ، فاثباتنا العلم له تعالى إنّما يرجع إلى نفي الجهل ، لأنّا لم نتصور علمه تعالى إلاّ بهذا الوجه ، وإذا فيت في ذلك حقّ النظر وجدته نافياً لما يدّعيه القائلون بالاشتراك اللفظي في الوجود وسائر الصفات لا مثبتاً له ، وقد عرفت أنّ الاخبار الدالة على نفي التعطيل ينفي هذا القول .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : بالسمع المعقول في الرأس ، اي الذي تتعقله في الرأس ومحكم بأنّه فيه ، واللطيف قد يكون بمعنى رقيق القوام أو عديم اللون من الاجسام أو صغير الجسم ، وفيه سبحانه لا يتصور هذه الامور لكونها من لوازم الأجسام ، فقد يراد به التجرّد مجازاً أو بمعنى لطيف الصنعة أو العالم بلطائف الامور كما فسّر به في هذا الخبر . وموضع النشو منها ، أي المواد التي جعلها في أبدانها وبها ينمو وموضع نمو كلّ عضو وقدّر نموّها بحيث لا يخرج عن التناسب الطبيعي بين الأعضاء ، والنشو بالهمزة : النمو ، وربما يقرء بكسر النون والواو خبراً بمعنى شمّ الريح ، جمع نشوة اي يعلم محل القوة الشامة منها ، وفي التوحيد : موضع الشبق اي شهوة الجماع ، وفي الاحتجاج : موضع المشي والعقل ، اي موضع قواها المدركة ، والحدب محرّكة التعطف ، ويمكن عطفه على موضع النشو وعلى النشو .

النشوء منها ، والدقل والشهوة للسفاد والجذب على نسلها ، وإقام بعضها على بعض ونقلها الطعام والشراب إلى أولادها في الجبال والمفاوز والأودية والقفار ، فعلمنا أن خالقها لطيف بلاكيف ، وإنما الكيفية للمخلوق المكيف ؛ وكذلك سمينا ربنا قوياً لا بقوة البطش المعروف من المخلوق ولو كانت قوته قوة البطش المعروف من المخلوق لوقع التشبيه ولاحتمل الزيادة ، وما احتمل الزيادة احتمل النقصان ، وما كان ناقصاً

وإقام بعضها ، الإقام مصدر بمعنى الإقامة كقوله تعالى « إقام الصلوة » ^(١) حذف التاء المعوضة عن العين [الساقطة من إقام] وأقيمت الاضافة مقامها ، ويمكن عطف هذه الفقرة على علمه وعلى المعلومات ، والفقرات الآتية تؤيد الثاني ، والقفار جمع القفر وهو مفازة لا نبات فيها ولا ماء .

قوله ﷺ : لوقع التشبيه . . . قال بعض الافاضل : أبطل كون قوته قوة البطش المعروف من المخلوقين بوجهين :

« أحدهما » لزوم وقوع التشبيه وكونه مادياً مصوراً بصورة المخلوق « وثانيهما » لزوم كونه سبحانه محتملاً للزيادة لأن الموصوف يمثل هذه الكيفية لا بد لها من مادة قابلة لها متفوقة بصورة جسمانية ، موصوفة بالتقدير بقدر ، والتناهي والتحدد بحد لا محالة فيكون لا محالة حينئذ موصوفاً بالزيادة على ما دونه من ذوى الاقدار وكل موصوف بالزيادة الاضافية موصوف بالنقصان الاضافي لوجهين :

« أحدهما » ان المقادير الممكنة لاحد لها تقف عنده في الزيادة ، كما لاحد لها في النقصان ، فالمتقدر بمقدار متناه يتصف بالنقص الاضافي بالنسبة إلى بعض الممكنات ، وإن لم يدخل في الوجود .

« وثانيهما » انه يكون حينئذ لا محالة موصوفاً بالنقص الاضافي بالنسبة إلى مجموع الموصوف بالزيادة الاضافية ، والمقيس اليه ، فيكون أنقص من مجموعهما ، وما كان ناقصاً بالنسبة إلى غيره من الممكنات لا يكون قديماً واجب الوجود لذاته

كان غير قديم وما كان غير قديم كان عاجزاً ؛ فربنا تبارك وتعالى لا شبه له ولا ضد ولا ند ولا كيف ولا نهاية ولا تبصار بصر ، ومحرمٌ على القلوب أن تُمثله ، وعلى

لأنه علّة ومبدء لكل ما يغيره ، والمبدء المفيض أكمل وأتم من المعلول الصادر عنه المفاض عليه منه ، فكل ناقص إضافي أحق بالمعلولية من المبدئية لما هو أكمل وأزيد منه ، وهذا يتنافي ربوبيته ويتم به المطلوب لكنّه لما أراد إلزام ما هو أظهر فساداً وهو لزوم عجزه عن قوّته ضمّ إليه قوله : وما كان غير قديم كان عاجزاً ، لأنّه كان معلولاً لعلته ومبدئه ، مسخراً له غير قوى على مقاومته .

إذا عرفت ذلك فربنا تبارك وتعالى لا شبه له لأن شبه الممكن ممكن ، ولا ضدّ له لأن الشيء لا يضادّ علته ، ومقتضى العلية والمعلولية الملازمة والاجتماع في الوجود ، فلا يجامع المضادة ولا ندّ له ، لأنّ المثل المقاوم لا يكون معلولاً ولا قديم سواء بدليل التوحيد ، ولا كيف له لكونه تاماً كاملاً في ذاته ، غير محتمل لما يفقده ولا نهاية له لتعالیه عن التقدير والقابلية لما يغيره .

ولا يبصار بصر ، وفي بعض النسخ ولا تبصار بالتاء ، أي التبصر بالبصر ، ومحرم على القلوب أن تمثله أي أن يجعل حقيقته موجوداً ظلياً مثالياً ، ويأخذ منه حقيقة كلية معقولة لكونه واجب الوجود بذاته لا تنفك حقيقته عن كونه موجوداً عينياً شخصياً ، وعلى الاوهام أن تحدّه لعجزها عن أخذ المعاني الجزئية عما لا يحصل في القوى والاذهان ، ولا يحاط بها فلا تأخذ منه صورة جزئية ، وعلى الضمائر أن تكونه الضمير السرّ وداخل الخاطر والبال ، ويطلق على محله كما أن الخاطر في الأصل ما يخطر بالبال ويدخله ، ثم أطلق على محله ، والتكوين التحريك ، والمعنى أنه محرم على ما يدخل الخواطر أن يدخله ، وينقله من حال إلى حال ، لاستحالة قبوله لما يغيره ، أو المراد بالضمائر خواطر الخلق وقواهم الباطنة ، وأنه يستحيل أن يخرج من الغيبة إلى الحضور والظهور عليهم ، أي ليس لها أن تجعله بأفعالها متنزلاً إلى مرتبة الحضور عندهم .

الأوهام أن تحدّه وعلى الضمائر أن تكونّه ، جلّ وعزّه عن أداء خلقه وسمات بريته
وتعالى عن ذلك علوّاً كبيراً .

٨ - على بن محمد ، عن سهل بن زياد ، عن ابن محبوب ، عن عثمان ذكره ، عن أبي
عبدالله عليه السلام قال : قال رجل عنده : الله أكبر ، فقال : الله أكبر من أي شيء ؟ فقال :
من كل شيء فقال أبو عبدالله عليه السلام : حدّثته فقال الرجل : كيف أقول ؟ قال : قل :
الله أكبر من أن يوصف .

٩ - ررواه محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن مروك بن عميد ، عن
جميع بن عمير قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : أي شيء الله أكبر ؟ فقلت : الله أكبر من

أقول : ويحتمل أن يكون دليلاً على امتناع حصوله في المعقول والضمائر ، لانه
يلزم أن يكون حقيقته سبحانه مكوّنة مخلوقة ولو في الوجود الذهني ، وهو متعال
عن ذلك «عن أداء خلقه» أي آلتهم التي بها يفعلون ويحتاجون في أفعالهم إليها و«سمات
بريته» أي صفاتهم .

الحديث الثامن : ضعيف على المشهور .

قوله عليه السلام : من أي شيء ، هذا إستعلام عن مراد القائل أنّه هل أراد إتصافه
سبحانه بالشدّة أو الزيادة في الكبر الذي يعقل في المخلوقين ، فيلزم اتصافه بالكبر
الإضافي أو أراد نفي اتصافه سبحانه بما يعقل عن الصفات في المخلوقات ، ولمّا أجاب
القائل بقوله : من كل شيء ، علم أنّه أراد الأوّل فنبّه على فساد بقوله حدّثته ،
لانّ المتّصف بصفات الخلق محدود بحدود الخلق ، غير خارج عن مرتبتهم ، فلمّا علم
القائل خطاؤه قال : كيف أقول ؟ فأجاب عليه السلام بقوله : قل : الله أكبر من أن يوصف ،
ومعناه اتصافه بنفي صفات المخلوقات عنه وتعالى عن أن يتّصف بها .

الحديث التاسع : مجهول .

قوله عليه السلام : أي شيء الله أكبر ؟ أي ما المراد به وما معناه ؟

كل شيء فقال : وكان ثم شيء فيكون أكبر منه ؟ فقلت : وما هو ؟ قال : الله أكبر من أن يوصف .

١٠ - علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى بن عبيد ، عن يونس ، عن هشام بن الحكم قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن سبحانه الله فقال : أنفة [١] لله .

١١ - أحمد بن مهران ، عن عبدالعظيم بن عبدالله الحسني ، عن علي بن أسباط عن سليمان مولى طربال عن هشام الجواليقي قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عز وجل : « سبحانه الله » ما يعنى به ؟ قال : تنزيهه .

١٢ - علي بن محمد ، ومحمد بن الحسن ، عن سهل بن زياد ، ومحمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى جميعاً ، عن أبي هاشم الجعفري قال : سألت أبا جعفر الثاني عليه السلام : ما معنى الواحد ؟ فقال : إجماع الألسن عليه بالوحدانية كقوله تعالى : « ولئن سألتهم

قوله عليه السلام : وكان ثم شيء ؟ استفهام للإنكار أى أكان في مرتبة تداني مرتبته سبحانه ، ويصح فيها النسبة بينه وبين غيره شيء ، والحاصل أنه يضمحل في جنب عظمته وجلاله كل شيء ، فلا وجه للمقايسة ، أو المعنى أنه لم يكن في الأزل شيء ، وكانت هذه الكلمة صادقة في الأزل ، والأول أعلى وأظهر .

الحديث العاشر : صحيح .

قوله عليه السلام : أنفة لله ، أى برائة وتعالى وتنزه له سبحانه عن صفاء المخلوقات ونصب سبحانه على المصدر ، أى أسبَح الله سبحانه يليق به ويقال : أنف منه أى استنكف .

الحديث الحادي عشر : ضعيف .

الحديث الثاني عشر : صحيح .

قوله عليه السلام : إجماع الألسن ، أى معنى الواحد في أسمائه وصفاته سبحانه ما أجمع عليه الألسن من وحدانيته وتفرده بالخالقية والالوهية ، كقوله : « ولئن سألتهم أى جميع الخلق إذا راجعوا إلى أنفسهم وجانبوا الأغراض الفاسدة التي صرفتهم

من خلفهم ليقولنَّ الله ۞ (١)

﴿ باب آخر وهو من الباب الاول ﴾

﴿ الا ان فيه زيادة وهو الفرق ما بين المعاني التي تحت أسماء الله ﴾
﴿ وأسماء المخلوقين ﴾

١ - على بن إبراهيم ، عن المختار بن محمد بن المختار الهمداني ، ومحمد بن الحسن عن عبدالله بن الحسن العلوي جميعاً عن الفتح بن يزيد الجرجاني ، عن أبي الحسن عليه السلام قال : سمعته يقول : وهو اللطيف الخبير السميع البصير الواحد الأحد الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، لو كان كما يقول المشبهة لم يعرف

عن مقتضى عقولهم ، أو المراد به مشركوا مكة ، فإن شركهم كان في المعبودية لا الخالقية ، ويحتمل ان يكون الواحد في الله سبحانه موضوعاً شرعاً لهذا المعنى ، اى من أجمعت اللسان على وحدانيته .

باب آخر وهو من الباب الاول الا ان فيه زيادة ، وهو الفرق ما بين المعاني تحت أسماء الله واسماء المخلوقين .

الحديث الاول : مجهول ، وأبو الحسن عليه السلام يحتمل الثاني والثالث عليه السلام قال ابن الفضايرى : اختلفوا في ان مسؤل فتح بن يزيد هو الرضا عليه السلام أم الثالث ، وصرح الصدوق بأنه الرضا عليه السلام .

قوله عليه السلام : لم يعرف الخالق ، في التوحيد هكذا « ولم يكن له كفواً أحد ، منشيء الاشياء ومجسم الاجسام ومصوّر الصور ، ولو كان كما يقولون لم يعرف » وهو أصوب ، والمعنى انه لو كان قول المشبهة حقاً لم يتميز الخالق من المخلوق ، لاشتراكهما في الصفات الامكانية ، وعلى ما في الكتاب : المعنى : لا يمكن معرفة الخالق من المخلوق ، وبالمقايسة اليه ، إذ ليس المخلوق ذاتياً لخالقه ولا مرتبطاً به

الخالق من المخلوق ولا المنشئ من المنشأ ، لكنّه المنشئ ، فرّق بين من جسّمه وصوّره وأنشأه إذ كان لا يشبهه شيء ولا يشبهه هو شيئاً ، قلت : أجل جعلني الله فداك لكنّك قلت : الأحد الصمد وقلت : لا يشبهه شيء والله واحد والإنسان واحد أليس قد تشابهت الوجدانية ؟ قال : يا فتى أحلت ثبوتك الله إنّما التشبيه في المعاني ، فأما في الأسماء فهي واحدة وهي دالة على المسمّى وذلك أنّ الإنسان وإن قيل واحد

ارتباطاً يصحّ الحمل والقول عليه ، والمراد بالخلق إمّا مطلق الإيجاد ، فقوله : ولا المنشئ ، من المنشأ كالمفسّر والمؤكّد له ، أو المراد به التقدير والتصوير ، فقوله : ولا المنشأ تعميم ، والضمير في لكنّه إمّا للشأن أو راجع إليه سبحانه .

قوله : فرق ، إمّا اسم أي الفرق والامتنياز لازم بينه سبحانه وبين من جسّمه أي أوجده جسماً ، أو أعطاه حقيقة الجسيّة ، وصوّره أي أوجده متصوراً بصورة خاصة وأنشأه من العدم ، فقوله : إذ كان تعليل لعدم المعرفة أو الفرق ، أو فعل ، أي فرق وباين بين المهيئات وصفاتها ولوازمها ، وجعل لكلّ منها حقيقة خاصة وصفة مخصوصة فقوله : « إذ » يحتمل الظرفيّة والتعليل ، فعلى الأول ، المعنى : أنّه خلقها في وقت لم يكن متّصفاً بشيء من تلك الحقايق والصفات ، ولم يكن في شيء منها شيئاً بالخلقوات وعلى الثاني لعلّ المعنى أنّه أعطى المخلوقات المهيئات المثبّاتة والصفات المتضادة لأنّه لم يكن يشبهه شيئاً منها ، إذ لو كان متّصفاً بأحد تلك الأضداد لم يكن معطياً لضدّها ، إذ لو كان حارّاً مثلاً لم يكن معطياً ومفيضاً للبرودة ، فلمّا لم يكن متّصفاً بشيء منهما صار علة لكلّ منهما فيما يستحقّه من المواد ، وأيضاً لو كان مشاركاً لبعضها في المهيّة لم يكن معطياً تلك المهيّة غيره ، وإلّا لزم كون الشيء علة لنفسه .

قوله ﷺ : أحلت ، أي أثبتت بالمحال وقلت به ، ثبوتك الله ، أي على الحق .

قوله ﷺ : إنّما التشبيه بالمعاني ، أي التشبيه الممنوع منه إنّما هو تشبيه معنى حاصل فيه تعالى بمعنى حاصل للخلق ، لا محض إطلاق لفظ واحد عليه تعالى ، وعلى الخلق بمعنىين متغايرين ، أو المعنى أنّه ليس التشبيه هنا في كنه الحقيقة والذات ،

فإنه يخبر أنه جثة واحدة وليس باثنين والإنسان نفسه ليس بواحد لأن أعضاء مختلفة وألوانه مختلفة ومن ألوانه مختلفة غير واحد وهو أجزاء مجزأة ، ليست بسواء دمه غير لحمه ولحمه غير دمه وعصبه غير عروقه وشعره غير بشره ، وسواده غير بياضه وكذلك سائر جميع الخلق ، فالإنسان واحد في الاسم ولا واحد في المعنى والله جل جلاله هو واحد لا واحد غيره لا اختلاف فيه ولا تفاوت ولا زيادة ولا نقصان ، فأما الإنسان المخلوق المصنوع المألّف من أجزاء مختلفة وجواهر شتى غير أنه بالاجتماع شيء واحد ، قلت : جعلت فداك فرجت عني فرج الله عنك ، فقولك : اللطيف الخبير فسرّه لي كما فسرّت الواحد فاني أعلم أن لطفه على خلاف لطف خلقه للفصل غير أني أحب أن تشرح ذلك لي ، فقال : يافتح إنمّا قلنا : اللطيف للخلق اللطيف [و] لعلمه

وانمّا التشبيه في المفهومات الكلية التي هي مدلولات الألفاظ ، وتصدق عليه سبحانه كما مرّ تحقيقه ، فأما في الأسماء فهي واحدة ، أي الأسماء التي تطلق عليه تعالى ، وعلى الخلق واحدة ، لكنّها لا توجب التشابه ، إن الأسماء دالة على المسميات ، وليس عينها حتى يلزم الاشتراك في حقيقة الذات والصفات ، ثمّ بين عليه السلام عدم كون التشابه في المعنى في اشتراك لفظ الواحد بينه وبين خلقه تعالى ، بأنّ الوحدة في المخلوق هي الوحدة الشخصية التي تجتمع مع أنواع التكثرات ، وليست إلّا تألف أجزاء واجتماع أمور متكثّرة ، ووحدته سبحانه هي نفى التجزّي والكثرة والتعدد عنه سبحانه مطلقاً ، وقوله عليه السلام : فأما الإنسان ، فيحتمل أن يكون كل من المخلوق والمصنوع والمألّف والظرف خبراً ، وإن كان الأول أظهر .

قوله عليه السلام : للفصل . . . بالصاد المهملة ، أي للفرق الظاهر بينه وبين خلقه ، أو بالمعجمة أي لما بيّنت من فضله على المخلوق .

قوله عليه السلام : انمّا قلنا اللطيف ، قيل : إنّ اللطيف هو الشيء الدقيق ، ثم استعمل فيما هو سبب ، ومبدء الدقيق من القوة على صنعه والعلم به ، فيقال لعامله : أنه دقّ ولطف بصنعه ، وهو صانع دقيق في صنعه ، والعالم به أنه دقّ ولطف بدركه ،

بالشيء اللطيف ، أو لا ترى وفقك الله وثبتك إلى أثر صنعه في النبات اللطيف وغير اللطيف ومن الخلق اللطيف ومن الحيوان الصغار ومن البعوض والجرجس وما هو أصغر منها ما لا يكاد تستبينه العيون ، بل لا يكاد يستبان لصغره الذكر من الانثى والحدث المولود من القديم ، فلما رأينا صغر ذلك في لطفه واهتدائه للسفاد والهرب من الموت والجمع لما يصلحه ، وما في لجج البحار وما في لحاء الاشجار والمفاوز والقفار وإفهام بعضها عن بعض منطقها وما يفهم به أولادها عنها ونقلها الغذاء إليها ثم تأليف ألوانها حمرة مع صفرة وبياض مع حمرة وأنه ما لا تكاد عيوننا تستبينه لدمامة خلقها لا تراه عيوننا ولا تلمسه أيدينا علمنا أن خالق هذا الخلق لطيف لطف بخلق ماسميناه

وهو عالم دقيق في دركه . وقوله ﷺ و لعلمه : ليس الواو في بعض النسخ فهو بدل للخلق أو علة له ، وقال الجوهري : صغر الشيء فهو صغير وصغار بالضم ، وقال : الجرجس : البعوض الصغار فهو من قبيل عطف الخاص على العام .

قوله ﷺ : في لطفه ، أى مع لطف ذلك المخلوق أو بسبب لطفه سبحانه والسفاد بالكسر : نزو الذكر على الانثى ، ولجّة البحر معظمه ، واللجاء بالكسر والمد : قشر الشجر ، وإفهام ، إمّا بالكسر أو بالفتح ، ويؤيد الاخير ما في العيون : وفهم بعض عن بعض ، وقال السيد الداماد رحمه الله : الدمامة بفتح الدال المهملة وبميمين عن حاشيتي الالف : القصر والقُبْح ، يقال رجل دميم وبه دمامة إذا كان قصير الجثة ، حقير الجسمان قبيح الخلقة ، وأمّا الدمامة باعجام الذال بمعنى القلة ، من قولهم بثر ذمة بالفتح أى قليل الماء ، وفي هذا المقام تصحيف « انتهى » .

وأقول : فلما كان لسائل أن يقول : اللطف بهذا المعنى أيضاً يطلق على المخلوق فيقال : صانع لطيف ، فأشار ﷺ إلى جواب ذلك بقوله : بلا علاج ولا أداة ولا آلة ، والحاصل أن لطفه سبحانه ليس على ما يعقل في المخلوقين ، بأي معنى كان ، بل يرجع إلى فني العجز عن خلق الدقيق ، ونفي الجهل بالدقيق ، فأما كيفية خلقه وكنه علمه

بلا علاج ولا أداة ولا آلة وأن كل صانع شيء فمن شيء صنع والله الخالق اللطيف الجليل خلق وصنع لا من شيء .

٢ - علي بن محمد مرسلًا عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : قال : إعلم علمك الله الخير أن الله تبارك وتعالى قديم والقدم صفته التي دلت العاقل على أنه لا شيء قبله ولا شيء معه في ديموميته ، فقد بان لنا بإقرار العامة معجزة الصفة أنه

فهو مستور عنا ، وقال الجزري : في أسماء الله تعالى اللطيف ، وهو الذي اجتمع له الفرق في الفعل والعلم بدقائق المصالح وإيصالها إلى من قدرها له من خلقه ، يقال : لطف له بالفتح يلطف لطفًا إذا رفع به ، وأما لطف بالضم يلطف فمعناه صغر ودق .
الحديث الثاني : مرسل والمراد بالقدم وجوب الوجود .

قوله عليه السلام فقد بان لنا بإقرار العامة : الإقرار إمّا من أقرّ بالحق إذا اعترف به ، أو من أقرّ الحق في مكانه فاستقرّ هو ، فقوله عليه السلام : معجزة الصفة على الاول منصوب بنزع الخافض ، وعلى الثاني منصوب على المفعولية ، والمعجزة اسم فاعل من أعجزته بمعنى وجدته عاجزاً أو جعلته عاجزاً أو من أعجزه الشيء بمعنى فاته ، وإضافتها إلى الصفة المراد بها القدم ، من إضافة الصفة إلى الموصوف ، وإنما وصفها بالاعجاز لأنها تجدهم أو تجعلهم لتباهة شأنها ، عاجزين عن إدراكهم كنهها ، أو عن إتصافهم بها ، أو عن إنكارهم لها ، أو لأنها تفوتهم ، وهم فاقدون لها .

ويحتمل أن تكون المعجزة مصدر عجز عن الشيء عاجزاً ومعجزة بفتح الميم وكسر الجيم وفتحها ، أي إقرارهم بعجزهم عن الإتيان بتلك الصفة ، ويمكن أن يقرأ على بناء المفعول بأن يكون حالاً عن العامة أو صفة لها ، أي بإقرارهم موصوفين بالعجز عن ترك الإقرار ، أو والحال أن صفة القدم أعجزتهم وألجأتهم إلى الإقرار فالمقر به والبيّن شيء واحد ، وهو قوله : ان لا شيء قبل الله ، لكن في الحالية وأول احتمالي الوصفية مناقشة .

وقال بعض الأفاضل : المراد بقوله : إقرار العامة إنعائهم ، أو الانبات ، وعلى

لا شيء قبل الله ولا شيء مع الله في بقاءه وبطل قول من زعم أنه كان قبله أو كان معه شيء وذلك أنه لو كان معه شيء في بقاءه لم يجز أن يكون خالقاً له لأنه لم يزل معه فكيف يكون خالقاً لمن لم يزل معه ولو كان قبله شيء كان الأول ذلك الشيء لا هذا وكان الأول أولى بأن يكون خالقاً للأول، ثم وصف نفسه تبارك وتعالى بأسماء دعا الخلق إذ خلقهم وتعبدهم وابتلاهم إلى أن يدعوها بها فسمي نفسه سميعاً، بصيراً، قادراً، قائماً، ناطقاً، ظاهراً، باطناً، لطيفاً، خبيراً، قوياً، عزيزاً، حكيماً، عليمًا وما أشبه هذه الاسماء، فلما رأى ذلك من أسمائه القالون المكذبون وقد سمعونا

الأول متعلق الاذعان إما بمعجزة الصفة بحذف الصلة، أو محذوف، أي إقرار العامة بأنه خالق كل شيء ومعجزة الصفة صفة للاقرار، أو بدل عنه أي إقرار العامة بأنه خالق كل شيء معجزة الصفة، أي صفة الخالقية لكل شيء، أو صفة القدم، لا يسع أحداً أن ينكره، وأما على الثاني فمعجزة الصفة من إضافة الصفة إلى الموصوف، أي الصفة التي هي معجزة لهم عن أن لا يثبتوا له خالقية كل شيء أو المعجزة بمعنى المتعارف والإضافة لامية، أي إثباتهم الخالقية للكل معجزة هذه الصفة، حيث لا يسعهم أن ينكروها وإن أرادوا الإنكار، ويحتمل أن يكون معجزة الصفة فاعل بأن ويكون قوله: أنه لا شيء قبل الله، بياناً أو بدلاً لمعجزة الصفة « انتهى » .

اقول: لا يخفى أنه يدل على أنه لا قديم سوى الله، وعلى أن التأثير لا يعقل إلا في الحادث، وإن القدم مستلزم لوجوب الوجود .

قوله ﷺ ثم وصف: أي سمى نفسه بأسماء بالتووين، دعاء الخلق بالنصب أي لدعائهم، ويحتمل إضافة الاسماء إلى الدعاء والأظهر أنه على صيغة الفعل كما في التوحيد والعيون، وقوله: إلى أن يدعوها متعلق به، أو بالابتلاء أيضاً على التنازع، لكن في أكثر نسخ الكتاب مهموز .

قوله ﷺ وابتلاهم: أي بالمصائب والحوادث أو ألجأهم إلى أن يدعوها بتلك الاسماء .

نحدث عن الله أنه لا شيء مثله ولا شيء من الخلق في حاله قالوا : أخبرونا - إذا زعمتم أنه لا مثل لله ولا شبه له - كيف شاركتموه في أسمائه الحسنى فتسميتم بجمعها ؟ فإن في ذلك دليلاً على أنكم مثله في حالته كلها أو في بعضها دون بعض إذ جمعتم الأسماء الطيبة ؟

قيل لهم : إن الله تبارك وتعالى ألزم العباد أسماء من أسمائه على اختلاف المعاني وذلك كما يجمع الاسم الواحد معنيين مختلفين والدليل على ذلك قول الناس الجائر عندهم الشائع وهو الذي خاطب الله به الخلق فكلمهم بما يعقلون ليكون عليهم حجة في تضييع ما ضيعوا فقد يقال للرجل : كلب وحمار ونور وسكرة وعلقة وأسد ، كل ذلك على خلافه وحالاته لم تقع الأسماء على معانيها التي كانت بنيت عليه ، لأن الإنسان ليس بأسد ولا كلب فافهم ذلك رحمك الله .

وإنما سمي الله تعالى بالعلم بغير علم حادث علم به الأشياء ، استعان به على حفظ ما يستقبل من أمره والروية فيما يخلق من خلقه ، ويفسد ما مضى مما أفنى من

قوله ﷻ : والدليل على ذلك ، اى على إطلاق اللفظ الواحد على المعنيين المختلفين ، والقول الشائع هو ما فسره ﷻ بقوله : وقد يقال ، وفي التوحيد وغيره السائع ، اى الجائر ، والعلقم شجر مر ، ويقال : للحنظل ولكل شيء مر علقم . قوله ﷻ : على خلافه ، اى على خلاف موضعه الأسمى .

قوله : وحالاته ، عطف على الضمير المجرور في خلافه بدون إعادة الجار وهو مجوز ، أو الواو بمعنى مع ، أو يقدّر المضاف ، وفي العيون وغيره : على خلافه لأنه لم يقع ، وهو أظهر .

قوله ﷻ : والروية ، عطف على الحفظ ، وقوله : ويفسد عطف على قوله يخلق وقوله : ما مضى بدل من الموصول ، أو قوله : ويفسد حال ، أى فيما يخلق من خلقه والحال انه يفسد عنه خلقه ما مضى ، قوله : ويعينه كذا في بعض النسخ من التعيين اى من العلم الذى لو لم يحضر العالم ذلك العلم ويعينه ويحصله تعييناً وتحصيلاً لا

خلقه ممّا لو لم يحضره ذلك العلم ويغيبه كان جاهلاً ضعيفاً ، كما أنّا لو رأينا علماء الخلق إنّما سمّوا بالعلم لعلم حادث إذ كانوا فيه جهلة ، وربما فارقهم العلم بالاشياء فعادوا إلى الجهل ، وإنّما سمّي الله عالماً لانه لا يجهل شيئاً ، فقد جمع الخالق والمخلوق اسم العالم واختلف المعنى على ما رأيت .

وسمّي ربّنا سميعاً لا بخرت فيه يسمع به الصوت ولا يبصر به ، كما أنّ خرتنا الذي به نسمع لا نقوئى به على البصر ولكنّه أخبر أنّه لا يخفى عليه شيء من الاصوات ليس على حدّ ما سمّينا نحن ، فقد جمعنا الاسم بالسمع واختلف المعنى .

وهكذا البصر لا بخرت منه أبصر ، كما أنّا نبصر بخرت ممّا لا ننتفع به في غيره ولكنّ الله بصير لا يحتمل شخصاً منظوراً إليه ، فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى . وهو قائم ، ليس على معنى انتصاب وقيام على ساق في كبد كما قامت الأشياء

يكون له إلّا بحصوله بعد خلوه عنه بذاته كان جاهلاً ، و في بعض النسخ ولغيبه من الغيبة فيكون عطفاً على النفي ومفسراً له أو حالا ، وفي العيون وغيره ويعنه وهو الصواب ، وفي بعض نسخ العيون وتقنية ما مضى اى إفتائها ، وفي بعض نسخ التوحيد وتقنية ماضى بما أفنى اى جعل بعض ما يفنى في قفاء ما مضى ، أى يكون مستحضراً لما مضى مما أعدمه سابقاً حتى يفنى ما يفنى بعده على طريقته ، وعلى التقديرين معطوف على الموصول .

قوله ﷻ : لا بخرت ، هو بالفتح والضم الثقب في الاذن وغيرها .

قوله ﷻ : فقد جمعنا ، بسكون العين على صيغة المتكلم أو بفتحها على صيغة

الغائب ، والاسم على الأوّل منصوب ، وعلى الثاني مرفوع .

قوله ﷻ : لا يحتمل شخصاً ، اى لا يقبل مثاله ولا ينطبع صورته الذهني وشبهه

فيه ، فيدلّ على أنّ الابصار بالانطباع لا بخروج الشعاع ، وفي العيون والتوحيد :

لا يجهل شخصاً وهو أظهر ، والكبد بالتحريك : المشقة والتعب ، والقضاة بالقاف

والضاد المعجمة ثم الفاء : الدقة والنحافة .

ولكن قائم يخبر أنه حافظ كقول الرّجل : القائم بأمرنا فلان ، والله هو القائم على كل نفس بما كسبت ، والقائم أيضاً في كلام الناس : الباقي ، والقائم أيضاً يخبر عن الكفاية كقولك للرجل : قم بأمر بني فلان ، أي اكفهم ، والقائم منا قائم على ساق ، فقد جمعنا الاسم ولم نجمع المعنى .

وأما اللّطيف فليس على قلّة وقضاة وصغر ، ولكن ذلك على النفاذ في الأشياء والامتناع من أن يدرك ، كقولك للرّجل : لطف عني هذا الأمر ولطف فلان في مذهبه وقوله : يخبرك أنه غمض فيه العقل وفات الطلب وعاد متعمّقاً متلطّفاً لا يدركه الوهم فكذلك لطف الله تبارك وتعالى عن أن يدرك بحدّ أو يُحدّ بوصف واللّطافة من الصغر والقلّة ، فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى .

وأما الخير فالذي لا يعزب عنه شيء ولا يفوته ليس للتجربة ولا للاعتبار بالأشياء فعند التجربة والاعتبار علما ولولاها ما علم لأنّ من كان كذلك كان جاهلاً والله لم يزل خيراً بما يخلق والخير من الناس المستخير عن جهل المتعلّم ، فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى .

قوله ﷺ : وفات الطلب ، أي فات ذلك الشيء عن الطلب فلا يدركه الطلب ، أو فات عن العقل الطلب فلا يمكنه طلبه ، ويحتمل على هذا أن يكون الطلب بمعنى المطلوب وعاد أي العقل أو الوهم على التنازع ، أو ذلك الشيء فالمراد أنه صار ذا عمق ولطافة ودقّة لا يدركه الوهم لبعده عمقه وغاية دقّته ، وتفصيله : أنه يمكن أن يقرء الطلب مرفوعاً ومنصوباً ، فعلى الأوّل يكون فات لازماً أي ضاع وذهب الطلب ، وعلى الثاني فضمير الفاعل إمّا راجع الى الأمر المطلوب ، أي لا يدرك الطلب ذلك الأمر كما ورد في الدعاء « لا يفوته هارب » أو إلى العقل على الوجهين المذكورين ، وربما يحمل الطلب على الطالب بارجاع ضمير الفاعل الى الأمر ، وربما يقال : يعود ضمير الفاعل في عاد الى الطلب ، وتقدير القول في قوله : لا يدركه وهم ، أي يعود الطلب أو الطالب متعمّقاً متلطّفاً قائلاً لا يدركه وهم ، ولا يخفى بعده ، وسنام كل شيء : أعلاه

وأما الظاهر فليس من أجل أنه علا الأشياء بر كوب فوقها وقعود عليها وتسّم
لذراها ولكن ذلك لقهره ولغلبته الأشياء وقدرته عليها كقول الرّجل : ظهرت على
أعدائي وأظهرني الله على خصمي يخبر عن الفلج والغلبة ، فهكذا ظهور الله على الأشياء
ووجه آخر أنه الظاهر لمن أرادته ولا يخفى عليه شيء وأنه مدبر لكل ما برأ فأَيُّ
ظاهر أظهر وأوضح من الله تبارك وتعالى ، لأنك لا تعدم صنعته حيثما توجهت وفيك
من آثاره ما يغنيك والظاهر منّا البارز بنفسه والمعلوم بحدّه ، فقد جمعنا الاسم ولم
يجمعنا المعنى .

وأما الباطن فليس على معنى الاستبطان للأشياء بأن يغور فيها ولكن ذلك
منه على استبطانه للأشياء علماً وحفظاً وتديراً ، كقول القائل : أبطنته يعني خبرته
وعلمت مكتوم سرّه والباطن منّا الغائب في الشيء المستتر وقد جمعنا الاسم واختلف
المعنى .

وأما القاهر فليس على معنى علاج ونصب واحتيال ومداراة ومكر ، كما يقهر
العباد بعضهم بعضاً والمقهور منهم يعود قاهراً والقاهر يعود مقهوراً ولكن ذلك من الله
تبارك وتعالى على أن جميع ما خلق ملبس به الذلّ لفاعله وقلة الامتناع لما أراد به ، لم

ومنه تسّمه اى علاه ، والذري بضم الذال المعجمة وكسرها جمع الذروة بهما ، وهي
ايضاً أعلى الشيء .

قوله ^{تعالى} : لا يخفى عليه شيء ، يحتمل ارجاع الضمير المجرور إلى الموصول ،
اى لا يخفى على من أراد معرفته شيء من أموره : من وجوده وعلمه وقدرته وحكمته
وعلى تقدير ارجاعه إليه تعالى لعلّه ذكر استطراداً ، أو انما ذكر لأنّه مؤيد لكونه
مدبراً لكل شيء ، أو لأنّه مسبّب عن عليّة كل شيء ، أو لأنّ ظهوره لكل شيء
وظهور كل شيء له مسببان عن تجرّده تعالى ، ويحتمل أن يكون وجهاً آخر لا طلاق
الظاهر عليه تعالى ، لأنّ في المخلوقين لما كان المطلع على شيء حاضراً عنده ظاهراً
له ، جاز أن يعبر عن هذا المعنى بالظهور ، والعلاج : العمل والمزاولة بالجوارح .

يخرج منه طرفة عين أن يقول له : كن فيكون والقاهر منّا على ما ذكرت ووصفت
فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى ؛ وهكذا جميع الأسماء وإن كنا لم نستجمعها كلها
فقد يكتفي الاعتبار بما ألقينا إليك والله عونك وعوننا في إرشادنا وتوفيقنا .

﴿ باب تأويل الصمد ﴾

١ - علي بن محمد ؛ ومحمد بن الحسن ، عن سهل بن زياد ، عن محمد بن الوليد ولقبه

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يخرج منه طرفة عين : لعله يدلّ على أن الأشياء في كلّ آن
محتاجة إلى إفاضة جديدة وإيجاد جديد ، وفي التوحيد طرفة عين ، غير أنه يقول
له وقد اشار إلى ما أو مانا اليه بهمينار في التحصيل وغيره ، حيث قالوا : كلّ ممكن
بالقياس إلى ذاته باطل ، وبه تعالى حقّ كما يرشد اليه قوله تعالى : «كلّ شيء هالك
إلا وجهه» ^(١) فهو آنّا فآنّا يحتاج إلى أن يقول له الفاعل الحق : كن ، ويفيض عليه
الوجود بحيث لو أمسك عنه هذا القول والافاضة طرفة عين ، لعاد الى البطلان الذاتي
والزوال الاصلى ، كما أن ضوء الشمس لو زال عن سطح المستضيء لعاد الى ظلمته
الاصليّة .

باب تأويل الصمد

الحديث الاول : ضعيف على المشهور .

واعلم أن العلماء اختلفوا في تفسير الصمد ، ف قيل : أنه فعل بمعنى المفعول من
صمد إليه إذا قصده ، وهو السيد المقصود اليه في الحوائج ، كما ورد في هذا الخبر ،
وروت العامة عن ابن عباس أنه لما نزلت هذه الآية قالوا : ما الصمد ؟ قال صلوات الله
عليه وآله : هو السيد الذي يصمد إليه في الحوائج ، وقيل : أن الصمد هو الذي لا
جوف له .

شباب الصيرفي ، عن داود بن القاسم الجعفري قال : قلت لأبي جعفر الثاني عليه السلام : جعلت فداك ما الصمد ؟ قال : السيد المصمود إليه في القليل والكثير .

٢ - عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن أبي عبدالله ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس

وقال ابن قتيبة : الدال فيه مبدلة من التاء وهو الصمت ، وقال بعض اللغويين : الصمد هو الأملس من الحجر لا يقبل الغبار ولا يدخله ولا يخرج منه شيء ، فعلى الأول عبارة عن وجوب الوجود والاستغناء المطلق واحتياج كل شيء في جميع أموره إليه ، أي الذي يكون عنده ما يحتاج إليه كل شيء ، ويكون رفع حاجة الكل إليه ولم يفقد في ذاته شيئاً مما يحتاج إليه الكل وإليه يتوجه كل شيء بالعبادة والخضوع وهو المستحق لذلك ، وأما على الثاني فهو مجاز عن أنه تعالى أحدى الذات ، أحدى المعنى ، ليست له أجزاء ليكون بين الأجزاء جوف ، ولا صفات زائدة فيكون بينها وبين الذات جوف ، أو عن أنه الكامل بالذات ، ليس فيه جهة استعداد وإمكان ، ولا خلوة له عما يليق به ، فلا يكون له جوف يصلح أن يدخله ما ليس له في ذاته ، فيستكمل به ، فالجوف كناية عن الخلو عما يصلح إتصافه به ، وأما على الثالث فهو كناية عن عدم الانفعال والتأثر عن الغير ، وكونه محلاً للحوادث كما مر عن الصادق عليه السلام : أن الرضا دخال يدخل عليه فينقله من حال إلى حال ، لأن المخلوق أجوف معتمل مركب للأشياء فيه مدخل ، وخالفنا لمدخل للأشياء فيه لأنه واحد وأحدى الذات وأحدى المعنى ، وقد ورد بكل من تلك المعاني أخبار .

وقد روى الصدوق في التوحيد ومعاني الأخبار خبراً طويلاً مشتملاً على معاني كثيرة للصمد ، وقد نقل بعض المفسرين عن الصحابة والتابعين والائمة واللغويين قريباً من عشرين معنى ، ويمكن إدخال جميعها فيما ذكرنا من المعنى الأول ، لأنه لا شتماله على الوجوب الذاتي يدل على جميع السلوب ، ولدلالته على كونه مبدء لكل يدل على إتصافه بجميع الصفات الكمالية ، وبه يمكن الجمع بين الأخبار المختلفة الواردة في هذا المعنى ، وقد أوردنا الأخبار في كتاب بحار الأنوار .

الحديث الثاني : مجهول كالصحيح ، وقوله : واحد خبر إن والجملتان

ابن عبد الرحمن ، عن الحسن بن السري ، عن جابر بن يزيد الجعفي قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن شيء من التوحيد ، فقال : إن الله تباركت أسماؤه التي يدعها بها وتعالى في علو كنهه ، واحد توحد بالتوحيد في توحيده ، ثم أجراه على خلقه فهو واحد ، صمد ، قدوس ، يعبد كل شيء ويصمد إليه كل شيء ووسع كل شيء علماً . فهذا هو المعنى الصحيح في تأويل الصمد ، لا ما ذهب إليه المشبهة : أن تأويل الصمد : المصمت الذي لا جوف له ، لأن ذلك لا يكون إلا من صفة الجسم والله جل ذكره متعال عن ذلك ، هو أعظم وأجل من أن تقع الأوهام على صفته أو تدرك كنه عظمته ولو كان تأويل الصمد في صفة الله عز وجل المصمت ، لكان مخالفاً لقوله عز وجل : « ليس كمثله شيء » ^(١) لأن ذلك من صفة الأجسام المصمتة التي لا أجواف لها مثل الحجر والحديد وسائر الأشياء المصمتة التي لا أجواف لها ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

فأما ما جاء في الأخبار من ذلك فالعالم عليه السلام أعلم بما قال وهذا الذي قال عليه السلام

معتزتان ، تباركت أسماؤه : أي تطهرت عن النقائص أو كثرت صفات جلاله وعظمته أو ثبتت ولا يعتريها التغير من قولهم : برك البعير بالمكان أي أقام ، وكلمة « في » في قوله : في علو كنهه ، تعليلية ، وقوله عليه السلام : توحد بالتوحيد ، أي لم يكن في الازل أحد يوحده ، فهو كان يوحده نفسه ، فكان متفرداً بالوجود ، متوحداً بتوحيد نفسه ، ثم بعد الخلق عرفهم نفسه ، وأمرهم أن يوحده ، أو المراد أن توحيده لا يشبه توحد غيره ، فهو متفرد بالتوحد ، أو كان قبل الخلق كذلك وأجرى سائر أنواع التوحد على خلقه ، إذ الوحدة تساوق الوجود أو تستلزمه ، لكن وحدانهم مشوبة بأنواع الكثرة كما عرفت .

قوله : فهذا هو الصحيح ، من كلام الكليني (ره) .

قوله : من ذلك ، أي تفسير الصمد بالصمت فالعالم عليه السلام أعلم ، أي هو عليه السلام أعلم بتفسيره ومراده ، والجمرة بالتحريك والفتح واحدة جمرات المناسك ، والقصوى : العقبة

أنَّ الصمد هو السيد المصمود إليه هو معنى صحيح موافق لقول الله عز وجل : « ليس كمثل شيء » والمصمود إليه : المقصود في اللغة ، قال أبو طالب في بعض ما كان يمدح به النبي ﷺ من شعره :

وبالجمرة القصوى اذا صمدوا لها يؤمون رضخاً رأسها بالجنادل
يعني قصدوا نحوها، يرمونها بالجنادل يعني الحصا الصغار التي تسمى بالجمار
وقال بعض شعراء الجاهلية [شعراً] :
ما كنت أحسب أن بيتاً ظاهراً لله في أكناف مكة يصمد
يعني يقصد .

وقال ابن الزبرقان : ولا رهيبة الاسيد صمد

وقال شداد بن معاوية في حذيفة بن بدر :

علوته بحسام ثم قلت له خذها حذيف فأنت السيد الصمد
ومثل هذا كثير والله عز وجل هو السيد الصمد الذي جميع الخلق من الجن
والانس إليه يصمدون في الحوائج ، وإليه يلجأون عند الشدائد ، ومنه يرجون الرخاء
ودوام النعماء ، ليدفع عنهم الشدائد .

﴿ باب الحركة والانتقال ﴾

١ - محمد بن أبي عبدالله ، عن محمد بن إسماعيل البرمكي ، عن علي بن عباس
الخراذيني ، عن الحسن بن راشد ، عن يعقوب بن جعفر الجعفري ، عن أبي إبراهيم
عليه السلام قال : ذكر عنده قوم يزعمون أن الله تبارك وتعالى ينزل إلى السماء الدنيا

والحصا بالفتح والقصر جمع الحصاة « ما كنت أحسب » أي أظن « رهيبة » اسم رجل
« علوته بحسام » الحسام : السيف ، أي رفعته فوق رأسه ، وحذيف : منادى مرخم .

باب الحركة والانتقال

الحديث الاول : ضعيف .

فقال : إن الله لا ينزل ولا يحتاج إلى أن ينزل ، إنما منظره في القرب والبعد سواء لم يبعد منه قريب ، ولم يقرب منه بعيد ، ولم يحتاج إلى شيء بل يحتاج إليه وهو ذو الطول لا إله إلا هو العزيز الحكيم ، أما قول الواسفين : إنه ينزل تبارك وتعالى فائتما يقول ذلك من ينسبه إلى نقص أو زيادة ، وكل متحرك محتاج إلى من يحركه أو يتحرك به ، فمن ظن بالله الظنون هلك ، فاحذروا في صفاته من أن تفقوا له على

قوله ﷻ : إنما منظره : أي نظره وعلمه وإحاطته بأن يكون مصدراً ميمياً أو ما ينظر إليه في القرب والبعد منه سواء ، أي لا يختلف اطلاعه على الأشياء بالقرب والبعد ، لأنهما إنما يجريان في المكانيات بالنسبة إلى أمثالها وهو سبحانه متعال عن المكان ، إذ يوجب الحاجة إلى المكان ، وهو لم يحتاج إلى شيء بل يحتاج إليه على المجهول ، أي كل شيء غيره محتاج إليه ، والطول : الفضل والانعام .

قوله ﷻ : فائتما يقول ذلك « الخ » أي النزول المكاني إنما يتصور في المتحيز وكل متحيز موصوف بالتقدير ، وكل متقدر متصف بالنقص عما هو أزيد منه وبالزيادة على ما هو أنقص منه ، أو يكون في نفسه قابلاً للزيادة والنقصان ، والوجوب الذاتي ينافي ذلك لا يستلزامه التجزئ والانقسام المستلزمين للإمكان ، وأيضاً كل متحرك محتاج إلى من يحركه أو يتحرك به ، لأن المتحرك إما جسم أو متعلق بالجسم ، والجسم المتحرك لا بد له من محرك ، لأنه ليس يتحرك بجسميته ، والمتعلق بالجسم لا بد له في تحركه من جسم يتحرك به ، وهو سبحانه منزّه عن الاحتياج إلى المحرك ، وعن التغير بغيره ، وعن التعلق بجسم يتحرك به .

ويحتمل أن يكون المراد بالأول الحركة القسريّة ، وبالثاني ما يشمل الإرادية والطبيعية ، بأن يكون المراد بمن يتحرك به ما يتحرك به من طبيعة أو نفس ، وقوله : من أن يقفوا^(١) ، من وقف يقف ، أي أن يقوموا في الوصف له وتوصيفه على حد فتحدونه بنقص أو زيادة ، ويحتمل أن يكون من قفا يقفوا ، أي تتبعوا له في البحث عن صفاته

(١) وفي المتن « تفقوا » بصورة الخطاب .

حدّ تحدّونه بنقص أو زيادة ، أو تحريك أو تحركك ، أو زوال أو إستنزال ، أو نهوض أو قعود ، فإنّ الله جلّ وعزّ عن صفة الواسفين ، ونعت الناعتين وتوهم المتوهمين وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين .

٢ - وعنه ، رفعه عن الحسن بن راشد ، عن يعقوب بن جعفر ، عن أبي إبراهيم عليه السلام أنّه قال : لا أقول : إنّهُ قائم فأزيله عن مكانه ، ولا أحدهُ بمكان يكون فيه ولا أحدهُ أن يتحرك في شيء من الأركان والجوارح ، ولا أحدهُ بلفظ شقّ فم . ولكن كما قال [الله] تبارك وتعالى : « كن فيكون » بمشيئته من غير تردّد في نفس ، صمداً فرداً ، لم يحتج إلى شريك يذكر له ملكه ، ولا يفتح له أبواب علمه .

تتبعا على حدّ تحدّونه بنقص أو زيادة ، قوله : « حين تقوم » اى الى التهجّد أو الى الخيرات أو الى الامور كلّها « وتقلبك في الساجدين » اى تردّدك وحرّكاتك بين المصلّين بالقيام والقعود والركوع والسجود ، والمعنى توكلّ عليه في جميع أمورك عارفاً بأنّه عالم بجميع أحوالك في جميع الأوقات ، أو توكلّ عليه في توصيفه بصفاته فقل في صفته بما وصف به نفسه ، ولا تعتمد في توصيفه على ما يذهب إليه وهمك .

الحديث الثاني : ضعيف .

قوله ﷺ : فازيله عن مكانه ، اى لا يتّصف بالقيام إتّصاف الاجسام لاستنزاه الزوال في الجملة عن مكانه ، كزوال ما يقوم من الاجسام عن مكانه الذى استقرّ فيه ، ولأنّ القيام نسبة إلى المكان بخلوّ بعض المكان عن بعض القائم عنه وشغل بعضه ببعض ، ونسبته تعالى إلى كلّ الأمكنة سواء .

اقول : ويمكن أن يكون المراد بالمكان : الدرجة الرفيعة التى له سبحانه من تقدّس والتنزّه والتجرّد ، اى نسبة القيام إليه تعالى مستلزم لازالته عن تجرّده وتقدّسه وتنزّهه سبحانه .

قوله ﷺ : فى شيء من الأركان ، اى الأركان البدنيّة أو النواحي والجوانب اى أركان الخلق « والجوارح » بأن يتحرّك رأسه أو عينه أو يده سبحانه « بلفظ شقّ فم » اى لفظ خارج من فرجة الفم .

٣ - وعنه ، عن محمد بن أبي عبدالله ، عن محمد بن إسماعيل ، عن داود بن عبدالله عن عمرو بن محمد ، عن عيسى بن يونس قال : قال ابن أبي العوجاء لأبي عبدالله عليه السلام في بعض ما كان يحاوره : ذكرت الله فأحلت على غائب ، فقال أبو عبدالله : ويملك كيف يكون غائباً من هو مع خلقه شاهدٌ ، وإليهم أقرب من جبل الوريد ، يسمع كلامهم ويرى أشخاصهم ، ويعلم أسرارهم ؟ فقال ابن أبي العوجاء : أهو في كل مكان أليس إذا كان في السماء كيف يكون في الأرض ؟ وإذا كان في الأرض كيف يكون في السماء ؟ فقال أبو عبدالله عليه السلام : إنما وصفت المخلوق الذي إذا انتقل عن مكان اشتغل به مكان ، وخلا منه مكانٌ ، فلا يدري في المكان الذي صار إليه ما يحدث في المكان الذي كان فيه ، فأما الله العظيم الشأن الملك الديان فلا يخلو منه مكان ، ولا يشتغل به مكان ، ولا يكون إلى مكان أقرب منه إلى مكان .

٤ - علي بن محمد ، عن سهل بن زياد ، عن محمد بن عيسى قال : كتبت إلى أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام : جعلني الله فداك يا سيدي قدروي لنا : أن الله في موضع دون موضع على العرش استوى ، وأنه ينزل كل ليلة في النصف الأخير من الليل إلى السماء الدنيا ، وروي : أنه ينزل عشية عرفة ثم يرجع إلى موضعه ، فقال بعض مواليك في ذلك : إذا كان في موضع دون موضع ، فقد يلاقيه الهواء ويتكثف عليه

الحديث الثالث : مجهول .

قوله عليه السلام : من جبل الوريد ، لعل فيه إشارة إلى أن قرب سبحاته قرب العلية والتأثير والتدبير ، إذ عرق العنق سبب للحياة وبانقطاعه يكون الموت والفناء ، أي هو تعالى أدخل في حياة الشخص من عرق العنق ، إذ هو خالقه ومسبب سائر أسباب حياته

الحديث الرابع : ضعيف ، وسنده الثاني صحيح على الظاهر .

قوله عليه السلام : علم ذلك عنده ، أي علم كيفية نزوله عنده سبحاته ، وليس عليكم معرفة ذلك ، ثم أشار إشارة خفية إلى أن المراد بنزوله : تقديره نزول رحمته ، وإنزالها بتقديره بقوله : وهو المقدر له بما هو أحسن تقدير ، ثم أفاد أن ما عليكم علمه أنه

والهواء جسم رقيق يتكثف على كل شيء بقدره ، فكيف يتكثف عليه جل ثناؤه على هذا المثال ؟ فوقّع عليه السلام : علم ذلك عنده وهو المقدر له بما هو أحسن تقديرًا واعلم أنه إذا كان في السماء الدنيا فهو كما هو على العرش ، والأشياء كلها له سواء علماً وقدرة وملكاً وإحاطة .

وعنه ، عن محمد بن جعفر الكوفي ، عن محمد بن عيسى مثله .

❦ (فى قوله تعالى : ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم) ❦ (١)

٥ - عنه ، عن عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن يعقوب بن يزيد عن ابن أبي عمير ، عن ابن أذينة ، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى : « ما يكون

لا يجرى عليه أحكام الأجسام والمحيطات من المجاورة والقرب المكاني ، والتمكّن في الأمكنة ، بل حضوره سبحانه حضور وشهود علمي وإحاطة بالعلم والقدرة والملك بقوله : وعلم انه « الخ » .

قوله : فى قوله ... هذا كلام المصنف (ره) اى روى فى تفسير هذه الآية الرواية الآتية ، وقيل : عطف على عنوان الباب ، اى باب فى قوله ، وهو بعيد .
الحديث الخامس : صحيح .

قوله تعالى « ما يكون من نجوى ثلاثة » اى ما يقع من تناجى ثلاثة ، ويجوز أن يقدّر مضاف ايوّل نجوى من متناجين^(٢) ويجعل ثلاثة صفة لها « الا هو رابعهم » اى الا الله يجعلهم أربعة من حيث أنه يشاركهم فى الاطلاع عليها « ولا خمسة » اى ولا نجوى خمسة ، وتخصيص العددين إمّا لخصوص الواقعة ، او لأنّ الله وتر يحبّ الوتر والثلاثة أوّل الأوتار ، أو لأنّ التشاور لابدّ له من اثنين يكونان كالمتنازعين ، وثالث يتوسط بينهما .

(١) سورة المجادلة : ٧ .

(٢) وفى نسخة [ح] « نجوى بمتناجين » .

من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم » فقال : هو واحد واحدٍ الذات ، بائن من خلقه ، وبذاك وصف نفسه ، « وهو بكل شيء محيط » بالاشراف والإحاطة والقدرة « لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر » بالإحاطة والعلم بالذات لأن الأماكن محدودة تحويها حدود أربعة فإذا كان بالذات لزمها الحواية .

(في قوله : الرحمن على العرش استوى) * (١)

٦ - علي بن محمد ، ومحمد بن الحسن ، عن سهل بن زياد ، عن الحسن بن [موسى] الخشاب ، عن بعض رجاله ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سئل عن قول الله عز وجل : « الرحمن على العرش استوى » فقال : استوى على كل شيء ، فليس شيء أقرب إليه من شيء .

ثم أعلم أنه لما كان القُدَّام والخلف واليمين والشمال غير متميزة إلا بالاعتبار عند الجميع حدين ، والفوق والتحت حدين ، فصارت أربعة ، والمعنى أنه ليست إحاطته سبحانه بالذات ، لأن الأماكن محدودة ، فإذا كانت إحاطته بالذات بأن كانت بالدخول في الأمكنة لزم كونه محاطاً بالمكان كالمتمكن ، وإن كانت بالإحاطة على المكان لزم كونه محيطاً بالمتمكن كالمكان .

الحديث السادس : ضعيف .

واعلم أن الاستواء يطلق على معان : « الأول » الاستقرار والتمكن على الشيء « الثاني » قصد الشيء والاقبال إليه « الثالث » الاستيلاء على الشيء ، قال الشاعر :

قد استوى شبر على العراق من غير سيف ودم مهراق

« الرابع » الاعتدال يقال : سويت الشيء فاستوى « الخامس » المساواة في النسبة . فأما المعنى الأول فيستحيل على الله تعالى ، لما ثبت بالبراهين العقلية والنقلية

وبهذا الإسناد، عن سهل ، عن الحسن بن محبوب، عن محمد بن مارد أن أبا عبد الله عليه السلام سئل عن قول الله عز وجل : « الرحمن على العرش استوى » فقال : استوى

من استحالة كونه تعالى مكانياً ، فمن المفسرين من حمل الاستواء في هذه الآية على الثاني ، أي أقبل على خلقه وقصد إلى ذلك ، وقد ورد أنه سئل أبو العباس أحمد بن يحيى عن هذه الآية ، فقال : الاستواء الإقبال على الشيء ، ونحو هذا قال الفراء والزجاج في قوله عز وجل : « ثم استوى إلى السماء » ^(١) والاكثرون منهم حملوها على الثالث ، أي استولى عليه وملكه ودبره قال الزمخشري : لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك لا يحصل إلا مع الملك جعلوه كناية عن الملك ، فقالوا : استوى فلان على السرير يريدون ملكه ، وإن لم يعقد على السرير البتة ، وإنما عبروا عن حصول الملك بذلك لأنه أصرح وأقوى في الدلالة من أن يقال فلان ملك ، ونحوه قولك يد فلان مبسوطة ، ويد فلان مغلولة ، بمعنى أنه جواد أو بخيل ، لا فرق بين العبارتين إلا فيما قلت ، حتى أن من لم يسط يده قط بالنوال ، أو لم يكن له يد رأساً وهو جواد قيل فيه يد مبسوطة ، لأنه لا فرق عندهم بينه وبين قولهم جواد « انتهى » .

ويحتمل أن يكون المراد المعنى الرابع بأن يكون كناية عن نفي النقص عنه تعالى من جميع الوجوه ، فيكون قوله تعالى « على العرش » حالاً وسيأتي توجيهه ، ولكنه بعيد .

وأما المعنى الخامس فهو الظاهر مما مر من الاخبار .

فاعلم أن العرش قد يطلق على الجسم العظيم الذي أحاط بسائر الجسمانيات ، وقد يطلق على جميع المخلوقات ، وقد يطلق على العلم أيضاً كما وردت به الاخبار الكثيرة ، وقد حققناه في كتاب السماء والعالم من كتاب بحار الانوار ، فاذا عرفت هذا فإما أن يكون عليه السلام فسر العرش بمجموع الأشياء ، وضمن الاستواء ما يتعدى بعلى

من كل شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء .

كالاستيلاء والاستعلاء والإشراف، فالمعنى استوت نسبتته إلى كل شيء حالكونه مستولياً عليها، أو فسرته بالعلم، ويكون متعلق الاستواء مقدراً، أي تساوت نسبتته من كل شيء حالكونه متمكناً على عرش العلم، فيكون إشارة إلى بيان نسبتته تعالى وأنها بالعلم والاحاطة، أو المراد بالعرش عرش العظمة والجلال والقدرة كما فسر بها أيضاً في بعض الأخبار، أي استوى من كل شيء مع كونه في غاية العظمة ومتمكناً على عرش التقديس والجلالة، والحاصل أن علو قدره ليس مانعاً من دنوه بالحفظ والتربية والاحاطة وكذا العكس .

وعلى التقادير فقوله « استوى » خبر، وقوله « على العرش » حال، ويحتمل أن يكونا خبرين على بعض التقادير، ولا يبعد على الاحتمال الأول جعل قوله : على العرش، متعلقاً بالاستواء بأن تكون كلمة « على » بمعنى إلى، ويحتمل على تقدير حمل العرش على العلم أن يكون قوله على العرش خبراً، وقوله : استوى، حالاً عن العرش ولكنه بعيد .

وعلى التقادير يمكن أن يقال أن النكتة في إيراد الرحمن بيان أن رحانيته توجب استواء نسبتته إيجاداً وحفظاً وتربية وعلماً إلى الجميع، بخلاف الرحيمية فإنها تقتضي إفاضة الهدايا الخاصة على المؤمنين فقط، وكذا كثير من أسمائه الحسنى تخص جماعة كما حققناه في الكتاب المذكور .

ويؤيد بعض الوجوه الذي ذكرنا ما ذكره الصدوق (ره) في كتاب العقائد حيث قال : إعتقادنا في العرش أنه جملة جميع الخلق، والعرش في وجه آخر هو العلم، وسئل الصادق عليه السلام : عن قول الله عز وجل : « الرحمن على العرش استوى » فقال : استوى من كل شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء « انتهى » وإنما بسطنا الكلام في هذا المقام لصعوبة فهم تلك الأخبار على أكثر الأفهام .

٧ - وعنه ، عن محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسين ، عن صفوان بن يحيى ، عن عبد الرحمن بن الحجاج قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى : « الرحمن على العرش استوى » فقال : استوى في كل شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء ، لم يبعد منه بعيد ، ولم يقرب منه قريب ، استوى في كل شيء .

٨ - وعنه ، عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسين بن سعيد عن النضر بن سويد ، عن عاصم بن حميد ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من زعم أن الله من شيء أو في شيء أو على شيء فقد كفر ، قلت : فسر لي ؟ قال : أعني بالحواية من الشيء له أو بامساك له أو من شيء سبقه .

وفي رواية أخرى : من زعم أن الله من شيء فقد جعله محدثاً ، ومن زعم أنه في شيء فقد جعله محصوراً ، ومن زعم أنه على شيء فقد جعله محمولاً .

❦ في قوله تعالى : وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله ❦ (١)

٩ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن الحكم قال قال أبو شاعر الديصاني : « إن في القرآن آية هي قولنا ، قلت : ما هي ؟ فقال : « وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله » فلم أدربما أجيبه ، فحججت فخبرت أبا عبد الله عليه السلام فقال : هذا كلام زنديق خبيث ، إذا رجعت إليه فقل له : ما اسمك بالكوفة ؟

الحديث السابع : صحيح .

الحديث الثامن : صحيح وآخره مرسل .

قوله : بالحواية من الشيء له ، تفسير لقوله : في شيء ، وقوله : أو بامساك له ، تفسير

لقوله : على شيء ، وقوله : أو من شيء سبقه ، تفسير لقوله : من شيء .

الحديث التاسع : حسن ، ولعل هذا الديصاني لما كان قائلاً بالآهين : نور ، ملكه السماء ، وظلمة ملكها الارض ، أوّل الآية بما يوافق مذهبه بأن جعل قوله : « وفي الارض اله » جملة تامّة معطوفة على مجموع الجملة السابقة ، اي وفي الارض اله

فأنه يقول فلان فقل له : ما إسمك بالبصرة ؟ فإنه يقول : فلان ، فقل ، كذلك الله ربنا ، في السماء إله ، وفي الأرض إله ، وفي البحار إله ، وفي القفار إله ، وفي كل مكان إله . قال : فقدمت فأتيت أبا شاعر فأخبرته ، فقال : هذه نقلت من الحجاز .

﴿ باب العرش والكرسى ﴾

١ - عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد البرقي رفعه ، قال : سأل الجائليق أمير المؤمنين عليه السلام فقال : أخبرني عن الله عز وجل يحمل العرش أم العرش يحمله ؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام : الله عز وجل حامل العرش والسموات والأرض وما فيهما وما بينهما وذلك قول الله عز وجل : « إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا »

آخر ، ويظهر من بعض الاخبار انه كان من الدهريين ، فيمكن أن يكون استدلاله بما يوهم ظاهر الآية من كونه بنفسه حاصلا في السماء والأرض ، فيوافق ما ذهبوا إليه من كون المبدء الطبيعة ، فأنها حاصلة في الاجرام السماوية والاجسام الأرضية معاً ، فأجاب عليه السلام بأن المراد انه تعالى مسمى بهذا الاسم في السماء وفي الأرض ، والأكثر على أن الظرف متعلق بالآله لأنه بمعنى المعبود أو مضمّن معناه ، كقولك : هو حاتم في البلد .

باب العرش والكرسى

الحديث الاول : مرفوع ، وقال في القاموس : الجائليق بفتح الناء المثناة . رئيس للنصارى في بلاد الاسلام بمدينة السلام .

قوله تعالى « أن تزولا » اي يمسكهما كراهة أن تزولا بالعدم والبطلان ، أو يمنعهما ويحفظهما أن تزولا ، فإن الامساك متضمن للمنع والحفظ ، وفيه دلالة على أن الباقي في البقاء محتاج الى المؤثر « إن أمسكهما » اي ما أمسكهما « من بعده » اي من بعد الله أو من بعد الزوال و « من » الاولى زايدة للمبالغة في الاستغراق ، والثانية

ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليماً غفوراً^(١) قال: فأخبرني عن قوله: « ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية »^(٢) فكيف قال ذلك؟ وقلت: إنه يحمل العرش والسموات والأرض؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إن العرش خلقه الله تعالى من أنوار أربعة: نور أحمر، منه احمرّت الحمرة، ونور أخضر منه اخضرت الخضرة، ونور أصفر منه اصفرّت الصفرة، ونور أبيض منه [أبيض] البياض وهو العلم الذي حمّله الله الحملة وذلك نور من عظمته، فبعظمته ونوره أبصر قلوب المؤمنين، وبعظمته ونوره عاداه الجاهلون، وبعظمته ونوره ابتغى من في السماوات والأرض من

للابتداء.

قوله: فأخبرني عن قوله... لعله توهم المنافات من جهتين: « الأولى » أن حملة العرش ثمانية لا هو، وقلت هو حامله، والثانية أن الثمانية إذا حملوا عرشه فقد حملوه أيضاً لأنه على العرش، وقلت انه حامل جميع ما سواه.

قوله عليه السلام: وهو العلم، أي العرش أو البياض أي النور الأبيض، والأخير أنسب بما مضى في باب النهي عن الصفة في تفسير الأنوار منقولاً عن الوالد العلامة، وعلى الأول لعلّ المعنى أن العلم أحد معاني العرش، إذ يظهر من الأخبار أن العرش يطلق على الجسم المحيط بجميع الاجسام، وعليه مع ما فيه من الاجسام أعنى العالم الجسماني، وقد يراد به جميع ما سوى الله من العقول والأرواح والاجسام، وقد يراد به علم الله سبحانه المتعلق بما سواه، وقد يراد به علم الله الذي اطلع عليه أنبياءه ورسله وحججه صلوات الله عليهم خاصة، ولعلّ أحد الأخيرين هو المراد في هذا الخبر والذي بعده، والله يعلم.

قوله عليه السلام: أبصر قلوب المؤمنين، أي ما يبصرون ويعلمون.

قوله عليه السلام: عاداه الجاهلون، لأنّ الجهل مساوق الظلمة التي هي ضدّ النور،

(١) سورة الفاطر: ٢١.

(٢) سورة الحاقة: ١٧.

جميع خلائقه إليه الوسيلة ، بالأعمال المختلفة والأديان المشتبهة ، فكلُّ محمولٍ يحمله الله بنوره وعظمته وقدرته لا يستطيع لنفسه ضرراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً فكلُّ شيءٍ محمولٌ والله تبارك وتعالى الممسك لهما أن تزولا والمحيط بهما من شيء وهو حياة كلِّ شيءٍ ونور كلِّ شيءٍ ، سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً .

قال له : فأخبرني عن الله عز وجلّ أين هو ؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام : هو ههنا وههنا فوق وتحت ومحيط بنا ومعنا وهو قوله : « ما يكون من نجوى ثلاثة إلاّ هو رابعهم ولا خمسة إلاّ هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلاّ هو معهم أينما كانوا » فالكرسيُّ محيطٌ بالسموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى وإن تجهر

والمعاداة إنّما يكون بين الضدين كذا قيل ، والأظهر عندى انّ المراد انّ ظهوره صار سبباً لخفائه كما قيل : يا خفياً من فرط الظهور ، فتأمل « ابتغى » أى طلب ، ولعلّ المعنى انّ نوره سبحانه لما ظهر فى عالم الوجود طلبه جميع الخلق ، لكن بعضهم أخطئوا طريق الطلب وتعيين المطلوب ، فمنهم من يعبد الصنم لتوهمه انه هناك ، ومنهم من يعتقد الدهر لزعمه انه الا لآله والمدبر ، فكلّ منهم يعلمون إضطرارهم الى مدبر وخالق ورازق وحافظ ويطلبونه ويبتغون إليه الوسيلة لكنهم لعماهم يخطئون ويتحيرون ، ولبس هذا الكلام مقام آخر .

قوله عليه السلام : الممسك لهما ، أى للسموات والأرض « والمحيط » يجوز جرّ المحيط بالعطف على ضمير لهما ، و « من » بيان له ، يعنى الممسك للشيء المحيط بهما ، أو متعلق بقوله : « أن تزولا » يعنى الممسك لهما والمحيط بهما أن تزولا ، وقوله : من شيء ، للتعميم ويجوز رفعه بالعطف على الممسك « ومن » بيان لضمير بهما لقصد زيادة التعميم ، أو بيان لمحدوف يعنى المحيط بهما مع ما حوتاه من شيء .

قوله عليه السلام : وهو حياة كلِّ شيء ، أى من الحيوانات أو الحيات بمعنى الوجود والبقاء مجازاً « ونور كلِّ شيء » أى سبب وجوده وظهوره .

قوله عليه السلام : فالكرسي ، يمكن أن يكون المراد تفسير الكرسي أيضاً بالعلم فتأمل .

بالقول ، فإنه يعلم السرّ وأخفى، وذلك قوله تعالى : « وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العليّ العظيم » فالذين يحملون العرش هم العلماء الذين حملهم الله علمه وليس يخرج عن هذه الأربعة شيء خلق الله في ملكوته الذي أراه الله أصفاءه وأراه خليله ﷺ فقال : « وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين » ^(١) وكيف يحمل حملة العرش الله وبحياته حيث قلوبهم وبنوره اهتدوا إلى معرفته ؟ ١ .

٢ - أحمد بن إدريس ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن صفوان بن يحيى قال : سألتني أبو قرّة المحدث أن أدخله على أبي الحسن الرضا ﷺ فاستأذنته فأذن لي ، فدخل فسأله عن الحلال والحرام ثم قال له : أفقر أن الله محمول ؟ فقال أبو الحسن ﷺ : كل محمول مفعول به مضاف إلى غيره محتاج ، والمحمول اسم نقص في اللفظ والحامل

قوله تعالى : « ولا يؤوده » أي لا يتقل عليه .

قوله ﷺ : هم العلماء ، إذا كان المراد بالعرش عرش العلم كان المراد بالأَنْوار الأربعة صنوف العلم وأنواعه ، ولا يخرج عن تلك الأنواع أحد ، وإذا كان المراد بالأَنْوار نور المحبة والمعرفة والعبادة والعلم كما مرّ فهو أيضاً صحيح ، إذ لا يخرج شيء أيضاً منها ، إذ ما من شيء إلا وله محبة وعبادة ومعرفة ، وهو يسبّح بحمده ، وقال الوالد العلامة قدس سرّه : الظاهر أن المراد بالأربعة العرش والكرسيّ والسماوات والأرض ، ويحتمل أن يكون المراد بها الأنوار الأربعة التي هي عبارة عن العرش لأنّه محيط على ما هو المشهور .

الحديث الثاني : صحيح .

قوله ﷺ : والمحمول إسم نقص ، ليس المراد أن كلّ ما ورد على صيغة المفعول اسم نقص ، وإلاّ لا تنتقض بالموجود والمعبود والمحمود ، بل ما دلّ على وقوع تأثير وتغيير من غيره ، كالمحفوظ والمربوب والمحمول وأمثالها ، وقيل : لمّا رأى ﷺ قصور

فاعل وهو في اللفظ مدحته وكذلك قول الفائل : فوق وتحت وأعلى وأسفل وقد قال الله : « وله الأسماء الحسنى فادعوه بها »^(١) ولم يقل في كتبه : إنه المحمول بل قال : إنه الحامل في البر والبحر والممسك السماوات والأرض أن تزولا، والمحمول ما سوى الله ولم يسمع أحد آمن بالله وعظمته قط قال في دعائه : يا محمول ، قال أبو قرّة : فأنه قال : « ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » وقال : « الذين يحملون العرش » فقال أبو الحسن عليه السلام : العرش ليس هو الله والعرش اسم علم وقدره ، وعرش فيه كل شيء ثم أضاف الحمل إلى غيره : خلق من خلقه ، لأنه استعبد خلقه بحمل عرشه

فهمه عن إدراك الدلائل العقلية احتج عليه بصورة الألفاظ ومدلولاتها الأولية ، تارة بأنّ المحمول اسم مفعول فعل به فاعل فعله ، وكل مفعول به فهو مضاف إلى غيره الذي هو فاعله ، وهو محتاج إلى غيره ، وتارة بأنّ المحمول لكونه اسم المفعول اسم نقص في اللفظ ، والحامل لكونه اسم الفاعل اسم مدحة ، وقوله عليه السلام : وكذلك قول الفائل فوق « الخ » يعني أن مثل ذينك اللفظين في كون أحدهما اسم مدح والآخر اسم نقص ، قول الفائل : فوق ، وتحت ، فإن فوق اسم مدح ، وتحت اسم نقص ، وكذلك أعلى اسم مدح وأسفل اسم نقص .

قوله عليه السلام : خلق ، بالجر بدل من غيره ، وأشار بذلك إلى أن الحامل لما كان من خلقه ، فيرجع الحمل إليه تعالى وهم حملة علمه ، أي وقد يطلق حملة العرش على حملة العلم أيضاً ، أو حملة العرش في القيامة هم حملة العلم في الدنيا .

قوله عليه السلام : بحمل عرشه ، والحاصل أنه لا يحتاج في حمل العرش إلى غيره بل استعبد أصناف خلقه بأصناف الطاعات ، وحملة العرش عبادتهم حمل العرش من غير حاجة إليهم ، وقوله عليه السلام : وخلقاً وملائكة معطوفان على خلقه ، ذكر كل ذلك للتنظير أي كما أنه تعالى لا يحتاج إلى تسبيح الملائكة وكتابتهم أعمال العباد وطواف العباد حول

(١) سورة الاعراف : ١٨٠ واصل الآية هكذا : « وله الاسماء الحسنى »

و يحتمل قريباً وقوع التصحيف في المتن .

وهم حملة علمه، وخلقاً يسبحون حول عرشه وهم يعملون بعلمه وملائكة يكتبون أعمال عباده، واستعبد أهل الأرض بالطواف حول بيته والله على العرش استوى كما قال والعرش ومن يحمله ومن حول العرش والله الحامل لهم، الحافظ لهم، الممسك القائم على كل نفس وفوق كل شيء وعلى كل شيء ولا يقال : محمول ولا أسفل، قولاً مفرداً لا يوصل بشيء فيفسد اللفظ والمعنى ؛ قال أبو قرّة : فتكذب بالرواية التي جاءت أن الله إذا غضب إنما يعرف غضبه أن الملائكة الذين يحملون العرش يجدون ثقله على كواهلهم ، فيخرون سجداً ، فإذا ذهب الغضب خفّ ورجعوا إلى مواقعهم؟ فقال أبو الحسن عليه السلام : أخبرني عن الله تبارك وتعالى منذ لعن إبليس إلى يومك هذا هو غضبان عليه ، فمتى رضي ؟ وهو في صفتك لم يزل غضبان عليه وعلى أوليائه وعلى

بيته ، فكذا لا يحتاج الى من يحمل عرشه ، وإنما أمرهم بجميع ذلك ليعبدوه ويستحقوا ثوابه .

قوله عليه السلام : وهم يعملون بعلمه ، أي بما أعطاهم من العلم ، وقوله عليه السلام : والعرش وما عطف عليه مبتداء خبره محذوف ، أي محمول كلهم ، أو سواء في نسبتهم إليه تعالى قوله عليه السلام : كما قال ، أي استوائه سبحانه على العرش على النحو الذي قال ، وأراد [من] استواء النسبة أو الاستيلاء كما مرّ لا كما تزعمه المشبهة .

قوله عليه السلام : قولاً مفرداً لا يوصل بشيء ، أي لا يوصل بقرينة صارفة عن ظاهره أو ينسب الى شيء آخر على طريقة الوصف بحال المتعلق ، بأن يقال : عرشه محمول أو أرضه تحت كذا وجحيمه أسفل ونحو ذلك ، وإلا فيفسد اللفظ لعدم الإذن الشرعي واسمائه توقيفية ، وإيضاً هذا اسم نقص كما مرّ ، والمعنى لأنه يوجب نقصه وعجزه تعالى عن ذلك علواً كبيراً .

قوله عليه السلام : وهو في صفتك ، أي وصفك إياه أنه لم يزل غضباً على الشيطان وعلى أوليائه ، والحاصل أنه لم يفهم من كلامه أن الملائكة الحاملين للعرش قديكون قائمين ، وقد يكونون ساجدين ، يطريان الغضب وضده ، وحمل الحديث على ظاهره

أتباعه كيف تجتريء أن تصف ربك بالتغيير من حال إلى حال وأنه يجري عليه ما يجري على المخلوقين ؟ ! سبحانه وتعالى ، لم يزل مع الزائلين ولم يتغير مع المتغيرين ولم يتبدل مع المتبدلين ، ومن دونه في يده وتديره ، وكلهم إليه محتاج وهو غني عن سواه .

٣ - محمد بن إسماعيل ، عن الفضل بن شاذان ، عن حماد بن عيسى ، عن ربي ابن عبد الله ، عن الفضيل بن يسار قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله جل وعز : « وسع كرسيه السماوات والأرض » فقال : يا فضيل كل شيء في الكرسي ، السماوات والأرض وكل شيء في الكرسي .

نبه عليه السلام على خطائه إلزاماً عليه بقدر فهمه بأنه لا يصح ما ذكرت إذ من غضبه تعالى ما علم أنه لم يزل كغضبه على إبليس فيلزم أن يكون حملة العرش منذ غضب على إبليس إلى الآن سجداً غير واقفين إلى موافقهم فعلم أن ما ذكرته وفهمته خطأ والحديث على تقدير صحته محمول على أن المراد بغضبه سبحانه إنزال العذاب وبوجدان الحملة ثقل العرش إطلاعهم عليه بظهور مقدّماته وأسبابه ، وبسجودهم خضوعهم وخشوعهم له سبحانه خشية و خوفاً من عذابه ، فإذا انتهى نزول العذاب وظهرت مقدّمات رحمته إطمأنوا ورغبوا في طلب رحمته ، ثم بعد إلزامه عليه السلام بذلك شرع في الاستدلال على تنزيهه سبحانه عما فهمه ، فقال : كيف تجتريء أن تصف ربك بالتغيير من حال إلى حال ، وهو من صفات المخلوقات والمكنات ، « لم يزل » بضم الزاء من زال يزول ، وليس من الأفعال الناقصة ، ووجه الاستدلال بما ذكره عليه السلام على ما ذكر قد مرّ مراراً فلا نعيده .

الحديث الثالث : كالصحيح ، وفي التوحيد هكذا : يا فضيل السماوات والأرض وكل شيء في الكرسي ، بدون تلك الزيادة ، وإحاطة الكرسي بالسماوات والأرض لا ينافي كون العرش محيطاً بالجميع .

٤ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحجاج ، عن ثعلبة [بن ميمون] عن زرارة بن أعين قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله جلّ وعزّ : « وسع كرسيه السموات والأرض ، السماوات والأرض وسع الكرسي » أم الكرسي وسع السموات والأرض ؟ فقال : بل الكرسي وسع السموات والأرض والعرش ، وكل شيء وسع الكرسي .

٥ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن فضالة بن أيوب

الحديث الرابع : صحيح .

قوله : السماوات والأرض وسع ، ولعلّ سؤال زرارة لاستعلام أنّ في قرآن أهل البيت كرسيه منصوب أو مرفوع ، وإلا فعلى تقدير العلم بالرفع لا يحسن منه هذا السؤال ، ويروي عن الشيخ البهائي قدس سره أنّه قال : سألت عن ذلك والدي ، فأجاب رحمه الله بأنّ بناء السؤال على قراءة وسع بضم الواو وسكون السين مصدراً مضافاً ، وعلى هذا يتّجه السؤال ، وإني تصفّحت كتب التجويد فما ظفرت على هذه القراءة إلا هذه الأيّام رأيت كتاباً في هذا العلم مكتوباً بالخط الكوفي وكانت هذه القراءة فيه ، وكانت النسخة بخط مصنفه .

وقوله عليه السلام : والعرش ، لعله منصوب بالعطف على الأرض ، فالمراد بالكرسي العلم أو بالعرش فيما ورد أنّه محيط بالكرسي العلم ، وروي الصدوق في التوحيد عن حفص قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل « وسع كرسيه السموات والأرض » قال : علمه ، وقيل : العرش معطوف على الكرسي أي والعرش أيضاً وسع السماوات والأرض ، فالمراد أنّ الكرسي والعرش كلاهما وسع السماوات والأرض وقيل : العرش مرفوع بالابتدائية ، أي والعرش وكل شيء من أجزاء العرش ودوائره وسع الكرسي بنصب الكرسي ، وعلى الاحتمالين الأولين قوله : وكل شيء ، جملة مؤكدة لما سبق في التوحيد في آخر الخبر : وكل شيء في الكرسي .

الحديث الخامس : موثق كالصحيح .

عن عبدالله بن بكير ، عن زرارة بن أعين قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عز وجل : « وسع كرسيه السماوات والأرض » السماوات والأرض وسعن الكرسي أو الكرسي وسع السماوات والأرض ؟ فقال : إن كل شيء في الكرسي .

٦ - محمد [بن يحيى] ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر عن محمد بن الفضيل ، عن أبي حمزة ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : حملة العرش - والعرش : العلم - ثمانية : أربعة منا وأربعة ممن شاء الله .

الحديث السادس : مجهول .

قوله عليه السلام : والعرش العلم ، جملة معترضة ، والمراد بقوله أربعة منا محمد وعلي والحسن والحسين عليهما السلام ، والأربعة الأخرى نوح وإبراهيم وموسى وعيسى على نبينا وعليهم السلام كما ورد في الخبر ، وسائر الأئمة داخلون في الحسين عليه السلام لأنهم من صلبه ، وقيل : الأربعة الأخيرة سلمان وأبو ذر ومقداد وعمار ، والأول أصوب لما روى عن الكاظم عليه السلام أنه قال : إذا كان يوم القيامة كان حملة العرش ثمانية : أربعة من الأولين : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ، وأربعة من الآخرين محمد وعلي والحسن والحسين .

وفي اعتقادات الصدوق رحمه الله : فأما العرش الذي هو جملة الخلق فحملته أربعة من الملائكة ، لكل واحد منهم ثماني أعين ، كل عين طباق الدنيا ، واحد منهم على صورة آدم يسترزق الله تعالى لولد آدم ، والآخر على صورة الثور يسترزق الله تعالى للبهائم كلها ، والآخر على صورة الأسد يسترزق الله للسباع ، والآخر على صورة الديك يسترزق الله للطيور ، فهم اليوم هؤلاء الأربعة ، وإذا كان يوم القيامة صاروا ثمانية ، وأما العرش الذي هو العلم فحملته أربعة من الأولين وأربعة من الآخرين ، فأما الأربعة من الأولين فنوح وإبراهيم وموسى وعيسى ، وأما الأربعة من الآخرين فمحمد وعلي والحسن والحسين عليهم السلام أجمعين ، هكذا روى بالاسانيد الصحيحة عن الأئمة عليهم السلام في العرش وحملته « انتهى » .

٧ - محمد بن الحسن ، عن سهل بن زياد ، عن ابن محبوب ، عن عبد الرحمن بن كثير عن داود الرقي قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل : « وكان عرشه على الماء » ^(١) فقال : ما يقولون ؟ قلت : يقولون : إن العرش كان على الماء والرب فوقه ، فقال : كذبوا ، من زعم هذا فقد صير الله محمولاً وصفه بصفة المخلوق ولزمه أن الشيء الذي يحمله أقوى منه ، قلت : بين لي جعلت فداك ؟ فقال : إن الله حمل دينه وعلمه الماء قبل أن يكون أرض أو سماء أو جن أو إنس أو شمس أو قمر ، فلما أراد الله أن يخلق الخلق نشرهم بين يديه فقال لهم : من ربكم ؟ فأول من نطق :

الحديث السابع : ضعيف على المشهور .

قوله عليه السلام : وعلمه الماء ، قال السيد الداماد : كثيراً ما وقع إسم الماء في التنزيل الكريم وفي الأحاديث الشريفة على العلم أو على العقل القدسي الذي هو حامله ، واسم الأرض على النفس المجردة التي هي بجوهرها قابلة للعلوم والمعارف ، ومنه قوله : عز سلطانه « وترى الأرض هامدة » ، فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبئت من كل زوج بهيج ، على ما قد قرره غير واحد من أئمة التفسير ، فكذلك قول مولانا أبي عبد الله عليه السلام في هذا الحديث ، الماء تعبير عن الجوهر العقلي الحامل لنور العلم من الأنوار العقلية القدسية « انتهى » .

وأقول : هذه التأويلات في الأخبار جراءة على من صدرت عنه ، والأولى تسليمها ورد علمها إليهم .

ويحتمل أن يكون المراد بحمل دينه وعلمه على الماء : أنه تعالى جعله مادة قابلة لأن يخلق منه الأنبياء والأوصياء عليهم السلام ، الذين هم قابلون وحاملون لعلمه ودينه ، أو أن علمه سبحانه لما كان قبل خلق الأشياء غير متعلق بشيء من الموجودات العينية بل كان عالماً بها وهي معدومة ، فلما أوجد الماء الذي هو مادة ساير الموجودات كان متعلقاً لعلمه سبحانه به ، وبما يوجد منه ، فلعل هذا الكلام إشارة إلى ذلك ،

رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليّ عليه السلام والأئمة صلوات الله عليهم فقالوا : أنت ربنا ، فحملهم العلم والدين ، ثم قال للملائكة : هؤلاء حملة ديني وعلمي وأمنائي في خلقي وهم المسؤولون ، ثم قال لبني آدم : أقرّوا الله بالربوبية ولهؤلاء النفرا بالولاية والطاعة فقالوا : نعم ربنا أقرنا ، فقال الله للملائكة : اشهدوا . فقالت الملائكة : شهدنا على أن لا يقولوا غداً : « إنا كنّا عن هذا غافلين أو يقولوا إنّما أشرك آباؤنا من قبل وكنّا ذريّة من بعدهم أفهلكنّا بما فعل المبطلون » ياداد ولايتنا مؤكدة عليهم في الميثاق .

﴿ باب الروح ﴾

١ - عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن ابن أبي عمير ، عن ابن أذينة ، عن الأحول قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الروح التي في آدم عليه السلام ، قوله : « فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي »^(١) قال : هذه روح مخلوقة والروح التي في عيسى مخلوقة .

مع أنه لا يمتنع أن يكون الله سبحانه أفاض على الماء روحاً وأعطاه علماً . وقد أوّل بعض من سلك مسلك الحكماء : الماء بالمادة الجسمانية تشبيهاً لها بالماء ، لقبولها الأنواع والأشكال ، وقال : قبلية حمل الدين والعلم إتياء على الموجودات المذكورة قبلية بالذات والمرتبة لا بالزمان ، وهي أقوى لأنّها بعلاقة ذاتية ، وقال : نشرهم ، أي نثرهمياتهم وحقايقهم بين يدي علمه ، فاستنطق الحقايق بالأسنة قابليات جواهرها ، وألسن استعدادات ذواتها ، وفيه إشارة إلى قوله سبحانه « وإن أخذ ربك ، الآية »^(٢) .

أقول : وسيأتي بعض الكلام فيه في كتاب الايمان والكفر .

باب الروح

أي بيان الروح التي أضافها الله إلى نفسه ، ومعنى إضافتها إليه سبحانه .

الحديث الاول : صحيح .

٢ - عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحجاج ، عن ثعلبة ، عن همران قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل : « وروح منه » ^(١) قال : هي روح الله مخلوقة خلقها الله في آدم وعيسى .

٣ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن محمد بن خالد ، عن القاسم بن عروة ، عن عبد الحميد الطائي ، عن محمد بن مسلم قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل : « ونفخت فيه من روحي » كيف هذا النفخ ؟ فقال : إنَّ الرُّوحَ متحرك كالريح وإنَّما سُمِّيَ روحاً لأنَّه اشتقَّ اسمه من الريح وإنَّما أخرجه عن لفظة الريح لأنَّ الأرواحَ مجانسة الريح وإنَّما أضافه إلى نفسه لأنَّه اصطفاه على سائر الأرواح كما قال لبيت من البيوت : بيتي ، ولرسول من الرُّسل : خليلي ، وأشبه ذلك وكلُّ

الحديث الثاني : حسن .

الحديث الثالث : مجهول ولعلَّ إخراجَه على لفظة الريح عبارة عن التعبير عن إيجاده في البدن بالنفخ فيه ، لمناسبة الروح للريح ومجانسته إيَّاه وإنَّما أضافه إلى نفسه سبحانه لأنَّه اصطفاه بتقدِّسه ونشرفه على سائر الأرواح .

واعلم أنَّ الروح قد تطلق على النَّفس الناطقة التي تزعم الحكماء أنَّها مَجْرُودَةٌ وهي محلٌّ للعلوم والكمالات ومدبِّرة للبدن ، وقد تطلق على الروح الحيواني وهو البخار اللطيف المنبعث من القلب الساري في جميع الجسد ، وتلك الأخبار تحتلها وان كانت بالأخير بعضها أنسب ، وقيل : الروح وإن لم تكن في أصل جوهرها من هذا العالم إلَّا أنَّ لها مظاهر ومجالي في الجسد ، وأوَّل مظهر لها فيه بخار لطيف دخاني شبيه في لطفه وإعتداله بالجرم السماوي ، ويقال له : الروح الحيواني ، وهو مستوى الروح الربَّاني الذي هو من عالم الأمر ومركبه ومطيَّته قواه ، فعبَّرَ عليه السلام عن الروح بمظهره تقريباً إلى الأفهام ، لأنَّها قاصرة عن فهم حقيقته كما أشير إليه بقوله تعالى : « قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلَّا قليلاً » ^(٢) ولأنَّ مظهره هذا هو

(١) سورة النساء : ١٧١ .

(٢) سورة الاسراء : ٨٥ .

ذلك مخلوق مصنوعٌ محدثٌ مربوبٌ مدبّرٌ .

٤ - عِدَّةٌ من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن أبيه ، عن عبد الله بن بحر ، عن أبي أيوب الخزاز ، عن محمد بن مسلم قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عما يروون أن الله خلق آدم على صورته ، فقال هي : صورة ، محدثةٌ ، مخلوقةٌ واصطفاه الله واختارها على سائر الصور المختلفة ، فأضافها إلى نفسه ، كما أضاف الكعبة إلى نفسه والروح إلى نفسه ، فقال : « بيتي » ، « ونفخت فيه من روحي » .

﴿ باب جوامع التوحيد ﴾

١ - محمد بن أبي عبد الله ومحمد بن يحيى جميعاً رفعاه إلى أبي عبد الله عليه السلام أن

المنفوخ دون أصله .

الحديث الرابع : ضعيف .

قوله عليه السلام : فأضافها إلى نفسه ، أى تشريعاً وتكريماً ، وروى الصدوق (ره) في العيون بأسناذه عن الحسين بن خالد قال : قلت للرضا عليه السلام : يا بن رسول الله إن الناس يروون أن رسول الله عليه السلام قال : أن الله خلق آدم على صورته ؟ فقال : قاتلهم الله لقد حذفوا أوّل الحديث ، أن رسول الله عليه السلام مرّ برجلين يتسابان فسمع أحدهما يقول لصاحبه : قبّح الله وجهك ووجه من يشبهك . فقال له رسول الله عليه السلام : يا عبد الله لا تقل هذا لأخيك ، فإن الله عز وجل خلق آدم على صورته ، فلعلّ الباقر عليه السلام أجاب هكذا على تقدير تسليم الخبر ، أو لم يتعرّض لنفيه تقيّةً ، وربما يجاب أيضاً بأن المراد على صفته ، لأنّه مظهر للصفات الكمالية الالهية ، أو يقال : أن الضمير راجع الى آدم أى صورته المناسبة له اللاتقة به .

باب جوامع التوحيد

الحديث الاول : مرفوع .

أمير المؤمنين عليه السلام استنهض الناس في حرب معاوية في المرة الثانية ، فلما حشد الناس قام خطيباً ، فقال :

الحمد لله الواحد الأحد الصمد المتفرد الذي لا من شيء كان ، ولا من شيء خلق ما كان ، قدرة بان بها من الأشياء وبات الأشياء منه ، فليست له صفة تثال ولا حد تضرب له فيه الأمثال ، كل دون صفاته تحبير اللغات وضل هناك تصاريف الصفات

قوله : حشد، أى جمع، وفي بعض النسخ بالراء بمعناه .

قوله عليه السلام : المتفرد، أى في الخلق والتدبير أو بسائر الكمالات ، «ولا من شيء خلق» أى ليس إحداؤه للأشياء موقوفاً على مادة أو شيء ليس هو موجد .
قوله عليه السلام : قدرة، أى له قدرة ، أو هو عين القدرة بناء على عينية الصفات ، وقيل : نصب على التميز ، أو على أنه منزوع الخافض ، أى ولكن خلق الأشياء قدرة ، أو بقدرة ، وفي التوحيد : قدرته فهو مبتدء «وبان بها» خبره أو خبر «كافية» ، فكانت جملة استينافية ، فكان سائلاً سئل وقال : فكيف خلق لا من شيء ؟ فأجاب بأن قدرته كافية .

قوله : ولا حد ، أى جسماني أو عقلي ، أو ليس لمعرفة ذاته وصفاته تعالى حد ونهاية حتى يضرب له فيه الأمثال ، إذ لا أمثال أنما تصح إذا كان له مشابهة بالممكنات أو مناسبة بينه وبين المدركات بالعقول والمشاعر ، والكلال : العجز والاعياء ، والتجوير التحسين أى أعى قبل الوصول الى بيان صفاته أو عنده تزيين الكلام باللغات البديعة الغريبة « وضل هنالك » أى في ذاته تعالى أوفي توصيفه بصفاته صفات تصاريف صفات الواصفين ، وأنحاء تعبيرات العارفين ، أو ضل وضاع في ذاته الصفات المتغيرة الحادثة فيكون نفيًا للصفات الحادثة عنه تعالى ، أو مطلق الصفات ، أى ليس في ذاته التغيرات الحاصلة من عروض الصفات المتغيرة ، فيكون نفيًا لزيادة الصفات مطلقاً ، كل ذلك أفاده الوالد العلامة قدس الله روحه « في ملكوته » فعلوت من الملك ، وقد يخص بعالم الغيب وعالم المجردات ، والملك بعالم الشهادة وعالم الماديّات ، وأفكر في الشيء وفكر

وچار في ملكوته عميقات مذاهب التفكير ، وانقطع دون الرُّسوخ في علمه جوامع التفسير وحال دون غيبه الممكنون حجب من الغيوب ، تاهت في أدنى أداينها طامحات العقول في لطيفات الأمور .

فتبارك الله الذي لا يبلغه بعد الهمم ولا يناله غوص الفطن وتعالى الذي ليس له

فيه وتفكر بمعنى ، اي تحير في إدراك حقايق ملكوته وخواصتها وآثارها وكيفية نظامها وصدورها عنه تعالى الأفكار العميقة ، الواقعة في مذاهب التفكير أو مذاهب التفكير العميقة ، فيكون إسناد الحيرة إليها إسناداً مجازياً .

« دون الرُّسوخ في علمه » الرُّسوخ : الثبوت اي إنقطع جوامع تفسيرات المفسرين قبل الثبوت في علمه أو عنده ، إشارة إلى قوله تعالى : « والرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ » ^(١) وقد مرَّت الإشارة إلى توجيهه في باب النهي عن التفكر في ذاته تعالى هذا إذا كان المراد بقوله : في علمه ، في معلومه ، ويحتمل ان يكون المراد في العلم به سبحانه أو في إبانة حقيقة علمه سبحانه بالاشياء .

« وحال دون غيبه الممكنون » الممكنون : المستور ، والمراد معرفة ذاته وصفاته ، فالمراد بالحجب الحجب النوراني والظلمانيّة المعنوية من كماله تعالى ونقص مخلوقاته او الأعم منها ومن سائر العلوم المفغية ، فالحجب ايضاً أعمّ أو المراد أسرار الملكوت الأعلى من العرش والكرسي والملائكة ، الحافِثَ بهما وسائر ما هو مستور عن حواسنا بالحجب الجسمانيّة ، والتهيه : التحير ، والادنى : الأقرب ، والاضافة في « طامحات العقول ولطيفات الأمور » من إضافة الصفة إلى الموصوف ، والطامح : المرتفع ، والظرف في قوله : في لطيفات ، متعلق بالطامحات ، بأن يكون « في » بمعنى إلى ، أو حال منه فتبارك إمامشوق من البروك بمعنى الثبات والبقاء أو من البركة وهي الزيادة ، والهمة العزم ، ويقال : فلان بعيد الهمة إذا كانت إرادته تتعلق بالامور العالية ، والمعنى لا تبلغه الهمم العالية الطالبة لأعلى وأبعد ما من شأنها الوصول اليه ، وكذا المراد بغوص

وقتٌ معدود ولا أجلٌ ممدودٌ ولا نعتٌ محدودٌ ، سبحانه الذي ليس له أولٌ مبتدا ولا غايةٌ منتهى ولا آخرٌ يقنى ، سبحانه هو كما وصف نفسه والواصفون لا يبلغون نعته ، وحدّ الأشياء كلها عند خلقه ، إبانة لها من شبهه وإبانة له من شبهها ، لم يحل فيها فيقال : هو فيها كائنٌ ولم ينأ عنها فيقال : هو منها بائنٌ ولم يخل منها فيقال له : أين ، لكنّه سبحانه أحاط بها علمه وأتقنها صنعه وأحصاها حفظه ، لم يعزب عنه خفيات غيوب الهواء ولا غوامض مكنون ظلم الدُّجى ولا ما في السماوات العلى إلى

الفطن : الفطن الغائصة في بحار الفكر لدرك دقائق الأمور .

« ليس له وقت معدود ولا أجل ممدود » اي ليس له زمان متناه ولا غير متناه لخروجه عن الزمان ، أو ليس له زمان متناه ولا غاية لوجوده وان امتدّ الزمان .
« ولا نعت محدود » اي بالحدود الجسمانية أو العقلانية بأن يحاط بنعته « ولا آخر يقنى » أي بعده « هو كما وصف نفسه » اي في كتبه وعلى السنة رسله وحججه وبقلم صنعه على دقاتر الآفاق والأففس ، « حدّ الأشياء كلها » اي جعل للأشياء حدوداً ونهايات أو أجزاء وذاتيات ليعلم بها أنها من صفات المخلوقين ، والخالق منزّه عن صفاتهم ، أو خلق الممكنات التي من شأنها المحدودية ليعلم بذلك أنّه ليس كذلك ، كما قال تعالى ^(١) : فخلقت الخلق لأعرف ، أو خلقها محدودة لأنّها لم يمكن يمكن أن تكون غير محدودة لا امتناع مشابهة الممكن الواجب في تلك الصفات التي هي من لوازم وجوب الوجود ، ولعلّ الأوسط أظهر « ولم يخل منها » اي بالخلو الذي هو بمعنى عدم الملكة ، بقرينة التفرّيع ، اي الخلوّ المحل عن الحال والمكان عن المتسكّن « فيقال له أين » اي يسأل أين هو ، ويمكن أن يقرء أين بالتنوين ، اي يقال أنّه أين ومكان للأشياء ، ثم يبيّن ﷺ نسبته سبحانه إلى الأشياء وكيفية قربها منها ، بقوله « لكنّه سبحانه » النخ ، اي قربها قرب العلية وإحاطته الاحاطة العلمية ، « لم يعزب » اي لم يغيب ، والدجى : جمع دجية بالضم وهي الظلمة .

الأرضين السفلى ، لكل شيء منها حافظ ورفيق وكل شيء منها بشيء محيط ، والمحيط بما أحاط منها .

الواحد الأحد الصمد الذي لا يغيره صروف الأزمان ولا يتكادّه صنع شيء كان ، إنما قال لما شاء : كن فكان ؛ ابتدع ما خلق بلا مثال سبق ولا تعب ولا نصب وكل صانع شيء فمن شيء صنع والله لا من شيء صنع ما خلق ، وكل عالم فمن بعد جهل تعلم والله لم يجهل ولم يتعلم ، أحاط بالأشياء علماً قبل كونها ، فلم يزد بكونها علماً ، علمه بها قبل أن يكونها كعلمه بعد تكوينها ، لم يكونها لتشديد سلطان ولا خوف من زوال ولا نقصان ولا استماعة على ضدّ مناو ، ولا ندّ مكائر ، ولا شريك مكابر ، لكن خلّاق مربوبون وعباد داخرون .

« لكل شيء منها حافظ ورفيق ، الظرف خبر لقوله : حافظ ورفيق ، أو متعلق بكل منهما والمبتداء محذوف أي هو لكل شيء منها حافظ ورفيق ، والأول أظهر فيكون إشارة إلى الملائكة الموكّلين بالعرش والكرسي والسموات والأرضين والبحار والجبال وسائر الخلق .

قوله ^(١) عليه السلام : وكل شيء منها ، أي من السماوات والأرض وما بينهما محيط بشيء منها إحاطة علم وتدير فيكون تأكيداً للسابق على أحد الوجهين أو إحاطة جسمية ، والمحيط بكل من تلك المحيطات علماً وقدرة وتديراً هو الله الواحد بلا تعدّد الأحد بلا مشارك له في الحقيقة « الصمد » المستجمع لجميع كمالاته اللاتئة بذاته الإحدى « الذي لا يغيره صروف الأزمان » أي تغيراتها « ولا يتكادّه » أي لا يشقّ عليه « صنع شيء » من الأشياء « كان » وحصل بتكوينه « ابتدع » وخلق لا من مادة « ما خلق » مخترعاً « بلا مثال سبق » وقوله : ولا تعب ولا نصب إمّا عطف على قوله : مثال ، ولا لتأكيد النفي أو مستأنف ولا لنفي الجنس ، والتعب ضدّ الاستراحة ، والنصب : الإعياء « على ضدّ مناف » وفي بعض النسخ « مناو » أي معاد « ولا ندّ » أي مثل « مكائر » أي يغالبه بالكثرة « ولا شريك مكابر » أي يعارضه بالكبر أو الإنكار للحق ،

فسبحان الذي لا يؤوده خلق ما ابتدأ ولا تدوير ما برأ ، ولا من عجز ولا من فترة بما خلق اكتفى ، علم ما خلق وخلق ما علم ، لا بالتفكير في علم حادث أصاب ما خلق ، ولا شبهة دخلت عليه فيما لم يخلق ، لكن قضاء مبرم وعلم محكم وأمر متقن ، توحد بالربوبية وخص نفسه بالوحدانية واستخلص بالمجد والثناء وتفرّد بالتوحيد والمجد والثناء ، وتوحد بالتحميد وتمجّد بالتمجيد وعلا عن إتخاذ الأبناء وتطهر وتقدس عن ملامسة النساء ، وعز وجلّ عن مجاورة الشركاء ، فليس له فيما خلق ضد ولا له فيما ملك ندو لم يشركه في ملكه أحد ، الواحد الأحد الصمد المبيد للأبد والوارث للأبد ، الذي لم يزل ولا يزال وحدانياً أزلياً ، قبل بدء الدهور وبعد صروف الأمور ، الذي لا يبيد ولا ينفد ، بذلك أصف ربّي فلا إله إلا الله ، من عظيم ما أعظمه ؟ ومن جليل ما أجّله ؟ ومن عزيز ما أعزّه ؟ ! وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

والدخور الصغار والذلّ « لا يؤوده » أي لا يتقل عليه « ولا من عجز » أي لم يكتف بخلق ما خلق لعجز ولا فتور ، بل لعدم كون الحكمة في أزيد من ذلك .
ثم أكد ﷺ ذلك بقوله : « علم ما خلق ، وخلق ما علم » أي ما علمه أن الصلاح في خلقه « ولا شبهة دخلت عليه فيما لم يخلق » بل لم يخلق لعدم الداعي إلى خلقه وإيجاده « لكن » الإيجاد « باقتضاء تام وقضاء مبرم وعلم محكم » وإحاطة بالخير والأصلح « وأمر متقن » أي نظام كامل « استخلص بالمجد والثناء » أي جعلهما مخصوصين بذاته الأحديّة .

« وتوحد بالتحميد » أي باستحقاق الحمد من العباد ، أو بتحميد نفسه ، وفي التوحيد فتحمّد بالتحميد ، يقال : هو يتحمّد على أي يمتن ، أي أنعم علينا واستحق منا الحمد والثناء بأن رخص لنا في تحميده ، أو بأن حمد نفسه ولم يكلّ حده إلينا والتمجّد إظهار المجد والعظمة ، والتمجيد يحتمل الوجهين أيضاً « المبيد للأبد » أي المهلك المفقئ للدهر والزمان والزمانيات « والوارث للأبد » أي الباقي بعد قضاء

وهذه الخطبة من مشهورات خطبه عليه السلام حتى لقد ابتذلها العامة وهي كافية لمن طلب علم التوحيد إذا تدبرها وفهم ما فيها ، فلو اجتمع ألسنة الجن والانس ليس فيها لسان نبي على أن يبينوا التوحيد بمثل ما أتى به - بأبي وأمي - ماقدروا عليه ولو لا إباته عليه السلام ما علم الناس كيف يسلكون سبيل التوحيد ، ألا ترون إلى قوله : « لا من شيء كان ولا من شيء خلق ما كان » فنفي بقوله : « لا من شيء كان » معنى الحدوث ، وكيف أوقع على ما أحدثه صفة الخلق واختراع بلا أصل ولا مثال ، نفياً لقول من قال : إن الأشياء كلها محدثة بعضها من بعض ، وإبطالاً لقول الثنوية الذين زعموا أنه لا يحدث شيئاً إلا من أصل ولا يدبر إلا باحتذاء مثال ، فدفع عليه السلام بقوله : « لا من شيء خلق ما كان » جميع حجج الثنوية وشبههم ، لأن أكثر ما يعتمد الثنوية في حدوث العالم أن يقولوا لا يخلو من أن يكون الخالق خلق الأشياء من شيء أو من لا شيء فقولهم : من شيء خطأ وقولهم من لا شيء مناقضة وإحالة ، لأن « من » توجب شيئاً « ولا شيء » تنفيه ، فأخرج أمير المؤمنين عليه السلام هذه اللفظة على أبلغ الألفاظ وأصحها فقال : لا من شيء خلق ما كان ، فنفي « من » إذ كانت توجب شيئاً ونفي الشيء إذ كان كل شيء مخلوقاً محدثاً لا من أصل أحدثه الخالق ، كما قالت الثنوية : إنه خلق من أصل قديم ، فلا يكون تدبير إلا باحتذاء مثال .

ثم قوله عليه السلام : « ليست له صفة تنال ولا حد تضرب له فيه الأمثال ، كل دون صفاته تحبير اللغات » فنفي عليه السلام أقاويل المشبهة حين شبهوه بالسبيكة والبلورة وغير ذلك من أقاويلهم من الطول والاستواء وقولهم : « متى ما لم تعقد القلوب منه على كيفية ولم ترجع إلى إنبات هيئة لم تعقل شيئاً فلم تثبت صائغاً » ففسر أمير المؤمنين عليه السلام أنه واحد بلا كيفية وأن القلوب تعرفه بلا تصوير ولا إحاطة .

الأمدة أي الغاية والنهاية ، أو امتداد الزمان « وبعد صرف الأمور » أي تغييرها وفنائها وهذا ناظر إلى قوله : لا يزال ، كما أن ما قبله ناظر إلى قوله لم يزل .

قوله : لقد ابتذلها ، أي اشتهرت بينهم ، فكأنها صارت مبتذلة ، ولو لا إباته ،

ثمّ قوله عليه السلام : « الذي لا يبلغه بعد الهمم ولا يناله غوص الفطن وتعالى الذي ليس له وقت معدود ولا أجل ممدود ولا نعت محدود » ؛ ثمّ قوله عليه السلام : « لم يحلل - في الأشياء - فيقال : هو فيها كائن ولم ينأ عنها فيقال : هو منها بائن » فنفي عليه السلام بهاتين الكلمتين صفة الأعراض والأجسام لأنّ من صفة الأجسام التباعد والمباينة ومن صفة الأعراض الكون في الاجسام بالحلول على غير مماسّة ، ومباينة الأجسام على تراخي المسافة .

ثمّ قال عليه السلام : « لكن أحاط بهاعلمه وأتقنهاصنعه » أي هو في الأشياء بالاحاطة والتدبير وعلى غير ملامسة .

٢ - عليّ بن حمّاد ، عن صالح بن أبي حمّاد ، عن الحسين بن يزيد ، عن الحسن ابن عليّ بن أبي حمزة ، عن إبراهيم عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إنّ الله تبارك اسمه

أي تميزه الحق عن الباطل « نفيّاً لقول من قال ، أي من الحكماء والدهرية والملاحدة حيث يقولون بقدم الأنواع ، وإن كلّ حادث مسبوق بآخر لا إلى نهاية » لأنّ أكثر ما يعتمد عليه الثنوية ، لعلّ المراد بالثنوية غير المصطلح من القائلين بالنور والظلمة ، بل القائلين بالقدم وانه لا يوجد شيء إلاّ عن مادة ، لأنّ قولهم بمادة قديمة إثبات لا له آخر ، إذ لا يعقل التأثير في القديم ، فقال عليه السلام : « لا من شيء خلق ، فانه ردّ عليهم بأنّ ترديدهم غير حاصر ، إذ نقيض من شيء لا من شيء لا من لا شيء » فنفي ، أي نفي لفظة من بادخال لا عليها ، إذ كانت نفى من توجب شيئاً ، فلو دخلت على حرف النفي كما قالوا لزم التناقض « ثمّ قوله ، بالجبر عطف على قوله في قوله : ألا تردون الى قوله ... وقوله : ومباينة الاجسام عطف على مماسّته أو على الكون ، أو مبتداء وعلى تراخي المسافة خبره ، ليكون مؤيداً للجملة السابقة فتأمل .

الحديث الثاني : ضعيف على المشهور .

قوله عليه السلام : « إنّ الله تبارك وتعالى اسمه ، أي اسمه ذو بركة عظيمة أو ثابت غير متغيّر ، أو برىء عن العيوب والنقائص ، والجملة الفعلية في محلّ الرفع خبر إنّ ،

وتعالى ذكره وجلّ ثناءؤه ، سبحانه وتقدّس وتفرّد وتوحد ولم يزل ولا يزال وهو الأول والآخِر والظاهر والباطن فلا أوّل لأوّلِيّته ، رفيعاً في أعلى علوّه ، شامخ الأركان ، رفيع البنيان عظيم السلطان ، منيف الآلاء ، سنيّ العلياء ، الذي عجز الواضفون عن كنه صفته ، ولا يطيقون حمل معرفة إلهيته ، ولا يحدّون حدوده ، لأنّه

«وتعالى ذكره» عن الوصف بما يليق بالامكان ، وجلّ ثنائه سبحانه عن إحصاء الألسن واحاطة الأذهان ، وتقدّس عن الاتصاف بما في بقعة الامكان ، وتفرّد بقدرته عن مشاركة الأعوان ، وتوحد بجزّ جلاله عن مجاورة الأمثال ، وإنّخاذ الأزواج والولدان وهو بذاته لم يزل ولا يزال لا باحاطة الدهور والازمان ، وهو الاول الذي يبتدئ منه وجود كلّ موجود والاخر الذي ينتهي إليه أمد كلّ معدود ، وهو باق بعد فناء كلّ موجود ، والظاهر الغالب على الأشياء والمحيط بها بقدرته وعلمه الشامل والباطن الذي لا يصل اليه ولا يحيط به إدراك الاوهام والعقول الكاملة ، فلا أوّل لأوّلِيّته اي لأزليته وقوله : رفيعاً ، منصوب على الحالية أو على المدح .

« في أعلى علوّه » اي في أعلى من الوصف والبيان ، أو الأعلى من كلّ علوّ يصل إليه ويدركه الأوهام ، والأذهان أو يعبر عنه بالعبارة واللسان .
« شامخ الأركان » اي أركان خلقه أو مخلوقاته العظيمة أو صفاته التي هي بمنزلة الأركان ، أو إستعارة تمثيلية بتشبيه المعقول بالمحسوس ، ايضاحاً لعلوّه ورفعته وكذا قوله عَلِيّاً : رفيع البيان يحتمل الوجوه والأول فيه أظهر .

« منيف الآلاء » اي مشرفها على الخلق بالفيضان من بحر جوده أو زايدهامن أناف عليه اي زاد «سنيّ العلياء» رفيعه والعلياء السماء ورأس الجبل والمكان المرتفع وكل ما علا من شيء ، ولعلّ المراد هنا كلّ مرتفع يليق بأن ينسب إليه ، لا يحدّون حدوده اي حدود الربّ سبحانه ، اي لا يقدرّون على تحديده لأنّهم إنّما يقدرّون على التحديد بالكيفيات وأشباهاها وهو سبحانه متعال عن الكيفيات والصفات الزائدة وقال السيد الداماد (ره) : الضمير في حدوده يعود الى الحمل ، يعني : لا يحدّون

بالكيفية لا يتناهي إليه .

٣ - علي بن إبراهيم ، عن المختار بن محمد بن المختار ومحمد بن الحسن ، عن عبد الله ابن الحسن العلوي جميعاً ، عن الفتح بن يزيد الجرجاني قال : ضمنني وأبا الحسن عليه السلام الطريق في منصرفي من مكة إلى خراسان وهو سائر إلى العراق ، فسمعتة يقول : من اتقى الله يتقى ومن أطاع الله يطاع ، فتلطفت في الوصول إليه ، فوصلت فسلمت عليه ، فرد علي السلام ثم قال : يا فتاح من أَرْضَى الخالق لم يبال بسخط المخلوق ومن أسخط الخالق فقم أن يسلط الله عليه سخط المخلوق وإن الخالق لا يوصف إلا بما وصف به نفسه وأنتى يوصف الذي تعجز الحواس أن تدركه، والأوهام أن تناله والخطرات أن تحدّه والأبصار عن الإحاطة به ، جلّ عما وصفه الواصفون وتعالى عما ينعتة الناعتون ، نأى في قربه وقرب في نأيه فهو في نأيه قريب ، وفي قربه بعيد ، كيف الكيف فلا يقال : كيف؟ وأين الإين فلا يقال : أين؟ إذ هو منقطع

حدود حمل معرفته إذ بالوصف لا يدرك الى مداه ، وبالصفة لا يدرك منتهاه ، وبالكيفية لا يتناهي إلى حدّه ولا يخفى بعده .

الحديث الثالث : مجهول وأبو الحسن الثاني كما يظهر من العيون أو الثالث كما يظهر من كشف الغمة وغيره ، «يتقى» أي يخافه كل شيء «يطاع» : أي يجعل الله الخلق مطيعاً له .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : فلطفت ، أي وصلت إليه بلطف ورفق ، أو بحيل لطيفة ، وقال في المغرب هو قمن بكذا وقمين به أي خليف ، والجمع قمنون وقمناء ، وأما قمن بالفتح فيستوى فيه المذكور والمؤنث والاثنان والجمع .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : إذ هو منقطع الكيفوفية ، أي عنده تعالى ينقطع الكيف والأين ، وقيل : يحتمل أن يكون من قبيل الوصف بحال المتعلق ، وعلى صيغة إسم الفاعل أي الكيفوفية والايونوية منقطعة عنه ، ويحتمل أن يكون على صيغة اسم المفعول أي هو منقطع فيه وعنده الكيفوفية والايونوية ، أو إسم مكان أي مرتبته مرتبة انقطع

الكيفية والايونية .

٤ - محمد بن أبي عبدالله رفعه عن أبي عبدالله عليه السلام قال : بينا أمير المؤمنين عليه السلام يخطب على منبر الكوفة إذ قام إليه رجل يقال له : ذعلب ذو لسان بليغ في الخطب ، شجاع القلب ، فقال : يا أمير المؤمنين هل رأيت ربك ؟ قال : ويلك يا ذعلب ما كنت أعبد رباً لم أره ، فقال : يا أمير المؤمنين كيف رأيته ؟ قال : ويلك يا ذعلب لم تره العيون بمشاهدة الابصار ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان ، ويلك يا ذعلب ! إن ربّي لطيف اللطافة لا يوصف باللفظ ، عظيم العظمة لا يوصف بالعظم ، كبير الكبرياء لا يوصف بالكبر ، جليل الجلالة لا يوصف بالغلظ ، قبل كل شيء ، لا يقال شيء قبله ، وبعد كل شيء ، لا يقال له بعد ، شاء الاشياء لا بهمة ، دراك لا بخديعة في

فيها الكيفية والايونية .

الحديث الرابع : مرفوع ، وذعلب اليماني ضبطه الشهيد في قواعده بكسر الذال المعجمة وسكون العين المهملة وكسر اللام .

قوله : بحقائق الايمان ، اى بحقايق هي الايمان أو بمحققاته أو بالتصديقات التي هي أركان الايمان ، أو بالأ توار التي حصلت في القلب من الايمان ، أو بالأ دعانات الحق الثابتة ، أو بما هو حق الايمان به « لطيف اللطافة » اى لطافته تعالى خفية لا تصل إليها العقول ، ولا يوصف باللفظ الجسماني « لا يوصف بالعظم » اى لا يمكن وصف عظمته أو لا يوصف بعظمته الجسم « لا يوصف بالغلظ » اى ليس جلالته تعالى بمعنى الغلظ في الجثة ، أو ليس جلالته مقرونة بالغلظ في الخلق كما في المخلوقين ، « قبل كل شيء » اى بالعلية وسائر أنواع التقدم « لا يقال شيء قبله » بنحو من أنحاء القلبية وأقسامها الازلية « وبعد كل شيء » فينتهى وجود كل شيء إليه ، وهو الباقي بعده « لا يقال له بعد » ينتهى وجوده سبحانه إليه ، وقيل : اى لا يقال له بعد على الاطلاق ومنفرداً عن ذكر القبل كما يقال : هو الاول والآخر ، ولا يقال له الاخر منفرداً عن ذكر الاول « شاء » اسم فاعل أو فعل ماض .

« لا بهمة » اى ارادة وخطور بال ، « لا بخديعة » اى لا بحيلة في إدراكها في

الاشياء كلها غير متمازج بها ولا بائن منها ، ظاهرٌ لا بتأويل المباشرة ، متجلٌ لا باستهلال رؤية ، ناءٍ لا بمسافة ، قريبٌ لا بمداناة ، لطيفٌ لا بتجسم ، موجودٌ لا بعدد ، فاعلٌ لا باضطرار ، مقدّرٌ لا بحركة ، مريدٌ لا بهمامة ، سميعٌ لا بآلة ، بصيرٌ لا بأداة ، لا تحويه الأماكن ولا تضمته الأوقات ولا تحدّه الصفات ولا تأخذه السنوات

الاشياء كلها بعلمه بها وتديره لها «غير متمازج بها» بالمجاورة والخلط «ولا بائن منها» مفارقاً عنها بالبعد ، فإنّ القرب والبعد المكانيّين وما بحكمهما لا يليقان به سبحانه «ظاهر» اي غالب ، أو يبيّن ، وليس غلبته بكونه سبحانه راكباً فوقها ، أو ليس تبيّنه بأن يكون ملموساً أو مدركاً بحسّ «متجلٌ» اي ظاهر غير خفى على عباده بالآيات والأدلة ، لا بظهور وانكشاف من رؤية .

وقال في المغرب أهلّ الهلال واستهلّ مبنياً للمفعول فيهما اذا أبصر ناء من الأشياء بعيد عنها لعجزها عن الوصول إلى معرفة ذاته وحقيقته ، لا يبعد مسافة ، قريب من الأشياء لعلمه بجميعها لا بمداناة ومقارنة «لطيف» اي يدقّ عن ادراك المدارك ، لا بدقّة جسمانيّة «لا باضطرار» اي بكونه مجبوراً على ما يفعله ، بل انما يفعل بعلمه ومشيئته «مقدّر» للأشياء محدّد ومصور لها «لا بحركة» اي حركته أو حركة جوارحه أو بحركة ذهنية كما في المخلوقين «لا بهمامة» اي لا يقصد وخطور بال «ولا تحدّه الصفات» أي توصيفات الناس أو صفات المخلوقين ، والسنة مبدء النوم «سبق الأوقات» بالنصب «كونه» بالرفع ، اذ هو علة لها أو المعنى لم تصل الا زمان اليه بان تتقدّر بها والعدم وجوده ، قيل: المراد أنّه علة لا إعدام الممكنات كما أنّه تعالى علة لوجوداتها لأنّ عدم العالم قبل وجوده كان مستنداً إلى عدم الداعي إلى إيجاده المستند الى وجوده فوجوده سبق عدم الممكنات أيضاً ، أو المراد أزليّته اي كلّ عدم ممكن تفرض اي عدمه السابق المقارن للوجود فهو مقدّم عليه ، أو المراد سبق وجوده على عدمه تعالى ، لأنّ وجوده لما كان واجباً كان عدمه ممتنعاً ، فكان وجوده سابقاً على عدمه ، وغالباً عليه

سبق الاوقات كونه والعدم وجوده والابتداء أزله ، بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر

وقيل : الأعدام تابعة للملكات ، والملكات مصنوعة له ، فالأعدام كذلك .
«والابتداء أزله» أى أزيلته أزيلته لاتجتمع مع الابتداء وتنافيه ، فكلما جعلت له ابتداء فهو موجود لأزيلته قبله ، أو أن أزيلته سبقت بالعلية كل ابتداء ومبتداء ، «بتشعيره المشاعر» أى بايجادها وافاضة وجوداتها وكونها ممكنة موجودة بالايجاد عرف انها مخلوقة له فلا يستكمل بها ، ولا يكون مناط علمه الذاتى ، فلا يكون مشاعر له أو لأننا بعد افاضة المشاعر علمنا إحتياجنا في الإدراك إليها ، فحكمنا بتنزّهه سبحانه عنها لاستحالة إحتياجه تعالى في كماله إلى شيء ، أو لما يحكم به العقل من المباينة بين الخالق والمخلوق في الصفات .

وقال ابن ميثم رحمه الله في شرح النهج : لأنه لو كان له مشاعر لكان وجودها له إما من غيره وهو محال ، وإما منه وهو أيضاً محال ، لأنها ان كانت من كمالات ألوهيته كان موجداً لها من حيث هو فاقد كما لا ، فكان ناقصاً بذاته وهذا محال وإن لم تكن كمالات كان إثباتها له نقصاً ، لأن الزيادة على الكمال نقصان ، فكان ايجاده لها مستلزماً لنقصانه وهو محال .

واعترض عليه بعض الافاضل بوجوه : أحدها بالنقض لأنه لو تم ما ذكره يلزم أن لا تثبت له تعالى صفة كمالية كالعلم والقدرة ونحوهما ، وثانيها : بالحل باختيار شق آخر ، وهو أن يكون ذلك المشعر عين ذاته سبحانه كالعلم والقدرة ، وثالثها : أن هذا الكلام على تقدير تمامه استدلال برأسه لم يظهر فيه مدخلية قوله عَلَيْهِ السَّلَام بتشعيره المشاعر في نفى المشعر عنه تعالى ، وإن ما استعمله لم تثبت به وقد ثبتت بغيره ثم قال : فالاولى أن يقال قد تقرر أن الطبيعة الواحدة لا يمكن أن يكون بعض أفرادها علة لبعض آخر لذاته ، لأنه لو فرض كون نار مثلاً علة لنار فعلية هذه ومعلوليته تلك إما لنفس كونها ناراً فلا رجحان لأحدهما في العلية ، وللأخرى في المعلولية ، بل يلزم أن يكون كل نار علة للأخرى ، بل علة لذاتها ومعلولا لذاتها ،

له وبتجهيره الجواهر عرف أن لا جوهر له وبمضادته بين الأشياء عرف أن لا ضد له

وهو محال وإتكانت العلية لانضمام شيء آخر فلم يكن ما فرضناه علة علة بل العلة حينئذ ذلك الشيء فقط ، لعدم الرجحان في أحدهما للشرطية والجزئية أيضاً ، لاتحادهما من جهة المعنى المشترك ، وكذلك لو فرض المعلولية لاجل ضمنية .

فقد تبين أن جاعل الشيء يستحيل أن يكون مشاركاً لمجموله ، وبه يعرف أن كل كمال وكل أمر وجودي يتحقق في الموجودات الامكانية فنوعه وجنسه مسلوب عنه تعالى ، ولكن يوجد له ما هو أعلى وأشرف منه ، أما الأول فلتعالیه عن النقص وكل مجموع ناقص وإلا لم يكن مقتضياً إلى جاعل ، وكذا ما يساويه في المرتبة كأحاد نوعه وأفراد جنسه ، وأما الثاني فلأن معطى كل كمال ليس بفاقد له ، بل هو منبعه ومعدنه وما في المجمعول رشحه وظله انتهى .

وقيل : المراد مشاعر العبادة وبتجهيره الجواهر ، أي بتحقيق حقايقها عرف أنها ممكنة ، وكل ممكن محتاج إلى مبده ، فمبده المبادئ لا يكون حقيقة من هذه الحقايق وبمضادته بين الأشياء المتضادة من الحقايق النوعية^(١) الصورية الجوهرية أو العرضية وجعلها حقايق متضادة لتحدها بتحديدات من جاعلها لها ، لا يجامع بعضها بعضاً لتخالف حقائقها المتحددة بالحدود المتباينة المتنافية ، وكل حقايق مخلوقة بالحدود متحددة ، والأحدى المقدس عن التحدّيات لا يضادّه المحدود المتنزّل عن مرتبته ، وكيف يضادّ المخلوق خالقه والفائض مفيضه كذا قيل .

وأقول : المراد بالضدّ إما المعنى المصطلح أي موجودان متعاقبان على موضوع أو محل واحد ، أو المعنى العرفي الذي هو المساوي للشيء في القوة ، فعلى الأول نقول : لما خلق الأضداد في محالها ، ووجدناها محتاجة إليها ، علمنا عدم كونه ضد الشيء ، للزوم الحاجة إلى المحل المنافية لوجوب الوجود ، أولاً فلما وجدنا كلاً من الضدين يمنع وجود الآخر ويدفعه وينفيه ، فعلمنا أنه تعالى منزّه من ذلك ، وأما الثاني فلأن المساوي في القوة للواجب يجب أن يكون واجباً ، فيلزم تعدد الواجب وقدم بطلانه

(١) وفي نسخة «النامية» بدل «النوعية» وهو خلاف الظاهر .

وبمقارنته بين الأشياء عُرِفَ أن لا قرين له ، ضادّ النور بالظلمة واليبس بالبلل والخشن باللين والصرد بالحرور ، مؤلف بين متعادياتها ومفرّق بين متدانياتها ، دالة بتفريقها على مفرّقها وتبأليفها على مؤلفها وذلك قوله تعالى : « ومن كلّ شيء خلقنا »

« وبمقارنته بين الأشياء » أي بجعل بعضها مقارناً لبعض كالأعراض ومحالّها ، والممكنات وأمكنتها ، والملزومات ولوازمها « عرف أن لا قرين له » مثلها ، لدلالة كلّ نوع منها على أنواع النقص والعجز والافتقار .

وقيل : أي بجعلها متحدّة بتحدّدات متناسبة موجبة للمقارنة ، عرف أن لا قرين له ، وكيف يناسب المتحدّد بتحدّد خاص دون المتحدّد بتحدّد آخر من لا تحدّد له ، فان نسبة اللاّ تحدّد إلى التحدّدات كلّها سواء « ضادّ النور بالظلمة » بناء على كون الظلمة أمراً وجوديّاً ، وعلى تقدير كونها عدم ملكة ففي تسميتها بالصدّ تجوز ولعلّ المراد بالصدّ غير ما هو المصطلح .

والصرد بفتح الراء وسكونها : البرد « فارسي معرب » والحرور بالفتح : الريح الحارّة « مؤلف بين متعادياتها » كما ألّف بين العناصر المختلفة الكيفيات ، وبين الروح والبدن ، وبين القلوب المشتتة الأهواء وغير ذلك « مفرّق بين متدانياتها » كما يفرّق بين اجزاء العناصر وكيّاناتها للتركيب ، وكما يفرّق بين الروح والبدن ، وبين اجزاء المركبات عند انحلالها ، والأبدان بعد موتها ، وبين القلوب المتناسبة [المتلاصقة] لحكم لا تحصى ، فدلّ التآليف والتفريق المذكوران الواقعان على خلاف مقتضى الطبائع على قاسر يقسرها عليهما ، وكونهما على غاية الحكمة ونهاية الاتقان على علم القاسر وقدرته وحكمته وكماله .

قوله ﷺ : « وذلك قوله » يحتمل أن يكون ذكر الآية استشهاداً بكون المضادة والمقارنة دليلين على عدم إتصافه بهما ، كما فسّر بعض المفسرين الآية بأنّ الله تعالى خلق من كلّ جنس من أجناس الموجودات نوعين متقابلين ، وهما زوجان لأنّ كلّ واحد منهما مزدوج بالآخر كالذكر والانثى ، والسواد والبياض ، والسماء والارض ،

زوجين لعلكم تذكرون»^(١) ففرّق بين قبل وبعد ليعلم أن لا قبل له ولا بعده ، شاهدة

والنور والظلمة ، والليل والنهار ، والحارّ والبارد ، والرطب واليابس ، والشمس والقمر ، والثواب والسيارات ، والسهل والجبل ، والبحر والبر ، والصيف والشتاء ، والجنّ والانس ، والعلم والجهل ، والشجاعة والجنون ، والجود والبخل ، والايمان والكفر ، والسعادة والشقاوة ، والحلاوة والمرارة ، والصحة والسقم ، والغناء والفقر ، والضحك والبكاء ، والفرح والحزن ، والحياة والموت إلى غير ذلك مما لا يحصى ، خلقهم كذلك ليعلم أن لهم موجداً ليس هو كذلك .

ويحتمل أن يكون استشهداً لكون التأليف والتفريق دالّين على الصانع ، لدلالة خلق الزوجين على المفروق والمؤلف لهما لانه خلق الزوجين من واحد بالنوع فيحتاج الى مفروق يجعلهما متفرّقين ، وجعلهما مزاجين مؤتلفين ألفة لخصوصهما ، فيحتاج الى مؤلف يجعلهما مؤتلفين .

وقيل : كل موجود دون الله فيه زوجان اثنان كالمهيّة والوجود ، والوجوب والامكان ، والمادّة والصورة ، والجنس والفصل ، وايضاً كل ماعداه يوصف بالمتضايين كالعليّة والمعلوليّة ، والقرب والبعد ، والمقارنة والمباينة ، والتألف والتفريق والمعادة والموافقة ، وغيرها من الامور الاضافية .

وقال بعض المفسرين : المراد بالشيء الجنس ، وأقل ما يكون تحت الجنس نوعان ، فمن كل جنس نوعان كالجوهر منه المادّي والمجرّد ، ومن المادّي الجماد والنامي ، ومن النامي النبات والمدرّك ، ومن المدرّك الصامت والناطق ، وكل ذلك يدلّ على أنه واحد لا كثرة فيه ، فقله : « لعلكم تذكرون » اي تعرفون من إتصاف كل مخلوق بصفة التركيب والتضاييف والزوجية ، أن خالقهما واحد لا يوصف بصفاتهما .

قله عَلَيْكُمْ : ليعلم أن لا قبل له ، ظاهره في كونه سبحانه زمانياً ويحتمل أن يكون المعني عرفهم معنى القبليّة والبعدية ، ليحكموا بأن ليس شيء قبله ولا

بغرائرها أن لا غريزة لمغريزها ، مخبرة بتوقيتها أن لا وقت لموقتها ، حجب بعضها عن بعض ليعلم أن لا حجاب بينه وبين خلقه ، كان رباً إذ لا مربوب وإلهاً إذ لا مألوه وعالمٌ إذ لا معلوم وسميعاً إذ لا مسموع .

٥ - علي بن محمد ، عن سهل بن زياد ، عن شباب الصيرفي واسمه محمد بن الوليد عن علي بن سيف بن عميرة قال : حدثني إسماعيل بن قتيبة قال : دخلت أنا وعيسى شلقان علي أبي عبد الله عليه السلام فابتدأنا فقال : عجباً لأقوام يدعون علي أمير المؤمنين عليه السلام ما لم يتكلم به قط ، خطب أمير المؤمنين عليه السلام الناس بالكوفة فقال : الحمد لله الملهم عباده حمده وفاطرهم علي معرفة ربوبيته ، الدال علي وجوده بخلقه

بعده ، والغرائز : الطبايع ومغريزها موجد غرائزها ومفيضها عليها ، ويمكن حملها وأمثالها علي الجعل البسيط إن كان حقاً .

وقيل : انما تشهد لتعالیه عن التحدّد الذي إنما يكون بها الطبيعة والغريزة لأنّه تحدّد يلحقه الوجود ، والمتحدّد به خالية في ذاتها عن الوجود ، أو لتعالیه عن التحدّد مطلقاً ، وربما تحمل الغرائز علي الملكات والصفات النفسانية كالشجاعة والسخاوة والشهامة وأمثالها ، وتوقيتها تخصيص حدود كل منهما بوقت ، وبقائها الي وقت ، وحجب بعضها عن بعض ، اي بالحجب الجسمانية ، أو الأعم ليعلم ان ذلك نقص وعجز وهومنزّه عن ذلك ، بل ليس لهم عن الربّ حجاب إلا أنفسهم ، لامكانهم ونقصهم « كان ربّاً » اي قادراً علي الثرية ، إذ هو الكمال ، وفعليتها منوطة بالمصلحة ، وإيّاها إذ لا مألوه ، اي من له الآله ، اي كان مستحقاً للمعبودية إذ لا عابد .

الحديث الخامس : ضعيف .

قوله عليه السلام : ما لم يتكلم ، من تشبيه الله تعالى وإدعاء ألوهيته وامثال ذلك .
قوله عليه السلام : الملهم عباده ، اي خواصهم « حمده » أي حمداً يليق به أو الأعم علي حسب قابليتهم واستعدادهم « وفاطرهم علي معرفة ربوبيته » بإقذارهم علي المعرفة وإطلاعهم عليها بالعلم بالمقدّمات الدالّة عليه بالفعل أو بالقوّة القريبة منه ، أو بما ألقى عليهم من الاقرار به في الميثاق ، كما يظهر من الأخبار الدالّة علي وجوده بخلقه

وبحدوث خلقه على أزلّه وباشتباههم على أن لاشبه له ، المستشهد بآياته على قدرته ،
المتنعة من الصفات ذاته ومن الأبصار رؤيته ومن الأوهام الإحاطة به ، لا أمد لكونه
ولا غاية لبقائه ، لا تشمله المشاعر ولا تحجبه الحجب ، والحجاب بينه وبين خلقه خلقه
إيّاهم ، لامتناعه ممّا يمكن في ذواتهم ولا إمكان ممّا يمتنع منه ، ولافتراق الصانع
من المصنوع ، والحادّ من المحدود ، والربّ من المربوب ، الواحد بلا تأويل عدد
والخالق لا بمعنى حركة ، والبصير لا بأداة السميع لا بتفريق آلة والشاهد لا بمماسّة

لا إمكانهم وإحتياجهم الى المؤثر «وبحدوث خلقه على أزلّه» وفي التوحيد أزيلت يده
على ان الحدوث علّة الحاجة الى العلّة ، وعلى حدوث ما سواه «وباشتباههم» إذ تلك
المشابهات في الامور الممكنة ولوازم الامكان ، وقيل : المراد اشتراكهم في المهيئات
ولوازمها ، إذ الاشتراك يدلّ على التركيب ، وقيل : المراد إشتباههم في الحاجة إلى
المؤثر والمدبّر .

« لا أمد » في الأزل « ولا غاية » اي في الأبد « والحجاب بينه وبين خلقه »
اي أنّما الحجاب بينه وبين خلقه كونه خالفاً بريئاً عن الامكان ، وكونهم مخلوقة
ممكنة قاصرة عن نيل البريء بذاته وصفاته عن الامكان ، فالحجاب بينه وبين خلقه
قصورهم وكماله ، وهذا هو المراد بقوله : لامتناعه ممّا يمكن في ذواتهم .

« ولا مكان » بالتنوين عوض المحذوف اي لا إمكان ذواتهم أو ما في ذواتهم ممّا
يتمتع منه ذاته تعالى ، وقيل : اي يمكن له بالامكان العام ما يمتنع منه ذواتهم
كالوجوب والأزليّة ، ولا يخفى ما فيه .

« بلا تأويل عدد » بأن يكون له تعالى ثانٍ من نوعه أو يكون مرّكباً فيطلق
عليه الواحد بتأويل أنّه واحد من نوع مثلاً « لا بمعنى حركة » اي جسمانيّة أو
نفسانيّة .

« لا بتفريق آلة » اي لا بألة مغايرة لذاته أو بادخال شيء فيها ، فانه يتضمّن
التفريق ، وفي التوحيد : السميع لا بأداة البصر ، البصير لا بتفريق آلة ، اي بفتح العين

والباطن لا باجتنان، والظاهر البائن لا يتراخي مسافة ، أزله نُهية لمجاول الأفكار ودوامه ردع لطامحات العقول، قد حسر كنهه نوافذ الأبصار و قمع وجوده جوائل الأوهام فمن وصف الله فقد حدّه ومن حدّه فقد عدّه ومن عدّه فقد أبطل أزله ومن قال :

أو بعث الأشعة وتوزيعها على المبصرات ، على القول بالشعاع ، أو تقلب الحديقة وتوجيهها مرّة إلى هذا المبصر ، ومرّة إلى ذلك كما يقال فلان مفرّق الهمّة والخواطر اذا وزّع فكره على حفظ أشياء متباينة ومراعاتها « لا باجتنان » الاجتنان: الاستتار ، أي أنّه باطن بمعنى أن العقول والافهام لا تصل الى كنهه لا باستتاره بستر وحجاب ، أو علم البواطن لا بالدخول فيها والاستتار بها .

والنُهية بضم النون وسكون الهاء وفتح الياء اسم من نهاء ضد أمره ، والمجاول بالجيم جمع مجول بفتح الميم ، وهو مكان الجولان وزمانه ، أو مصدر، والردع: المنع والكفّ ، والحسر: الإعياء يتعدّى ولا يتعدّى ، والمراد هنا المتعدّي ، والقمع : القلع والجوائل جمع جائل أو جائلة من الجولان .

قوله ﷺ : فمن وصف الله ، بالصورة والكيف فقد جعله جسماً ذا حدود ومن جعله ذا حدود فقد جعله ذا أجزاء ، وكلّ ذي اجزاء محتاج حادث ، أو من وصف الله وحاول تحديد كنهه فقد جعله ذا حدّ مركّب من جنس وفصل ، فقد صار حقيقته مركّبة محتاجة إلى الأجزاء حادثة، أو من وصف الله بالصفات الزائدة فقد جعل ذاته محدودة بها ، ومن حدّه كذلك فقد جعله ذا عدد ، إذ اختلاف الصفات انما تكون بتعدّد أجزاء الذات ، أو قال : بتعدّد الآلهة ، إذ يكون كلّ صفة لقدمها إلهاً غير محتاج إلى علّة ، ومن كان مشاركاً في الالهية لا يكون قديماً فيحتاج إلى علّة أو جعله مع صفاته ذا عدد ، وعروض الصفات المغايرة الموجودة ينافي الأزليّة ، لأنّ الاتصاف نوع علاقة توجب احتياج كلّ منهما الى الآخر ، وهو ينافي وجوب الوجود والأزليّة ، أو المعنى أنّه على تقدير زيادة الصفات يلزم ترّكّب الصانع إذ ظاهر أنّ الذات بدون ملاحظة الصفات ليست بصانع للعالم ، فالصانع المجموع ، فيلزم ترّكّبه

أين ؟ فقد غيَّاه ومن قال : علام ؟ فقد أخلى منه ومن قال فيم ؟ فقد ضمَّته .

٦ - ورواه محمد بن الحسين ، عن صالح بن حمزة ، عن فتح بن عبد الله مولى بني هاشم قال : كتبت إلى أبي إبراهيم عليه السلام أسأله عن شيء من التوحيد ، فكتب إليّ بخطه : الحمد لله الملهم عباده حمده - وذكر مثل ما رواه سهل بن زياد إلى قوله - : وقمع وجوده جوائل الأوهام - ثم زاد فيه - : أوّل الديانة به معرفته وكمال معرفته توحيد وكمال توحيد و نفي الصفات عنه ، بشهادة كل صفة أنّها غير الموصوف وشهادة الموصوف أنّه غير الصفة ، وشهادتهما جميعاً بالتثنية الممتنع منه الأزل ؛ فمن وصف الله

المستلزم للجاحّة والإمكان .

وقيل : المعنى فقد عدّه من المخلوقين « ومن قال : أين فقد غيَّاه » أي جعل له نهاية ينتهي لها إلى إبنه أو جعله جسماً ذا غايات ونهايات « ومن قال على م ؟ » أي على ما وعلى أي شيء هو « فقد أخلى منه » غير ما جعله سبحانه عليه « ومن قال : فيم ؟ » أي فيما هو « فقد ضمَّته » أي حكم بكونه في شيء محيط به .

الحديث السادس : مجهول والديانة مصدر دان يدين ، وفي المصادر الديانة « دين دار گشتن » ويعدّي بالباء ، والمعنى أوّل التدين بدين الله معرفته ، أي العلم بوجوده وكمال والتقدّس عما لا يليق به وأوّليتها ظاهرة لكونها أشرف المعارف ، وتوقف سائر المعارف وصحّة جميع الاعمال عليه « وكمال معرفته توحيد » أي اعتقاد كونه متوحداً غير مشارك لغيره في الهيئته وفي صفاته الذاتية فضلاً عن المشاركة في الذاتي وكمال توحيد و نفي الصفات الزائدة عنه ، لشهادة كل من الصفة والموصوف بمغايرته للآخر ، وفيه ردّ على الاشاعرة القائلين أنّ صفاته سبحانه لا عينه ولا غيره .

والمغايرة موجب لأحد أمور : إمّا كونهما قديمين فيلزم تعدّد الواجب ، واحتياج كلّ من الواجبين إلى الآخر كما مرّ ، أو حدوث الصفة ، فيلزم كونه تعالى محلاً للحوادث ، وكونه ناقصاً في ذاته وهو أيضاً ينافي الازليّة ، ولو قيل : الصانع هو المجموع فيلزم ترّكبه وافتقاره مع لزوم تعدّد الواجب أيضاً ، فمن قال

فقد حدّه ومن حدّه فقد عدّه ، ومن عدّه فقد أبطل أزلّه ومن قال : كيف ؟ فقد استوصفه ومن قال : فيم ؟ فقد ضمّنه ومن قال على م ؟ فقد جهله ومن قال : أين ؟ فقد أخلى منه ، ومن قال ما هو ؟ فقد نعتّه ومن قال : إلى م ؟ فقد غاياه ، عالم إذ لا معلوم وخالق إذ لا مخلوق ، وربُّ إذ لا مربوب وكذلك يوصف ربنا وفوق ما يصفه الواصفون .
٧ - عدّه من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن أبيه ، عن أحمد بن النضر وغيره ، عن ذكره ، عن عمرو بن ثابت ، عن رجل سمّاه ، عن أبي إسحاق السبيعي عن الحارث الأعور قال : خطب أمير المؤمنين عليه السلام خطبة بعد العصر ، فمجب الناس من حسن صفته وما ذكره من تعظيم الله جلّ جلاله ، قال أبو إسحاق : فقلت للحارث : أو ما حفظتها ؟ قال : قد كتبتها فأملأها علينا من كتابه : الحمد لله الذي لا يموت ولا تنقضي عجائبه ، لأنه كل يوم في شأن من إحداث بديع لم يكن ، الذي لم يلد فيكون

كيف ؟ فقد طلب وصفه بصفات المخلوقين ، وقد نفى عنه « ومن قال على م ؟ فقد حمّله ، أي جعله معمولاً ومحتاجاً إلى ما يحمله ^(١) » ومن قال أين ؟ فقد أخلى منه ، أي جعله مخصوصاً بأين خاص ، وأخلى منه سائر الأيون ، والحال أن نسبته إلى الأيون على السواء « فقد نعتّه » أي بما يقع في جواب ما هو من مهية وحقيقة كلية أو صفات المخلوقين ، فلذا سأل عن كنهه « ومن قال إلى م ؟ » أي إلى أي زمان يكون موجوداً ، « فقد غاياه » أي جعل لوجوده غاية ولا غاية له أزلاً وأبداً .

الحديث السابع : مرسل .

قوله عليه السلام : ولا تنقضي عجائبه ، أي كلما تأمل الإنسان يجد من آثار قدرته وعجائب صنعته ما لم يكن وجده قبل ذلك ولا ينتهي إلى حدّ ، أو أنه كل يوم يظهر من آثار صنعه خلق عجيب وطور غريب يحار فيه العقول والافهام ، والثاني بالتعليل أنسب ، وفيه ردّ على اليهود حيث قالوا : يد الله مغلوله « فيكون في العز مشاركة الولد لوالده في العز واستحقاق التعظيم ، أو المعنى أنه ولد فيشاركه في الحقيقة

(١) كذا في النسخ ومنه يظهر أن نسخة الشارح (ره) « فقد حمّله ، بدل « فقد جهله » .

في المزمّ مشاركاً ولم يولد فيكون موروثاً هالكاً ، ولم تقع عليه الأوهام فتقدّره شعباً مائلاً ، ولم تندركه الأبصار فيكون بعد انتقالها حائلاً ، الذي ليست في أوليته نهاية ولا

الاحدية صارت سبباً لمزّته لأنّ التوالد عبارة عن كون الشيء مبدئاً لما هو مثله في نوعه وجنسه ، فيلزم مشاركته معه في الحقيقة ، فيلزم ترّكّبه سبحانه وكونه ممكناً محتاجاً ، فينافي عزّته ووجوب وجوده « فيكون موروثاً » أي يرثه ولده بعد موته كما هو شأن كلّ والد .

والحاصل أنّ كلّ مولود معلول حادث ، وكلّ حادث بمعرض الهلاك والفناء . وإيضاً السبب الحقيقي للتوالد والتناسل حفظ بقاء النوع الذي لا يمكن له البقاء الشخصي ، فكلّ مولود لابدّ أن يكون كوالده موروثاً حادثاً هالكاً في وقت وإن كان وارثاً موجوداً في وقت آخر .

« فتقدّره شعباً مائلاً ، أي قائماً أو مائلاً ومشابهاً للممكنات ، إذ الوهم رئيس القوى الحسية والخيالية ، فكلّ ما يدركه من الذوات يصوّره بقوّته الخيالية شخصاً متقدّراً كأنّه يشاهده شعباً حاضراً عنده ، مائلاً بين يديه فإن كان تصوّره للرّب سبحانه على هذا الوجه مطابقاً للواقع يلزم كونه تعالى جسماً مقداريّاً محدوداً وهو محال ، وإن كان كاذباً فلم يكن أدركه بل أدرك أمراً آخر ، فهو تعالى منزّه من أن يقع عليه وهم .

« فيكون بعد انتقالها حائلاً ، أي متغيّراً ، من حال الشيء يحول إذا تغيّر أي لا تندركه الابصار ، وإلاّ لكان بعد انتقالها عنه متغيّراً ومنقلباً عن الحالة التي كانت له عند الابصار من المقابلة والمحاذاة و الوضع الخاص وغير ذلك ، أو عن حلوله في الباصرة بزوال صورته الموافقة له في الحقيقة عنها ، وقيل : المراد بانتقالها عنه مرور الأزمنة عليه سبحانه ، وفناء الرائيين وحدوث جماعة أخرى متغيّراً من حال إلى حال كما هو شأن المبصرات .

وبعض الأفاضل قرء بعد مضمومة الباء مرفوعة الاعراب ، على أن يكون اسم كان ، والحائل بمعنى الحاجز أي كان بعد انتقال الابصار إليه حائلاً من رؤيته ، ومنهم

لآخريته حدث ولا غاية ، الذي لم يسبقه وقت ولم يتقدمه زمان ، ولا يتعاوره زيادة ولا نقصان ، ولا يوصف بأين ولا بم ولا مكان ، الذي بطن من خفيات الأمور وظهر في العقول بما يرى في خلقه من علامات التدبير ، الذي سئلت الانبياء عنه فلم تصفه بحد ولا ببعض ، بل وصفته بفعاله ودلت عليه بآياته ، لا تستطيع عقول المتفكرين جرده ، لأن من كانت السماوات والأرض فطرته وما فيهن وما بينهن وهو الصانع لهن ، فلا مدفع لقدرته ، الذي نأى من الخلق فلا شيء كمثلته ، الذي خلق خلقه لعبادته وأقدرهم على طاعته بما جعل فيهم ، وقطع عذرهم بالحجج ، فمن بينة هلك

من قرء خائلاً بالخفاء المعجزة اي ذا خيال وصورة متمثلة في المدرك ، والتعاور: الورد على التناوب « لم يوصف بأين » اي بمكان فيكون نفي المكان تأكيداً أو بجهة مجازاً « ولا بما ؟ » (١) إذ ليست له مهية يمكن أن تعرف حتى يسئل عنها بما هو .

قوله ﷺ : بطن من خفيات الامور ، اي أدرك الباطن من خفيات الامور وفذ علمه في بواطنها ، أو المراد ان كنهه تعالى أبطن وأخفى من خفيات الامور مع أن وجوده أجلى من كل شيء في العقول بما يرى في خلقه من آثار تدبيره بحد ولا ببعض ، اي بكونه محدوداً بحدود جسمانية أو عقلانية أو باجزاء وأبعاض خارجية أو عقلية وقيل : اي لم يحسبوا بحد ولا ببعض حد وهو الحد الناقص كالجواب بالفصل القريب دون الجنس القريب ، بل عدلوا عن الوصف بالحد تاماً أو ناقصاً إلى الرسوم الناقصة وهو الوصف له تعالى بفعاله كما قال الكليم ﷺ في جواب : وما رب العالمين ؟ « رب السماوات والأرض وما بينهما » الآيات (٢) .

قوله ﷺ : بما جعل فيهم ، اي من الأعضاء والجوارح والقوة والاستطاعة « بالحجج » أي الباطنة وهي العقول ، والظاهرة وهي الانبياء والاولياء « فمن بينة » اي بسبب بينة واضحة أو معرضاً ومجاوزاً عنها ، أو عن بمعنى بعد اي بعد وضوح بينة

(١) وفي المتن « ولايم » .

(٢) سورة الشعراء: ٢٣ .

من هلك وبمنته نجا من نجا ، والله الفضل مبدءاً ومعيداً ، ثم إن الله وله الحمد افتتح الحمد لنفسه وختم أمر الدنيا ومحل الآخرة بالحمد لنفسه ، فقال : «وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين»^(١).

الحمد لله اللابس الكبرياء بلا تجسيد والمرتي بالجلال بلا تمثيل والمستوي

«وبمنته نجا من نجا» أي بلطفه وتوفيقه وإعداد الآلات وهدايته في الدنيا وبغفوه ورحمته وتفضله في الثواب بلا استحقاق في الآخرة نجا الناجون ، فقوله : «الله الفضل»^(٢) وفي التوحيد وعن بيته نجا من نجا فالثاني لا يجري فيه «مبدء ومعيداً» مترتب على ذلك أي حال التكليف في الدنيا وحال الجزاء في الآخرة ، ويحتمل أن يكون المراد حال إبداء الخلق وإيجادهم في الدنيا وحال إرجاعهم وإعادتهم بعد الفناء أو مبدءاً حيث بدء العباد مفظورين على معرفته قادرين على طاعته ومعيداً حيث لطف بهم ومن عليهم بالرسل والائمة الهداة .

«وله الحمد» الجملة اعتراضية «افتتح الحمد لنفسه» أي في التنزيل الكريم أو في بدو الایجاد بإيجاد الحمد ، أو ما يستحق الحمد عليه ، وفي التوحيد: افتتح الكتاب بالحمد، وهو يؤيد الأول «ومحل الآخرة» أي حلولها وربما يقرء بسكون الحاء وهو الجذب وانقطاع المطر والمجادلة والكيد ، أو بالجيم وهو أن يجتمع بين الجلد واللحم ماء من كثرة العمل وشدته ، وعلى التقديرين كناية عن الشدة والمصيبة أي ختم أمر الدنيا وشدائد الآخرة وأحوالها بالحمد لنفسه على القضاء بالحق فعلم أن الافتتاح والاختتام بحمده من محاسن الآداب .

وفي التوحيد: ومجيء الآخرة، أي ختم أول أحوال الآخرة وهو الحشر والحساب ويمكن أن يقدر فعل آخر يناسبه ، أي بدء مجيء الآخرة «وقضى بينهم» أي بادخال بعضهم الجنة وبعضهم النار ، ويظهر من الخبر أن الفائز هو الله ، ويحتمل أن يكون الملائكة بأمره تعالى .

«بلا تمثيل» أي بمثال جسماني ، وهذا وما تقدمه دفع لما يتوهم من أن

على العرش بغير زوال والمتعالي على الخلق بلا تباعد منهم ولا ملامسة منه لهم ، ليس له حدٌّ ينتهى إلى حدٍّ ولا له مثلٌ فيعرف بمثله ، ذلٌّ من تجبّر غيره ، وصغر من

الكبر والعظم والجلالة ونحوها لا تكون إلّا في الاجساد والأشباح ذوات المقادير والاوزاع ، ولا شكّ أنّه سبحانه منزّه عن الجسمانيّات وصفاتها ، فنبه على أنّ كبريائه وجلاله على وجه أعلى وأشرف ممّا يوجد في المحسوسات والمتمثلات .

قوله : بلا زوال ^(١) أي بغير استواء جسماني يلزمه امكان الزوال أولاً يزول اقتداره واستيلائه أبداً «المتعالي عن الخلق» بالشرف والعلية والتنزّه عن صفاتهم ، لا بما يتوهم من تراخي مسافة بينهما كالفلك بالنسبة إلى الارض أو بمماسّة كالماء والهواء بالنسبة اليهما أو قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : «ولا ملامسة نفي لما يتوهم من نفي التباعد من تحقق الملامسة ونحوها ، قضية للتقابل بينهما قياساً على الجسمانيّات ، فإنّ المتقابلين كليهما منفيّان عنه وإثما يتّصف بأحدهما ما يكون قابلاً للإتصاف بهما ، كما يقال : الفلك ليس بحارّ ولا بارد ، والجدار ليس بأعمى ولا بصير » ليس له حدٌّ ينتهى إلى حدٍّ ، أي الحدود الجسمانيّة فينتهى هو إلى حدٍّ على بناء الفاعل أو الحد المنطقي فينتهى على بناء المفعول إلى تحديده به أو لاحدٍ لتوصيفه ونعمته ، بل كلّما بالغت فيه فأنّت مقصّر . « ذلٌّ من تجبّر غيره » قوله : غيره ، حال عن فاعل تجبّر وكذا قوله : دونه ، حال عن فاعل تكبّر والضميران راجعان إليه سبحانه ، أي ذلٌّ له كلٌّ من تجبّر غيره ، فإنّ كلّما يفايزه ممكن مخلوق ذليل للخالق الجليل .

« وصغر » كلّ من تكبّر دونه ، فإنّ جميع ماسواه موصوف بالصغار أو الصغر لدى خالقه الكبير المتعال ، أو المعنى أنّ عزّ المخلوق ورفقته إثما يكون بالتذلل والخضوع اللاتقيّن به ، وبهما يكتسب افاضة الكمال من خالقه فإذا تجبّر وتكبّر استحق الحرمان والخذلان فيزداد صغراً إلى صغره ، وذلاًّ إلى ذلّه ، فلا يرتفع من درجة

(١) كذا في النسخ لكن في المتن « بغير زوال » و لعله موافق لنسخة الشارح (ره)

تكبر دونه وتواضعت الأشياء لعظمته وانتقادت لسلطانه وعزته وكلت عن إدراكه
طروف العيون ، وقصرت دون بلوغ صفته أوهام الخلائق ، الأول قبل كل شيء ولا
قبل له ، والآخر بعد كل شيء ولا بعد له ، الظاهر على كل شيء بالقهر له والمشهد
لجميع الأماكن بلا انتقال إليها ، لا تلمسه لامسة ولا تحسه حاسة ، هو الذي في
السماء إله وفي الأرض إله وهو الحكيم العليم ، أتقن ما أراد من خلقه من الأشباح
كلها ، لا بمثال سبق إليه ولا لغوب دخل عليه في خلق ما خلق لديه ، ابتداء ما أراد
ابتداه وأنشأ ما أراد إنشاء على ما أراد من الثقلين الجن والانس ، ليعرفوا بذلك
ربوبيته وتمكن فيهم طاعته .

لحمده بجميع محامده كلها على جميع نعمائه كلها ، وتستهديه لمرشد أمورنا

النقص إلى الكمال ، ولا يزال في الدارين هابطاً في دركات النقص والوبال .
« لعظمته » أي عند عظمته أو عنده بسبب عظمته ، والإحتمالان جاريان فيما
بعده « طروف العيون » جمع طرف وهو تحريك الجفن بالنظر أو جمع طارف بمعنى
طامح ، وفي الفائق : طرفت عينه أي طمحت « والظاهر على كل شيء » أي الغالب عليه
بالقهر له على الإيجاد والإفناء ، وأجراء كل ما أراد فيه .
« هو الذي في السماء إله » أي مستحق لأن تعبدته وتخضع له السماوات وما
فيها وتتواضع لعظمته وتنقاد لسلطانه وعزته لربوبيته لها « وفي الأرض إله » أي مستحق
لأن نخضع له وتعبد الأرض وما فيها وما عليها وتنقاد لسلطانه وعزته « أتقن » أي
أحكم ما أراد من خلقه متعلق بأراد أو بيان لما « من الأشباح » بيان لما على الأول
ولخلفه على الثاني ، ويحتمل أن تكون من الأولى تبعيضية ، والأشباح : الأشخاص
المتغايرة والصور المتباينة النوعية والشخصية .

« لا بمثال » في التوحيد بلا مثال ، أي لا في الخارج ولا في الذهن « سبق » أي
ذلك المثال « إليه » تعالى ، أو سبق الله إلى ذلك المثال ، وربما يقرأ على بناء المفعول أي
سبق غيره تعالى إلى خلق ذلك المثال ، « ولا لغوب » أي تعب ، ويمكن إرجاع ضمير

ونعوذ به من سيئات أعمالنا ، ونستغفره للذنوب التي سبقت منّا ، ونشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله ، بعثه بالحقّ نبياً دالاً عليه وهادياً إليه ، فهدى به من الضلالة واستنقذنا به من الجهالة ، من يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ونال ثواباً جزيلاً ، ومن يعص الله ورسوله فقد خسر خسراً مبيناً واستحقّ عذاباً أليماً فأطيعوا بما يحقّ عليكم من السمع والطاعة وإخلاص النصيحة وحسن المؤازرة

لديه إليه تعالى وإلى الخلق ، فالظرف على الأول متعلق بخلق ، وعلى الثاني بدخل «ويمكّن» على التفعيل أي بايجاد القوة والقدرة عليها وتركيب العقول المميّزة فيهم ، وفي بعض النسخ بالتاء من باب التفعّل بحذف إحدى التائين ، والمحامد جمع محمودة وهي ما يحمد به من صفات الكمال ، وقال الفيروز آبادي : المراد مقاصد الطرق .
«دالاً عليه» أي على الله أو على الحق الذي بعث به ، والأول أظهر .

«ومن يعص الله ورسوله» وضع الظاهر موضع الضمير لتعظيمها ، والالتذاذ بذكرهما أو ليعلم تقديم الله على الرسول ، ولا يتوهّم كونهما في درجة واحدة .
ولعلّ أحد هذه الوجوه علّة الذمّ فيما رواه مسلم عن عدّي بن حاتم إن رجلاً خطب عند النبي ﷺ فقال : من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فقد غوى فقال رسول الله ﷺ : بشّ الخطيب أنت ، قل : ومن يعص الله ورسوله فقد غوى مع أنه قد ورد في كثير من الخطب بالضمير ايضاً .

«فأطيعوا» في بعض النسخ بالنون والجيم من قولهم أنجع أي أفلح ، أي أفلحوا بما يجب عليكم من الأخذ سماعاً وطاعة ، أو من النجعة بالضم وهي طلب الكلاء من موضعه ، وفي بعضها بالياء الموحدة فالخاء المعجمة ، قال الجزري : فيه : أناكم أهل اليمن هم أرقّ قلوباً وأبّخ طاعة ، أي أبلغ وأصح في الطاعة من غيرهم كأنهم بالغوا في بخع أنفسهم أي قهرها وإذلالها بالطاعة ، وقال الزمخشري في الفائق : أي أبلغ طاعة من بخع الذبيحة إذا بالغ في ذبحها ، وهو أن يقطع عظم رقبتها ، هذا أصله ثم كثر حتى استعمل في كلّ مبالغة ، ف قيل : بخعت له نصحي وجهدي وطاعتي .

«واخلاص النصيحة» أي لله ولكتابه ولرسوله وللأئمة ولعامة المسلمين

وأعينوا على أنفسكم بلزوم الطريقة المستقيمة وهجر الأمور المكروهة ، وتعاطوا الحق بينكم وتعاونوا به دوني ، وخذوا على يد الظالم السفية ، ومروا بالمعروف وانهاوا عن المنكر واعرفوا لذوي الفضل فضلهم ، عصمنا الله وإياكم بالهدى وثبتنا وإياكم على التقوى وأستغفر الله لي ولكم .

﴿ باب النوادر ﴾

١ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن علي بن النعمان ، عن سيف ابن عميرة ، عن ذكره ، عن الحارث بن المغيرة النصري قال : سئل أبو عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى : « كل شيء هالك إلا وجهه » ^(١) : فقال : ما يقولون فيه ؟

وإخلاصها تصفيتها من الغش ، والموازرة المعاونة أي المعاونة الحسنة على الحق .
« وأعينوا على أنفسكم » أي على إصلاحها أو ذللوها وأقهروها فالمراد النفس الأتمة بالسوء ، وفي التوحيد أعينوا أنفسكم أي على الشيطان .
« وتعاطوا الحق » أي تناولوه بأن يأخذه بعضهم من بعض ليظهر ولا يضيع « دوني » أي عندي وقريباً مني أو قبل الوصول إليّ أو حالكون الحق عندي .
« وخذوا على يد الظالم » أي إمنعوه عن الظلم وأقهروه على تركه ، والسفية من يتبع الشهوات النفسانية ، وذو الفضل : العثرة الطاهرة ، أو يشمل غيرهم من العلماء والصلحاء والذرية الطيبة والوالدين وأرباب الإحسان على قدر مراتبهم ، عصمنا الله وإياكم عن اتباع الباطل بالهدى إلى الحق .

باب النوادر

الحديث الاول : مرسل .

قوله تعالى : « إلا وجهه » ، قيل فيه وجوه :

الاول : ان المعنى كل شيء فان بائد إلا ذاته ، وهذا كما يقال هذا وجه الرأي

قلت : يقولون : يهلك كل شيء إلا وجه الله ، فقال : سبحانه الله لقد قالوا قولاً عظيماً
إنما عني بذلك وجه الله الذي يؤتى منه .

ووجه الطريق، قاله الطبرسي (ره) ، وقال : في هذا دلالة على أن الاجسام تفتنى ثم تعاد
على ما قاله الشيوخ في الفناء والاعادة .

الثاني : ما ذكره الطبرسي أيضاً : أي كل شيء هالك إلا ما أريد به وجهه ، فانه
يبقى ثوابه عن ابن عباس .

الثالث : أن كل شيء هالك فإن الممكن في حد ذاته معدوم حقيقة إلا ذاته
سبحانه ، فانه الموجود بالذات بالوجود الحقيقي .

الرابع : أن المعنى كل شيء هالك وإنما وجوده وبقائه وكماله بالجهة المنسوبة
إليه سبحانه ، فانه علّة لوجود كل شيء وبقائه وكماله ، ومع قطع النظر عن هذه
الجهة فهي فانية باطلة هالكة، وهذا وجه قريب خطر بالبال وإن قال قريباً منه بعض
من يسلك مسالك الحكماء على أذواقهم المخالفة للشريعة .

الخامس : أن المعنى كل شيء هالك أي باطل إلا دينه الذي به يتوجه إليه
سبحانه ، وكل ما أمر به من طاعته ، وقد وردت أخبار كثيرة على هذا الوجه .

السادس : أن المراد بالوجه : الانبياء والادوياء صلوات الله عليهم ، لأن الوجه
ما يواجه به ، والله سبحانه إنما يواجه عباده ويخاطبهم بهم ﷺ ، وإذا أراد العباد
التوجه إليه تعالى يتوجهون إليهم ، وبه أيضاً وردت أخبار كثيرة منها هذا الخبر .

السابع : أن الضمير راجع الى الشيء أي كل شيء بجميع جهاته باطل فإن
إلا وجهه الذي به يتوجه الى ربه وهو روحه وعقله ومحل معرفة الله منه ، التي
تبقى بعد فناء جسمه وشخصه ، وربما ينسب هذا الى الرواية عنهم ﷺ ، وأما وصفه
عليه السلام قولهم بالعظم، فالظاهر انه لا يثبتهم له سبحانه وجهاً كوجوه البشر ، ومن
قال ذلك فقد كفر ، وقيل : كان مرادهم فناء كل شيء غير ذاته تعالى فاستعظمه وأنكره
عليه السلام ، إذ من المخلوقات ما لا يقنى ، ولا يخفى بعده .

٢ - عدةٌ من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن صفوان الجمال ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل : « كلُّ شيء هالكٌ إلا وجهه » ^(١) قال : من أتى الله بما أمر به من طاعة محمد صلى الله عليه وآله فهو الوجه الذي لا يهلك وكذلك قال : « ومن يطع الرسول فقد أطاع الله » ^(٢).

٣ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن محمد بن سنان ، عن أبي سلام النخاس ، عن بعض أصحابنا ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : نحن المثنائي الذي أعطاه الله

الحديث الثاني : صحيح .

قوله : فهو الوجه ، الضمير راجع الى الموصول اي من أتى بجميع ما أمر الله به فهو وجه الله في خلقه ، وهم الائمة عليهم السلام كما أن الرسول صلى الله عليه وآله كان في زمانه وجه الله ، ثم استشهد عليه السلام بقوله تعالى : « من يطع الرسول فقد أطاع الله » فهو وجه الله الذي من توجه إليه توجه إلى الله فيرجع الى الوجه السادس ، أو الضمير راجع إلى الاثنيان اي الاثنيان بما أمر الله هو الجهة التي يتوجه بها الى الله ، والاستشهاد من جهة أن العمل بما أتى به الرسول طاعة الله وتوجه إليه ، مع أنه في أكثر النسخ كذلك فلا يكون تعليلاً بل بياناً لأن طاعة الرسول صلى الله عليه وآله ايضاً توجه إلى الله ، فلا تهلك ولا تضيع فيرجع الى الخامس لكن الاول اظهر .

الحديث الثالث : ضعيف .

قوله عليه السلام : نحن المثنائي ، اشارة الى قوله عز وجل : « ولقد آتيناك سبعاً من المثنائي و القرآن العظيم » ^(٣) والمشهور بين المفسرين انها سورة الفاتحة ، وقيل : السبع الطوال ، وقيل : مجموع القرآن لقسمته أسباعاً ، وقوله : من المثنائي بيان للسبع والمثنائي من التثنية أو الثناء ، فان كل ذلك مثني تكرر قرائته وألفاظه أو قصصه ومواعظه ، أو مثني بالبلاغة والاعجاز ، أو مثني على الله بما هو أهله من صفاته العظمى

(٢) سورة النساء : ٧٩ .

(١) سورة القصص : ٨٨ .

(٣) سورة الحجر : ٨٧ .

وأسمائه الحسني ، ويجوز أن يراد بالملثاني القرآن أو كتب الله كلها ، فتكون من للتبعيض. وقوله ^(١) «والقرآن العظيم» إن أريد بالسبع الآيات أو السور فمن عطف الكل على البعض أو العام على الخاص ، وإن أريد به الإِسْبَاع فمن عطف أحد الوصفين على الآخر ، هذا ما قيل في تفسير ظهر الآية الكريمة ، ويدل عليها بعض الأخبار أيضاً وأما تأويله عَلَيْهِ السَّلَامُ لبطن الآية فلعل كونهم عَلَيْهِ السَّلَامُ سبعة باعتبار أسمائهم فأنها سبعة ، وإن تكرّر بعضها ، أو باعتبار أن انتشار أكثر العلوم كان من سبعة منهم إلى الكاظم عليه السلام ، ثم بعد ذلك كانوا خائفين مستورين مغمورين لا يصل إليهم الناس غالباً إلا بالمكاتبة والمراسلة ، فلذا خصّ هذا العدد منهم بالذكر .

فعلى تلك التقادير يجوز أن تكون الملثاني من الثناء لأنهم الذين يشنون عليه تعالى حق ثنائه بحسب الطاقة البشرية ، وأن يكون من الثنية لثنيتهم مع القرآن كما قال الصدوق (ره) حيث قال : معنى قوله : نحن الملثاني أي نحن الذين قرنا النبي ﷺ إلى القرآن وأوصى بالتمسك بالقرآن ، وبنا أخبر أمته أننا لا نفرق حتى نرد حوضه « انتهى » أو لثنيتهم مع النبي ﷺ ، أولاً فهم ﷺ ذو جهتين جهة تقدس وروحانية وارتباط تام بجنابه تعالى ، وجهة إرتباط بالخلق بسبب البشرية ويحتمل أن يكون السبع باعتبار أنه إذا ثنى يصير أربعة عشر موافقاً لعددتهم ﷺ إما باعتبار التغاير الاعتباري بين المعطى والمعطى له إذ كونه معطى إنما يلاحظ مع جهة النبوة والكمالات التي خصه الله بها وكونه معطى له ، مع قطع النظر عنها ، أو يكون الواو في قوله : والقرآن ، بمعنى مع فيكونون مع القرآن أربعة عشر ، وفيه ما فيه . ويحتمل أن يكون المراد بالسبع في ذلك التأويل أيضاً السورة ، ويكون المراد بتلك الأخبار أن الله تعالى إنما امتن بهذه السورة على النبي ﷺ في مقابلة القرآن العظيم لاشتمالها على وصف الأئمة عَلَيْهِ السَّلَامُ ومدح طريقتهم وذم أعدائهم في قوله سبحانه

(١) أي في الآية التي ذكرها الشارح (ره) في كلامه .

نبينا محمداً ﷺ ونحن وجه الله تنقلب في الأرض بين أظهركم، ونحن عين الله في خلقه ويده المبسوطة بالرحمة على عباده، عرفنا من عرفنا وجهنا من جهلنا وإمامة المتقين ٤ - الحسين بن محمد الأشعري ومحمد بن يحيى جميعاً، عن أحمد بن إسحاق، عن سعدان بن مسلم، عن معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل:

« صراط الذين أنعمت عليهم » الى آخر السورة، فالمعنى نحن المقصودون بالمثاني. وقال في النهاية: فيه فاقاموا بين ظهرائهم وبين أظهرهم، قد تكررت هذه اللفظة في الحديث، والمراد بها أنهم أقاموا بينهم على سبيل الاستظهار والاستناد اليهم، وزيدت فيه ألف ونون مفتوحة تأكيداً، ومعناه أن ظهراً منهم قد أمه وظهرأ ورائه فهو مكنوف من جانبيه ومن جوانبه إذا قيل بين أظهرهم، ثم كثر حتى استعمل في الاقامة بين القوم مطلقاً.

« وهم عين الله » اي شاهده على عباده، فكما أن الرجل ينظر بعينه ليطلع على الامور كذلك خلقهم الله ليكونوا شهداء منه عليهم، ناظرين في امورهم، والعين يطلق على الجاسوس وعلى خيار الشيء ايضاً، قال في النهاية في حديث عمر: ان رجلاً كان ينظر في الطواف إلى حرم المسلمين فلطمه علي عليه السلام فاستعدي عليه فقال: ضربك بحق أصابته عين من عيون الله، أراد خاصة من خواص الله عز وجل، وولياً من أوليائه « انتهى » وإطلاق اليد على النعمة والرحمة والقدرة شائع، فهم نعم الله التامة ورحمته المبسوطة ومظاهر قدرته الكاملة.

قوله عليه السلام: وإمامة المتقين، بالنصب عطفاً على ضمير المتكلم في جهلنا ثانياً، اي جهلنا من جهل امامة المتقين أو عرفنا وجهلنا أولاً اي عرف امامة المتقين من عرفنا، وجهلها من جهلنا، او بالجر عطفاً على الرحمة اي يده المبسوطة بامامة المتقين ولعله من تصحيف النسخ، والأظهر ما في نسخ التوحيد: ومن جهلنا فأمامه اليقين اي الموت على التهديد، أو المراد انه يتيقن بعد الموت ورفع الشبهات.

الحديث الرابع: مجهول وسموا بالاسم لأنهم يدلون على قدرة الله تعالى

« والله الاسماء الحسنى فادعوه بها » ^(١) قال: نحن والله الاسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلا بمعرفتنا .

٥ - محمد بن أبي عبدالله ، عن محمد بن إسماعيل ، عن الحسين بن الحسن ، عن بكر بن صالح ، عن الحسن بن سعيد ، عن الهيثم بن عبدالله ، عن مروان بن صباح قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : إن الله خلقنا فأحسن خلقنا ، وصوّرنا فأحسن صورنا ، وجعلنا عينه في عبادته ولسانه الناطق في خلقه ويده المبسوطة على عبادته بالرأفة والرحمة ، ووجهه

وعلمه وسائر كمالاته ، فهم بمنزلة الاسم في الدلالة على المسمى أو يكون بمعناه اللغوي من الوسم بمعنى العلامة ، أولاً ثم المظهرون لأسماء الله والحافظون لها والمحيطون بمعرفتها ، أو المظاهر لها والله يعلم .

الحديث الخامس : ضعيف .

قوله عليه السلام : فأحسن خلقنا ، حيث خلقهم من الطينة الطاهرة أو من حيث إكمالهم عليه السلام وعصمتهم من الخطأ والزلة ، ويمكن أن يقرء خلقنا بالضم « فأحسن صورنا ، أي جعلنا ذوي صورة حسنة وأخلاق جميلة ، وحلّنا بالكمالات النفسانية ، ولسانه الناطق في خلقه » لما كان اللسان يعبر عما في الضمير ويبين ما أراد الإنسان إظهاره أطلق عليهم عليه السلام لسان الله لأنهم المعبرون عن الله يبينون حلاله وحرامه ومعارفه وسائر ما يريد بيانه للخلق « وبابه الذي يدلّ عليه » لما كان المريد للقاء السلطان لابدّ له من إتيان بابه ولقاء بوابه ليوصلوه إليه فسمّوا أبواب الله ، لأنه لا بدّ لمن يريد معرفته سبحانه وطاعته من أن يأتيهم ليدلّوه عليه وعلى رضا ، فلذا شبهوا بالبواب وسمّوا الأبواب ولذا قال النبي صلى الله عليه وآله : أنا مدينة العلم أو مدينة الحكمة وعلى بابها .

وروى عن الباقر عليه السلام في معنى كونهم باب الله : معناه أن الله احتجب عن خلقه بنبيّه والاولياء من بعده ، وفوض إليهم من العلم ما علم احتياج الخلق إليه ، ولما

الذي يوتى منه، وبابه الذي يدلّ عليه وخزّانه في سَمائِه وأرضه، بنا أثمرت الأشجار
وأينعت الثمار، وجرت الأنهار و بنا ينزل غيث السماء وينبت عشب الأرض،

استوفى النبي ﷺ عليّ ﷺ العلوم والحكمة قال: أنا مدينة العلم وعليّ بابها،
وقد أوجب الله على الخلق الاستكانة لعلّي ﷺ بقوله: « ادخلوا الباب سجداً
وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين » ^(١) اي الذي لا يرتابون في
فضل الباب وعلوّ قدره .

وقال في موضع آخر: « وأتوا البيوت من أبوابها » ^(٢) يعني الائمة ﷺ
الذين هم بيوت العلم ومعادنه وهم أبواب الله ووسيلته والدعاة إلى الجنة والأدلاء
عليها إلى يوم القيامة، رواه الكفعمي عنه ﷺ .

« وخزّانه في سَمائِه وأرضه » اي خزّان علمه من بين أهل السماء والأرض
فنعطي علمه من نشاء ونمنعه من نشاء .

ويحتمل الأعم إذ جميع الخيرات يصل إلى الخلق بتوسطهم، وقيل: اي عندهم
مفاتيح الخير من العلوم والأسماء التي تفتح أبواب الجود على العالمين .

« بنا أثمرت الأشجار »، إذ الغاية في خلق العالم المعرفة والعبادة كما دلّت عليه
الآيات والأخبار، ولا يتأتى الكامل منهما إلّا منهما، ولا يتأتى من سائر الخلق
إلّا بهم، فهم سبب نظام العالم، ولذا يختلّ عند فقد الامام لانقضاء الغاية وقد قال
سبحانه: لولاك لما خلقت الأفلاك، قيل: ويحتمل أن يكون أثمار الأشجار وأيناع
الأثمار وجري الأنهار «إه» كناية عن ظهور الكمالات النفسانية والجسمانية،
ووصولها إلى غايتها المطلوبة، وظهور العلم وأمثاله، وقال في النهاية أينع الثمر يوقع
وينع ينيع فهو موع وياضع إذا أدرك ونضج وأينع أكثر استعمالاً، والعشب بالضم
الكلاء الرطب .

(١) سورة البقرة: ٥٨ .

(٢) سورة البقرة: ١٨٩ .

وعبادتنا عبد الله ولولا نحن ما عبد الله .

٦ - محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسين ، عن محمد بن إسماعيل بن بزيع ، عن عمه حمزة بن بزيع ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل : « فلما آسفونا انتقمنا منهم » ^(١) فقال : إن الله عز وجل لا يأسف كأسفنا ولكنه خلق أولياء لنفسه يأسفون ويرضون وهم مخلوقون مر بوبون ، فجعل رضاهم رضا نفسه وسخطهم سخط نفسه ، لأنه جعلهم الدعاء إليه والأدلاء عليه ، فلذلك صاروا كذلك وليس أن ذلك يصل إلى الله ما يصل إلى خلقه ، لكن هذا معنى ما قال من ذلك وقد قال : « من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة ودعاني إليها » ^(٢) وقال « ومن يطع الرسول فقد أطاع الله » ^(٣) وقال : « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم » ^(٤) فكل هذا

« وعبادتنا عبد الله ولولا نحن ما عبد الله » أي بمعرفتنا وعبادتنا التي بها نعرفه ونعبده ونهدي عباده إليها ونعلمها إياهم ، عبد الله لا بغيرها مما تسميه العامة عبادة ومعرفة ، أو أنه لولا عبادتنا لم يوجد أحد ، لأن الله خلق العالم لعبادتنا فلم يوجد الدنيا فلم يعبد الله أحد ، أو المراد أن العبادة الخالصة مع الشرائط لا تصدر إلا منا ، فلولا نا ما عبد الله إذ المعنى أن ولايتنا شرط لقبول العبادة فلولا نا نحن ما عبد سبحانه عبادة مقبولة .

الحديث السادس : حسن ، وقال في القاموس : الأسف محرقة شدة الحزن ، أسف كفرح وعليه غضب « انتهى » وقد مر مراراً أنه سبحانه لا يتصف بصفات المخلوقين ، وهو متعال عن أن تكون له كيفية ، فاطلاق الأسف فيه سبحانه إما تجوز باستعماله في صدور الفعل الذي يترتب فينا مثله على الأسف ، وإما مجاز في الاسناد أو من مجاز الحذف أي أسفوا أوليانا ، والخبر محمول على الآخرين .

(١) سورة الزخرف : ٥٥ .

(٢) من الأحاديث القدسية ، ذكره المحدث الحر العاملي (ره) في الجواهر السنية ص

٣٤٥ ط نجف .

(٣) سورة الفتح : ١٠ .

(٤) سورة النساء : ٧٩ .

وشبهه على ما ذكرت لك وهكذا الرضا والغضب وغيرهما من الأشياء مما يشاكل ذلك ولو كان يصل إلى الله الأسف والضجر ، وهو الذي خلقهما وأنشأهما لجاز لقائل هذا أن يقول : إن الخالق يبيد يوماً ما ، لأنه إذا دخله الغضب والضجر دخله التغيير ، وإذا دخله التغيير لم يؤمن عليه الإبادة ، ثم لم يعرف المكوّن من المكوّن ولا القادر من المقدور عليه ، ولا الخالق من المخلوق ، تعالى الله عن هذا القول علواً كبيراً ، بل هو الخالق للأشياء لا لحاجة ، فإذا كان لا حاجة استحالة الحد والكيف فيه ؛ فافهم إن شاء الله تعالى .

واستشهد عليه السلام بأمثاله في كلامه سبحانه ، ثم استدل على استحالة الحزن والضجر عليه كسائر الكيفيات بأن الاتصاف بالممكن المخلوق مستلزم للإمكان وكل ما هو ممكن في عرضة الهلاك ، ولا يؤمن عليه الانقطاع والزوال ثم إذا جوّز عليه الزوال لم يعرف المكوّن المبدء على الإطلاق من المكوّن المخلوق ، ولا القادر على الإطلاق السرمدي من المقدور عليه المحدث ، ولا الخالق من المخلوق ، لأن مناط هذا التمييز والمعرفة الوجوب والقدم الدالّان على المبدئية والقدرة والخالقية والإمكان والعدم الدالّان على المكوّنية والمقدورية والمخلوقية ، بل هو الخالق للأشياء لا حاجة منه إلى خلقه في وجوده أو كمالاته ، لكونه المبدء الأوّل الأزليّ الأحدىّ المتقدّس عن التكثر بجهة من الجهات كالفعليّة والقوّة وغيرها ، فإذا كان كذلك استحالة عليه الحدّ الموقوف على المهية الامكانية والكيف كذا قيل .

أو أنه إذا كان خالقاً لجميع ما سواه غير محتاج إليها لا يمكن أن يكون متصفاً بالحدّ والكيف ، إذ الحدّ والكيف ان كانا منه سبحانه فهو محتاج إليهما ، فتكون خالقيته للحاجة ، وإن كانا من غيره فالغير مخلوق له ، وهو محتاج إليه في الاتصاف بهما .

٧ - عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن أبي نصر ، عن محمد بن حمران عن أسود بن سعيد قال : كنت عند أبي جعفر عليه السلام فأنشأ يقول ابتداءً منه من غير أن أسأله : نحن حجة الله ، ونحن باب الله ، ونحن لسان الله ، ونحن وجه الله ، ونحن عين الله في خلقه ، ونحن ولاية أمر الله في عباده .

٨ - محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسين ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن حسان الجمال قال : حدثني هاشم بن أبي عمارة ^(١) الجنبيّ قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول : أنا عين الله ، وأنا يد الله ، وأنا جنب الله ، وأنا باب الله .

الحديث السابع : مجهول .

الحديث الثامن : مجهول بهاشم بن أبي عمار الحيتي وفي بعض النسخ الجنبي والجنب حيّ من اليمن .

قوله عليه السلام : وأنا جنب الله ، لعلّ المراد بالجنب الجانب والناحية وهو عليه السلام التي أمر الله الخلق بالتوجه إليه ، والجنب يعنى الامير ، وهو أمير الله على الخلق أو هو كناية عن أن قرب الله تعالى لا يحصل إلّا بالتقرّب بهم ، كما أن من أراد أن يقرب من الملك يجلس بجنبه ، وقد ورد المعنى الاخير عن الباقر عليه السلام .

قال الكفعمي : قوله : جنب الله ، قال الباقر عليه السلام : معناه انه ليس شيء أقرب إلى الله تعالى من رسوله ، ولا أقرب إلى رسوله من وصيه ، فهو في القرب كالجنب ، وقد بين الله تعالى ذلك في كتابه في قوله : « أن تقول نفس يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله » ^(٢) يعني في ولاية أوليائه .

وقال الطبرسي في مجمعه : جنب القرب ، اي يا حسرتي على ما فرطت في قرب الله وجواره ، ومنه قوله تعالى : « والصاحب بالجنب » ^(٣) وهو الرفيق في السفر ، وهو الذي يصحب الانسان بأن يحصل بجنبه لكونه رفيقه قريباً منه ملاصقاً له ، وعن الباقر عليه السلام : نحن جنب الله « انتهى » .

(١) والصحيح « أبي عمار » كما في الشرح . (٢) سورة الزمر : ٥٤ .

(٣) سورة النساء : ٣٤ .

٩ - محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسين ، عن محمد بن إسماعيل بن بزيع ، عن عمه حمزة بن بزيع ، عن علي بن سويد ، عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل : « يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله » ^(١) قال : جنب الله : أمير المؤمنين عليه السلام وكذلك ما كان بعده من الأوصياء بالمكان الرقيع إلى أن ينتهي الأمر إلى آخرهم .

١٠ - الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ، عن محمد بن جمهور ، عن علي بن الصلت عن الحكم وإسماعيل ابني حبيب ، عن بريد العجلي قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : بنا عبد الله ، وبنا عرف الله ، وبنا وحّد الله تبارك وتعالى ، ومحمد حجاب الله تبارك وتعالى .

الحديث التاسع : حسن .

قوله عليه السلام : جنب الله أمير المؤمنين ، أي جنب الله في هذه الأمة أمير المؤمنين صلوات الله عليه وكذا الأوصياء بعده ، والحاصل أن المراد بجنب الله الجميع في كل أمة « بالمكان » خبر كان أو حال .

الحديث العاشر : ضعيف .

قوله عليه السلام : ومحمد حجاب الله ، أي واسطة بين الله وبين خلقه ، كما أنه لا يمكن الوصول إلى المحجوب إلا بالوصول إلى الحجاب ، فكذلك هو بالنسبة إلى جميع خلقه لا يمكنهم الوصول إلى الله سبحانه وإلى رحمته إلا بالتوصل به ، وقيل : المراد أنه صلى الله عليه وآله النور المشرق منه سبحانه ، وأقرب شيء منه ، كما قال عليه السلام : أوّل ما خلق الله نوري ومنه الحجاب لنور الشمس ، أو المراد أنه النور المشرق منه سبحانه وتوسطه بينه وبين النفوس النورية يكون حجاباً له سبحانه ، لأنه بالوصول إليه وغلبة نوره على أنوارهم يعجز كل منها عن إدراك ما فوقه « انتهى » أو يعلم بالاطلاع على هذا النور وعجزه عن إدراكه أنه لا يمكنه الوصول إلى نور الأنوار ، فهو بهذا المعنى حجاب عنه سبحانه .

١١ - بعض أصحابنا ، عن محمد بن عبد الله ، عن عبد الوهاب بن بشر ، عن موسى ابن قادم ، عن سليمان ، عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : سأله عن قول الله عز وجل : « وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » ^(١) قال : إن الله تعالى أعظم وأجل وأمنع من أن يظلم ولكنه خلطنا بنفسه ، فجعل ظلمنا ظلمه ، وولايتنا ولايته حيث يقول : « إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا » ^(٢) يعني الائمة منا .
ثم قال في موضع آخر : « وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » ثم ذكر مثله .

الحديث الحادي عشر : مجهول مرسل .

قوله عليه السلام : من أن يظلم ، أي من أن يتوهم جواز مظلوميته سبحانه وإمكانه حتى يحتاج إلى نفيه ، فهذه المظلومية مظلومية المنتجبين من عباده « خلطهم بنفسه » أي ذكرهم مع ذكره ، وجعل ظلمهم ظلمه وولايتهم ولايته حيث يقول « إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا » يعني الائمة عليهم السلام فجعل الولاية وأولية التصرف في الأمور للرسول والائمة من بعده ، وأسند هذه الولاية التي أثبتتها لهم إلى نفسه ابتداءً شرفاً وتعظيماً لهم ، ثم أسند مظلوميته وإزالتهم عن مكانتهم هذه إلى نفسه في موضع آخر ، فقال : « وما ظلمونا » الآية ثم ذكر سبحانه مثله في كتابه من إسناد ما لهم من الرضا والغضب والاسف وامثالها إلى نفسه في مواضع كثيرة ، ويحتمل أن يكون المعنى أنه ذكر إسناد الظلم إلى نفسه في موضع آخر أيضاً ، ان هذه الآية متكررة في القرآن ، وقيل : « ثم قال » كلام زرارة ، والقائل هو عليه السلام ، أي قال : وقرأ هذه الآية في مجلس آخر وذكر بعدها ما ذكر سابقاً ولا يخفى بعده .

(١) سورة البقرة : ٥٧ .

(٢) سورة المائدة : ٥٥ .

﴿ باب البداء ﴾

١ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحجاج ، عن أبي إسحاق ثعلبة ، عن زرارة بن أعين ، عن أحدهما عليه السلام قال : ما عبد الله بشيء مثل البداء .

باب البداء

الحديث الاول : صحيح .

قوله : ما عبد الله بشيء مثل البداء ، أى الايمان بالبداء من أعظم العبادات أو أنه ادعى إلى العبادة من كل شيء ، واعلم أن البداء مما ظن أن الإمامية قد تفرّدت به وقد شنع عليهم بذلك كثير من المخالفين ، والأخبار في ثبوتها كثيرة مستفيضة من الجانبين ولنشر الى بعض ما قيل في تحقيق ذلك ثم إلى ما ظهر لي من الأخبار مما هو الحق في المقام :

إعلم أنه لما كان البداء ممدوداً في اللغة بمعنى ظهور رأي لم يكن ، يقال : بدى الأمر بدواً : ظهر ، وبداله في هذا الأمر بداء أى نشأ له فيه رأى كما ذكره الجوهري وغيره ، فلذلك يشكّل القول بذلك في جناب الحق تعالى لاستلزامه حدوث علمه تعالى بشيء بعد جهله ، وهذا محال ، ولذا شنع كثير من المخالفين على الإمامية في ذلك نظراً الى ظاهر اللفظ من غير تحقيق لمرامهم ، حتى أن الناصبي المتعصب الفخر الرازي ذكر في خاتمة كتاب المحصل حاكياً عن سليمان بن جرير أن أئمة الرافضة وصفوا القول بالبداء لشيعتهم ، فإذا قالوا أنه سيكون لهم أمر وشوكة ثم لا يكون الأمر على ما أخبروه قالوا : بد الله تعالى فيه .

وأعجب منه أنه أجاب المحقق الطوسي (ره) في نقد المحصل عن ذلك لعدم

احاطته قدس سره كثيراً بالأخبار بأنهم لا يقولون بالبداء، وإنما القول به ما كان
إلا في رواية رويها عن جعفر الصادق عليه السلام أنه جعل اسماعيل القائم مقام بعده فظهر
من اسماعيل ما لم يرتضه منه، فجعل القائم مقامه موسى عليه السلام، فسئل عن ذلك فقال:
بدالله في اسماعيل، وهذه رواية، وعندهم أن خبر الواحد لا يوجب علماً ولا عملاً
« انتهى » .

فانظر إلى هذا المعاند كيف أعمت العصبية عينه حيث نسب إلى أئمة الدين
الذين لم يختلف مخالف ولا مؤالف في فضلهم وعلمهم وورعهم وكونهم أتقى الناس
وأعلام شأناً ورفعة، الكذب والحيلة والخديعة، ولم يعلم أن مثل هذه الالفاظ المجازية
الموهنة لبعض المعاني الباطلة قد وردت في القرآن الكريم وأخبار الطرفين، كقوله
تعالى: « الله يستهزئ بهم » ^(١) « ومكر الله » ^(٢) « وليبلوكم » ^(٣) « ولنعلم » ^(٤) « ويد
الله » ^(٥) « ووجه الله » ^(٦) « وجنب الله » ^(٧) إلى غير ذلك مما لا يتحصى، وقد ورد في
أخبارهم ما يدل على البدل بالمعنى الذي قالت به الشيعة أكثر مما ورد في أخبارنا،
كخبر دعاء النبي صلى الله عليه وآله على اليهودي، وأخبار عيسى عليه السلام ^(٨) « وإن الصدقة والدعاء
يغيران القضاء وغير ذلك .

وقال ابن الأثير في النهاية في حديث الأقرع والابرص والأعمى: بدالله عز وجل
أن يبتليهم، أي قضى بذلك، وهو معنى البداء ههنا، لأن القضاء سابق، والبداء

(١) سورة البقرة: ١٥ .

(٢) سورة آل عمران: ٥٤ .

(٣) سورة الانعام: ١٦٥ وسائر السور الكريمة .

(٤) سورة سبأ: ٢١ .

(٥) سورة آل عمران: ٧٣ وسائر السور .

(٦) سورة البقرة: ١١٥ . وسائر السور .

(٧) سورة الزمر: ٥٦ .

(٨) سيأتي تفصيل هذين الخبرين في الذيل .

استصواب شيء علم بعد أن لم يعلم ، وذلك على الله غير جائز « انتهى » .
وقد قال سبحانه : « هو الذي قضى أجلاً وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون » ^(١)
وقال المحقق الطوسي (ره) في التجريد : أجل الحيوان الوقت الذي علم الله بطلان حياته فيه ، والمقتول يجوز فيه الأمران لولاه ، ويجوز أن يكون الاجل لطفاً للغير لا للمكلف ، وقال العلامة (ره) في شرحه : اختلف الناس في المقتول لو لم يقتل ، فقالت المجبرة : انه كان يموت قطعاً وهو قول الملاّ ف ، وقال بعض البغداديين : انه كان يعيش قطعاً ، وقال أكثر المحققين : انه كان يجوز أن يعيش ويجوز أن يموت ثم اختلفوا فقال قوم منهم : لو كان المعلوم منه البقاء لو لم يقتل له أجلان ، وقال الجبائيان وأصحابهما وأبو الحسين : ان أجله هو الوقت الذي قتل فيه ليس له أجل آخر لو لم يقتل ، فما كان يعيش إليه ليس بأجل له الآن حقيقي بل تقديرى « انتهى »
وقال تعالى : « يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب » ^(٢) .

وقال الناصبي الرازي في تفسيره في هذه الآية قولان :

الاول : انها عامة في كل شيء كما يقتضيه ظاهر اللفظ ، قالوا : ان الله يمحو من الرزق ويزيد فيه ، وكذا القول في الأجل والسعادة والشقاوة والايمان والكفر ، وهو مذهب عمرو بن مسعود ، ورواه جابر عن رسول الله ﷺ .

والثاني : انها خاصة في بعض الأشياء دون البعض ، ففيها وجوه :

« الاول » : ان المراد من المحو والاثبات نسخ الحكم المتقدم واثبات حكم آخر بدلاً عن الاول « الثاني » انه تعالى يمحو من ديوان الحفظ ما ليس بحسنة ولا سيئة ، لأنهم مأمورون بكتابة كل قول وفعل ويثبت غيره « الثالث » انه تعالى

(١) الآية في سورة الانعام : ٢ و أصل الآية هكذا : « هو الذي خلقكم من طين ثم قضى

أجلاً وأجل مسمى . . . »

(٢) سورة الرعد : ٣٩ .

أراد بالمحو أن من أذنب أثبت ذلك الذنب في ديوانه ، فإذا تاب عنه محى عن ديوانه « الرابع » يمحو الله ما يشاء ، وهو من جاء أجله ويدع من لم يجيء أجله ويثبت « الخامس » أنه تعالى يثبت في أول السنة ، فإذا مضت السنة محيت وأثبت كتاب آخر للمستقبل « السادس » يمحو نور القمر ويثبت نور الشمس « السابع » يمحو الدنيا ويثبت الآخرة « الثامن » أنه في الارزاق والمحن والمصائب يثبتها في الكتاب ثم يزيلها بالدعاء والصدقة ، وفيه حث على الإقطاع الى الله تعالى « التاسع » تغير أحوال العبد فما مضى منها فهو المحو ، وما حصل وحضر فهو الاثبات « العاشر » يزيل ما يشاء من حكمه ، لا يطلع على غيبه أحد ، فهو المتفرّد بالحكم كما يشاء ، وهو المستقبل بالايجاد والإعدام والإحياء والإماتة والإغناء والإفقار ، بحيث لا يطلع على تلك الغيوب أحد من خلقه ، وأعلم أن هذا الباب فيه مجال عظيم .

فان قال قائل : ألسنم تزعمون أن المقادير سابقة قد جفت بها القلم ، فكيف يستقيم مع هذا المعنى المحو والاثبات ؟

قلنا : ذلك المحو والاثبات أيضاً مما قد جفت به القلم ، فلا يمحو إلا ما قد سبق في علمه وقضائه محوه ، ثم قال : قالت الرافضة : البداء جائز على الله تعالى ، وهو أن يعتقد شيئاً ثم يظهر له أن الأمر بخلاف ما اعتقده ، وتمسكوا فيه بقوله « يمحو الله ما يشاء » انتهى كلامه لعنه الله .

ولا أدري من أين أخذ هذا القول الذي إفتري به عليهم ، مع أن الكتب الامامية المتقدّمين عليه كالصدوق والمفيد والشيخ والمرضى وغيرهم رضوان الله عليهم مشحونة بالتبري عن ذلك ، ولا يقولون إلا ببعض ما ذكره سابقاً أو بما هو أصوب منها كما ستعرف ، والعجب أنهم في أكثر الموارد ينسبون إلى الربّ تعالى ما لا يليق به ، والامامية قدس الله أسرارهم ببالغون في تنزيهه تعالى ويفحمونهم بالحجج البالغة ، ولما لم يظفروا في عقائدهم بما يوجب نقصاً يباهتونهم ويفترون عليهم بأمثال تلك

الأقاويل الفاسدة ، وهل البهتان والافتراء إلا دأب العاجزين ، ولو فرض أن بعضاً من الجهلة المنتحلين للتشيع قال بذلك ، فالامامية يتبرءون منه ومن قوله كما يتبرءون من هذا الناصبي وأمثاله وأقاويلهم الفاسدة .

فأما ما قيل في توجيه البداء فقال الصدوق (ره) في كتاب التوحيد : ليس البداء كما تقول جهال الناس بأنه بداء ندامة ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، ولكن يجب علينا أن نقرّ لله عزّ وجل بأنّ له البداء ، معناه أن له أن يبدأ بشيء من خلقه فيخلقه قبل شيء ، ثم يعدم ذلك الشيء ويبدء بخلق غيره ، أو يأمر بأمر ثم ينهى عن مثله أو ينهى عن شيء ثم يأمر بمثل ما نهى عنه ، وذلك مثل نسخ الشرايع وتحويل القبلة وعدة المتوفى عنها زوجها ، ولا يأمر الله عباده بأمر في وقت ما إلا ويعلم أنّ الصلاح لهم في ذلك الوقت في أن يأمرهم بذلك ، ويعلم أنّ في وقت آخر الصلاح لهم في أن ينهاهم عن مثل ما أمرهم به ، فإذا كان ذلك الوقت أمرهم بما يصلحهم ، فمن أقرّ لله عزّ وجل بأنّ له أن يفعل ما يشاء ويؤخر ما يشاء ، ويخلق مكانه ما يشاء ، ويقدر ما يشاء ، ويؤخر ما يشاء ، ويأمر بما يشاء كيف يشاء ، فقد أقرّ بالبداء ، وما عظم الله بشيء أفضل من الإقرار بأنّ له الخلق والامر والتقديم والتأخير واثبات ما لم يكن ومحو ما قد كان ، والبداء هو ردّ على اليهود لأنهم قالوا إنّ الله قد فرغ من الأمر ، فقلنا إنّ الله كلّ يوم في شأن يحيى ويميت ويرزق ويفعل ما يشاء ، والبداء ليس من ندامة ، وإنما هو ظهور أمر ، تقول العرب : بدالى شخص في طريقي أي ظهر ، وقال الله عزّ وجل : « وبدالهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون » ^(١) أي ظهر لهم ومتى ظهر لله تعالى ذكره من عبد صلة لرحمه زاد في عمره ، ومتى ظهر له قطعة رحم نقص من عمره ، ومتى ظهر له من عبد إتيان الرزق نقص من رزقه وعمره ، ومتى ظهر له التعفف عن الرزق زاد في رزقه وعمره .

ومن ذلك قول الصادق عليه السلام : ما بدا لله كما بدا له في اسماعيل ابني ، يقول : ما ظهر له أمر كما ظهر له في اسماعيل اذ اخترمه قبلي ، ليعلم بذلك انه ليس بامام بعدي .

وقال شيخ الطائفة عظم الله أجره في كتاب الغيبة بعد ايراد الأخبار المشتملة على البداء في قيام القائم عليه السلام : الوجه في هذه الأخبار - إن صحّت - أنه لا يمتنع أن يكون الله تعالى قد وقت هذا الامر في الاوقات التي ذكرت ، فلما تجدد ما تجدد تغيرت المصلحة واقتضت تأخيرها إلى وقت آخر ، وكذلك فيما بعد ، ويكون الوقت الأول وكل وقت يجوز أن يؤخر مشروطاً بأن لا يتجدد ما تقتضي المصلحة تأخيرها إلى أن يجيء الوقت الذي لا يغيره شيء ، فيكون محتوماً .

وعلى هذا يتأول ما روى في تأخير الاعمار عن أوقاتها والزيادة فيها عند الداء وصلة الارحام ، وما روى في تنقيص الاعمار عن أوقاتها إلى ما قبله عند فعل الظلم وقطع الرحم وغير ذلك ، وهو تعالى وإن كان عالماً بالأمرين فلا يمتنع أن يكون أحدهما معلوماً بشرط ، والآخر بلا شرط ، وهذه الجملة لا خلاف فيها بين أهل العدل ، وعلى هذا يتأول أيضاً ما روى من أخبارنا المتضمنة للفظ البداء ، ويبين أن معناها النسخ على ما يريده جميع أهل العدل ، فيما يجوز فيه النسخ ، أو تغير شروطها إن كان طريقها الخبر عن الكائنات ، لأن البداء في اللغة هو الظهور ، فلا يمتنع أن يظهر لنا من أفعال الله تعالى ما كنا نظن خلافه أو نعلم ولا نعلم شرطه . فمن ذلك ما رواه سعد بن عبدالله عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن أحمد بن محمد ابن أبي نصر ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : علي بن الحسين وعلي بن أبي طالب قبله ، ومحمد بن علي ، وجعفر بن محمد عليه السلام : كيف لنا بالحديث مع هذه الآية : « يحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب » فأما من قال بأن الله تعالى لا يعلم الشيء إلا بعد كونه فقد كفر « انتهى » .

وقد قيل فيه وجوه آخر :

الأول: ما ذكره السيد الداماد قدّس الله روحه في نبراس الضياء حيث قال :
البداء منزلته في التكوين منزلة النسخ في التشريع، فما في الأمر التشريعي والأحكام
التكليفية نسخ فهو في الأمر التكويني والمكونات الزمانية بداء، فالنسخ كأنه بداء
تشريعي، والبداء كأنه نسخ تكويني، ولا بداء في القضاء، ولا بالنسبة إلى جناب
القدس الحق والمفارقات المحضة من ملائكته القدسيّة، وفي متن الدهر الذي هو ظرف
مطلق الحصول القارّ والثبات الباتّ ووعاء عالم الوجود كله، وإنما البداء في القدر
وفي إمتداد الزمان الذي هو أفق التقضى والتجدّد، وظرف التدرّج والتعاقب،
وبالنسبة إلى الكائنات الزمانية، ومن في عالم الزمان والمكان وإقليم المادة والطبيعة
وكما أنّ حقيقة النسخ عند التحقيق إنتهاء الحكم التشريعي وانقطاع استمراره لا
رفعه وارتفاعه عن وعاء الواقع، فكذا حقيقة البداء عند الفحص البالغ إنبات استمرار
الأمر التكويني وإنتهاء اتصال الافاضة، ومرجعه إلى تحديد زمان الكون وتخصيص
وقت الافاضة، لا أنّه إرتفاع المعلول الكائن عن وقت كونه وبطلانه في حدّ حصوله
« انتهى » .

الثاني: ما ذكره بعض الأفاضل في شرحه على الكافي وتبعه غيره من معاصرينا:
وهو أنّ القوى المنطبعة الفلكية لم تحط بتفاصيل ما سيقع من الأمور دفعة واحدة،
لعدم تناهي تلك الأمور، بل إنّما ينتقش فيها الحوادث شيئاً فشيئاً وجملة فجملة مع
أسبابها وعللها على نهج مستمرّ ونظام مستقرّ، فإنّ ما يحدث في عالم الكون والفساد
فإنّما هو من لوازم حركات الأفلاك المسخّرة لله تعالى، وتنتائج بركانها فهي تعلم أنّه
كلّما كان كذا كان كذا، فمهما حصل لها العلم بأسباب حدوث أمر ما في هذا العالم
حكمت بوقوعه فيه فينتقش فيها ذلك الحكم، وربما تأخّر بعض الأسباب الموجب
لوقوع الحادث على خلاف ما يوجبه بقيّة الأسباب لولا ذلك السبب، ولم يحصل لها

العلم بتصدّقه الذي سيأتي به قبل ذلك الوقت ، لعدم إطلاعها على سبب ذلك السبب ، ثم لما جاء أوّانه واطلعت عليه حكمت بخلاف الحكم الأول فيمحي عنها نقش الحكم السابق ، ويثبت الحكم الآخر ، مثلاً لما حصل لها العلم بموت زيد بمرض كذا في ليلة كذا ، الأسباب تقتضي ذلك ولم يحصل لها العلم بتصدّقه الذي سيأتي به قبل ذلك الوقت ، لعدم إطلاعها على أسباب التصدّق بعد ، ثم علمت به وكان موته بتلك الأسباب مشروطاً بأن لا يتصدّق ، فتحكم أولاً بالموت وثانياً بالبرء ، وإذا كانت الأسباب لوقوع أمر ولا وقوعه متكافئة ، ولم يحصل لها العلم برجحان أحدهما بعد ، لعدم مجيء أوّان سبب ذلك الرجحان بعد ، كان لها التردّد في وقوع ذلك الأمر ولا وقوعه فينتقش فيها الوقوع تارة واللا وقوع أخرى ، فهذا هو السبب في البداء والمحو والاثبات والتردّد وأمثال ذلك في أمور العالم ، فإذا اتّصلت بتلك القوى نفس النبيّ أو الامام عليهم السلام وقرء فيها بعض تلك الأمور فله أن يخبر بما رآه بعين قلبه ، أو شاهده بنور بصيرته ، أو سمع بأذن قلبه ، وأمانسة ذلك كله إلى الله تعالى فلا أن كلّما يجري في العالم الملكوتي إنّما يجري بإرادة الله تعالى بل فعلهم بعينه فعل الله سبحانه ، حيث أنّهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، إذ لا داعي لهم على الفعل إلّا إرادة الله جلّ وعزّ لا إستهلاك إرادتهم في إرادته تعالى ، ومثلهم كمثّل الحواسّ للإنسان ، كلّما هم بأمر محسوس امتثلت الحواسّ لما همّ به ، فكلّ كتابة تكون في هذه الألواح والصحف فهو أيضاً مكتوب لله عزّ وجلّ بعد قضائه السابق المكتوب بقلمه الأوّل ، فيصحّ أن يوصف الله عزّ وجلّ نفسه بأمثال ذلك بهذا الاعتبار ، وإن كان مثل هذه الأمور يشعر بالتغيّر والنسوخ ، وهو سبحانه منزّه عنه ، فإنّ كلّما وجد أو سيوجد فهو غير خارج عن عالم ربوبيّته .

الثالث: ما ذكره بعض المحقّقين حيث قال : تحقيق القول في البداء أنّ الأمور كلّها عامّة وخاصّة ومطلقها ومقيدها ومنسوخها وناسخها ومفرداتها ومرّباتها

وإخباراتها وإنشاءاتها ، بحيث لا يشذ عنها شيء منقشة في اللوح ، والفائض منه على الملائكة والنفوس العلوية والنفوس السفلية قد يكون الأمر العام المطلق أو المنسوخ حسب ما تقتضيه الحكمة الكاملة من الفيضان في ذلك الوقت ، ويتأخر المبيّن إلى وقت تقتضى الحكمة فيضائه فيه ، وهذه النفوس العلوية وما يشبهها يعبر عنها بكتاب المحو والإثبات ، والبدء عبارة عن هذا التغيير في ذلك الكتاب .

الرابع : ما ذكره السيد المرتضى رضي الله عنه في جواب مسائل أهل الريّ ، وهو أنّه قال : المراد بالبدء النسخ ، وادّعى انه ليس بخارج عن معناه اللغوي .

أقول : هذا ما قيل في هذا الباب ، وقد قيل فيه وجوه آخر لا طائل في إيرادها والوجوه التي أوردناها بعضها بمعزل عن معنى البدء ، وبينهما كما بين الأرض والسماء وبعضها مبتنية على مقدّمات لم تثبت في الدين ، بل ادّعى على خلافها إجماع المسلمين وكلّها يشتمل على تأويل نصوص كثيرة بلا ضرورة تدعو اليه ، وتفصيل القول في كلّ منها يفضى إلى الإطناب ، ولنذكر ما ظهر لنا من الآيات والأخبار بحيث تدلّ عليه النصوص الصريحة ، ولا تأبى عنه العقول الصحيحة .

فنقول وبالله التوفيق : أنّهم عليهم السلام انما بالغوا في البدء ردّاً على اليهود الذين يقولون إنّ الله قد فرغ من الأمر ، وعلى النظام ، وبعض المعتزلة الذين يقولون إنّ الله خلق الموجودات دفعة واحدة على ما هي عليه الآن ، معادن ونباتاً وحيواناً وإنساناً ولم يتقدّم خلق آدم على خلق أولاده ، والتقدّم انما يقع في ظهورها لا في حدوثها ووجودها ، وإنّما أخذوا هذه المقالة من أصحاب الكمون والظهور من الفلاسفة ، وعلى بعض الفلاسفة القائلين بالعقول والنفوس الفلكيّة ، وبأنّ الله تعالى لم يؤثر حقيقة إلّا في العقل الاول ، فهم يعزلونه تعالى عن ملكه ، وينسبون الحوادث إلى هؤلاء ، وعلى آخرين منهم قالوا : إنّ الله سبحانه أوجد جميع مخلوقاته دفعة واحدة دهرية لا ترتب فيها باعتبار الصدور ، بل انما ترتبها في الزمان فقط ، كما أنّه لا ترتب

• • • • •

الاجسام المجتمعة زماناً وانما ترتبها في المكان فقط ، فنفوا عَلَيْهِ السَّلَام كل ذلك وأثبتوا أنه تعالى كل يوم في شأن من إعدام شيء وإحداث آخر وإماتة شخص وإحياء آخر إلى غير ذلك لئلا يترك العباد التضرع الى الله ومسئلته وطاعته والتقرب إليه بما يصلح أمور دنياهم وعقباهم ، وليرجوا عند التصديق على الفقراء وصلة الارحام وبر الوالدين والمعروف والاحسان ما وعدوا عليها من طول العمر وزيادة الرزق وغير ذلك .

ثم أعلم أن الآيات والاعبار تدل على ان الله تعالى خلق لوحين أثبت فيهما ما يحدث من الكائنات : أحدهما اللوح المحفوظ الذي لا يتغير فيه أصلاً ، وهو مطابق لعلمه تعالى ، والآخر لوح المحو والاثبات فيثبت فيه شيئاً ثم يحويه لحكم كثيرة لا تخفى على أولى الألباب ، مثلاً يكتب فيه أن عمر زيد خمسون سنة ومعناه أن مقتضى الحكمة أن يكون عمره كذا إذا لم يفعل ما يقتضى طوله أو قصره ، فاذا وصل الرحم مثلاً يمحي الخمسون ويكتب مكانه ستون ، وإذا قطعها يكتب مكانه أربعون ، وفي اللوح المحفوظ إنه يصل وعمره ستون ، كما ان الطبيب الحاذق إذا اطلع على مزاج شخص يحكم بأن عمره بحسب هذا المزاج يكون ستين سنة ، فاذا شرب سمّاً ومات أو قتله إنسان فنقص من ذلك ، أو استعمل دواء قوى مزاجه به فزاد عليه لم يخالف قول الطبيب ، والتغير الواقع في هذا اللوح مسمى بالبداء ، إما لأنه مشبه به كما في سائر ما يطلق عليه تعالى من الابتلاء والاستهزاء والسخرية وأمثالها ، أو لأنه يظهر للملائكة أو للخلق اذا أخبروا بالاول خلاف ما علموا أو لا .

وأى إستبعاد في تحقق هذين اللوحين ؟ وأية استحالة في هذا المحو والاثبات حتى يحتاج إلى التأويل والتكلف . وإن لم تظهر الحكمة فيه لنا لعجز عقولنا عن الإحاطة بها ، مع ان الحكم فيه ظاهرة .

منها : أن يظهر للملائكة الكاتبين في اللوح والمطلعين عليه لطفه تعالى بعباده وإيصالهم في الدنيا إلى ما يستحقونه فيزدادوا به معرفة .

ومنها : أن يعلم العباد بأخبار الرسل والعجج عليه السلام أن أعمالهم الحسنة مثل هذه التأثيرات في صلاح أمورهم ، ولأعمالهم السيئة تأثيراً في فسادها فيكون داعياً لهم إلى الخيرات ، صارفاً لهم عن السيئات ، فظهر أن لهذا اللوح تقدماً على اللوح المحفوظ من جهة ، لصيرورته سبباً لحصول بعض الأعمال ، فبذلك انتقش في اللوح المحفوظ حصوله ، فلا يتوهم أنه بعد ما كتب في هذا اللوح حصوله لا فائدة في المحو والاثبات .

ومنها : أنه إذا أخبر الأنبياء والأوصياء أحياناً من كتاب المحو والاثبات ثم أخبروا بخلافه يلزمهم الإذعان به ، ويكون في ذلك تشديد للتكليف عليهم ، تسبيحاً لمزيد الأجر لهم ، كما في سائر ما يتلى الله عباده به من التكاليف الشاقة ، وإيراد الأمور التي تعجز أكثر العقول عن الإحاطة بها ، وبها يمتاز المسلمون الذين فازوا بدرجات اليقين عن الضعفاء الذين ليس لهم قدم راسخ في الدين .

ومنها : أن تكون هذه الأخبار تسلياً لقوم من المؤمنين المنتظرين لفرج أولياء الله وغلبة الحق وأهله ، كما روى في قصة نوح عليه السلام حين أخبروا بهلاك القوم ثم أخرج ذلك مراراً .

وكما روى في فرج أهل البيت عليه السلام وغلبتهم عليه السلام ، لأنهم عليه السلام لو كانوا أخبروا الشيعة في أول ابتلائهم باستيلاء المخالفين وشدة محنتهم أنه ليس فرجهم إلا بعد ألف سنة أو ألقى سنة ليسوا ورجعوا عن الدين ، ولكنهم أخبروا شيعتهم بتعجيل الفرج ، وربما أخبروهم بأنه يمكن أن يحصل الفرج في بعض الأزمنة القريبة ليثبتوا على الدين ويثابروا بانتظار الفرج كما سيأتي في باب كراهية التوقيت من كتاب الحجة عن علي بن يقطين ، قال : قال لي أبو الحسن عليه السلام : الشيعة تربي بالآمان من منذ مأتى سنة ، قال : وقال يقطين لابنه علي بن يقطين : ما بالناس قتل لنا فكان ، وقيل لكم فلم يكن ؟ قال : فقال له علي : إن الذي قيل لنا ولكم كان من مخرج واحد غير

أَنْ أَمْرِكُمْ حَضَرَ فَأَعْطَيْتُمْ مُحَضَّضَهُ فَكَانَ كَمَا قِيلَ لَكُمْ ، وَإِنْ أَمْرُنَا لَمْ يَحْضُرْ فَمَلَلْنَا بِالْأَمَانِي ، فَلَوْ قِيلَ لَنَا أَنْ هَذَا الْأَمْرَ لَا يَكُونُ إِلَّا إِلَى مَا تَمِي سَنَةٌ أَوْ ثَلَاثُمِائَةِ سَنَةٍ لَقَسَتْ الْقُلُوبُ وَلَرَجَعَ عَامَّةُ النَّاسِ عَنِ الْإِسْلَامِ وَلَكِنْ قَالُوا مَا أَسْرَعَهُ وَمَا أَقْرَبَهُ تَأَلُّفًا لِقُلُوبِ النَّاسِ وَتَقَرُّبًا لِلْفَرَجِ .

وَقَدْ ذَكَرْنَا كَثِيرًا مِنْ الْأَخْبَارِ فِي ذَلِكَ فِي كِتَابِ بَحَارِ الْأَنْوَارِ فِي كِتَابِ النَّبُوَّةِ ، لَا سِيَّمَا فِي أَبْوَابِ قِصَصِ نُوحٍ وَمُوسَى وَشُعْيَا عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَفِي كِتَابِ الْغَيْبَةِ .

فَأَخْبَارُهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمَا يَظْهَرُ خِلَافَهُ ظَاهِرًا مِنْ قِبَلِ الْمَجْمَلَاتِ وَالْمُبْتَسَاهَاتِ الَّتِي تَصْدُرُ عَنْهُمْ بِمُقْتَضَى الْحُكْمِ ، ثُمَّ يَصْدُرُ عَنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ تَفْسِيرُهَا وَبَيَانُهَا ، وَقَوْلُهُمْ يَقَعُ الْأَمْرُ الْفَلَانِي فِي وَقْتٍ كَذَا مَعْنَاهُ إِنْ كَانَ كَذَا ، وَإِنْ لَمْ يَقَعِ الْأَمْرُ الْفَلَانِي الَّذِي يَنَافِيهِ وَلَمْ يَذْكُرُوا الشَّرْطَ كَمَا قَالُوا فِي النِّسْخِ قَبْلَ الْفِعْلِ ، وَقَدْ أَوْضَحْنَاهُ فِي بَابِ ذَبْحِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْكِتَابِ الْمَذْكُورِ .

فَمَعْنَى قَوْلِهِمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَا عَبْدَ اللَّهِ بِمِثْلِ الْبَدَاءِ ، أَنَّ الْإِيمَانَ بِالْبَدَاءِ مِنْ أَعْظَمِ الْعِبَادَاتِ الْقَلْبِيَّةِ لَصُعُوبَتِهِ وَمَعَارَضَتِهِ الْوَسَاوِسَ الشَّيْطَانِيَّةَ فِيهِ ، وَلِكُونِهِ إِقْرَارًا بِأَنَّ لَهُ الْخَلْقَ وَالْأَمْرَ ، وَهَذَا كَمَالُ التَّوْحِيدِ ، أَوِ الْمَعْنَى أَنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ وَالِدَوَاعِي لِعِبَادَةِ الرَّبِّ تَعَالَى كَمَا عَرَفْتَ ، وَكَذَا قَوْلُهُمْ مَا عَظَّمَ اللَّهُ بِمِثْلِ الْبَدَاءِ يَحْتَمِلُ الْوُجْهَيْنِ وَإِنْ كَانَ الْأَوَّلُ فِيهِ أَظْهَرُ .

وَأَمَّا قَوْلُ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : لَوْ عَلِمَ النَّاسُ مَا فِي الْقَوْلِ بِالْبَدَاءِ مِنَ الْأَجْرِ مَا فُتِرُوا عَنِ الْكَلَامِ فِيهِ ، فَلَمَّا مَرَّ أَيْضًا مِنْ أَنَّ أَكْثَرَ مَصَالِحِ الْعِبَادَةِ مَوْقُوفَةٌ عَلَى الْقَوْلِ بِالْبَدَاءِ إِذْ لَوْ اعْتَقَدُوا أَنَّ كُلَّ مَا قَدَّرَ فِي الْأَزْلِ فَلَا بَدَّ مِنْ وَقُوعِهِ حَتْمًا لَمَا دَعَوْا اللَّهَ فِي شَيْءٍ مِنْ مَطَالِبِهِمْ ، وَمَا تَضَرَّعُوا إِلَيْهِ وَمَا اسْتَكَانُوا لَدَيْهِ ، وَلَا خَافُوا مِنْهُ ، وَلَا رَجَوْا إِلَيْهِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا قَدْ أَوْمَأْنَا إِلَيْهِ ، وَأَمَّا إِنْ هَذِهِ الْأُمُورُ مِنْ جَمَلَةِ الْأَسْبَابِ الْمَقْدَرَةِ فِي الْأَزْلِ أَنَّ يَقَعِ الْأَمْرُ بِهَا لَا بِدُونِهَا فَمِمَّا لَا يَصِلُ إِلَيْهِ عَقُولُ أَكْثَرِ الْخَلْقِ ، فَظَهَرَ أَنَّ

• • • • •

هذا اللوح وعلمهم بما يقع فيه من المحو والاثبات أصلح لهم من كل شيء .
 بقى ههنا إشكال آخر : وهو أنه يظهر من كثير من الاخبار ان البداء لا
 يقع فيما يصل علمه إلى الانبياء والائمة عليهم السلام ، ويظهر من كثير منها وقوع البداء
 فيما وصل إليهم أيضاً ويمكن الجمع بينها بوجوه :
 الاول : أن يكون المراد بالاخبار الأوّلة عدم وقوع البداء فيما وصل إليهم على
 سبيل التبليغ ، بأن يؤمروا بتبليغه فيكون إخبارهم بها من قبل أنفسهم لا على وجه
 التبليغ .

الثاني : أن يكون المراد بالأوّلة الوحي ويكون ما يخبرون به من جهة الالهام
 واطّلاع نفوسهم على الصحف السماوية وهذا قريب من الاول .
 الثالث : أن تكون الأوّلة محمولة على الغالب فلا ينافي ما وقع على سبيل النادرة .
 الرابع : ما أشار اليه الشيخ قدس الله روحه : من أن المراد بالاخبار الأوّلة
 عدم وصول الخبر إليهم وأخبارهم على سبيل الحتم ، فيكون إخبارهم على قسمين :
 « احدهما » ما أوحى إليهم أنه من الامور المحتومة ، فهم يخبرون كذلك ولا
 بداء فيه .

« وثانيهما » ما يوحى إليهم لا على هذا الوجه ، فهم يخبرون كذلك ، وربما
 أشعروا أيضاً باحتمال وقوع البداء فيه ، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام بعد الاخبار
 بالسبعين « ويمحو الله ما يشاء » وهذا وجه قريب .

الخامس : أن يكون المراد بالاخبار الأوّلة أنهم لا يخبرون بشيء لا يظهر
 وجه الحكمة فيه على الخلق ، لئلا يوجب تكذيبهم بل لو أخبروا بشيء من ذلك
 يظهر وجه الصدق فيما أخبروا به كخبر عيسى عليه السلام والنبي صلى الله عليه وآله حيث ظهرت
 الحجة ^(١) دالة على صدق مقالهما ، وسيأتي بعض القول في ذلك في باب ليلة القدر
 انشاء الله تعالى .

(١) أقول : أما خبر عيسى عليه السلام فهو ما رواه الصدوق (ره) في الامالي عن —

٢ - وفي رواية ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام ما عظم الله بمثل البدء .

الحديث الثاني : مرسل .

قوله عليه السلام : ما عظم الله . لانه إثبات لقدرته و تدبيره و حكمته ، وإذعان في أمر يأبى عنه العقول القاصرة وقد مرّ القول فيه .

→ أبى بصير قال : سمعت ابا عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام ان عيسى روح الله مر بقوم مجلبين ، فقال : ما لهؤلاء ؟ قيل : يا روح الله ان فلانة بنت فلان تهدى الى فلان بن فلان فى ليلتها هذه .

قال : يجلبون اليوم ويبكون غداً ! فقال قائل منهم : ولم يا رسول الله ؟ قال : لان صاحبهم ميتة فى ليلتها هذه ، فقال القائلون بمقالته : صدق الله وصدق رسوله ، وقال أهل النفاق : ما اقرب غداً ! فلما أصبحوا جاؤا فوجدوها على حالها لم يحدث بها شيء ، فقالوا يا روح الله ان التى أخبرتنا أمس انها ميتة لم تمت ! فقال عيسى على نبينا وآله وعليه السلام : يفعل الله ما يشاء فاذهبوا بنا اليها ، فذهبوا يتسابقون حتى قرعوا الباب . فخرج زوجها فقال له عيسى عليه السلام : استأذن لى على صاحبك ، قال : فدخل عليها فأخبرها أن روح الله وكلمته بالباب مع عدة قال : فتخدرت فدخل عليها فقال لها : ما صنعت ليلتك هذه ؟ قالت : لم أصنع شيئاً الا وقد كنت أصنع فيما مضى ، انه كان يمترينا سائل فى كل ليلة جمعة ففنيهما يقوته الى مثلها ، وانه جاءنى فى ليلتى هذه وأنا مشغولة بأمرى وأهلى فى مشاغل ، فهتف فلم يجبه أحد ، ثم هتف فلم يجب حتى هتف مراراً ، فلما سمعت مقالته قمت متنكرة حتى نلت كما كنا ننيله ، فقال لها : تنحى عن مجلسك ، فاذا تحت ثيابها أفى مثل جذعة عاش على ذنبه ، فقال عليه السلام : بما صنعت صرف عنك هذا .

واما خبر النبى صلى الله عليه وآله فهو ما رواه الكلينى (ره) فى الكافى وسيأتى فى كتاب الزكاة فى باب « ان الصدقة تدفع البلاء » عن أبى عبد الله عليه السلام قال : مريهودى بالنبى صلى الله عليه وآله فقال : السام عليك ! فقال النبى صلى الله عليه وآله : عليك . فقال أصحابه : انما سلم عليك بالموت ، فقال : الموت عليك ! فقال النبى صلى الله عليه وآله : وكذلك رددت ، ثم قال النبى صلى الله عليه وآله : ان هذا اليهودى يعضه أسود فى قفاه ←

- ٣ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم وحفص ابن البختري وغيرهما ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال في هذه الآية : « يمحو الله ما يشاء ويثبت » قال : فقال : وهل يمحي إلا ما كان ثابتاً وهل يثبت إلا ما لم يكن ؟
- ٤ - علي ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم ، عن محمد بن مسلم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ما بعث الله نبياً حتى يأخذ عليه ثلاث خصال : الاقرار له بالعبودية ؛ وخلع الأنداد ، وأن الله يقدم ما يشاء ، ويؤخر ما يشاء .

الحديث الثالث : حسن .

« وهل يمحي إلا ما كان ثابتاً » استدلل عليه السلام بهذه الآية على تحقق البداء بالمعنى المتقدم ، بأن المحو يدل على أنه كان مثبتاً في اللوح فمحى وأثبت خلافه ، وكذا العكس ، ويدل على أن جميع ذلك بمشيئته سبحانه ، وأكثر الأخبار يشمل النسخ أيضاً فلا تغفل .

الحديث الرابع : حسن .

قوله عليه السلام : الاقرار له بالعبودية ، اي بأن لا يدعوا الربوبية كما يدعون لعيسى عليه السلام ، وقيل : لا يخفى ما فيه من المبالغة في إثبات البداء بجعله ثالث الاقرار باللوهية والتوحيد ، ولعل ذلك لأن إنكاره يؤدي إلى إنكاره سبحانه خصوصاً بالنسبة إلى الانبياء عليهم السلام لأنه لقربهم من المبادئ كثيراً ما يفاض عليهم من كتاب المحو والاثبات الثابت الذي سيمحي بعد ، وعدم ثبوت ما سيثبت بعد ، والظاهر ان التقديم والتأخير بحسب الزمان في الحوادث ، ويحتمل ما بحسب الرتبة ايضاً ، او يقدمه يعني يوجده ويؤخره ، اي يمحوه ولا يوجده .

→ فيقتله . قال : فذهب اليهودي فاحتطب خطباً كثيراً فاحتمله ثم لم يلبث أن انصرف ، فقال له رسول الله (س) : ضمه ، فوضع الحطب فاذا أسود في جوف الحطب عاش على عود ، قال : يا يهودي ما عملت اليوم ؟ قال : ما عملت عملاً الا حطبت هذا حملته فجئت به وكان ممي كمكتان (اي قرصان من الخبز) فأكلت واحدة وتصدت بواحدة على مسكين ، فقال رسول الله (س) بها دفع الله عنه ، وقال : ان الصدقة تدفع مينة السوء عن الانسان .

٥ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن فضال ، عن ابن بكير ، عن زرارة عن حمران ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : سألته عن قول الله عز وجل : « قضي أجلاً وأجل مسمى عنده » ^(١) قال : هما أجلان : أجل محتوم وأجل موقوف .

الحديث الخامس : حسن أو موثق .

قوله تعالى : « قضي أجلاً » .

قال الرّازي في تفسيره : اختلف المفسرون في تفسير الأجلين على وجوه : « الاول » ان المقضى آجال الماضين والمسمى عنده : آجال الباقين . « الثاني » ان الاول أجل الموت والثاني أجل القيامة لان مدة حياتهم في الآخرة لا آخر لها . « الثالث » ان الاجل الاول ما بين أن يخلق إلى أن يموت ، والثاني ما بين الموت والبعث « الرابع » ان الاول النوم والثاني الموت « الخامس » ان الاول مقدار ما انقضى من عمر كل أحد ، والثاني مقدار ما بقي من عمر كل أحد . « السادس » وهو قول حكماء الإسلام : ان لكل انسان أجلين أحدهما : الآجال الطبيعية ، والثاني الآجال الاخترامية ، أما الآجال الطبيعية فهي التي لو بقى ذلك المزاج مصوناً عن العواض الخارجية لانتهت مدة بقاءه إلى الوقت الفلاني ، وأما الآجال الاخترامية فهي التي تحصل بالاسباب الخارجية كالغرق والحرق وغيرهما من الامور المنفصلة » انتهى .

وما صدر من معدن الوحي والتنزيل مخالف لجميع ما ذكر ، وموافق للحق ، والاجل المقضى هو المحتوم الموافق لعلمه سبحانه ، والمسمى هو المكتوب في لوح المحو والاثبات ويظهر من بعض الروايات العكس .

قوله عليه السلام : هما أجلان اي متغايران أجل محتوم ، أي مبرم محكم لا يتغير وأجل موقوف يقبل التغير والبداء لتوقفه على حصول شرائط وارتفاع موانع كما عرفت .

٦ - أحمد بن مهران ، عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني ، عن علي بن أسباط عن خلف بن حماد ، عن ابن مسكان ، عن مالك الجهني قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى : « أولم ير الإنسان أننا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً » ^(١) قال : فقال : لا مقدراً ولا مكوئناً ، قال : وسألته عن قوله : « هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً » فقال : كان مقدراً غير مذكور .

٧ - محمد بن إسماعيل ، عن الفضل بن شاذان ، عن حماد بن عيسى ، عن ربعي ابن عبد الله ، عن الفضيل بن يسار قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : العلم علمان : فعلم عند الله مخزون لم يطلع عليه أحداً من خلقه وعلم علمه ملائكته ورسله ، فما علمه ملائكته ورسله فإنه سيكون ، لا يكذب نفسه ولا ملائكته ولا رسله ، وعلم

الحديث السادس: ضعيف والمراد بالخلق في الآية الأولى ، إما التقدير أو الإيجاد والإحداث العيني ، وعلى الأول معناه قدرنا الإنسان أو وجوده ، ولم يكن تقدير نوع الإنسان مسبقاً بكونه مقدراً أو مكوئناً في فرد ، وعلى الثاني أوجدناه ولم يكن إيجاده مسبقاً بتقدير سابق أزلي ، بل بتقدير كائن ولا مسبقاً بتكوين سابق ، وقوله : كان مقدراً غير مذكور أي غير مذكور ومثبت في الكتاب الذي يقال له كتاب المحو والاثبات ، أو غير مذكور لما تحت اللوح المحفوظ ، أو المراد غير موجود إذ الموجود مذكور عند الخلق ، والحاصل أنه يمكن أن يكون هذا إشارة إلى مرتبة متوسطة بين التقدير والإيجاد ، أو إلى الإيجاد ، ولما كان هذا الخبر يدل على أصل التقدير في الألواح و مراتبه التي يقع فيها البداء ، ذكره المصنف في هذا الباب .

الحديث السابع : مجهول كالصحيح :

«فما علمه ملائكته» أي على سبيل الوحي أو الحتم أو التبليغ أو غالباً كما مر

(١) كذا في النسخ ، و الآية في سورة مريم : ٦٧ . وأصلها هكذا : « أولادنا ذكر الإنسان

أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً » .

عنده مخزون يقدم منه ما يشاء ، ويؤخر منه ما يشاء ، ويثبت ما يشاء .

٨ - وبهذا الاسناد ، عن حماد ، عن ربعي ، عن الفضيل قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : من الأمور أمورٌ موقوفة عند الله يقدم منها ما يشاء ويؤخر منها ما يشاء .

٩ - عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن ابن أبي عمير ، عن جعفر ابن عثمان ، عن سماعة ، عن أبي بصير ؛ ووهيب بن حفص ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إنّ الله علمين : علمٌ مكنون مخزون ، لا يعلمه إلا هو ، من ذلك يكون البداء وعلمٌ علمه ملائكته ورسله وأنبياءه فنحن نعلمه .

١٠ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن الحسن بن محبوب ، عن عبد الله بن سنان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ما بدا لله في شيء إلا كان في علمه قبل أن يبدو له .

١١ - عنه ، عن أحمد ، عن الحسن بن علي بن فضال ، عن داود بن فرقد ، عن عمرو بن عثمان الجهني ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إنّ الله لم يبد له من جهل .

تفصيله « يقدم منه ما يشاء » أي من العلم المخزون وبسببه يقدم ويؤخر ما يشاء في كتاب المحو والاثبات ، إذ هذا التغيير مسبق بعلمه ذلك ، واثباته في اللوح المحفوظ

الحديث الثامن : مجهول كالصحيح .

« أمور موقوفة عند الله » أي مكتوبة في لوح المحو والاثبات موقوفة على شرايط يحتمل تغييرها .

الحديث التاسع : مجهول .

« من ذلك يكون البداء » أي بسبب ذلك العلم يحصل البداء في كتاب المحو .

الحديث العاشر : صحيح .

الحديث الحادي عشر : مجهول .

١٢ - علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن منصور بن حازم قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام هل يكون اليوم شيء لم يكن في علم الله بالأمس ؟ قال : لا ، من قال هذا فأخزاه الله ، قلت : أرايت ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة أليس في علم الله ؟ قال : بلى قبل أن يخلق الخلق .

١٣ - علي ، عن محمد ، عن يونس ، عن مالك الجهني قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : لو علم الناس ما في القول بالبداء من الأجر ما فتروا عن الكلام فيه .
١٤ - عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن بعض أصحابنا ، عن محمد بن عمرو الكوفي أخى يحيى ، عن مرزم بن حكيم قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : ما تنبأ نبي قط ، حتى يقر الله بخمس خصال : بالبداء والمشية والسجود والعبودية والطاعة .

الحديث الثاني عشر : صحيح « فأخزاه الله » ظاهره الدعاء ، ويحتمل الاخبار أي أخزاه الله ومنع لطفه منه بسوء اختياره حتى قال بهذا القول ، ويدل الخبر على حدوث العالم .

الحديث الثالث عشر : مجهول « ما في القول بالبداء » أي الاعتقاد به وإظهاره وإنشأؤه من الأجر والفوائد « ما فتروا » ولم يمسكوا عن الكلام فيه ، لأنه مناط الخوف والرجاء ، والباعث على التضرع والدعاء والسعي في أمور المعاش والمعاد والعلم بتصرف رب العباد وتديره في عالم الكون والفساد .

الحديث الرابع عشر : مرسل « ما تنبأ نبي » أي لم يصّر نبياً « والمشية » أي أن الأشياء تحصل بمشيته « والسجود » أي استحقاقه للعبادة ، واختصاصه بها ، وأنه يسجد له ما في السموات والأرض وينقاد له ، وقدرته نافذة في الجميع « والعبودية » أي بأن لا يدعى ما ينافي العبودية ، أو باختصاص العبودية والعبادة له ، فيكون تعميماً بمد التخصيص ، أو التوحيد ونفي الشريك « والطاعة » أي في جميع الأوامر والنواهي وهو ناظر إلى العصمة .

١٥ - وبهذا الإسناد ، عن أحمد بن محمد ، عن جعفر بن محمد ، عن يونس ، عن جهم ابن أبي جهمة ، عن حدثه ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إن الله عز وجل أخبر محمد صلى الله عليه وآله بما كان منذ كانت الدنيا ، وبما يكون إلى إقضاء الدنيا ، وأخبره بال محتوم من ذلك واستثنى عليه فيما سواه .

١٦ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن الريان بن الصلت قال : سمعت الرضا عليه السلام يقول : ما بعث الله نبياً قط إلا بتحريم الخمر وأن يقر الله بالبداء .

١٧ - الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد قال : سئل العالم عليه السلام كيف علم الله ؟ قال : علم وشاء وأراد وقدّر وقضى وأمضى ؛ فأمضى ما قضى ، وقضى ما قدّر ، وقدّر ما أراد ، فبعلمه كانت المشيئة ، وبمشيئته كانت الإرادة ، وبإرادته كان التقدير ، وبتقديره كان القضاء ، وبقضائه كان الإمضاء ؛ والعلم متقدّم على المشيئة ، والمشيئة ثابته ، والإرادة ثابته ، والتقدير واقع على القضاء بالإمضاء .

فلكه تبارك وتعالى البداء فيما علم متى شاء ، وفيما أراد لتقدير الأشياء ، فإذ واقع القضاء بالإمضاء فلا بداء ، فالعلم في المعلوم قبل كونه ، والمشيئة في المنشأ قبل عينه

الحديث الخامس عشر : مرسل « واستثنى عليه » أي بأن قال إلا بأن أريد غيره أو أمحوه ، والحاصل أنه ميّز له المحتوم وغيره ، وهذا يؤيد أحد الوجوه المتقدمة في الجمع بين الاخبار .

الحديث السادس عشر : حسن ، ويدل على تحريم الخمر في جميع الشرايع ولا ينافي كونها في أوّل بعض الشرايع حالاً ، ثم نزل تحريمها كما يدل عليه بعض الاخبار .

الحديث السابع عشر : ضعيف ، وهو من غوامض الاخبار ومتشابهاتها ولعله إشارة الى اختلاف مراتب تقدير الاشياء في الالواح السماوية أو اختلاف مراتب تسبب أسبابها الى وقت حصولها .

والإرادة في المراد قبل قيامه ، والتقدير لهذه المعلومات قبل تفصيلها وتوصيلها عياناً ووقتاً ، والقضاء بالإمضاء هو المبرم من المفعولات ، ذوات الأجسام المدركات بالحواس من ذوي لون وريح ووزن وكيل ومادب ودرج من إنس وجن وطيور وسباع وغير ذلك مما يدرك بالحواس .

فلكه تبارك وتعالى فيه البداء ممّا لا عين له ، فإذا وقع العين المفهوم المدرك فلا بداء ، والله يفعل ما يشاء ، فبالعلم علم الأشياء قبل كونها ، وبالمشيئة عرف صفاتها وحدودها وأنشأها قبل إظهارها ، وبالإرادة ميّز أنفسها في ألوانها وصفاتها ، وبالتقدير قدر أوقاتها وعرف أولها وآخرها ، وبالقضاء أبان للناس أماكنها ودلهم عليها ، وبالإمضاء شرح علمها وأبان أمرها وذلك تقدير العزيز العليم .

قوله ﷺ : قبل تفصيلها وتوصيلها ، أي من لوح المحو والاثبات أو في الخارج .
قوله ﷺ : فإذا وقع العين المفهوم المدرك ، أي فصل وميّر في اللوح أو أوجد في الخارج ، ولعل تلك الأمور عبارة عن اختلاف مراتب تقديرها في لوح المحو والاثبات ، وقد جعلها الله من أسباب وجود الشيء وشرائطه لمصالح ، كما قد مرّ بيانها ، فالمشيئة كتابة وجود زيد وبعض صفاته مثلاً مجعلاً ، والإرادة كتابة العزم عليه بتاً مع كتابة بعض صفاته أيضاً ، والتقدير تفصيل بعض صفاته وأحواله ، لكن مع نوع من الإجمال أيضاً ، والقضاء تفصيل جميع الأحوال وهو مقارن للإمضاء ، أي الفعل والإيجاد والعلم بجميع تلك الأمور أزلي قديم ، فقوله « بالمشيئة عرف » على صيغة التفعيل ، وشرح الملل كناية عن الإيجاد .

وقال بعض الأفاضل : الظاهر من السؤال أنه كيف علم الله ، أبعلم مستند إلى الحضور العيني والشهود في وقته لموجود عينيّ أو في موجود عينيّ كما في علومنا ، أو بعلم مستند إلى الذات ، سابق على خلق الأشياء ، فأجاب ﷺ بأن العلم سابق على وجود المخلوق بمراتب ، فقال : علم وشاء وأراد وقدّر وقضاء ، وأمضى ، فالعلم ما به ينكشف الشيء والمشية ملاحظته بأحوال مرغوب فيها يوجب فينا ميلاً دون المشية

له سبحانه لتعالیه عن التغيّر والاتصاف بالصّفة الزائدة ، والارادة تحريك الأسباب نحوه ، وبحركة نفسانية فينا بخلاف الارادة فيه سبحانه ، والقدر: التحديد وتعيين الحدود والاوقات ، والقضاء : هو الايجاب ، والامضاء هو الايجاد ، فوجود الخلق بعد علمه سبحانه بهذه المراتب وقوله : فأمنى ما قضى ، اي فأوجد ما أوجب وأوجب ما قدر ، وقدر ما أراد ، ثم استأنف البيان على وجه أوضح فقال : بعلمه كانت المشيئة وهي مسبوقه بالعلم ، وبمشيئته كانت الارادة وهي مسبوقه بالمشيئة ، وبارادته كان التقدير والتقدير مسبوق بالارادة ، وبتقديره كان القضاء والايجاب وهو مسبوق بالتقدير ، إذ لا إيجاب إلاّ للمحدّد والموقوف بقضائه وإيجابه كان الامضاء والايجاد ، والله تعالى البدء فيما علم متى شاء ، فإنّ الدّخول في العلم أوّل مراتب السلوك الى الوجود العيني ، وله البدء فيما علم متى شاء أن يبدو ، وفيما أراد وحرك الأسباب نحوه تحريكه متى شاء قبل القضاء والايجاب ، فاذا وقع القضاء والايجاب متلبساً بالامضاء والايجاد فلا بدّاء فعلم انّ في العلوم العلم قبل كون المعلوم وحصوله في الانهان والاعيان ، وفي المشاء المشيئة قبل عينه ووجوده العيني .

وفي أكثر النسخ المنشأ ولعلّ المراد الانشاء قبل الاظهار كما في آخر الحديث وفي المراد الارادة قبل قيامه ، والتقدير لهذه المعلومات قبل تفصيلها وتوصيلها وحضورها العيني في أوقاتها والقضاء بالامضاء هو المبرم الذي يلزمه وجود المقتضى . وقوله : من المعقولات ، يحتمل تعلّقه بالمبرم ويكون قوله ذوات الاجسام ابتداء الكلام ، ويحتمل كونه من الكلام المستأنف وتعلّقه بما بعده ، والمعنى أنّ هذه الاشياء المحدثه لله فيه البدء قبل وقوع أعيانها ، فاذا وقع العيني فلا بدّاء فبالعلم علم الاشياء قبل كونها وحصولها ، وأصل العلم غير مرتبط بنحو من الحصول للمعلوم ولو في غيره بصورته المتجدّدة ، ولا يوجب نفس العلم والاّ فكشاف بما هو علم ، وإتكشاف الاشياء إنشائها وبالمشيئة ومعرفتها بصفاتهما وحدودها انشائها إنشاء قبل الاظهار ، والادخال

في الوجود العيني وبالارادة وتحريك الاسباب نحو وجودها العيني ميّز بعضها عن بعض بتخصيص تحريك الاسباب نحو وجود بعض دون بعض ، وبالتقدير قدرها وعيّن وحدّد أوقاتها وأوقاتها وآجالها ، وبالقضاء وإيجابها بموجباتها أظهر للناس أماكنها ودلّهم عليها بدلائلها ، فاهتدوا إلى العلم بوجودها حسب ما يوجبه الموجب بعد العلم بالموجب ، وبالامضاء والايجاد أوضح تفصيل عللها وأبان أمرها بأعيانها ، وذلك تقدير العزيز العليم ، فبالعلم أشار إلى مرتبة أصل العلم ، وبالعزيز إلى مرتبة المشيئة والارادة وبإضافة التقدير إلى العزيز العليم إلى تأخره عن العزّ بالمشيئة والارادة اللتين يغلب بهما على جميع الأشياء ، ولا يغلبه فيهما أحدهما سواء وبتوسيط العزيز بين التقدير والعلم إلى تأخره عن مرتبة العلم ، وتقدير مرتبة العلم عليه ، كتقديره على التقدير . وقال بعضهم : أشار ﷺ بقوله إلى ستة مراتب بعضها مترتب على بعض :

اولها : العلم لانه المبدء الاول لجميع الأفعال الاختيارية ، فانّ الفاعل المختار لا يصدر عنه فعل إلاّ بعد القصد والارادة ، ولا يصدر عنه القصد والارادة إلاّ بعد تصوّر ما يدعوه إلى ذلك الميل وتلك الارادة والتصديق به تصديقاً جازماً أو ظناً راجحاً ، فالعلم مبدء مبادئ الأفعال الاختيارية ، والمراد به هنا هو العلم الازلي الذّاني الإلهي أو القضائي المحفوظ عن التغير فينبعث منه ما بعده ، وأشار إليه بقوله : علم ، أي دائماً من غير تبدّل .

وثانيها : المشيئة ، والمراد بها مطلق الارادة ، سواء بلغت حدّ العزم والإجماع أم لا ، وقد تنفك المشيئة فينا عن الارادة الحادثة .

وثالثها : الارادة وهي العزم على الفعل أو الترك بعد تصوّره وتصور الغاية المترتبة عليه من خير أو نفع أو لذّة ، لكن الله برىء عن أن يفعل لأجل غرض يعود إلى ذاته . ورابعها : التقدير فانّ الفاعل لفعل جزئيّ من أفراد طبيعة واحدة مشتركة ، إذ اعزم على تكوينه في الخارج كما إذ اعزم الانسان على بناء بيت ، فلا بدّ قبل الشروع

• • • • •

أن يعيّن مكانه الذي يبني عليه ، وزمانه الذي يشرع فيه ، ومقداره الذي يكونه عليه من كبر أو صغر أو طول أو عرض ، وشكله ووضعه ولونه وغير ذلك من صفاته وأحواله وهذه كلّها داخلّة في التقدير .

وخامسها: القضاء والمراد منه هنا إيجاب الفعل وإقتضاء الفعل من القوّة الفاعلة المباشرة ، فإنّ الشيء ما لم يجب لم يوجد ، وهذه القوّة الموجبة لوقوع الفعل منّا هي القوّة التي تقوم في العضلة والعصب من العضو الذي توقع القوّة الفاعلة فيها قبضاً وتشجيعاً ، أو بسطاً وإرخاءً أوّلاً ، فيتبعه حركة العضو فتتبعه صورة الفعل في الخارج من كتابة أو بناء أو غيرهما ، والفرق بين هذا الإيجاب وبين وجود الفعل في العين كالفرق بين الميل الذي في المتحرّك وبين حركته ، وقد ينفكّ الميل عن الحركة كما تحسّ يدك من الحجر المسكن باليد في الهواء ، ومعنى هذا الإيجاب والميل من القوّة المحركة أنّه لو لا هناك إتّفاق مانع أو دافع من خارج ، لوقعت الحركة ضرورة ، إذ لم يبق من جانب الفاعل شيء منظر ، فقولته: وقضى، إشارة إلى هذا الإقتضاء والإيجاب الذي ذكرنا أنّه لا بدّ من تحقّقه قبل الفعل قبليةً بالذات لا بالزمان، إلّا أن يدفعه دافع من خارج ، وليس المراد منه القضاء الأزليّ لأنّه نفس العلم ، ومرتبة العلم قبل المشيئة والارادة والتقدير .

وسادسها : نفس اليجاد وهو أيضاً متقدّم على وجود الشيء المقدّر في الخارج ولهذا يعدّه أهل العلم والتحقيق من المراتب السابقة على وجود الممكن في الخارج فيقال : أوجب فوجب ، فأوجد فوجد ، ثمّ أراد عَلَيْهِ السَّلَام الإشارة إلى الترتيب الذّاتي بين هذه الأمور ، لأنّ العطف بالواو سابقاً لم يفد الترتيب فقال : فأمضى ما قضى ، ولما لم يكن أيضاً صريحاً في الترتيب صرّح بإيراد باء السببية فقال : فبعلمه كانت المشيئة « الخ » ثمّ لما كانت الباء أيضاً محتملة للتلبّس والمصاحبة وغيرهما ، زاد في

التصريح فقال : والعلم متقدم المشيئة^(١) اى عليها .

وقوله : والتقدير واقع على القضاء بالامضاء ، أراد به أن التقدير واقع على القضاء الجزئي بامضاءه وإيقاع مقتضاه في الخارج ، ثم يبين ^{بعبارة} أن البداء لا يقع في العلم الأزلي ولا في المشيئة والإرادة الأزليتين ولا بعد تحقق الفعل بالامضاء ، بل الله البداء في عالم التقدير الجزئي وفي لوح المحو والاثبات ، ثم أراد أن يبين أن لهذه الموجودات الواقعة في الأكوان المادية لها ضرب من الوجود والتحقق في عالم القضاء الإلهي قبل عالم التقدير التفصيلي ، فقال : فالعلم في المعلوم لأن العلم وهو صورة الشيء مجردة عن المادة ، نسبتبه إلى المعلوم به نسبة الوجود إلى المهيئة الموجودة فكل علم في معلومه بل العلم والمعلوم متحدان بالذات ، متغايران بالاعتبار ، وكذلك حكم قوله : والمشيئة في المشاء ، والإرادة في المراد قبل قيامه ، أي قبل قيام المراد قياماً خارجياً وقوله : والتقدير لهذه المعلومات ، يعني أن هذه الأنواع الطبيعية والطبائع الجسمانية التي يبيننا موجودة في علم الله الأزلي ، ومشيئته وإرادته السابقتين على تقديرها وإثباتها في الألواح القدرية والكتب السماوية ، فإن وجودها القدرى أيضاً قبل وجودها الكوني. في موادها السفلية عند تمام استعداداتها وحصول شرايطها ومعداتها وإتمامها يمكن ذلك بتعاقب أفراد وتكثر أشخاص فيما لا يمكن إستبقاؤه إلا بالنوع دون العدد، ولا يتصور ذلك إلا فيما يقبل التفصيل والتركيب والتفريق والتمزيج فأشار بتفصيلها إلى كثرة أفرادها الشخصية وتوصيلها إلى تركبها من العناصر المختلفة وأراد بقوله: عياناً ووقتاً، وجودها الخارجى الكوني الذى يدركه الحس الظاهرى فيه عياناً .

وقوله : والقضاء بالامضاء ، يعني ان الذي وقع فيه إيجاب ماسبق في عالم التقدير جزئياً أو في عالم العلم الازلي كلياً بامضائه هو الشيء المبرم الشديد من جملة المفعولات

(١) كأنه سقط لفظة « على » من نسخة هذا الشارح ففسره بما ذكر .

كالجواهر العلوية والاشخاص الكريمة وغير ذلك من الامور الكونية التي يعتنى لوجودها من قبل المبادئ العلوية ، ثم شرح المفعولات التي تقع في عالم الكون التي منها المبرم ومنها غير المبرم ، القابل للبدء قبل التحقق وللنسخ بعده وبين أحوالها وأوصافها ، فقال : ذوات الاجسام ، يعني ان صورها الكونية ذوات أجسام ومقادير طويلة عريضة عميقة ، لا كما كانت في العالم العقلي صوراً مفارقة عن المواد والأبعاد ، ثم لم يكتف بكونها ذوات أجسام لأن الصورة التي في عالم التقدير العلمي أيضاً ذوات أبعاد مجردة عن المواد بل قيدها بالمدركات بالحواس من ذوي لون وريح وهما من الكيفيات المحسوسة .

وبقوله : ما دب ودرج ، أي قبل الحركة ، وهي نفس الانفعالات المادية لتخرج بهذه القيود الصور المفارقة سواء كانت عقلية كلية أو إدراكية جزئية .

ثم أورد لتوضيح ما أفاده من صفة الصور الكونية التي في هذا العالم الأسفل أمثلة جزئية بقوله : من إنس وجن وطير وسباع وغير ذلك مما يدرك بالحواس ، ثم كرّ راجعاً إلى ما ذكره سابقاً من ان البدء لا يكون إلا قبل الوقوع في الكون الخارجي بل انما يقع في عالم التقدير تأكيداً بقوله : فلله تبارك وتعالى فيه البدء ، أي فيما من شأنه أن يدرك بالحواس ولكن عند ما لم يوجد عينه الكوني فأما إذا وقع فلا بدء .

وقوله : والله يفعل ما يشاء ، أي يفعل في عالم التكوين ما يشاء في عالم التصوير والتقدير ، ثم استأنف كلاماً في توضيح تلك المراتب بقوله : فبالعلم علم الاشياء ، أي علماً عاماً أزلياً ذاتياً إلهياً أو عقلياً قضائياً قبل كونها في عالمي التقدير والتكوين وبالمشيئة عرف صفاتها الكلية وحدودها الذاتية وصورها العقلية ، فان المشيئة متضمنة للعلم بالمشيء قبل وجوده في الخارج ، بل المشيئة إنشاء للشيء إنشاءً علمياً كما ان الفعل إنشاء له إنشاءً كونياً ، ولذا قال : وانشاؤها قبل إظهارها أي في الخارج على المدارك الحسية ، وبالارادة ميمز أنفسها ، لان الارادة كما مر هي العزم التام على

﴿ باب ﴾

﴿ في انه لا يكون شيء في السماء والارض الا بسبعة ﴾

١ - عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن أبيه ؛ ومحمد بن يحيى

الفعل بواسطة صفة مرجحة ترجح أصل وجوده أو نحواً من أنحاء وجوده فيها يتميز الشيء في نفسه فضل تميز لم يكن قبل الارادة « وبالتقدير قدر أقواتها » لانه قد مر ان التقدير عبارة عن تصوير الاشياء المعلومة أو لا على الوجه العقلي الكلي جزئية مقدرة بأقدار معينة متشكلة بأشكال وهيئات شخصية مقارنة لأوقات مخصوصة على الوجه الذي يظهر في الخارج قبل إظهارها وإيجادها .

قوله : وبالقضاء ، وهو إيجابه تعالى لوجودها الكوني «أبان للناس أماكنها» ودلهم عليها لأن الأمكنة والجهات والأوضاع مما لا يمكن ظهورها على الحواس البشرية إلا عند حصولها الخارجي في موادها الكونية الوضعية ، وذلك لا يكون إلا بالاجاب والايجاد الذين عبر عنهما بالقضاء والإمضاء كما قال «وبالامضاء» وهو إيجادها في الخارج «شرح» أي فصل عللها الكوني «وأبان أمرها» أي أظهر وجودها على الحواس الظاهرة وذلك تقدير العزيز العليم ، أي وذلك الشرح والتفصيل والإبانة والإظهار صورة تقدير الله العزيز الذي علم الاشياء قبل تقديرها في لوح القدر ، وقبل تكوينها في مادة الكون .

هذا ما ذكره كل على آرائهم وأصولهم ولعل رد علم هذه الاخبار على تقدير صحتها إلى من صدرت عنه أحوط وأولى ، وقد سبق منا ما يوافق فهمنا ، والله الهادي إلى الحق المبين .

باب في انه لا يكون شيء في السماء والارض الا بسبعة

الحديث الاول : مجهول بسنديه .

عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسين بن سعيد ومحمد بن خالد ، جميعاً عن فضالة بن أيوب عن محمد بن عمار ، عن حريز بن عبد الله وعبد الله بن مسكان جميعاً ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : لا يكون شيء في الأرض ولا في السماء إلا بهذه الخصال السبع : بمشيئة وإرادة وقدر وقضاء وإذن وكتاب وأجل ، فمن زعم أنه يقدر على نقض واحدة فقد كفر .

ويمكن حل الخصال السبع على اختلاف مراتب التقدير في الألواح السماوية أو اختلاف مراتب تسبب الأسباب السماوية والارضية أو يكون بعضها في الامور التكوينية وبعضها في الاحكام التكليفية ، أو كلها في الامور التكوينية ، فالمشيئة وهي العزم والارادة وهي تأكدها في الامور التكوينية ظاهران ، وأما في التكليفية فلعل عدم تعلق الارادة الحتمية بالترك عبّر عنه بارادة الفعل مجازاً .

والحاصل ان الارادة متعلقة بالاشياء كلها لكن تعلقها بها على وجوه مختلفة ، إذ تعلقها بأفعال نفسه سبحانه بمعنى إيجادها والرضا بها ، وبطاعات العباد بمعنى إرادة وجودها والرضا بها ، أو الامر بها ، وبالمباحات بمعنى الرخصة بها ، وبالمعاصي إرادة أن لا يمنع منها بالجبر لتحقيق الابتلاء والتكليف ، كما قال تعالى : « ولو شاء الله ما أشركوا » ^(١) أو يقال تعلقها بأفعال العباد على سبيل التجوز باعتبار إيجاد الآلة والقدرة عليها ، وعدم المنع منها ، فكأنه أرادها ، وربما تأوّل الارادة بالعلم وهو بعيد ، وبالقدر تقدير الموجودات طولاً وعرضاً وكيلاً ووزناً وحداً ووصفاً وكمّاً وكيفاً ، وبالقضاء : الحكم عليها بالثواب والعقاب ، أو تسبب أسبابه البعيدة كما مر . والمراد بالاذن إما العلم أو الأمر في الطاعات ، أو رفع الموانع وبالكتاب الكتابة في الألواح السماوية أو الفرض والإيجاب كما قال تعالى : « كتب عليكم الصيام » ^(٢) « وكتب على نفسه الرخصة » ^(٣) وبالأجل : الأمد الميعن والوقت المقدّر عنده تعالى ،

(١) سورة الانعام : ١٠٧ .

(٢) سورة البقرة : ١٨٣ .

(٣) سورة الانعام : ١٢ .

ورواه علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن محمد بن حفص ، عن محمد بن عمار ، عن حريز بن عبدالله وابن مسكان مثله .

٢ - ورواه أيضاً ، عن أبيه ، عن محمد بن خالد ، عن زكريا بن عمران عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال : لا يكون شيء في السماوات ولا في الأرض إلا بسبع : بقضاء وقدر وإرادة ومشية وكتاب وأجل وإذن ، فمن زعم غير هذا فقد كذب على الله ؛ أو ردّ . . . على الله عز وجل .

وقيل : المراد بالمشية القدرة وهي كون الفاعل بحيث إن شاء فعل ، وإن لم يشأ لم يفعل وبالقدر تعلق الإرادة والقضاء الإيجاد ، وبالأذن دفع المانع ، وبالكتاب العلم وبالأجل وقت حدوث الحوادث ، والترتيب غير مقصود ، إذ العلم مقدّم على الكل بل المقصود أن هذه الأمور مما يتوقف عليه الحوادث .

الحديث الثاني : مجهول .

قوله : أو ردّ ، التريد من الراوي .

فائدة :

قال العلامة قدس الله روحه في شرحه على التجريد : يطلق القضاء على الخلق والإتمام قال الله تعالى : « فقضاهن سبع سموات في يومين » ^(١) أي خلقهن وأنهن وعلى الحكم والإيجاب كقوله تعالى : « وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه » ^(٢) أي أوجب وألزم ، وعلى الإعلام والإخبار كقوله تعالى « وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب » ^(٣) أي أعلمناهم وأخبرناهم ، ويطلق القدر على الخلق كقوله تعالى : « وقدّر فيها أوقاتها » ^(٤) والكتابة كقول الشاعر :

واعلم بأنّ ذا الجلال قد قدر في الصحف الاولى التي كان سطر

(١) سورة فصلت : ١٢ .

(٢) سورة الاسراء : ٢٣ .

(٣) سورة الاسراء : ٤ .

(٤) سورة فصلت : ١٠ .

والبيان كقوله تعالى : « إَلا امرأته قد رآها من الغابرين » ^(١) اي بيّنا وأخبرنا بذلك .

إذا ظهر هذا فنقول للاشعري : ما تعنى بقولك أنّه تعالى قضى أعمال العباد وقد رآها ؟ إن أردت به الخلق والايجاد فقد بيّنا بطلانه ، وإنّ الأفعال مستندة إلينا وإن عنى به الالتزام لم يصحّ إلا في الواجب خاصّة ، وإن عنى به أنّه تعالى بيّنها وكتبها وعلم أنّهم سيفعلونها فهو صحيح لأنّه تعالى قد كتب ذلك أجمع في اللوح المحفوظ وبيّنه لملائكته ، وهذا المعنى الأخير هو المتعين للإجماع على وجوب الرضا بقضاء الله تعالى وقدره ، ولا يجوز الرضا بالكفر وغيره من القبائح ولا ينفعهم الاعتذار بوجوب الرضا به من حيث أنّه فعله ، وعدم الرضا به من حيث الكسب ، لبطلان الكسب أولاً ، وثانياً نقول : إن كان الكفر كسباً بقضائه تعالى وقدره وجب الرضا به من حيث هو كسب وهو خلاف قولكم ، وإن لم يكن بقضاء وقدر بطل إسناد الكائنات بأجمعها إلى القضاء والقدر « انتهى » .

وقال شارح المواقف : أعلم إن قضاء الله عند الاشاعرة هو إرادته الأزليّة المتعلقة بالاشياء على ماهي عليه فيما لا يزال ، وقدره إيجادها إيّاها على وجه مخصوص وتقدير معين في ذواتها وأحوالها ، وأمّا عند الفلاسفة فالقضاء عبارة عن علمه بما ينبغي أن يكون عليه الوجود حتّى يكون على أحسن النظام وأكمل الانتظام ، وهو المسمّى عندهم بالعناية التي هي مبدء لفيضان الموجودات من حيث جمعتها على أحسن الوجوه وأكملها ، والقدر عبارة عن خروجها إلى الوجود العيني بأسبابها على الوجه الذي تقرّر في القضاء ، والمعتزلة ينكرون القضاء والقدر في الأفعال الاختيارية الصادرة عن العباد ، ويثبتون علمه تعالى بهذه الافعال ولا يسندون وجودها إلى ذلك العلم بل إلى اختيار العباد وقدرتهم « انتهى » .

وقال السيد المرتضى رضى الله عنه في كتاب الغرر والدُّرر : إن قال قائل : ما تأويل قوله تعالى : « وما كان لنفس أن تؤمن إلا بأذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون » ^(١) فظاهر الكلام يدلُّ على أن الإيمان إنما كان لهم فعله بأذنه وأمره وليس هذا مذهبكم فإنَّ حمل الإِذن ههنا على الإرادة إقتضى أن من لم يقع منه الإيمان لم يرده الله تعالى منه ، وهذا أيضاً بخلاف قولكم : ثمَّ جعل الرجس الذي هو العذاب على الذين لا يعقلون ، ومن كان فاقداً عقله لا يكون مكلفاً فكيف يستحقُّ العذاب وهذا بالضدِّ من الخبر المرويَّ عن النبي ﷺ : انه قال: أكثر أهل الجنة البله .

يقال له : في قوله : إلا بأذن الله وجوه :

« منها » أن يكون الإِذن الأمر ، ويكون معنى الكلام أن الإيمان لا يقع من أحد إلا بعد أن يأذن الله فيه ويأمر به ، ولا يكون معناه ما ظنَّه السائل من أنه لا يكون للفاعل فعله إلا بأذنه ، ويجري هذا مجرى قوله تعالى : « وما كان لنفس أن تموت إلا بأذن الله » ^(٢) ومعلوم أن معنى قوله ليس لها في هذه الآية هو ما ذكرناه وإن كان الأتية في الآية التي فيها ذكر الموت أن يكون المراد بالاذن العلم .

ومنها: أن يكون هو التوفيق والتيسير والتسهيل ، ولا شبهة في أن الله تعالى يوفق لفعل الإيمان ويلطف فيه ويسهل السبيل إليه .

ومنها: أن يكون الإِذن العلم من قولهم أذنت لكذا وكذا إذا سمعته وعلمته ، وآذنت فلاناً بكذا وكذا إذا أعلمته ، فتكون فائدة الآية الإخبار عن علمه تعالى بسائر الكائنات ، وأنه ممَّن لا تخفى عليه الخفيات ، وقد أنكر بعض من لا بصيرة له أن يكون الإِذن بكسر الالف وتسكين الذال عبارة عن العلم ، وزعم أن الذي هو العلم

(١) سورة يونس : ١٠٠ .

(٢) سورة آل عمران : ١٤٥ .

الآذَنَ بالتحريك، واستشهد بقول الشاعر: « انْ هَمَّتْ في سماعِ واذنٍ ، وليس الامر على ما توهمه هذا المتوهم ، لانَّ الآذَنَ هو المصدر ، والاذن هو اسم الفعل ، ويجري مجرى الحذر في انه مصدر ، والحذر بالتسكين الاسم على انه لو لم يكن مسموعاً إلا الآذَنَ بالتحريك لجاز التسكين ، مثل مَثَلٍ ومِثْلٍ وشَبَّهٍ وشبهه ونظائر ذلك كثيرة . ومنها : ان يكون الاذن العلم ومعناه اعلام الله المكلفين بفضل الايمان وما يدعو إلى فعله فيكون معنى الآية : وما كان لنفس أن تؤمن إلا باعلام الله تعالى لها ما يبعثها على الايمان ، ويدعوها الى فعله ، فاما ظنَّ السائل دخول الارادة في محتمل اللفظ فباطل ، لانَّ الاذن لا يحتمل الارادة في اللغة ، ولو احتملها ايضاً لم يجب ما توهمه لانه إذا قال أن الايمان لم يقع إلا وأنا مرید له لم ينف أن يكون مریداً لما لم يقع وليس في صريح الكلام ولا في دليله شيء من ذلك .

فاما قوله تعالى : « ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون » فلم يعن به الناقص العقول ، وإنما أراد تعالى الذين لم يعقلوا ويعلموا ما وجب عليهم علمه من معرفة خالقهم تعالى والاعتراف بنبوة رسله ﷺ والانقياد إلى طاعتهم ووصفهم بأنهم لا يعقلون تشبيهاً ، كما قال تعالى : « صمَّ بكم عمي » ^(١) وكما يصف أحداً من لم يفتن لبعض الامور أو لم يعلم ما هو مأمور بعلمه بالجنون وفقد العقل ، فاما الحديث الذي أورده السائل شاهداً له فقد قيل فيه : انه ﷺ لم يرد بالبله ذوى الغفلة والنقص والجنون وإنما أراد البله عن الشرِّ والقيح ، وسماهم بلهاً عن ذلك من حيث لا يستعملونه ولا يعتادونه لا من حيث فقد العلم به ، ووجه تشبيه من هذه حاله بالآبله ظاهر .

﴿ باب المشية والارادة ﴾

- ١ - علي بن محمد بن عبدالله ، عن أحمد بن أبي عبدالله ، عن أبيه ، عن محمد بن سليمان الديلمي ، عن علي بن إبراهيم الهاشمي قال : سمعت أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام يقول : لا يكون شيء إلا ما شاء الله وأراد وقدّر وقضى ، قلت : ما معنى شاء ؟ قال : ابتداء الفعل ، قلت : ما معنى قدّر ؟ قال : تقدير الشيء من طوله وعرضه ، قلت : ما معنى قضى ؟ قال : إذا قضى أمضاء ، فذلك الذي لا مردّ له .
- ٢ - علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس بن عبد الرحمن ، عن

باب المشية والارادة

الحديث الاول : ضعيف ، ورواه البرقي في المحاسن بسند صحيح هكذا : حدثني أبي عن يونس عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : قلت : لا يكون إلا ما شاء الله وأراد وقضى فقال : لا يكون إلا ما شاء الله وأراد وقدّر وقضى ، قلت : فما معنى شاء ؟ قال : ابتداء الفعل قلت : فما معنى أراد ؟ قال : الثبوت عليه ، قلت : فما معنى قدّر ؟ إلى آخر الخبر ولعله سقط الارادة من الكتاب .

وقوله عليه السلام : ابتداء الفعل ، اي أوّل الكتابة في اللوح ، أو أوّل ما يحصل من جانب الفاعل ويصدر عنه ممّا يؤدّي الى وجود المعلول ، وعلى ما في المحاسن يدلّ على أنّ الارادة تأكّد المشية ، وفي الله سبحانه يكون عبارة عن الكتابة في الألواح وتسبب أسباب وجوده ، وقوله : تقدير الشيء ، اي تعيين خصوصياته في اللوح أو تسبب بعض الأسباب المؤدّية إلى تعيين المعلول وتحديدده وخصوصياته «وإذا قضاه أمضاء» ^(١) أي إذا أوجبه باستكمال شرائط وجوده وجميع ما يتوقّف عليه المعلول أوجده «وذلك الذي لا مردّ له» لاستحالة تخلف المعلول عن الموجب التام كذا قيل .

الحديث الثاني : موثّق كالصحيح .

(١) وفي المتن : «إذا قضى أمضاء» ولعله نقله بالمعنى .

أبان عن أبي بصير قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : شاء وأراد وقد رُفِضَ ؟ قال : نعم ، قلت : وأحب ؟ قال : لا ، قلت : وكيف شاء وأراد وقد رُفِضَ ولم يحب ؟ قال : هكذا خرج إلينا .

قوله عليه السلام : هكذا خرج إلينا ، أي هكذا وصل إلينا من النبي وآبائنا الأئمة صلوات الله عليهم ، ولما كان فهمه يحتاج إلى لطف قريحة ، وكانت الحكمة تقتضي عدم بيانه للسائل اكتفى عليه السلام ببيان المأخذ النقلي عن التبيين العقلي . وكلامه عليه السلام يحتمل وجوهاً :

الاول : ان يكون المراد بالقضاء والقدر والمشيئة والارادة فيما يتعلق بأفعال العباد علمه سبحانه بوقوع الفعل وثبته في الألواح السماوية وشيء منها لا يهبط سبباً للفعل وأما المحبة فهو أمره سبحانه بالشئ وإثابته عليه ، فهو سبحانه لا يأمر بالمعاصي ولا يثيب عليها فصحَّ إثبات القضاء وأخواتها مع نفي المحبة .

الثاني : أن يقال لما كانت المشيئة والارادة وتعلقهما بإيقاع الفعل في الإنسان مقارناً لمحبته وشوقه وميل قلبه إلى ذلك ، توهم السائل أن له سبحانه صفة زائدة على ما ذكره ، وهي المحبة والشوق وميل القلب ، أجاب عليه السلام بأنه ليس له تعالى محبة بل إسنادها إليه مجاز ، وهي كناية عن أمره أو عدم نهيه أو ثوابه ومدحه .

الثالث : ما قيل : أن عدم المنافاة بين تعلق الارادة والمشيئة بشئ وإن لا يحبته لأن تعلق المشيئة والارادة بما لا يحبته بتعلقهما بوقوع ما يتعلق به إرادة العباد بأرادتهم وترتبه عليها ، فتعلقهما بالذات بكونهم قادرين مريدين لأفعالهم وترتيبها على إرادتهم وتعلقها بما هو مرادهم بالتبع ولا حرج في كون متعلقهما بالتبع شرّاً غير محبوب له ، فإن دخول الشرّ وما لا يحبته في متعلق إرادته بالعرض جائز فإن كل من تعلق مشيئته وإرادته بخير وعلم لزوم شرّ له شرية لا تقاوم خيريته تعلقاً بذلك الشرّ بالعرض وبالتبع وذلك التعلق بالتبع لا ينافي أن يكون المرید خيراً محضاً ، ولا يتصف بكونه شراً ومحبباً للشرّ ، وسيأتي مزيد تحقيق لذلك في شرح الأخبار الآتية .

٣ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن علي بن معبد ، عن واصل بن سليمان ، عن عبدالله بن سنان ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سمعته يقول : أمر الله ولم يشأ ؛ وشاء ولم يأمر ، أمر إبليس أن يسجد لآدم وشاء أن لا يسجد ، ولو شاء لسجد ، ونهى آدم عن أكل الشجرة وشاء أن يأكل منها ولو لم يشأ لم يأكل .

الحديث الثالث : مجهول .

قوله عليه السلام : وشاء أن لا يسجد . أقول : توجيه تلك الاخبار على أصول العدلية لا يخلو من صعوبة وقد يوجه بوجوه :

الأول : حملها على التقيّة لكونها موافقة لأصول الجبريّة وأكثر المخالفين منهم ويؤيده ما رواه الصدوق في العيون والتوحيد بإسناده عن الحسين بن خالد قال : قلت للمرّضا عليه السلام : يا بن رسول الله إنّ الناس ينسبوننا إلى القول بالتشبيه والجبر لما روى من الاخبار في ذلك من آبائك الائمة عليه السلام ؟ فقال : يا بن خالد أخبرني عن الاخبار التي رويت عن آبائي الائمة عليه السلام في التشبيه أكثر أم الاخبار التي رويت عن النبي صلى الله عليه وآله في ذلك ؟ فقلت : بل ما روى عن النبي صلى الله عليه وآله في ذلك أكثر ، قال : فليقولوا إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول بالتشبيه والجبر إذأ ؟ قلت له : إنّهم يقولون إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم يقل من ذلك شيئاً ، وإنّما روى عليه ، قال عليه السلام : فليقولوا في آبائي عليه السلام أنّهم لم يقولوا من ذلك شيئاً ، وإنّما روى عليهم ، ثمّ قال عليه السلام : من قال بالتشبيه والجبر فهو كافر مشرك ، ونحن منه براء في الدنيا والآخرة ، يا بن خالد إنّما وضع الاخبار عنّا في التشبيه والجبر الغلاة الذين صغروا عظمة الله فمن أحبّهم فقد أبغضنا ومن أبغضهم فقد أحبّنا « الخبر » .

الثاني : أن يقال : المراد بالمشيئة العلم ، ويؤيده ما في كتاب فقه الرضا حيث قال عليه السلام : قد شاء الله من عباده المعصية وما أراد ، وشاء الطاعة وأراد منهم ، لأنّ المشيئة مشيئة الامر ومشية العلم ، وإرادته إرادة الرضا وإرادة الامر ، أمر بالطاعة ورضى بها ، وشاء المعصية يعني علم من عباده المعصية ولم يأمرهم بها « الخبر » .

• • • • •

الثالث : أن يقال : المراد بمشيئة الطاعة هداياته وألطافه الخاصة التي ليست من ضروريات التكليف ، وبمشيئة المعصية خذلانه وعدم فعل تلك الاطاف بالنسبة إليه وشيء منهما لا يوجب جبره على الفعل والترك ، ولا ينافي استحقاق الثواب والعقاب .

الرابع : ما قيل : ان المراد تهيئة أسباب فعل العبد بعد ارادة العبد ذلك الفعل .

الخامس : أن يقال : لما اقتضت المصلحة تكليف من علم الله منه المعصية وكلفه مع علمه بذلك ووكله إلى إختياره ففعل تلك المعصية فكأنه شاء صدور منه ، وكذا في الطاعة إذا علم عدم صدور منه ، فسمى ذلك مشيئة مجازاً ، وهذا مجاز شايع كما إذا أمر المولى عبده بأوامر وخيره في ذلك ومكّنه على الفعل والترك مع علمه بأنه لا يأتي بها ، فيقال له : أنت فعلت ذلك إذ كنت تعلم أنه لا يفعل ومكّنته ووكلته إلى نفسه .

السادس : أن يقال أن المراد بمشيئته عدم جبره على فعل الطاعة أو ترك المعصية وبعبارة اخرى سمى عدم المشيئة مشيئة العدم كما سيأتي في كلام الصدوق (ره) وهذا قريب من الوجه السابق بل يرجع اليه .

السابع : أنه إسناد للفعل إلى العلة البعيدة ، فإن العبد وقدرته وأدواته لما كانت مخلوقة لله تعالى فهو جلّ وعلا علة بعيدة لجميع أفعاله .

الثامن : ما أو مانا اليه في الخبر السابق من المشيئة بالتبع ، وربما يحقق بوجه أوضح حيث حقق بعضهم الأمر بين الأمرين ، ان فعل العبد واقع بمجموع القدرتين ، قدرة الله وقدره العبد ، والعبد لا يستقل في إيجاد فعله بحيث لا دخل لقدرة الله تعالى فيه ، بمعنى أنه أقدر العبد على فعله بحيث يخرج عن يده أزمة الفعل المقدور للعبد مطلقاً ، كما ذهب إليه المفوضة او لا تأثير لقدرة فيه ، وان كان

قادراً على طاعة العاصي جبراً لعدم تعلق إرادته بجبره في أفعاله الاختيارية كما ذهب إليه المعتزلة وهذا أيضاً نحو من التفويض وليس قدرة العبد بحيث لا تأثير له في فعله أصلاً ، سواء كانت كاسبة كما ذهب إليه الأشعري ، ويؤول مذهبه إلى الجبر ، أم لا تكون كاسبة أيضاً بمعنى أن لا تكون له قدرة واختيار أصلاً ، بحيث لا يكون فرق بين مشي زيد وحركة المرتعش كما ذهب إليه الجبرية ، وهم جهم بن صفوان ومن تبعه .

فهذا معنى الأمر بين الأمرين ، ولما كان مشيئة العبد وإرادته وتأثيره في فعله جزءاً أخيراً للعللة التامة ، وإنما يكون تحقق الفعل والترك مع وجود ذلك التأثير وعدمه فينتفي صدور القبيح عنه تعالى ، بل إنما يتحقق بالمشيئة والارادة الحادثة ، وبالتأثير من العبد الذي هو متمم للعللة التامة ، ومع عدم تأثير العبد والكف عنه بإرادته وإختياره لا يتحقق فعله بمجرد مشيئة الله سبحانه وإرادته وقدره إذ لم يتحقق مشيئة وإرادة وتعلق إرادة منه تعالى بذلك الفعل مجرداً عن تأثير العبد فحينئذ الفعل لا سميماً القبيح مستند إلى العبد ، ولما كان مراده تعالى من إقداره العبد في فعله وتمكينه له فيه صدور الأفعال عنه باختياره وإرادته إذا لم يكن مانع أي فعل أراد واختار من الإيمان والكفر والطاعة والمعصية ، ولم يرد منه خصوص شيء من الطاعة والمعصية ، ولم يرد جبره في أفعاله ليصح تكليفه لأجل المصلحة المقتضية له ، وكلفه بعد ذلك الإقدار بإعلامه بمصالح أفعاله ومفاسده في صورة الأمر والنهي ، لأنهما منه تعالى من قبيل أمر الطبيب للمريض بشرب الدواء النافع ونهيهِ عن أكل الغذاء الضار ، فمن صدور الكفر والعصيان عن العبد بإرادته المؤثرة واستحقاقه بذلك العقاب لا يلزم أن يكون العبد غالباً عليه تعالى ، ولا يلزم عجزه تعالى كما لا يلزم غلبة المريض على الطبيب ولا عجز الطبيب إذا خالفه المريض وهلك ، ولا يلزم أن يكون في ملكه أمر لا يكون بمشيئة الله تعالى وإرادته ، ولا يلزم الظلم في عقابه ، لأنّه فعل

القيح بارادته المؤثرة وطبيعة ذلك الفعل توجب أن يستحق فاعله العقاب .
ولما كان مع ذلك الاعلام من الأمر والنهي بوساطة الحجج والتكليف اللطف والتوفيق في الخيرات والطاعات من الله جل ذكره فمافعل الإنسان من حسنة فالأولى أن يسند وينسب إليه تعالى لانه مع إقداره وتمكينه له وتوفيقه للحسنات أعلمه بمصالح الايمان بالحسنات ومضار تركها والكف عنها بأوامره ، وما فعله من سيئة فمن نفسه لأنه مع ذلك أعلمه بمفاسد الايمان بالسيئات ومنافع الكف عنها بنواهيهِ وهذا من قبيل إطاعة الطبيب ومخالفته فانه من أطاعه وبرء من المرض يقال: عالجه الطبيب، ومن خالف وهلك يقال: أهلك نفسه بمخالفته للطبيب.

فمعنى قوله: أمر الله ولم يشأ ، أنه أعلم العباد وأخبرهم بالأعمال النافعة لهم كالإيمان والطاعة ، ولم يشأ صدور تلك الافعال عنهم ، كيف ولو شاء ولم يصدر عن بعضهم لزم عجزه ومغلوبيته تعالى عن ذلك علوًّا كبيراً ، بل إنما شاء صدور الافعال عنهم بقدرتهم واختيارهم أي فعل ارادوه ، فما شاء الله كان .

ومعنى قوله: شاء ولم يأمر، أنه شاء صدور الافعال عن العباد باختيارهم أي فعل ارادوه ، ولم يأمر بكل ما أرادوا بل نهاهم عن بعضه وأعلمهم بمضرتة كالكفر والعصيان .

فقوله: أمر ابليس أن يسجد لآدم، أي أعلمه بأن سجدة لآدم نافع له ، وكفّه عنه ضارّه له ، وشاء أن لا يسجد يعني لم يشأ خصوص السجود عنه ، ولو شاء خصوص السجود عنه لسجد ، لا استحالة عجزه وغلبة ابليس عليه ، بل إنما شاء صدور أيتهما كان من السجود وتركه ، أي كفّه بارادته وإختياره ، ولما لم يسجد ابليس، أي كفّ عن السجود بارادته ، فهو تعالى لاجل ذلك شاء كفّه ، ولما كان الكفّ إنما يتحقق بمشيئة إبليس وإرادته المؤثرة وهي جزء أخير للعلّة التامة فلذا يستحق إبليس الذم والعقاب ، والقيح صادر عنه لا عن الله تعالى ، وكذا الكلام في نهى آدم عن أكل الشجرة .

٤ - علي بن إبراهيم ، عن المختار بن محمد الهمداني ومحمد بن الحسن ، عن عبدالله بن الحسن العلوي جميعاً ، عن الفتح بن يزيد الجرجاني ، عن أبي الحسن عليه السلام قال : إن الله إرادتين ومشيتين : إرادة حتم وإرادة عزم ، ينهى وهو يشاء ويأمر وهو لا يشاء ، أو ما رأيت أنه نهى آدم وزوجته أن يأكلا من الشجرة وشاء ذلك ولو لم يشأ أن يأكلا لما غلبت مشيئتهما مشيئة الله تعالى ، وأمر إبراهيم أن يذبح

أقول : هذا ما حققه بعضهم وله وجهان :

« الأول » : أن يكون المراد أنه تعالى يوجد الفعل بعد إرادة العبد لقولهم : لا مؤثر في الوجود إلا الله ، فأرادة العبد شرط لتأثيره تعالى ، وهذا مخالف لقول الامامية بل عندهم أن أعمال العباد مخلوقة لهم .

« الثاني » : أن يكون العباد موجدين لأعمالهم بشرط عدم حيلولته سبحانه بينهم وبين الفعل ، ولتوفيقه وخذلانه سبحانه أيضاً مدخل في صدور الفعل ، لكن لا ينتهي إلى حد الإلجاء والإضطرار ، ونسبة المشيئة إليه سبحانه لتمكينهم وإقذارهم وعدم منعهم عنه لمصلحة التكليف فيرجع إلى بعض الوجوه السابقة ، وهو موافق لمذهب الامامية ، والله تعالى يعلم حقائق الأمور .

الحديث الرابع : مجهول ، وقال الصدوق نور الله ضريحه في كتاب التوحيد بعد إيراد هذا الخبر : إن الله تعالى نهى آدم وزوجته عن أن يأكلا من الشجرة ، وقد علم أنهما يأكلان منها لكنّه عز وجل شاء أن لا يحول بينهما وبين الأكل منها بالجبر والقدرة ، كما منعهما من الأكل منها بالنهي والزجر ، فهذا معنى مشيئته فيهما ولو شاء عز وجل منعهما من الأكل بالجبر ، ثم أكلا منها لكان مشيئتهما قد غلبت مشيئة الله كما قال العالم : تعالى الله عن العجز علواً كبيراً « انتهى » .

والكلام في هذا الخبر كالكلام في سابقه والمراد بارادة الحتم الارادة المستجمعة لشرايط التأثير المنجزة الى الايجاب والايجاد ، وكذا المشيئة ، والمراد بارادة العزم الارادة المنتهية الى طلب المراد والأمر والنهي ، وينفك أحدهما عن الآخر كما

إسحاق ولم يشأ أن يذبحه ولو شاء لما غلبت مشيئة إبراهيم مشيئة الله تعالى .

٥ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن علي بن معبد ، عن دُرست بن أبي منصور

عن فضيل بن يسار قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : شاء وأراد ولم يحب ولم يرض ، شاء أن لا يكون شيء إلا بعلمه وأراد مثل ذلك ولم يحب أن يقال : ثالث ثلاثة ، ولم يرض لعباده الكفر .

٦ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال : قال أبو الحسن الرضا

عليه السلام قال الله : [يا] ابن آدم بمشيئتي كنت أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء ،

مر ، وهذه الرواية تدل على أن الذبيح إسحاق ، وقد اتفق عليه أهل الكتابين ، وذهب إليه بعض العامة وقليل من أصحابنا ، ولعل الكليني (ره) أيضاً مال إليه ، والمشهور أنه إسماعيل عليه السلام وعليه ذلك الأخبار المستفيضة ، ويمكن حمل هذا الخبر على التقية ، وربما يؤول بأنه عليه السلام أمر أولاً بذبح إسحاق ثم نسخ وأمر بذبح إسماعيل ، والاقتران على الذبيح وفعل مقدّماته إنمّا وقع فيه .

وروى الصدوق (قده) هذا الخبر في التوحيد ، وفيه هكذا : وأمر إبراهيم

بذبح ابنه وشاء أن لا يذبحه وليس فيه ذكر واحد منهما .

الحديث الخامس : ضعيف .

قوله عليه السلام : أن لا يكون شيء إلا بعلمه ، قيل : أي شاء بالمشيئة الحتمية أن

لا يكون شيء إلا بعلمه ، وعلى طباق ما في علمه بالنظام الأعلى وما هو الخير والأصلح ولوازمها ، وأراد الإرادة الحتمية مثل ذلك ولم يحب الشرور اللازمة التابعة للخير والأصلح ، كأن يقال : ثالث ثلاثة ، وأن يكفر به ولم يرض بهما وقيل : لم يحب ولم يرض أي لم يأمر بهما بل جعلهما منهيّاً عنهما ، ولم يجعلهما بحيث يترتب عليهما النفع ، بل بحيث يترتب عليهما الضرر ، وتام الكلام في ذلك قد مر في شرح الأخبار السابقة .

الحديث السادس : صحيح .

قوله سبحانه : بمشيئتي ، أي بالمشيئة التي خلقتها فيك وجعلتك مريداً شائياً ،

وبقوّتي أدّيت فرائضي وبنعمتي قويت على معصيتي ، جعلتك سميعاً ، بصيراً ، قوياً ؛
ما أصابك من حسنة فمن الله ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك وذاك أنّي أولى بحسناتك
منك وأنت أولى بسيئاتك منّي ، وذاك أنّي لا أسأل عما أفعل وهم يسألون .

أو بما شئت أن أجعلك مختاراً مريداً وبقوّتي التي خلقتها فيك أدّيت فرائضي ، وقيل
لعلّ المراد بها القوّة العقلانيّة « وبنعمتي » التي أنعمتها عليك من قدرتك على ما
تشاء ، والقوى الشهوانيّة والغضبّيّة التي بها حفظ الابدان والانواع وصلاحها « قوّيت
على معصيتي » وقوله « جعلتك سميعاً بصيراً » ناظر إلى الفقرة الثانية ، وقوله : قوياً
إلى الثالثة .

وقوله : « ما أصابك من حسنة فمن الله » لانه من آثار ما أفيض عليه من
جانب الله « وما أصابك من سيئة فمن نفسك » لانه من طغيانها بهواه .
وقوله : وذاك أنّي أولى بحسناتك منك « الخ » بيان للفرق ، مع أنّ الكلّ مستند إليه
ومنتهى به بالآخرة ، وللعبد في الكلّ مدخل بالترتب على مشيئته وقواه العقلانيّة
والنفسانيّة ، بأنّ ما يؤدّي إلى الحسنات منها أولى به سبحانه ، لانه من مقتضيات
خيريته سبحانه وآثاره الفائضة من ذلك الجذاب بلا مدخلة للنفس إلاّ القابليّة
لها ، وما يؤدّي إلى السيئات منها أولى بالأنفس لأنّها مناقض من آثار نقصها لا
تستند إلى ما فيه منقصة .

وقوله : « وذاك أنّي ^(١) لا أسأل عما أفعل وهم يسألون » بيان لكونه أولى بالحسنات
بأنّ ما يصدر ويفاض من الخير المحض من الجهة الفائضة منه لا يسئل عنه ، ولا يؤاخذ
به فاته لا مؤاخذه بالخير الصّرف ، وما ينسب إلى غير الخير المحض ومن فيه شريّة
ينبعث منه الشرّ يؤاخذ بالشرّ ، فالشّرور وإن كانت من حيث وجودها منتسبة إلى
خالقها ، فمن حيث شريّتها منتسبة إلى منشأها وأسبابها القريبة الماديّة ، هذا ما ذكره
بعض الافاضل في هذا المقام .

ويمكن أن يقال : كونه تعالى أولى بحسناته لأنّها بالطافه وتوفيقاته وتأيداته

(١) وفي المتن « وذاك أنّي » بنونين .

﴿ باب الابتلاء والاختبار ﴾

١ - علي بن إبراهيم بن هاشم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس بن عبد الرحمن عن حمزة بن محمد الطيار ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ما من قبض ولا بسط إلا والله

ويمكن أن يكون قوله عليه السلام : بقوتي إشارة إلى ذلك أيضاً ، وللعبد مدخلية ضعيفة فيها بارادته واختياره بخلاف المعاصي ، فإنها وإن كانت بالقدرة والآلات والأدوات التي خلقها الله فيه وله ، لكنه سبحانه لم يخلقها للمعصية بل خلقها للطاعة ، وصرّحها في المعصية موجب لمزيد الحجّة عليه ، وأما خذلانه ومنع التوفيق فليس فعلاً منه تعالى بل ترك فعل لعدم استحقاقه لذلك واختيار المعصية بارادته وسوء اختياره ، فظهر أن العبد أولى بسيئاته منه سبحانه .

وقوله : « وذاك أتني » يمكن أن يكون تفريعاً لا تعليلاً ، أي لأجل ما ذكر لا يسئل سبحانه عن معاصي العباد ولا يعترض عليه وهم يسئلون ، ولو كان تعليلاً يحتمل أن يكون المراد أنه لو ضوح كمال علمه وحكمته ولطفه ورحمته ليس لأحد أن يسئله عن سبب فعله وحكمة التكليف ، والعباد لنقصهم وعجزهم وتقصيرهم يسئلون ، وليس على مازعمه الأشاعرة من أن المراد أنه لا إعتراض لأحد على المالك فيما يفعله في ملكه ، والعالم ملكه تعالى ومليكُه فله أن يفعل فيه كل ما يريد سواء كان خيراً أو شراً أو عبثاً ، وهم لا يقولون بالمختص والمرجح في إختياره تعالى شيء ، قائلين أن الإرادة يختص أحد الطرفين من غير حاجة إلى المختص والمرجح لأنه لا يسئل عن اللّميّة ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

باب الابتلاء والاختبار

الحديث الاول : حسن .

والقبض في اللّغة : الامساك والأخذ ، والبسط : نشر الشيء ويطلق القبض على المنع والبسط على العطاء ، ومن اسمائه تعالى القابض والباسط ، لأنه يقبض الرزق

فيه مشيئة وقضاء وابتلاء .

٢ - عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن أبيه ، عن فضالة بن أيوب ، عن حمزة بن محمد الطيَّار ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إنَّه ليس شيء فيه قبض أو بسط ممَّا أمر الله به أو نهى عنه إلَّا وفيه لله عزَّ وجلَّ ابتلاء وقضاء .

﴿ باب السعادة والشقاء ﴾

١ - محمد بن إسماعيل ، عن الفضل بن شاذان ، عن صفوان بن يحيى ، عن منصور ابن حازم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إنَّ الله خلق السعادة والشقاء قبل أن يخلق

عَمَّن يشاء ويبسطه لمن يشاء ويقبض الأرواح عند الممات ويبسطها عند الحياة .
وهنا يحتمل أن يكون المراد بهما ما هو من فعله تعالى كالقبض والبسط في الأرزاق بالتوسيع والتقتير ، وفي النفوس بالسرور والأحزان أو بافاضة المعارف عليها وعدمها ، وفي الأبدان بالصحة والاليم ، وفي الأعمال بتوفيق الاقبال إليها وعدمه ، وفي الدَّعاء بالاجابة له وعدمها ، وفي الأحكام بالرخصة في بعضها والنهي عن بعضها ، أو ما هو من فعل العباد كقبض اليد وبسطها ، والبخل والجود وأمثالها ، فالمراد بالمشيئة والقضاء أحد المعاني المذكورة في الباب السابق ، والابتلاء والامتحان والاختبار في حقه تعالى مجاز ، أي يعاملهم معاملة المختبر مع صاحبه لا لينعلم مآل حالهم وعاقبة أمرهم ، لأنَّه علام الغيوب ، بل ليظهر منهم ما يستحقون به الثواب والعقاب .
الحديث الثاني : حسن .

باب السعادة والشقاء

الحديث الاول : مجهول كالصحيح .

قوله : خلق السعادة ، السعادة: ما يوجب دخول الجنة والراحة الأبدية
واللذات الدائمة ، والشقاوة ما يوجب دخول النار والعقوبات الأبدية والآلام
الدائمة ، وقد تطلق السعادة على كون خاتمة الأعمال بالخير ، والشقاوة على كون

خلقه فمن خلقه الله سعيداً لم يبغضه أبداً ، وإن عمل شرّاً أبغض عمله ولم يبغضه ، وإن كان شقيماً لم يحبّه أبداً وإن عمل صالحاً أحبّ عمله وأبغضه لما يصير إليه ، فإذا أحبّ الله شيئاً لم يبغضه أبداً وإذا أبغض شيئاً لم يحبّه أبداً .

٢ - عليّ بن محمد رفعه ، عن شعيب العرقوفيّ ، عن أبي بصير قال : كنت بين

الخاتمة بالشرّ ، والمراد بخلق السعادة والشقاوة تقديرهما بتقدير التكليف الموجبة لهما ، أو أن يكتب في الألواح السماوية كونه من أهل الجنة ، أو من أهل النار ، موافقاً لعلمه سبحانه ، التابع لما يختارونه بعد وجودهم وتكليفهم بأرادتهم وإختيارهم والمراد بالخلق ثانياً الإيجاد في الخارج .

« فمن خلقه الله سعيداً ، أي علمه وقدّره سعيداً ، وخلقهُ عالماً بأنّه سيكون سعيداً .

« لم يبغضه أبداً ، أي لا يعاقبه ، ولا يحكم بكونه معاقباً .
« وإن عمل شرّاً أبغض عمله » أي يذمّ عمله ، ويحكم بأنّ هذا الفعل ممّا يستحقّ به العقاب « ولم يبغضه » بأن يحكم بأنّ هذا الشخص مستحقّ للعقاب لعلمه سبحانه بأنّه سيتوب ، ويصير من السعداء .

« وإن كان شقيماً » في علمه تعالى بأن يعلم أنّه يموت على الكفر والضلال
« لم يحبّه أبداً ، أي لا يحكم بأنّه من أهل الجنة ولا يثني عليه ، وإن عمل الأعمال الصالحة لما يعلم من عاقبته ولكن يحكم بأنّ عمله حسن عند ما يعمل صالحاً ، وإنّ هذا العمل ممّا يستحقّ عامله الثواب إن لم يعمل ما يحبطه « وأبغضه » أي يحكم بأنّه من أهل النار لما يعلم من عاقبة أمره ، فإذا أحبّ الله شيئاً سواء كان من الأشخاص أو الأعمال « لم يبغضه أبداً » وكذا العكس بالمعنى الذي ذكرنا للحبّ والبغض .

الحديث الثاني : مرفوع وهو في غاية الصعوبة والاشكال ، وتطبيقه على مذهب العدلية يحتاج إلى تكلفات كثيرة .

والعجب أنّ الصدوق قدّس سرّه رواه في التوحيد ناقلاً عن الكليني بهذا

يدي أبي عبدالله عليه السلام جالساً وقد سألته سائلٌ فقال : جعلت فداك يا ابن رسول الله من أين لحق الشقاء أهل المعصية حتى حكم الله لهم في علمه بالعذاب على عملهم ؟ فقال أبو عبدالله عليه السلام : أيتها السائل حكم الله عز وجل لا يقوم له أحدٌ من خلقه

السند بعينه هكذا : عن أبي بصير قال : كنت بين يدي أبي عبدالله عليه السلام جالساً وقد سألته سائلٌ فقال : جعلت فداك يا ابن رسول الله من أين لحق الشقاء أهل المعصية حتى حكم الله لهم في علمه بالعذاب على عملهم ؟ فقال أبو عبدالله عليه السلام : أيتها السائل علم الله عز وجل لا يقوم أحدٌ من خلقه بحقه ، فلما علم بذلك وهب لأهل محبته القوة على معصيتهم لسبق علمه فيهم ، ولم يمنهم إطفاء القبول منه ، لأن علمه أولى بحقيقة التصديق ، فوافقوا ما سبق لهم في علمه ، وإن قدروا أن يأتوا خلافاً ينجيهم عن معصيته ، وهو معنى شاء ما شاء وهو سر ، ولا أدري أن نسخته كانت هكذا أو غيره ليوافق قواعد العدل ، ويشكل احتمال هذا الظن في مثله .

وبالجملة على ما في الكتاب لعلّ حمله على التقيّة أو تحريف الرواة أولى ولنتكلم على الخبر ظاهراً وتأويلاً ، ثم نكل علمه إلى من صدر عنه ونسب إليه صلوات الله عليه .

فنعول : السؤال يحتمل وجوهاً :

« الأول » : أنه سئل عن سبب أصل السعادة والشقاوة وضرورة بغض الخلق كفاراً وبعضهم مؤمنين وفرقة فساقاً وأخرى صالحين .

« الثاني » أن يكون الشبهة الواردة عليه من جهة أن العلم لما كان تابعاً للمعلوم فتوهم أنه يجب تأخره عن المعلوم فكيف تقدّم عليه .

« الثالث » : أن يكون الشبهة عليه من جهة أن العلم إما حصولي أو حضوري وحصول الصورة لا يتصور في حقه تعالى ، والحضور إنما يكون بعد وجود المعلوم . وحاصل الجواب على الأول أن حكم الله بالسعادة والشقاوة وأسبابهما من غوامض مسائل القضاء والقدر ، وعقول أكثر الخلق عاجزة عن الإحاطة بها ، فلا يجوز

بحقّه ، فلمّا حكم بذلك وهب لأهل محبّته القوّة على معرفته ، ووضع عنهم ثقل

الخوض فيها كما قال الصّدوق (ره) في رسالة العقائد : الكلام في القدر منهى عنه كما قال أمير المؤمنين عليه السلام لرجل قد سئله عن القدر ؟ فقال : بحر عميق فلا تلجه ، ثم سألّه ثانية فقال : طريق مظلم فلا تسلكه ، ثم سئله ثالثة فقال : سرّ الله فلا تتكلّفه وقال عليه السلام في القدر : ألا إنّ القدر سرٌّ من سرّ الله ، وحرز من حرز الله ، مرفوع في حجاب الله ، مطويّ عن خلق الله ، مختوم بخاتم الله ، سابق في علم الله ، وضع الله عن العباد علمه ، ورفعه فوق شهاداتهم ، لأنّهم لا ينالونه بحقيقة الربانيّة ، ولا بقدره الصّمدانيّة ، ولا بعظمة النورانيّة ، ولا بعزة الوحدانيّة ، لأنّه بحر زاخر موحّج خالص لله عزّ وجل ، عمقه ما بين السّماء والأرض ، عرضه ما بين المشرق والمغرب ، أسود كالليل الدامس ، كثير الحيات والحيّات ، يعلو مرّة ويسفل أخرى ، في قعره شمس تضيء لا ينبغي أن يطلّع عليها إلّا الواحد الفرد ، فمن تطلّع عليها فقد ضادّ الله في حكمه ونازعه في سلطانه وكشف عن سرّه وستره ، وباء بغضب من الله وماواه جهنّم وبئس المصير .

وأما على الثاني فالجواب عنه وإن كان ظاهراً إن تابعية العلم لا تستدعي تأخّره عن المعلوم زماناً ، فلعلّه لم يجب عنه لقصور فهم السّائل .

وأما الثالث فغموض المسئلة وعجز أكثر الخلق عن الوصول إلى كنه علمه سبحانه ظاهر ، وقد تحيّر فيه الحكماء والمتكلّمون ، ولم يأتوا فيه بشيء يسمّن ويفنى من جوع ، وسبيل أهل الدّيانة فيه وفي أمثاله الاقرار به بحلّة وعدم الخوض في كيفيّته وترك التفكير في حقيقته فأنّه كما لا يمكن إدراك حقيقة ذاته تعالى ، فكذا لا تصل عقول الخلق إلى كنه صفاته التي هي عين ذاته سبحانه .

ويحتمل أن يكون المراد أن تكاليفه تعالى شاقّة لا يتيسّر إلّا بهدأيته وتوفيقه سبحانه « وهب لأهل محبّته » الاضافة إلى الضمير اضافة إلى الفاعل أو إلى المفعول ، أي الذين أحبّتهم لعلمه بأنهم يطيعونه ، أو الذين يحبّونه ووضع عنهم ثقل العمل

العمل بحقيقة ما هم أهله ، وهب لأهل المعصية القوة على معصيتهم لسبق علمه فيهم ومنعهم إطاقة القبول منه ، فوافقوا ما سبق لهم في علمه ولم يقدرُوا أن يأتوا حالاً تنجيهم من عذابه ، لأنَّ علمه أولى بحقيقة التصديق وهو معنى شاء ما شاء وهو سرُّه .

بالتوفيقات والهدايات والألطف الخاصة بحقيقة ما هم أهله ، أي بحسب ما يرجع إليهم من النيات الصَّحيحة والأعمال الصَّالحة والطينات الطيبة « وهب لأهل المعصية » الهبة هنا على سبيل التحكُّم أو يقال إعطاء أصل القوة لطف ورحمة ، وباستعمال العبد إيتاها في المعصية نصير شراً ، أو أنَّهم لما كانوا طالبين للمعصية راغبين فيها ، فكأنَّهم سئلوا ذلك وهبهم والأوسط أظهر .

« القوة على معصيتهم » أي المعصية التي يفعلونها بارادتهم وإحتياهم لسبق علمه فيهم ، إذ علم أنَّ التكليف لا يتم إلا بإعطاء الآلة والقوَّة ، وإلَّا لكانوا مجبورين على الترك .

« ومنعهم إطاقة القبول منه » قيل : هو مصدر مضاف إلى الفاعل عطفاً على ضمير فيهم ، أي لعلمه بأنَّهم يمنعون أنفسهم إطاقة القبول ، ولا يخفى ما فيه لفظاً ومعنى . أقول : ويحتمل أن يكون عطفاً على السُّبُو ويكون اللام فيهما لام العاقبة كما في قوله تعالى : « ليكون لهم عدوًّا » ^(١) أي وهب لهم القوَّة مع أنه كان يعلم عدم إطاعتهم و نصيرهم أنفسهم بحيث كأنَّهم لا يطيقون القبول منه ، أو منعهم بصيغة الماضي ويكون المراد ترك الألطف الخاصة ، فلما لم يلطف لهم فكأنَّه منعهم القبول كما في قوله تعالى : « ختم الله على قلوبهم » ^(٢) وكذا قوله : ولم يقدرُوا ، أي قدرة تامة لسهولة كما كانت للفريق الأوَّل عند الألطف الخاصة ، لأنَّ علمه أولى بحقيقة

(١) سورة القصص : ٨ .

(٢) سورة البقرة : ٧ .

٣ - عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن أبيه ، عن النضر بن سويد عن يحيى بن عمران الحلبي ، عن معلى بن عثمان ، عن علي بن حنظلة ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، أنه قال : يسلك بالسعيد في طريق الأشفياء حتى يقول الناس : ما أشبهه بهم بل هو منهم ، ثم يتداركه السعادة ، وقد يسلك بالشقي طريق السعداء حتى يقول الناس : ما أشبهه بهم ، بل هو منهم ثم يتداركه الشقاء ، إن من كتبه الله سعياً

التصديق ، أي إنما صاروا كذلك لأن علمه تعالى لا يتخلف ، لا لأن العلم علة ، بل لأن علمه سبحانه لا محالة يكون موافقاً للمعلوم ، فمعنى مشيئة الله تعالى وسرها هو هذا المعنى ، أي علمه مع التوفيق لقوم و الخذلان لآخرين على وجه لا يصير شيء منهما سبباً للإجبار على الطاعة أو المعصية .

هذا غاية ما يمكن من القول في تأويل هذا الخبر وإن كان ظاهره أن الله لما علم من قوم أنهم يطيعونه سهل عليهم الطاعة ، ولما علم من قوم المعصية إن وگلوإ إلى إختيارهم جعلهم بحيث لم يمكن أن يتأني منهم الطاعة ، والقول بظاهره لا يوافق العدل ، وللسالكين مسالك الحكماء والصوفية هي هنا تحقيقات طويلة الذيل ، دقيقة المسالك لم نذكرها لئلا تتعلق بقلوب نواقص العقول والافكار والله يعلم حقايق الاسرار

الحديث الثالث : مجهول .

قوله ﷺ : يسلك بالسعيد ، على بناء المفعول والباء للتعدي ، والفاعل هو الله بالخذلان أو الشيطان « ما أشبهه بهم » تعجباً من كمال مشابهمهم بهم في الأعمال ثم يحكمون بعد تكرار مشاهدة ذلك أنه منهم « إن من كتبه الله » أي علم الله منه السعادة وكتب له ذلك في اللوح المحفوظ ، لالوح المحو والاثبات ، فلا ينافي ما ورد في الأدعية الكثيرة « ان كنت كتبتني شقياً فامح من أم الكتاب شقائي » فإن المراد به لوح المحو والاثبات ، والفواق بالضم وقد يفتح الفاء : ما بين الحلبتين من الوقت ، لأن الناقه تحلب ثم تترك سويعه يرضعها الفصيل لتدر ثم تحلب ، أو ما بين فتح يدك وقبضها على الضرع .

وإن لم يبق من الدنيا إلا فوق ناقة ختم له بالسعادة .

باب الخير والشر

١ - عدّةٌ من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن ابن محبوب وعلي بن الحكم ، عن معاوية بن وهب قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إنّ ممّا أوحى الله إلى موسى عليه السلام وأنزل عليه في التوراة : أنّي أنا الله لا إله إلا أنا ، خلقت الخلق

والحاصل أنّ السّعادة والشقاوة الاخرى تتبنّان انما تكون بحسن العاقبة وسوءها والمدار عليهما ، فينبغي للإنسان أن يطلب حسن العاقبة ويسعى فيه ، ويتضرّع إليه تعالى في أن يرزقه ذلك ، رزقنا الله وسائر المؤمنين حسن عاقبة المتّقين .

باب الخير والشر

الحديث الاول : صحيح .

والخير والشرّ يطلقان على الطاعة والمعصية وعلى أسبابهما ودواعيهما ، وعلى المخلوقات النافعة كالحبوب والثمار والحيوانات المأكولة والضّارة كالسّموم والحيّات والعقارب ، وعلى النّعم والبلايا ، وذهبت الأشاعرة إلى أنّ جميع ذلك من فعله تعالى ، والمعتزلة والإماميّة خالفوه في أفعال العباد ، وأولّوا ماورد في أنّه تعالى خالق الخير والشرّ بالمعنيين الاخيرين .

قال المحقق الطوسي قدس سرّه : ماورد أنّه تعالى خالق الخير والشرّ ، أريد بالشرّ ما لا يلائم الطّباع وإن كان مشتملا على مصلحة ، وتحقيق ما ذكره أنّ للشرّ معنيين : احدهما : ما لا يكون ملائماً للطّباع كخلق الحيوانات الملوذية ، والثاني ما يكون مستلزماً للفساد ، ولا يكون فيه مصلحة ، والمنفني عنه تعالى هو الشرّ بالمعنى الثاني لا الشرّ بالمعنى الأوّل ، وقال الحكماء : ما يمكن صدوره من الحكيم إمّا أن يكون كلّ خيراً ، أو كلّ شرّاً ، أو بعضه خيراً وبعضه شرّاً ، فإن كان كلّ خيراً وجب عليه تعالى خلقه ، وإن كان كلّ شرّاً لم يجز خلقه ، وإن كان بعضه خيراً وبعضه

وخلقت الخير وأجزيته على يدي من أحب ، فطوبى لمن أجرته على يديه وأنا الله لا إله إلا أنا ، خلقت الخلق وخلقت الشر وأجزيته على يدي من أريده ، فويل لمن أجرته على يديه .

٢ - عده من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن محمد بن حكيم ، عن محمد بن مسلم قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : إن في بعض ما أنزل الله من كتبه أني أنا الله لا إله إلا أنا ، خلقت الخير وخلقت الشر ، فطوبى لمن أجرته على يديه الخير وويل لمن أجرته على يديه الشر وويل لمن يقول : كيف ذا وكيف ذا .

٣ - علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن بكار بن كردم ، عن مقضل بن عمر ، وعبدالمؤمن الأنصاري ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال الله عز وجل

شرّاً فإمّا أن يكون خيره أكثر من شرّه ، أو شرّه أكثر من خيره ، أو تساويا ، فإن كان خيره أكثر من شرّه وجب على الله خلقه ، وإن كان شرّه أكثر من خيره أو كانا متساويين لم يجز خلقه ، وما نرى من الموزنيات في العالم فخيرها أكثر من شرّها . ثم أعلم أن المراد بخلق الخير والشر في هذه الاخبار إمّا تقديرهما أو خلق الآلات والأسباب التي بهائيسر فعل الخير وفعل الشر ، كما أنه سبحانه خلق الخمر وخلق في الناس القدرة على شربها ، أو كناية عن أنهما يحصلان بتوقيفه وخذلانه ، فكأنه خلقهما أو المراد بالخير والشرّ النعم والبلايا ، أو المراد بخلقهما خلق من يعلم أنه يكون باختياره مختاراً للخير أو الشرّ ، ولا يخفى بعد ما سوى المعنى الثاني والثالث ، وأمّا الحكماء فأكثرهم يقولون لا مؤثر في الوجود إلا الله ، وإرادة العبد معدّة لا يجاده تعالى الفعل على يده ، فهي موافقة لمذاهبهم ومذاهب الأشاعرة ويمكن حملها على التقيّة .

الحديث الثاني : حسن على الظاهر .

الحديث الثالث : مجهول ، ويدلّ كالسابق على النّهي عن الخوض في هذه

المسائل والاعتراض عليها .

أنا الله لا إله إلا أنا ، خالق الخير والشرّ فطوبى لمن أجرى على يديه الخير وويل لمن أجرى على يديه الشرّ وويل لمن يقول : كيف ذا وكيف هذا ؟ قال يونس : يعني من ينكر هذا الأمر بتفقّه فيه .

﴿ باب ﴾

﴿ الجبر والقدر والامر بين الامرين ﴾

١ - عليّ بن محمّد ، عن سهل بن زياد وإسحاق بن محمّد وغيرهما رفعوه قال : كان أمير المؤمنين عليه السلام جالساً بالكوفة بعد منصرفه من صفين إذ أقبل شيخ فجنّا بين يديه ، ثمّ قال له : يا أمير المؤمنين أخبرنا عن مسيرنا إلى أهل الشام أبقضاء من الله وقدر ؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام : أجل يا شيخ ما علوتم تلمعة ولا هبطتم بطن واد إلاّ

وقوله : قال يونس ، كلام محمّد بن عيسى وهو تفسير لقوله عليه السلام : من يقول كيف ذا وكيف ذا ، أي كيف أجرى على يد هذا الخير وأجرى على يد هذا الشرّ ؟ وغرض يونس أن الويل لمن أنكر كون خالق الخير والشرّ هو الله تعالى بتفقّه وعلمه إتكالاً على عقله ، واما من سئل عن عالم ليتضح له الأمر ، أو يخطر بباله من غير حدوث شكّ له أو يؤمن به مجملًا وهو متحيّر في معناه ، معترف بجهل معزاه لقصور عقله عن فهمه فلا ويل له .

باب الجبر والقدر والامر بين الامرين

الحديث الاول : مرفوع لكن رواه الصدوق (ره) في العيون بأسانيد عنه عليه السلام ، ومذكور في رسالة أبي الحسن الثالث عليه السلام إلى أهل الأهواز ، وسائر الكتب الحديثيّة والكلاميّة ، وأشار المحقق الطوسي (ره) في التجريد إليه ، ورواه العلامة (قدّه) في شرحه عن الاصبح بن نباته بأدنى تغيير .

وصفّين كسجّين إسم موضع قرب الرقة شاطيء الفرات ، بها الواقعة العظمي

بقضاء من الله وقدر ، فقال له الشيخ : عند الله أحسب عنائي يا أمير المؤمنين ؟ فقال له :
مه يا شيخ ! فوالله لقد عظم الله الأجر في مسيركم وأنتم سائرون ، وفي مقامكم وأنتم
مقيمون ، وفي منصرفكم وأنتم منصرفون ، ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ولا
إليه مضطرين .

فقال له الشيخ : وكيف لم تكن في شيء من حالاتنا مكرهين ولا إليه مضطرين
وكان بالقضاء والقدر مسيرنا ومنقلبنا ومنصرفنا ؟ فقال له : وتظن أنه كان قضاء حتماً
وقدراً لازماً ؟ إنه لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب والأمر والنهي والزجر من

بين أمير المؤمنين عليه السلام و معاوية لعنه الله ، وجنا كرمي أي جلس على ركبتيه ، وقال
الفيروز آبادي : التلعة ، ما ارتفع من الأرض ، ومسيل الماء « انتهى » وبطن الوادي
أسفله ، والمطمئن منه .

قوله : عند الله أحسب عنائي ، العناء بالفتح والمدة : التعب والنصب ، ويمكن ان
يكون استفهاماً انكارياً ، أي كيف أحسب أجر مشقتي عند الله وقد كنت مجبوراً
في فعلي ؟ أو المعنى فلا نستحق شيئاً ، ولعل الله يعطينا بفضل من غير استحقاق للتفضل
أيضاً ، وفي رواية الاصبع بعده : ما أرى لي من الأجر شيئاً فيؤيد الثاني « فقال له :
مه » أي أسكت والمسير مصدر ميمي بمعنى السير « وأنتم سائرون » أي بقدرتكم وإرادتكم
المؤثرة « وفي مقامكم » أي بازاء العدو بصفتين « ولم تكونوا في شيء من حالاتكم
مكرهين » كما زعمته الجبرية الصرفة « ولا إليه مضطرين » كما ذهب إليه الأشاعرة
كما سيأتي تحقيقهما ، ولما توهم الشيخ من الجوابين انتدافع والتنافي قال : فكيف
لم تكن « الى آخره » فأجاب عليه السلام بقوله : فتظن أنه كان قضاء حتماً لا مدخل
لاختيار العبد وإرادته فيه كما يقضى ويوجد الأشياء ، ليس كذلك بل قضاء ان يخير
العبد ويكله الى إرادته ، وأيده بما يستحقه من الألفاظ الخاصة حتى أتى بالفعل
وقد مر أنه قد يحمل القضاء على العلم أو الثبوت في الألواح السماوية ، وشيء منها
لا يصير سبباً للجبر والقدر ، إلا زعم هو تعلق إرادته بفعله الذي لا مدخل لإرادة الغير

الله وسقط معنى الوعد والوعيد فلم تكن لائمة للمذنب ولا عمة للمحسن ولكان المذنب أولى بالإحسان من المحسن ، ولكان المحسن أولى بالعقوبة من المذنب .

فيه ، وهنا ليس كذلك ، ثم أبطل مذهب الجبرية والاشاعة بقوله : انه لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب ، لأن الثواب نفع مقارن للتعظيم والمحمدة ، والعقاب ضرر مقارن للإهانة واللوم ، ولا يتصور أن مع الجبر بمعنييه ، وإلا كان سفهاً ، ثم بقوله : الامر والنهي ، لأنهما عبارتان عن إعلام الناس بمصالح بعض الأعمال ومنافعها وبمفاسد بعضها ومضارها ، ليختار العبد ما فيه المصلحة والمنفعة ، ويترك ما فيه المفسدة والمضرة ، وظاهر ان ذلك الإعلام في صورة الجبر وعدم تأثير الاختيار والإرادة سفه وعبث ، تعالى عن ذلك .

ثم بقوله : والزجر من الله ، وزاجر الله : بلاياه النازلة على العصاة بازاء عصيانهم ، وأحكامه في القصاص والحدود ونحو ذلك والتقريب ظاهر ممّا مرّ .

ثم بقوله : وسقط الوعد والوعيد ، اي المقصود منهما من إتيان الحسنات وترك السيئات ، لان ذلك لا يعقل من المجبور في أفعاله ، فالوعد والوعيد سفه وعبث ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

ثم بقوله ﷺ : فلم تكن لائمة للمذنب ولا محمدة للمحسن ، لان المحمدة هو الثناء على الجميل الاختياري ، واللائمة ما يقابله من الذم على القبيح الاختياري ومعلوم بديهية أنه لا يستحقهما المجبور .

وأما قوله ﷺ : ولكان المذنب أولى بالإحسان من المحسن ، ولكان المحسن أولى بالعقوبة من المذنب ، فيحتمل وجوهاً : « الاول » أن يكون هذا متفرعاً على الوجوه السابقة ، أي إذا بطل الثواب والعقاب والامر والنهي والزجر والوعد والوعيد لكان المحسن أولى « الخ » وجه الأولوية انه لم يبق حينئذ إلا الاحسان والعقوبة الدنيوية ، والمذنب كالسلطان القاهر الصحيح الذي يكون في غاية التنعم يأتي

بكل ما يشتهي من الشرب والزنا والقتل والغذف وأخذ أموال الناس وغير ذلك وليس له مشقة التكاليف الشرعية ، والمحسن كالفقير المريض الذي يكون دائماً في التعب والنصب ، من التكاليف الشرعية من الإتيان بالمأمورات والإنتهاء عن المنهيات ومن قلة المؤنة وتحصيل المعيشة من الحلال في غاية المشقة فحينئذ الاحسان الواقع للمذنب أكثر مما وقع للمحسن ، فهو أولى بالاحسان من المحسن ، والعقوبة الواقعة على المحسن أكثر مما وقع على المذنب فهو أولى بالعقوبة من المذنب .

الثاني : ان يكون المعنى انه لو فرض جريان المدح والذم واستحقاقهما واستحقاق الاحسان والاثابة والعقوبة وترتيبها على الافعال الاضطرابية الخارجة عن القدرة والاختيار ، لكان المذنب أولى بالاحسان من المحسن وبالعكس ، لان في عقوبة المسيء على ذلك التقدير جمع بين إلزامه بالسيئة القبيحة عقلاً ، وجعله مورداً لملازمة العقلاء وعقوبة عليها وكل منهما إضرار وإضرار به وفي إثابة المحسن جمع بين إلزامه بالحسنة الممدوحة عقلاً ويصير بذلك ممدوحاً عند العقلاء ، وإثابته عليها وكل منهما نفع وإحسان اليه ، وفي خلاف ذلك يكون لكل منهما نفع وضرر ، وهذا بالعدل أقرب وذاك بخلافه أشبه .

الثالث : ما قيل انه إنما كان المذنب أولى بالاحسان لانه لا يرضى بالمذنب كما يدل عليه جبره عليه ، والمحسن أولى بالعقوبة لانه لا يرضى بالاحسان لدلالة الجبر عليه ، ومن لا يرضى بالاحسان أولى بالعقوبة من الذي يرضى به ولا يخفى ما فيه .

الرابع : انه لما اقتضى ذات المذنب ان يحسن إليه في الدنيا باحداث اللذات فيه ، فينبغي ان يكون في الآخرة ايضاً كذلك لعدم تغير الذوات في الشأئين ، وإذا اقتضى ذات المحسن المشقة في الدنيا وإيلامه بالتكاليف الشاقة ففي الآخرة ايضاً

تلك مقالة إخوان عبدة الأوثان وخصماء الرحمن، وحزب الشيطان .

ينبغي ان يكون كذلك .

الخامس : ما قيل لعل وجه ذلك ان المذنب بصدور القبايح والسيئات منه متألم منكسر البال لظنه انّها وقعت منه باختياره ، وقد كانت بجبر جابر وفهر قاهر فيستحقّ الاحسان ، وانّ المحسن لفرحانه بصدور الحسنات عنه وزعمه أنّه قد فعلها بالاختيار أولى بالعقوبة من المذنب ، وفي حديث الاصبع هكذا : ولم تأت لائمة من الله لمذنب ولا محمّدة لمحسن ، ولم يكن المحسن أولى بالمدح من المسيء ، ولا المسيء أولى بالذم من المحسن ، تلك مقالة عبدة الاوثان وجنود الشيطان وشهود الزور وأهل العمى عن الصواب وهم قدريّة هذه الامة ومجوسها .

« تلك مقالة إخوان عبدة الأوثان » اي اشباههم ، لأنّ عبدة الأوثان الذين كانوا في عصر النبي ﷺ كانوا جبريّة لقوله تعالى : « واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها » ^(١) اي جعلنا الله مجبوراً عليها وقوله : « وقالوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء » ^(٢) وأمثال ذلك في القرآن كثيرة .

وقيل : انما كانوا إخوانهم لأنّ القول بما يستلزم بطلان الثواب والعقاب في حكم القول بلازمه ، والقول ببطلان الثواب والعقاب قول عبدة الأوثان ، وأمّا كونهم خصماء الرحمن لأنّهم نسبوا إليه سبحانه ما لا يليق بجنابه من الظلم والجور والعبث وأيّة خصومة وعداوة تكون أشد من ذلك . وقيل : إنكار الأمر والنهي إنكار للتكليف والمنكرون للتكاليف خصماء المكلف الأمر والنهي .

وقيل : لما نسب الله سبحانه في آيات كثيرة أفعال العباد إليهم ، وصرّح في كثير منها ببرائته من القبايح والظلم ، وهؤلاء يقولون نحن برءاء من القبايح وأنّ تفعلها فلا مخاصمة أعظم من ذلك « وحزب الشيطان » لأنّه لعنه الله قال : « ربّ بما أغويتني »

(١) سورة الاعراف : ٢٨ .

(٢) سورة النحل : ٣٥ . وأصل الآية هكذا : « وقال الذين أشركوا لو شاء الله... »

وقدرية هذه الأمة ومعجوسها .

وايضاً انه لعنه الله يبعثهم على تلك العقائد الفاسدة ، او لما لزمهم بطلان الأمر والنهي والتكليف فيجوز له متابعة الشيطان في كل ما يدعوهم إليه ، وقوله : وقدرية هذه الأمة ، يدل على أن المجبرة هم القدرية ، ولا خلاف بين الأمة في ان النبي ﷺ ذم القدرية ، لكن كل من الجبرية و التفويضية يسمون خصومهم بها ، وفي أخبارنا أطلقت عليهما ، وان كان على التفويضية أكثر ، قال في المقاصد : لاخلاف في ذم القدرية وقال شارحه : قدورد في صحاح الاحاديث لعنة القدرية على لسان سبعين نبياً ، والمراد بهم القائلون بنفي كون الخير والشر كله بتقدير الله ومشيئته ، سمووا بذلك ، لمبالغتهم في نفيه وكثرة مدافعتهم اياه ، وقيل : لا يثبتهم للمبددة قدرة الابداد وليس بشيء ، لأن المناسب حينئذ القدرية بضم القاف ، وقالت المعتزلة : القدرية هم القائلون بان الشر والخير كله من الله تعالى وبتقديره ومشيئته ، لأن الشائع نسبة الشخص إلى ما يشته ويقول به كالجبرية والحنفية والشافعية لا إلى ما ينفيه .

ورد بأنه صح عن النبي ﷺ قوله : القدرية معجوس هذه الأمة ، وقوله : إذا قامت القيامة نادي مناد أهل الجمع : أين خصماء الله ، فتقوم القدرية ، ولا خفاء في أن المعجوس هم الذين ينسبون الخير إلى الله والشر إلى الشيطان ، ويسمونهم : يزدان ، وأهريمن ، وان من لا يفوض الأمور كلها إلى الله ، ومعتز لبعضها فينسبه إلى نفسه ، يكون هو المخاصم لله تعالى ، وايضاً من يضيف القدر إلى نفسه ويدعى كونه الفاعل والمقدر رأولى باسم القدرية ممن يضيفه إلى ربه .

فان قيل : روى عن النبي ﷺ انه قال لرجل قدم عليه من فارس : أخبرني بأعجب شيء رأيت ؟ فقال : رأيت أقواماً ينكحون أمهاتهم وبناتهم واخواتهم ، فاذا قيل لهم : لم تفعلون ذلك ؟ قالوا قضاء الله علينا وقدره ؟ فقال ﷺ : ستكون في آخر امتي أقوام يقولون بمثل مقالتهم ، أولئك معجوس امتي ، وروى الأصمعي بن نباته : ان شيخاً قام الى علي بن ابي طالب عليه السلام بعد انصرافه من صفين ثم ذكر نحو هذا

الخبر - الى قوله - « ذلك ظنّ الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار » فقال الشيخ : وما القضاء والقدر اللذان ماسرنا إلاّ بهما ؟ قال : هو الأمر من الله والحكم ثمّ تلا قوله تعالى « وقضى ربك ألاّ تعبدوا إلاّ إياه » ^(١) وعن الحسن بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله الى العرب وهم قدرية يحملون ذنوبهم على الله، ويصدقونه قوله تعالى : « وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها » ^(٢) .

قلنا : ما ذكر لا يدلّ إلاّ على أنّ القول بأنّ فعل العبد اذا كان بقضاء الله تعالى وقدره وخلقه وإرادته ، يجوز للعبد الإقدام عليه ، ويبطل اختياره فيه واستحقاقه للثواب والعقاب والمدح والذمّ عليه قول المجوس ، فلينظر انّ هذا قول المعتزلة ام المجبّرة ، ولكن من لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ، ومن فاحتهم انهم يروّجون باطلهم بنسبته إلى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وأولاده رضي الله عنهم ، وقد صحّ عنه أنّه خطب الناس على منبر الكوفة فقال : ليس منّا من لم يؤمن بالقدر خيره وشره ، وإنّه قال لمن قال : انّي أملك الخير والشرّ والطاعة والمعصية ؟ تملكها مع الله أو تملكها بدون الله ؟ فان قلت : أملكها مع الله فقد أدعيت أنّك شريك الله ، وان قلت أملكها بدون الله فقد أدعيت أنّك أنت الله ؟ فتأب الرّجل على يده .

وأنّ جعفر الصادق عليه السلام قال لقدري : اقرأ الفاتحة ، فقرأ فلما بلغ قوله : « إياك نعبد وإياك نستعين » قال له جعفر : على ماذا تستعين بالله وعندك أنّ الفعل منك ، وجميع ما يتعلق بالأقدار والتمكين والألطف قد حصلت وتمت ؟ فانقطع القدري والحمد لله ربّ العالمين « انتهى » .

وقال العلامة (قدّه) في شرح التجريد بعد إيراد خبر الأصمغ : قال أبو الحسن البصري ومحمود الخوارزمي : فوجه تشبيهه عليه السلام المجبّرة بالمجوس من وجوه : أحدها : إنّ المجوس اختصوا بمقالات سخيفة واعتقادات واهية ، معلومة البطلان

وكذا المجبرة .

وثانيها: مذهب المجوس أن الله تعالى يخلق فعله ثم يتبرأ منه ، كما خلق إبليس وانتفى منه ، وكذا المجبرة قالوا : ان الله تعالى يفعل القبيح ثم يتبرأ منها .
وثالثها : ان المجوس قالوا : ان نكاح الامهات والاخوات بقضاء الله وقدره وإرادته ووافقهم المجبرة ، حيث قالوا : ان نكاح المجوس لامهاتهم وأخواتهم بقضاء الله وقدره وإرادته .

ورابعها : أن المجوس قالوا : ان القادر على الخير لا يقدر على الشر وبالعكس والمجبرة قالوا : ان القدرة الموجبة للفعل غير متقدمة عليه ، فالانسان القادر على الخير لا يقدر على ضده وبالعكس « انتهى » .

اقول : وقد يعطف خصماء الرحمن على عبدة الاوثان فالمراد بهم المعتزلة المفوضة أي الأشاعرة الجبرية إخوان المفوضة ، الذين هم خصماء الرحمن ، لأنهم يدعون استقلال قدرتهم في مقابلة قدرة الرحمن ، وأنهم يفعلون ما يريدون بلا مشاركة الله في أعمالهم بالتوفيق والخذلان ، والاخوة بينهما باعتبار ان كلا منهما على طرف خارج عن الحق الذي هو بينهما ، وهو الأمر بين الامرين ، فهما يشتركان في البطلان ، كما ان المؤمنين اخوة لاشترائهم في الحق .

وقيل في وجه الاخوة : انه يقال للمتقابلين انهما متشابهان كما قيل ، ان قصة سورة براءة تشابه قصة سورة الأنفال وتناسبها ، لان في الأنفال ذكر اليهود وفي البراءة بذها ، فضمت إليها « انتهى » وعلى هذا يكون قوله : وحزب الشيطان ، وقوله : قدرية هذه الامة ، وقوله : مجوسها ، كلها معطوفات على العبدة لا الاخوان ، و أوصافاً للمفوضة لا الجبرية ، على الوجوه المتقدمة ، ويكون الحديث مشتملاً على نفي طرقي الافراط والتفريط معاً ، وهذا الوجه وإن كان بعيداً لكنه يكون أتم فائدة .
ويؤيده أيضاً ما رواه الصدوق (ره) في التوحيد باسناده عن علي بن سالم عن

إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَلَّفَ تَخْيِيرًا وَنَهَى تَحْذِيرًا وَأَعْطَى عَلَى الْقَلِيلِ كَثِيرًا وَلَمْ يُعْصِ مَغْلُوبًا وَلَمْ يَطْعِ مَكْرَهًا وَلَمْ يَمْلِكْ مَفْوضًا وَلَمْ يَخْلُقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا

أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ : سَأَلْتُهُ عَنِ الرَّقْمِيِّ أُنْدَفِعُ مِنَ الْقَدْرِ شَيْئًا ؟ فَقَالَ : هِيَ مِنَ الْقَدْرِ ، وَقَالَ عليه السلام : إِنَّ الْقَدْرِيَّةَ مَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَهُمْ الَّذِينَ أَرَادُوا أَنْ يَصْفُوا اللَّهَ بَعْدَ لَهُ فَأَخْرَجُوهُ مِنْ سُلْطَانِهِ ، وَفِيهِمْ تَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ : « يَوْمَ يَسْجُبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُقُوا مَسَّ سَقَرٍ إِنَّنَا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ » ^(١) وَيَعْضُدُهُ أَيْضًا أَنْ قَدِمَاءَ الْمُحَدَّثِينَ إِنَّمَا يَطْلُقُونَ الْقَدْرِيَّةَ عَلَى الْمَفْوضَةِ كَالْمَصْنُفِ ، حَيْثُ قَابِلٌ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ بَيْنَ الْجَبْرِ وَالْقَدْرِ ، وَقَدْ عَدَّ أَصْحَابُ الرَّجَالِ مِنْ كُتُبِ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ كِتَابَ الْجَبْرِ وَالْقَدْرِ ، وَكِتَابَ الرَّدِّ عَلَى الْمُعْتَزِلَةِ « إِنَّ اللَّهَ كَلَّفَ تَخْيِيرًا » أَيْ أَمْرَهُ جَاعِلًا لَهُ مَخِيرًا بَيْنَ الْفِعْلِ وَالتَّرْكِ بِاعْتِظَاءِ الْقُدْرَةِ لَهُ عَلَى الْإِثْنَانِ بِمَا شَاءَ مِنْهُمَا ، مِنْ غَيْرِ إِكْرَاهٍ وَإِجْبَارٍ وَنَهَى تَحْذِيرًا ، أَيْ طَلِبًا لِلِاحْتِرَازِ عَنْ فِعْلِ الْمُنْهَى عَنْهُ ، لَا بِالْإِكْرَاهِ عَلَى التَّرْكِ « وَأَعْطَى عَلَى الْقَلِيلِ كَثِيرًا » تَرْغِيْبًا إِلَى الطَّاعَةِ وَتَرْكِ الْمَعْصِيَةِ « وَلَمْ يُعْصِ مَغْلُوبًا » عَلَى بِنَاءِ الْمَفْعُولِ : أَيْ لَمْ يَقْعِ الْعَصِيَانُ عَنْ طَاعَتِهِ بِمَغْلُوبِيَّتِهِ عَنِ الْعَبْدِ بَلْ بِمَافِيَةِ الْحِكْمَةِ مِنْ عَدَمِ إِكْرَاهِهِ وَإِجْبَارِهِ ، أَوْ لَا يَقْعِ الْعَصِيَانُ بِمَغْلُوبِيَّةِ الْعَاصِي ، فَاتِّبَاعِهِ لِعَصِيَانٍ مَعَ عَدَمِ الْإِخْتِيَارِ ، « وَلَمْ يَطْعِ مَكْرَهًا » عَلَى صِيغَةِ اسْمِ الْفَاعِلِ ، أَيْ لَمْ يَقْعِ طَاعَتُهُ بِإِكْرَاهِهِ الْمَطِيعَ عَلَى الطَّاعَةِ وَرَبَّمَا يَقْرَأُ عَلَى صِيغَةِ الْمَفْعُولِ ، فَيَكُونُ رَدًّا عَلَى الْمَفْوضَةِ أَيْضًا ، لِأَنَّهُ إِذَا اسْتَقْلَّ الْعَبْدُ وَلَمْ يَكُنْ لِتَوْفِيقِهِ تَعَالَى مَدْخَلٌ فِي ذَلِكَ فَكَأَنَّهُ سَبَحَانَهُ مَكْرَهُ فِيهِ .

وَيُمْكِنُ أَنْ يَقْرَأَ الْفَعْلَانِ عَلَى بِنَاءِ الْفَاعِلِ وَيَكُونُ الْفَاعِلُ الْمَطِيعُ وَالْعَاصِي ، وَهُمَا بَعِيدَانِ « وَلَمْ يَمْلِكْ » عَلَى بِنَاءِ التَّفْعِيلِ وَالْمَفْعُولِ الْقُدْرَةُ وَالْإِرَادَةُ وَالْإِخْتِيَارُ ، أَوْ عَلَى بِنَاءِ الْأَفْعَالِ بِمَعْنَى إِعْطَاءِ السُّلْطَانَةِ « مَفْوضًا » بِحَيْثُ لَمْ يَحْصُرْهُمْ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَدْخَلٌ فِي أَفْعَالِهِمْ بِالتَّوْفِيقِ وَالْخُذْلَانِ « وَلَمْ يَخْلُقِ السَّمَاوَاتِ ، النَّحْ » إِشَارَةً إِلَى قَوْلِهِ سَبْحَانَهُ : « وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ

باطلاً ، ولم يبعث النبيين مبشرين ومنذرين عبثاً ، ذلك ظنُّ الذين كفروا فويلٌ
للذين كفروا من النار، فأنشأ الشيخ يقول :

كفروا فويل للذين كفروا من النار ، أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين
في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار ، ^(١) وهذا إما ردٌّ على عبدة الأوثان المذكورين
سابقاً بتقريب ذكر إخوانهم ، أو المجبرة إذ الجبر يستلزم بطلان الثواب والعقاب
والتكليف المستلزم لكون خلق السماوات والأرض عبثاً وباطلاً ، أو المفوضة أيضاً لأنَّ
التفويض على أكثر الوجوه الآتية ينافي غرض الإيجاد ، وكون بعثة الأنبياء والرسل
مع الجبر باطلاً ظاهر ، بل مع التفويض على بعض الوجوه .

أقول : وروى الصدوق في التوحيد والعيون هذه الرواية عن أبي الحسن الثالث
عن آبائه عليهم السلام ، وعن الصادق عن آبائه عليهم السلام بسنديين آخرين وعن ابن عباس بسند
آخر ، وزاد في الرواية بالسند الأخير ، فقال الشيخ : فما القضاء والقدر اللذان ساقانا
وما هبطنا وادياً ولا علونا تلة إلا بهما ؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام : الأمر من الله
والحكم ، ثم تلا هذه الآية « وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً » ^(٢)
أي أمر ربك .

وقال الشيخ أحمد بن أبي طالب الطبرسي في كتاب الاحتجاج بعد إيراد هذه
الرواية : وروى أن الرّجل قال : فما القضاء والقدر الذي ذكرته يا أمير المؤمنين ؟
قال : الأمر بالطاعة ، والنهي عن المعصية والتمكين من فعل الحسنة وترك المعصية ،
والمعونة على القربة إليه والخذلان لمن عصاه ، والوعد والوعيد والترغيب والترهيب ،
كل ذلك قضاء الله في أفعالنا وقدره لأعمالنا ، أمّا غير ذلك فلا تظنّه فإنّ الظنّ له
محيطٌ للأعمال ، فقال الرّجل : فرّجت عنّي بذلك يا أمير المؤمنين فرّج الله عنك ،
وفي رواية ابن نباته الذي أورده العلامة وغيره : فقال الشيخ : وما القضاء والقدر اللذان

(١) سورة ص : ٢٨ .

(٢) سورة الاسراء : ٢٣ .

أنت الإمام الذي نرجو بطاعته ✧ يوم النجاة من الرحمن غفرانا
أوضحت من أمرنا ما كان ملتبساً ✧ جزاك ربك بالاحسان إحسانا
٢ - الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ، عن الحسين بن عليّ الوشاء ، عن حماد
ابن عثمان ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله قال : من زعم أن الله يأمر بالفحشاء فقد

ما سرنا إلا بهما ؟ فقال : هو الأمر من الله تعالى والحكم ، وتلا قوله تعالى : « وقضى
ربك ألا تعبدوا إلا إياه » فنهض الشيخ مسروراً وهو يقول ... وذكر البيتين .
الحديث الثاني : ضعيف على المشهور .

قوله عليه السلام : « من زعم ، أي ادعى ، وقال : وأكثر استعماله في الباطل » إن الله
يأمر بالفحشاء ، إقتباس من قوله تعالى : « وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا
والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء » نقولون على الله ما لا تعلمون ^(١) .

قال بعض المفسرين : الفاحشة : الفعل المتناهية في القبح كعبادة الصنم وكشف
العورة في الطواف حيث كان المشركون يطوفون عراة ، ويقولون : لا تطوف في الثياب
التي قارفنا فيها الذنوب ، فكانوا إذا نهوا عنها اعتذروا واحتجوا بأمرين : تقليد
الآباء ، والافتراء على الله ، فأعرض عن الأول لظهور فساد ، وردّ الثاني بقوله :
« قل إن الله لا يأمر بالفحشاء » أي يأمر يجد العقل السليم قبحه ، بل لا يأمر إلا
بمحاسن الاعمال والعقائد ، فالأمر بمعناه ، وقال الطبرسي (ره) : قال الحسن : انهم
كافوا أهل إجمار فقالوا : لو كره الله ما نحن عليه لنقلنا عنه ، فلهذا قالوا : والله أمرنا
بها فاقول : الأمر في الخبر أيضاً يحتمل الوجهين ، فعلى الأول إشارة إلى فساد قول
الاشاعة من نفي الحسن والقبح العقليين ، وتجوز أن يأمر بما نهى عنه مما يحكم
العقل بقبحه ، وأن يأمر بالسوء والفحشاء ، فإن إبطال حكم العقل فيما يحكم به
بديهة أو بالبرهان باطل ، والأمر بالقبيح قبيح ، ومن جوّز القبيح على الله فقد كذب
عليه ، وعلى الثاني ردّ على الاشاعة أيضاً من حيث قولهم بالجبر .

كذب على الله، ومن زعم أن الخير والشر إليه فقد كذب على الله .

٣ - الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ، عن الحسن بن عليّ الوشاء ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : سألته فقلت : الله فوض الأمر إلى العباد ؟ قال : الله أعزُّ من ذلك قلت : فجبرهم على المعاصي ؟ قال : الله أعدل وأحكم من ذلك ، قال : ثم قال : قال الله : يا ابن آدم أنا أولى بحسناتك منك وأنت أولى بسيئاتك مني ، عملت المعاصي بقوتي التي جعلتها فيك .

٤ - عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن إسماعيل بن مرّار ، عن يونس بن عبد الرحمن قال : قال لي أبو الحسن الرضا عليه السلام : يا يونس لا تقل بقول القدرية فإنّ القدرية لم يقولوا بقول أهل الجنة ولا بقول أهل النار ولا بقول إبليس فإنّ أهل

وقوله : ومن زعم أن الخير والشر إليه، الظاهر إرجاع الضمير إلى الموصول ، فيكون ردّاً على المفوضة والمعتزلة القائلين باستقلال العبد في أفعاله ، وعدم مدخلية الرب سبحانه فيها ، وهذا أيضاً كذب على الله تعالى لمخالفته للآيات الكثيرة الدالة على هدايته وتوفيقه وخذلانه ومشيته وتقديره ، ويحتمل إرجاع الضمير إلى الله فيكون ردّاً على المجبرة فينبغي حمل الفقرة الأولى حينئذ على المعنى الأوّل .

الحديث الثالث : ضعيف على المشهور .

قوله : الله أعزُّ من ذلك أي أغلب وأقدر من أن يكون غيره فاعلام مستقلا في ملكه ، بغير مدخلية له سبحانه في ذلك الفعل .

قوله : وأحكم ، أي الجبر مناف للحكمة .

الحديث الرابع : مجهول .

والمراد بالقدرية هنا من يقول بأنّ أفعال العباد ووجودها ليست بقدر الله وقضائه بل باستقلال إرادة العبدية واستواء نسبته إلى الإرادتين وصدور أحدهما عنه لا بموجب غير الإرادة كما ذهب إليه بعض المعتزلة ، فإنّهم لم يقولوا بقول أهل الجنة من إسناد هدايتهم إليه سبحانه ، ولا بقول أهل النار من إسناد ضلالهم إلى شقوتهم ، وظاهره

الجنة قالوا : الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لو لا أن هدانا الله . وقال أهل النار : ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين . وقال إبليس : رب بما أغويتني فقلت : والله ما أقول بقولهم ولكنني أقول : لا يكون إلا بما شاء الله وأراد وقد روى قضي فقال : يا يونس ليس هكذا لا يكون إلا ما شاء الله وأراد وقد روى قضي ، يا يونس تعلم

هنا إن المراد بالشقوة ما يصير مرجحاً للأعمال السيئة من خبث الطينة وقلة العقل ، وسوء الفهم ، ممّا يرجع الى العبد، أو هذا أيضاً يرجع الى الله بناء على أن الله تعالى خالق السعادة والشقاوة ومقدرهما ، ويحتمل أن يكون المراد بالشقوة استحقاق العذاب بسبب الأعمال السيئة فإن ذلك يصير سبباً لمنع اللطف والهداية الخاصة ، ولا بقول إبليس من إسناد الإغواء إليه سبحانه ، وهذا الخبر يدل على أن غرضه من الإغواء كان هو الخذلان ومنع اللطف ، إذ ظاهر الخبر أنه ﷺ استشهد بقوله وقول أهل النار لتقريره سبحانه إياهما ، ويحتمل أن يكون غرضه ﷺ أنهم اخترعوا قولاً ليس قول أهل الخير ولا قول أهل الشر .

قوله : ولكنني أقول لا يكون إلا بما شاء الله ، أقول : في أكثر النسخ الباء موجودة في كلام يونس دون كلامه ﷺ ، فالفرق بينهما بالباء إذ كلام يونس يدل على العلية والسببية واستقلال إرادة الله سبحانه ومشيته في فعل العبد ، فيوهم الجبر فلذا أسقط عليه السلام الباء ، وقيل : كان غرض يونس من ادخال الباء بيان أن الله تعالى أعطى العبد القدرة والاختيار ، ثم هو فعل الفعل بما أعطاه الله وهو مستقل في الفعل ، فأراد عليه السلام نفي التفويض فأسقط الباء ، وفي بعض النسخ بدون الباء فلا يعقل فرق إلا بنحو التقرير ، لكن في تفسير علي بن ابراهيم : ولكنني أقول لا يكون إلا ما شاء الله وقضى وقد روى ، فقال : ليس هكذا يا يونس ، ولكن لا يكون إلا ما شاء الله وقد روى وقضا فيكون الاختلاف بينهما في الترتيب ، فإن القدر مقدم على القضاء كما في الاخبار ، فلذا غير ﷺ الترتيب ليكون الترتيب الذكرى موافقاً للترتيب الواقعي ، ولعل التوافق صدر من النسخ ثم ألحقوا الباء لحصول الاختلاف .

ما المشيئة؟ قلت: لا، قال: هي الذكر الأول، فتعلم ما الإرادة؟ قلت: لا، قال: هي العزيمة على ما يشاء، فتعلم ما القدر؟ قلت: لا، قال: هي الهندسة ووضع الحدود من البقاء والفناء، قال: ثم قال: والقضاء هو الإبرام وإقامة العين، قال: فاستأذنته أن أقبل رأسه وقلت: فتحت لي شيئاً كنت عنه في غفلة.

٥ - محمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم ابن عمر اليماني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله خلق الخلق فعلم ما هم صائرون

قوله عليه السلام: هي الذكر الأول، أي الاثبات مجعلاً في لوح المحو والاثبات، وقيل العلم القديم.

قوله: هي العزيمة، العزيمة: تأكيد الإرادة، ولعل المراد بها هنا الاثبات ثانياً مع بعض الخصوصيات أو الأخذ في خلق أسباب وجوده البعيدة، وقيل: المعنى أن المشيئة فينا هي توجه النفس إلى المعلوم بملاحظة صفاته وأحواله المرغوبة، الموجهة لحركة النفس إلى تحصيله، وهذه الحركة النفسانية فينا وإنبعاثها لتحصيله هي العزم والإرادة وفي الواجب تعالى ما يترتب عليه أثر هذا التوجه، ويكون بمنزلة.

قوله عليه السلام: هي الهندسة، الهندسة: على وزن دحرجة مأخوذ من الهنداز (معرب انداز) فأبدلت الزاي سيناً لأنه ليس في كلام العرب دال بعدها زاي، فالهندسة (معرب اندازه) أي المقدر، والمهندس مقدر مجاري القناة حيث تحفر، ثم عثم في تحديد مجاري الأمور كلها، فالقدر إثبات خصوصيات ما أراد إيجادها في اللوح من أزمنة بقاءه ووقت فناءه وأشبه ذلك، أو ترتيب أسباب وجوده إلى حيث ينتهي إلى علله الخاصة المعينة لخصوصياته، أو فينا عبارة عن تعيين حدود ما يريده من عرضه وطوله وسمكه وإحكامه على وجه يبقى زماناً طويلاً أو قصيراً، وفيه تعالى ما يناسبه من ترتيب الأسباب، والقضاء هو الإبرام أي إحكام المراد، وإقامة عينه أي إيجادها، وفي أفعال العباد إقدار العبد وتمكينه ورفع الموانع عنه.

الحديث الخامس: مجهول كالصحيح.

إليه وأمرهم ونهاهم ، فما أمرهم به من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى تركه ولا يكونون

قوله **عَلَيْهِمُ السَّبِيلُ** : فقد جعل لهم السبيل ، قال بعض المحققين : أي كل ما تعلق به الأمر جعل للمأمور سبيل إلى تركه بإعطاء القدرة له ، وإمكان المأمور به .

فان قيل : المأمور به واجب ضروري الوجود عند اجتماع أسباب وجوده وممتنع ضروري العدم عند عدم اجتماع أسباب الوجود ، فلا إمكان له ؟

قيل : المقصود بالإمكان قبل الإرادة الحتمية ، وهي من أسباب الوجود ، فلا وجوب قبلها ، ولزوم وقوع العدم عند عدم اجتماع الشرائط لا ينافي الإمكان ، فإن الممكن الذي لا يلحقه وجوب لعلته الموجبة ، لا إيجاب لعدمه من عدم علته ، كما لا تأثير من عدم علته في عدمه ، فالممكن مع إمكان وجوده بوجود علته يكون معدوماً لعدم علته فوجوب عدمه عبارة عن ضرورة عدم إنفكاك العدم عن العدم ، لا ضرورة عدم حاصل فيه بإيجاب من موجب ، وبخلاف وجوب وجوده فوجوب الوجود من الفاعل لا يجامع الإمكان بمعنى عدم ضرورة نسبة الوجود ومقابله إلى الماهية ولو بإيجاب من الموجب ، ولزوم العدم يجامع الإمكان بمعنى عدم ضرورة أحدهما للماهية ولو بإيجاب موجب ، ومرجع هذا اللزوم إلى ما هو بمنزلة الوجوب اللاحق ، فالممكن بإمكانه مجرداً من إيجاب موجب إنما يكون معدوماً وهذا الإمكان مصحح الطلب .

والحاصل أن مناط الوجود للممكن ، الوجوب الحاصل لوجوده من علته الموجبة أي إيجابها إياه ، ومناط العدم للممكن عدم إيجاب موجب إياه لا إيجاب موجب لعدمه ، وإذا كان المعدوم يمكن وجوده بموجبه صح طلب إيجاده بإيجابه بموجبه ، وطلب الكف عن إيجاده بعدم إيجابه بموجبه ، وكذا لزوم عدم إرادة الفاعل لعدم أسبابها لا ينافي الأمر بإرادته « انتهى » .

ولعل المراد بالاذن رفع الموانع التي من جملتها تعلق الإرادة الحتمية من الله تعالى بضده .

آخذين ولا تاركين إلا بأذن الله .

والحق أن تأثير جميع المؤثرات مشروطة بذلك كإحراق النار فأنه مشروط بعدم تعلق إرادته سبحانه بعده ، فإذا تعلق لم تؤثر كما لم تحرق إبراهيم عليه السلام ، وتأثير السيف في قطع اللحم وشبهه مشروط بذلك ، فكما أن الإحراق والقطع مشروطان بشرائط كثيرة من قابلية المادة ومجاورة المؤثر وغيرهما فكذا مشروطان بعدم تعلق الإرادة الحتمية من ذي القدرة القاهرة والقوة الغالبة بخلافهما ، ولا يتأتى التصديق بمعجزات الأنبياء والأوصياء صلوات الله عليهم إلا بذلك ، وبه يستقيم مدخلية إرادة الله سبحانه في أعمال العباد مع إختيارهم ، وهو المراد بالتخلية . أقول : وروى الشيخ أحمد الطبرسي في كتاب الاحتجاج عن علي بن محمد العسكري عليه السلام أن أبا الحسن موسى عليه السلام قال : إن الله خلق الخلق فعلم ما هم صائرون إليه ، فأمرهم ونهاهم ، فما أمرهم به من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى الأخذ به ، وما نهاهم عنه من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى تركه ، ولا يكونون آخذين ولا تاركين إلا بأذنه ، وما جبر الله أحداً على معصيته ، بل إختبرهم كما قال : « ليلوكم أيكم أحسن عملاً » (١) .

قوله عليه السلام : « ولا يكونون آخذين ولا تاركين إلا بأذنه ، أي بتخليته وعلمه » انتهى ، والظاهر أن التفسير من المؤلف (ره) .

أقول : ويؤمى إلى ما ذكرنا ما ذكره الشيخ السعيد المفيد في كتاب المقالات حيث قال : إن الإرادة التي هي قصد الإيجاد أحد الضدين الخاطرين ببال المرید موجبة لمرادها ، وأنه محال وجودها وإرتفاع المراد بعدها بلا فصل ، إلا أن يمنع من ذلك من فعل غير المرید ، وهذا مذهب جعفر بن حرب وجماعة من متكلمي البغداديين وهو مذهب البلخي ، وعلى خلافه مذهب الجبائي وابنه والبصريين من المعتزلة والحشوية وأهل الاخبار .

٦ - علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس بن عبد الرحمن ، عن حفص ابن قرط ، عن ابي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : من زعم ان الله يأمر بالسوء والفحشاء فقد كذب على الله ، ومن زعم ان الخير والشر بغير مشيئة الله فقد أخرج الله من سلطانه ومن زعم ان المعاصي بغير قوة الله فقد كذب على الله ، ومن كذب على الله أدخله الله النار .

٧ - عدة من اصحابنا ، عن احمد بن ابي عبد الله ، عن عثمان بن عيسى ، عن

وقال الشيخ أبو علي الطبرسي رحمه الله : في قوله تعالى : « وما كان لنفس أن تموت إلا بأذن الله » ^(١) اختلفوا في تفسير الاذن على أقوال : « الاول » أن يكون الاذن هو الامر أي يأمر ملك الموت بقبض الأرواح فلا تموت أحد إلا بهذا الامر « الثاني » أن المراد به الامر التكويني كقوله : « أن يقول له كن فيكون » ^(٢) ولا يقدر على الحياة والموت أحد إلا الله « الثالث » أن يكون الاذن هو التخلية والاطلاق ، وترك المنع بالقهر والاجبار ، وبه فسر قوله تعالى : « وما هم بضارين به من أحد إلا بأذن الله » ^(٣) أي بتخليته ، فانه تعالى قادر على المنع من ذلك بالقهر « الرابع » أن يكون الاذن بمعنى العلم ومعناه إن نفساً لا تموت إلا في الوقت الذي علم الله موتها فيه . « الخامس » قال ابن عباس : الاذن هو قضاء الله وقدره ، فانه لا يحدث شيء إلا بمشيئة الله وإرادته .

الحديث السادس : مجهول .

قوله : بغير مشيئة الله ، أي التخلية وعدم تعلق الارادة الحتمية بخلافه ، فان من زعم استقلال الخلق وعدم قدرته تعالى على صرفهم عن أفعالهم ، وعدم مدخليته سبحانه في أعمالهم بوجه فقد أخرج الله من سلطانه ، وعزله عن التصرف في ملكه .

الحديث السابع : مرسل .

(١) سورة آل عمران : ١٤٥ .

(٢) سورة يس : ٨٢ .

(٣) سورة البقرة : ١٠٢ .

إسماعيل بن جابر قال : كان في مسجد المدينة رجل يتكلم في القدر والناس مجتمعون قال : فقلت : يا هذا أسألك ؟ قال : سل ، قلت : يكون في ملك الله تبارك وتعالى ما لا يريد ؟ قال : فأطرق طويلاً ثم رفع رأسه إليّ فقال [لي] : يا هذا ! لئن قلت : إنه يكون في ملكه ما لا يريد ، إنه لمقهور ولئن قلت : لا يكون في ملكه إلا ما يريد أقررت لك بالمعاصي ، قال : فقلت لأبي عبد الله عليه السلام : سألت هذا القدري فكان من جوابه كذا وكذا ، فقال : لنفسه نظر أما لو قال غير ما قال لهلك .

٨ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن الحسن زعلان ، عن أبي طالب القمي عن رجل ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت : أجبر الله العباد على المعاصي ؟ قال : لا ، قلت : ففوت من إليهم الأمر ؟ قال : قال : لا ، قال : قلت : فماذا ؟ قال : لطف من ربك بين ذلك .

قوله : أقررت لك بالمعاصي ، أي جوّزت لك فعل المعاصي ، إذ ليس لك فيها اختيار وهي بإرادته سبحانه ، أو أقررت لك بأنّ المعاصي بإرادته تعالى .
قوله عليه السلام : لنفسه نظر ، أي تأمل واحتاط لنفسه ، حيث لم يحكم بما يوجب هلاكه من القول بالقدر الذي هو مذهبه ، أو نفى مذهبه ومذهب الجبرية أيضاً وإن لم يفهم الوساطة ، ويمكن أن يكون تفتّن بالوساطة عند الالتزام عليه .
الحديث الثامن : مرسل .

قوله : أجبر الله ، الهمزة للاستفهام .

قوله عليه السلام : لطف من ربك ، أي رحمة وتوفيق ، وقيل : أمر دقيق لا تصل إليه العقول ، وهو الأمرين الأمرين ، والظاهر أنه غير اللطف الذي هو مصطلح المتكلمين بل ما قرّرنا سابقاً وسيأتي مزيد توضيح له ، واللطف على اصطلاح المتكلمين هو ما يقرّب العبد إلى الطاعة ويبعده عن المعصية ، ولا حظّ له في التمكين ، ولا يبلغ الإلجاء ومتكلموا الإمامية والمعتزلة إتفقوا على وجوبه على الله عقلاً وخالفهم في ذلك الأشاعرة وقالوا بعدم وجوبه .

واستدلّ المثبتون عليه بأن اللطف مما يتوقف عليه غرض المكلف من المكلف وكلّ ما يتوقف عليه الغرض يكون واجباً ، أمّا الاولى فظاهر ، لأنّ غرض المكلف من المكلف إيقاعه ما كلف به ، وهو يتوقف على كلّ ما يقرّ به إلى فعله وبيعه عن تركه ، وأمّا الثانية فلا لأنّ المرید من غيره فعلاً من الأفعال اذا علم المرید أنّ المراد منه لا يفعل الفعل المطلوب إلاّ بفعل يفعله المرید مع المراد منه من نوع ملاطفة أو مكاتبة أو سعى إليه أو إرسال من غير مشقّة عليه في ذلك لو لم يفعل ما يتوقف عليه إيقاع ذلك الفعل منه ، مع تصميم إرادته إيقاعه منه ، لكان هذا المرید ناقضاً لغرضه عند العقلاء ، ونقض الغرض قبيح لذمّ العقلاء على ذلك ، وإذا أردنا تمشية هذا التقرير في حقّه سبحانه ، قلنا : انه كلف العباد بالأوامر والنواهي فكان غرضه من التكليف المذكور إيقاع الطاعة وارتفاع المعصية من المكلفين ، فاذا علم أنّهم لا يفعلون ذلك إلاّ بفعل يفعله بهم بحيث يحصل به تقييدهم الى إيقاع ذلك منهم ، لو لم يفعل ذلك مع توقف غرضه عليه كان ناقضاً لغرضه ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، فوجب في حكمته تعالى وعنايته فعل الألفاظ المقرّبة للمكلفين الى فعل الطاعات المبيّنة لهم عن المعاصي وهو المطلوب .

ثمّ إنّ هذه الألفاظ تكون من فعله تعالى خاصّة كما إرسال الرسل ونصب الأئمة وإظهار المعجزات على أيدي الأنبياء والأوصياء عليهم السلام ، فيجب عليه فعل ذلك ، وقد يكون من فعل المكلفين كاتباعهم الرسل وطاعتهم الأئمة وامثالهم لأوامرهم ، والإتياء عند نواهيهم فيجب عليه إعلامهم بذلك وإيجابه عليهم لئتمّ الأيمتثال ويحصل القول ، ويستكمل الألفاظ ، وقد يكون من فعل غيرهما كقبول الرسل للرسالة ، وتحمل الامام للإمامة ، وقيامهما بأعبائهما ، فيجب عليه في ذلك الإيجاب على ذلك الغير وإثابته عليه ، لأنّ تكليف شخص لنفع غيره من غير نفع له قبيح عقلاً .

اقول : هذا هو اللطف الذي أوجبه أصحابنا ، ويشكل الجزم بوجوب كلّ لطف

٩ - علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس بن عبد الرحمن ، عن غير واحد ، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قالوا : إن الله أرحم بخلقه من أن يجبر خلقه على الذنوب ثم يعذبهم عليها والله أعز من أن يريد أمراً فلا يكون ، قال : فسئلا عليهما السلام هل بين الجبر والقدر منزلة ثالثة ؟ قالوا : نعم أوسع مما بين السماء والأرض .

١٠ - علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس بن عبد الرحمن ، عن صالح بن سهل ، عن بعض أصحابه ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سئل عن الجبر والقدر

بالنسبة إلى كل مكلف ، نعم لا بد من الألفاظ التي لا يصح التكليف عقلاً بدونها كالأعلام والإقدار والتمكين ورفع الموانع التي ليس رفعها في وسع المكلف ، وأما وجوب كل ما يقرب إلى الطاعة ويبعد عن المعصية فيشكل القول بوجوبها ، بل الظاهر عدم تحقق كثير من الألفاظ الغير المفضية إلى حد الإلجاء كابتلاء أكثر المرتكبين للمعاصي مقارناً لفعالهم ببلاء ، وإيصال نفع عاجل بأكثر المطيعين ، وتواتر الأنبياء والمرسلين والحجج في كل أرض وصقع ، وأيضاً فحينئذ لا معنى للخذلان الذي يدل عليه كثير من الأخبار ، إذ مع علمه تعالى بعدم نفع اللطف لا تأثير للخذلان في الفعل والترك ، ومع النفع يفوت اللطف ، ونقض الغرض إنما يتحقق إذا كان الغرض فعل المكلف به ، ولعل الغرض تعريضهم للثواب والعقاب ، وليس هذا مقام بسط الكلام في تلك المسائل ، وإنما نشير إلى ما ظهر لنا من الأخبار في كل منها .

الحديث التاسع : مرسل كالصحيح .

قوله عليه السلام : والله أعز ، أي إنما قدروا على الفعل لأن الله سبحانه خلق بينهم وبين إرادتهم ، ولو أراد غيره حتماً لصر فهم إذ هو سبحانه أعز من أن يريد أمراً حتماً ثم لا يكون ذلك الأمر ، وهذا الخبر أيضاً يدل على أن القدرية المفوضة .

الحديث العاشر : ضعيف .

فقال : لا جبر ولا قدر ولكن منزلة بينهما ، فيها الحقّ ألتي بينهما لا يعلمها إلاّ العالم
او من علمها إيّاه العالم .

قوله : ألتي بينهما ، مبتدأ «لا يعلمها» خبره ، أشار ﷺ الى دقّة المنزلة بين
المنزلتين وغموضها ، كما يظهر لمن تأمل فيها ، فانّها أصعب المسائل الدينية ، وقد
تحيّر فيها العلماء من كلّ فرقة ، قال إمامهم الرازي : حال هذه المسئلة عجيبه فانّ
الناس كانوا فيها مختلفين أبداً بسبب أنّ ما يمكن الرجوع اليه فيها متعارضة
متدافعة ، فمعوّل الجبرية على أنّه لا بدّ لترجيح الفعل على الترك من مرجّح ليس
من العبد ، ومعوّل القدرية على أنّ العبد لو لم يكن قادراً على فعله لما حسن المدح
والذمّ والأمر والنهي ، وهما مقدّمتان بديهيتان .

ثمّ من الدلائل العقلية إعتداد الجبرية على أنّ تفاصيل أحوال الأفعال غير
معلومة للعبد ، وإعتداد القدرية على أنّ أفعال العباد واقعة على وفق قصودهم ودواعيهم
وهما متعارضان ، ومن الإلزامات الخطائية انّ القدرة على الإيجاد كما لا يليق
بالعبد الذي هو منبع النقصان ، فانّ أفعال العباد يكون سفهاً وعبثاً فلا يليق المتعالى
عن النقصان ، واما الدلائل السمعية فالقرآن مملوء بما يوهم بالامرين ، وكذا الآثار
وانّ أمة من الامم لم تكن خالية من الفرقتين ، وكذا الأوضاع والحكايات متدافعة
من الجانبيين ، حتى قيل : انّ وضع النرد على الجبر ووضع الشطرنج على القدر ، إلاّ
أنّ مذهبنا أقوى بسبب انّ القدح في قولنا لا يترجّح الممكن إلاّ بمرجّح [لا] يوجب
إسداد باب إثبات الصانع .

ونحن نقول : الحقّ ما قال بعض أئمة الدين : أنّه لا جبر ولا تفويض ولكن
أمر بين أمرين ، وذلك لانّ مبني المبادي القريبة لأفعال العبد على قدرته وإختياره ،
والمبادي البعيدة على عجزه واضطراره ، فانّ الإنسان مضطّرّ في صورة مختار ، كالقلم
في يد الكاتب ، والوتد في شقّ الحائط ، وفي كلام بعض العقلاء : قال الحائط للوتد :
لم تشقّنى ؟ قال : سل من يدقّنى « انتهى » وانما أوردت كلامه لبيان حيرتهم وإعترافه
بالأمر بين الأمرين ، وإنّ لم يبيّن معناه على وجه يرفع الإشكال من البين .

١١ - علي بن إبراهيم ، عن محمد ، عن يونس ، عن عذّة ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : قال له رجل : جعلت فداك أجبر الله العباد على المعاصي ؟ فقال : الله أعدل من أن يجبرهم على المعاصي ثم يعدّ بهم عليها ، فقال له : جعلت فداك ففوّض الله إلى العباد ؟ قال : فقال : لو فوّض إليهم لم يحصرهم بالأمر والنهي ، فقال له : جعلت فداك فبينهما منزلة ؟ قال : فقال : نعم ، أوسع ما بين السماء والأرض .

١٢ - محمد بن أبي عبد الله وغيره ، عن سهل بن زياد ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال : قلت لأبي الحسن الرضا (عليه السلام) : إن بعض أصحابنا يقول بالجبر ، وبعضهم يقول بالاستطاعة ؟ قال : فقال لي : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، قال علي بن الحسين قال الله عز وجل : « يا ابن آدم بمشيئتي كنت أنت الذي نشاء وبقوتي أديت إلي »

الحديث الحادى عشر : مرسل كالصحيح .

ويظهر منه أن التفويض هو إهمال العباد وعدم توجه الأمر والنهي إليهم ، ولذا قال بعضهم : التفويض غير معنى القدر والجبر المقابل لكل منهما معنى آخر ، وأقول : يحتمل أن يكون المراد لو كان أهملهم بعد الأمر والنهي ولم يوجه إليهم الألفاظ والتوقيفات ، لكان إهمالهم مطلقاً أولى ، والحاصل أن أمرهم ونهيهم وإرسال الرسل إليهم دليل على أنه سبحانه متوجه إلى إصلاحهم ، فمعتن بشأنهم ليوصلهم إلى ما يستحقونه من الدرجات ، وإهمالهم حينئذ ينافي ذلك الغرض ، فيكون قريباً من دليل اللطف المتقدم ، وقيل : أي لم يحصرهم بسلطنته وملكه ويلزم خروجهم باعتبار التفويض من سلطان الله تعالى ، ولما كانت السلطنة علّة للأمر والنهي فعبر عنها بمجاز أسمية للسبب باسم المسبب ، ولا يخفى بعده ، وقيل : أي التفويض مستلزم للعجز ، والعاجز غير قابل للربوبية والأمر والنهي ، وهو قريب من الاول مضموناً وبعداً .

الحديث الثانى عشر : ضعيف على المشهور ، والاستطاعة تطلق على ثلاثة معان

« الاول ، القدرة الزائدة على ذات القادر » الثانى « آلة تحصل معها القدرة على الشيء »

فرائضي وبنعمتي قويت على معصيتي ، جعلتك سميعاً ، بصيراً ، ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وذلك انني اولى بحسناتك منك وانت اولى بسيئاتك مني وذلك انني لا أسأل عما افعل وهم يسألون » قد نظمت لك كل شيء تريد .

١٣ - محمد بن ابي عبدالله ، عن حسين بن محمد ، عن محمد بن يحيى ، عن محمد بن حذّثه عن ابي عبدالله عليه السلام قال : لا جبر ولا تفويض ولكن امر بين امرين ، قال : قلت وما امر بين امرين ؟ قال مثل ذلك : رجل رأى على معصية فنهيته فلم ينته فتركته ففعل تلك المعصية فليس حيث لم يقبل منك فتركته كنت انت الذي امرته بالمعصية .

١٤ - عدة من اصحابنا ، عن احمد بن محمد البرقي ، عن علي بن الحكم ، عن هشام بن سالم ، عن ابي عبدالله عليه السلام قال : الله اكرم من أن يكلف الناس ما لا يطيقون والله اعز من ان يكون في سلطانه ما لا يريد .

كالزاد والراحلة وتخلية السرب وصحة البدن في الحج » الثالث ، التفويض مقابل الجبر وهو المراد ههنا ، وقوله : قد نظمت ، كلام الرضا عليه السلام ويحتمل السجادة عليه السلام ايضاً لكنه بعيد ، وقد مر الكلام في الخبر في باب المشيئة والارادة .

الحديث الثالث عشر : مرسل ويدل على أن الأمر بين الامرين هو مداخلته سبحانه في أعمال العباد بالتوفيق والخذلان كما سيأتي .

الحديث الرابع عشر : صحيح .

قوله عليه السلام : ما لا يطيقون ، اي ما لا يكون الايمان به مقدوراً لهم ، ويكونون مجبورين على خلافه كما نقوله الجبرية .

قوله : ما لا يريد ، اي ولو بالعرض كما مر أو يريد خلافه .

فذلك

اعلم ان مسألة خلق الاعمال من أعظم المسائل الاسلامية وأصعبها وأهمها ، وقد جرى بين الامامية والمعتزلة والاشاعرة في ذلك مناقشات طويلة ومباحثات كثيرة ،

وقد صنع أكثرهم في ذلك رسائل مفردة ، والذي يتحصّل من مذاهبهم أنّ أفعال العباد دائمة بحسب الاحتمال العقلي بين أمور :

الاول : أن يكون حصولها بقدره الله وإرادته من غير مدخل لقدرة العبد فيه وإرادته .

الثاني : أن يكون بقدره العبد وإرادته من غير مدخل لقدرة الله تعالى وإرادته فيه ، أي بلا واسطة ، إذ لا ينكر عاقل أن الإقدار والتمكين مستندان إليه تعالى ، إما ابتداءً أو بواسطة .

الثالث : أن يكون حصولها بمجموع القدرتين ، وذلك بأن يكون المؤثر قدرة الله بواسطة قدرة العبد أو بالعكس ، أو يكون المؤثر مجموعها من غير تخصيص إحداها بالمؤثرية ، والآخرى بالآلية ، وذهب إلى كل من تلك الاحتمالات ما خلا الاحتمال الثاني من محتملات الشق الثالث طائفة .

أما الاول ففيه قولان : «الاول» مذهب الجبرية البحتة وهم جهنم بن صفوان وأتباعه ، حيث ذهبوا إلى أن الفعل من الله سبحانه بلا تأثير لإرادة العبد وقدرته فيه ولا كسب ، بل لا فرق عندهم بين مشي زيد وحركة المرتعش ، ولا بين الصاعد إلى السطح والساقط منه ، «والثاني» مذهب أبي الحسن الأشعري وأتباعه فأنهم لما رأوا شناعة قول الجهمية فرّوا منه بما لا ينفعهم وقالوا : أفعال العباد الاختيارية واقعة بقدره الله وحده ، وليس لقدرتهم تأثير فيها ، بل الله سبحانه أجرى عادته بأنّه يوجد في العبد قدرة واختياراً ، فإذا لم يكن هناك مانع أوجد فيه فعله المقدور مقارناً لهما ، فيكون فعل العبد مخلوقاً لله إبداعاً وإحداثاً ومكسوباً للعبد ، والمراد بكسبه إيّاه مقارنته لقدرته وإرادته من غير أن يكون هناك منه تأثير أو مدخل في وجوده سوى كونه محلاً له ، وقالوا : نسبة الفعل إلى العبد باعتبار قيامه به لا باعتبار إيجاده له ،

فالقائم والآكل والشارب عندهم بمنزلة الأسود والأبيض .

والثاني وهو استقلال العبد في الفعل مذهب أكثر الامامية والمعتزلة ، فانهم ذهبوا إلى أن العباد موجودون لأفعالهم مخترعون لها بقدرتهم ، لكن أكثر المعتزلة قائلون بوجوب الفعل بعد إرادة العبد ، وبعضهم قالوا : بعدم وجوب الفعل بل يصير أولى ، قال المحقق الطوسي (قده) : ذهب مشايخ المعتزلة وأبو الحسين البصري وإمام الحرمين من أهل السنة إلى أن العبد له قدرة قبل الفعل وإرادة بها تتم مؤثرته ، فيصدر عنه الفعل ، فيكون العبد مختاراً إذ كان فعله بقدرته الصالحة للفعل والترك ، وتبعاً لداعيه الذي هو إرادته ، والفعل يكون بالقياس إلى القدرة وحدها ممكناً وبالقياس إليها مع الإرادة يصير واجباً ، وقال المصمودي الملاحمي وغيره من المعتزلة : إن الفعل عند وجود القدرة والإرادة يصير أولى بالوجود حذراً من أن يلزمهم القول بالجبر لو قالوا بالوجوب ، وليس ذلك بشيء لأن مع حصول الأولوية إن جاز له الطرف الآخر لما كانت الأولوية بأولوية ، وإن لم يجز فهو الواجب وإنما غيروا اللفظ دون المعنى « انتهى » .

واختلف في نسبة إحتمالي الشق الثالث وتحقيقهما ، ففي المواقف وشرحه : أفعال العباد الاختيارية واقعة بقدرة الله تعالى وحدها ، وقالت المعتزلة : بقدرة العبد وحدها على سبيل الاستقلال بلا إيجاب بل باختيار ، وقالت طائفة بالقدرتين ، ثم اختلفوا فقال الأستاذ ، يعني أبا إسحاق الإسفرائيني : بمجموع القدرتين ، على أن تتعلق جميعاً بالفعل نفسه وجوز اجتماع المؤثرين على أثر واحد ، وقال القاضي ، يعني الباقلاني : على أن تتعلق قدرة الله بأصل الفعل وقدرة العبد بصفته أغنى كونه طاعة ومعصية ، إلى غير ذلك من الاوصاف التي لا يوصف بها أفعاله تعالى كما في لطم اليتيم تأديباً أو إيذاءً فإن ذات اللطم واقعة بقدرة الله وتأثيره ، وكونه طاعة على الاول ومعصية على الثاني بقدرة العبد وتأثيره ، وقالت الحكماء وإمام الحرمين : هي واقعة على سبيل

الوجوب وامتناع التخلف بقدرة يخلقها الله في العبد إذا قارنت حصول الشرائط وإرتفاع
الموانع ، والضابط في هذا المقام أن المؤثر إما قدرة الله أو قدرة العبد على الانفراد
كمذهبي الأشعري وجهور المعتزلة ، أوهما معاً وذلك إمام مع اتحاد المتعلقين كمذهب
الاستاد منا والنجار من المعتزلة ، أو دونه وحيداً فإما مع كون إحداها متعلقة
للأخرى ، ولا شبهة في أنه ليس قدرة الله متعلقة لقدرة العبد ، إذ يستحيل تأثير الحادث
في القديم ، فتعيّن العكس وهو أن تكون قدرة العبد صادرة عن قدرة الله وموجبة
للفعل ، وهو قول الإمام والفلاسفة ، وإما بدون ذلك وهو مذهب القاضي لأن المفروض
عدم اتحاد المتعلقين « انتهى » .

واعترض عليه المولى جمال الدين محمود وغيره : بأن جعل المذهب المنسوب
إلى الإمام والفلاسفة كون المؤثر مجموع القدرتين دون مذهب المعتزلة تحكم بحت
إذ لا فرق بين هذين المذهبين في أن المؤثر الحقيقي في الفعل هو قدرة العبد ، وتلك
القدرة الحادثة مخلوقة للقدرة القديمة الإلهية ، ثم قال : الصواب في الضبط أن يقال
المؤثر إما قدرة الله تعالى وحدها وهو مذهب الشيخ الأشعري ، وإما قدرة العبد
وحدها وهو مذهب جهور المعتزلة والإمام والفلاسفة ، وإما هما معاً إمام مع اتحاد
المتعلقين وهو مذهب الاستاد ، أو بدون ذلك بأن تتعلق القدرة القديمة بنفس الفعل
والحادثة بصفته ، وهو مذهب القاضي « انتهى » .

ثم أعلم أن هذا المذهب الذي نسبوا إلى الحكماء من أن العلة القريبة للفعل
الاختياري إنما هو العبد وقدرته ، لكن قدرته مخلوقة لله وإرادته حاصلة بالعلل
المرتبة منه تعالى قول بعضهم ، وقال جم غفير منهم : لا مؤثر في الوجود إلا الله ،
وموجد أفعال العباد هو الله سبحانه ، وقالوا : إن الفعل كما يسند إلى الفاعل كإسناد
البناء إلى البناء قد يسند إلى الشرط كإسناد الاضاءة إلى الشمس والسراج مثلاً فبعض
الأفعال الصادرة عن الطبايع النوعية كالحركات الطبيعية والفسرية والأفعال

الاختيارية للإنسان وغيره بل الأفعال الصادرة عن النفوس الفلكية والعقول المجردة بناء على القول بوجودهما ، فكل من هذه الأمور لا سيما إرادة النفوس الحيوانية والإنسانية والفلكية بل العقول مع عدم المانع شرط وواسطة لصدور تلك الأفعال من مفيض الوجود ، وإسنادها الى تلك المبادئ من قبيل إسناد الفعل الى الشرائط والوسائط ، لا إلى الفاعل والموجد ، وهذا قريب من مذهب الأشاعرة .

إذا عرفت هذه المذاهب فاعلم أن تأثير قدرة العبد وإرادته في الأفعال الاختيارية من أجل البديهيات وسخافة مذاهب الأشاعرة ومن يحذو حذوهم لا يحتاج إلى بيان وبطون الأوراق والصحف والزبر من علمائنا والمخالفين مشحونة بذلك .

قال العلامة الحلبي قدس الله روحه : الامامية قسموا الأفعال إلى ما يتعلق بقصودنا ودواعينا وإرادتنا وإختيارنا بحركتنا الاختيارية الصادرة عنا ، كالحركة يمينة ويسرة ، وإلى ما لا يتعلق بقصودنا ودواعينا وإرادتنا وإختيارنا كالأثار التي فعلها الله تعالى من الألوان وحركة النمو والتغذية والنضج وغير ذلك ، وهو مذهب الحكماء ، والحق أننا نعلم بالضرورة أننا فاعلون ، يدل عليه العقل والنقل ، أما العقل فانا نعلم بالضرورة الفرق بين حركتنا الاختيارية والاضطرابية وحركة الجماد ونعلم بالضرورة قدرتنا على الحركة الاولى كحركتنا يمينة ويسرة ، وعجزنا عن الثانية كحركتنا إلى السماء وحركة الواقع من شاطئ ، وانتفاء قدرة الجماد ، ومن أسند الأفعال إلى الله تعالى ينفي الفرق بينهما ، ويسمى بنفي ما قضت الضرورة بثبوته ، وقال ابو الهزيل العلاف : - ونعم ما قال - حمار بشر أعقل من بشر ، فإن حمار بشر لو أتيت به إلى جدول صغير وضربته للعبور فانه يظفر ، ولو أتيت به إلى جدول كبير وضربته فانه لا يظفر ويروع عنه ، لأنه فرق بين ما يقدر عليه وبين ما لا يقدر عليه وبشر لا يفرق بين المقدور له وغير المقدور له « انتهى » .

وإذا كان الحكم بذلك ضرورياً فالشبه الموردة في مقابلة ذلك لا يصنى إليها

وإن كانت قوية ، وكثير من أحوال الإنسان وأموره إذا أمعن النظر فيها يصل إلى حدّ يتحسّر العقل فيها ، كحقيقة النفس وكيفية الإبصار مع كونهما أقرب الأشياء إليه ، لا يمكنه الوصول إلى حقيقة ذلك ، وينتهى التفكير فيها إلى حدّ التحسّر وليس ذلك سبباً لأنّ ينفي وجودهما وتحققهما فيه ، ولا تطيل الكلام بإيراد الدلائل ودفع الشبهات ، فإنّ هذا الكتاب ليس محلّ إيرادها ، وإنما نؤمّي إلى بعض مسائل الكلامية إجمالاً لتوقّف فهم الأخبار التي نحن بصدد شرحها عليه .

ثمّ أعلم أنّ الحقّ أنّ المعتزلة أيضاً خرجوا من الحقّ للإفراط من الجانب الآخر ، فإنّهم يذهبون إلى أنّه تعالى لا مدخلية له في أعمال العباد أصلاً ، سوى خلق الآلات والتمكين والإقدار حتّى أنّ بعض المعتزلة قالوا : إنّ الله لا يقدر على عين مقدور العبد ، وبعضهم قالوا : لا يقدر على مثله أيضاً ، فهم عزلوا الله عن سلطانه ، وكأنّهم أخرجوا الله من ملكه وأشركوا من حيث لا يعلمون ، والأخبار الواردة ينفي مذهب هؤلاء وذهبهم أكثر من الأخبار الدالة على ذم الجبريّة ونفي مذهبهم ، وفي أكثر الأخبار أطلقت القدريّة عليهم كما عرفت ، وأطلقوا عليهم المفوضة ، فهم عليه السلام نفوا وأبطلوا الجبر والتفويض معاً ، وأثبتوا الأمر بين الأمرين وهو أمر غامض دقيق وللناس في تحقيق ذلك مسالك :

الاول: ما ذكره الشيخ الاجل المفيد طيب الله رمسه حيث قال في تحقيق الأمر بين الأمرين : الجبر هو الحمل على الفعل والاضطرار إليه بالقسر والغلبة ، وحقيقة ذلك إيجاد الفعل في الخلق من غير أن تكون له قدرة على دفعه ، والإمتناع من وجوده فيه ، وقد يعبرّ عما يفعله الإنسان بالقدرة التي معه على وجه الإكراه له على التخويف والإلجاء أنّه جبر ، والأصل فيه ما فعل من غير قدرة على امتناعه منه حسبما قدّمناه ، وإذا تحقّق القول في الجبر على ما وصفناه ، كان مذهب أصحاب المخلوق هو بعينه لأنّهم يزعمون الله تعالى خلق في العبد الطاعة من غير أن يكون

للعبد قدرة على ضدّها ، والإمتناع منها ، وخلق فيه المعصية كذلك ، فهم المجبرة حقاً والجبر مذهبهم على التحقيق ، والتفويض هو القول برفع الحظر عن الخلق في الأفعال والإباحة لهم مع ما شاءوا من الأعمال ، وهذا قول الزنادقة وأصحاب الإباحات والواسطة بين القولين أن الله أقدر الخلق على أفعالهم ومكّنهم من أعمالهم وحدّ لهم الحدود في ذلك ورسم لهم الرسوم ، ونهاهم عن القبائح بالزجر والتخويف ، والوعد والوعيد ، فلم يكن بتمكينهم من الأعمال مجبراً لهم عليها ، ولم يفوّض إليهم الأعمال لمنعهم من أكثرها ، ووضع الحدود لهم فيها وأمرهم بحسنها ونهاهم عن قبيحها ، فهذا هو الفصل بين الجبر والتفويض « انتهى » وأقول هذا معنى حقّ لكن تنزيل الأخبار عليه لا يخلو من بعد .

الثاني : ما ذكره بعض السالكين مسلك الفلاسفة حيث قال : فعل العبد واقع بمجموع القدرتين والأرادتين ، والتأثيرين من العبد ومن الربّ سبحانه ، والعبد لا يستقلّ في إيجاد فعله بحيث لا مدخل لقدرة الله فيه أصلاً ، بمعنى أنّه أقدر العبد على فعله بحيث يخرج عن يده أزمّة الفعل المقدور للعبد مطلقاً ، كما ذهب إليه المفوّضة أو لا تأثير لقدرة فيه وإن كان قادراً على طاعة العاصي جبراً ، لعدم تعلق إرادته بجبره في أفعاله الاختيارية كما ذهب إليه المعتزلة ، وهذا أيضاً نحو من التفويض ، وقول بالقدر وبطلانه ظاهر ، كيف ولقدرة خالق العبد وموجده تأثير في فعل العبد بلا شبهة كما يحكم به الحدس الصائب ، وليس قدرة العبد بحيث لا تأثير له في فعله أصلاً سواء كانت كاسبة كما ذهب إليه الأشعري ، ويؤول مذهبه إلى الجبر كما يظهر بأدنى تأمل أم لا تكون كاسبة أيضاً بمعنى أن لا تكون له قدرة وإختيار أصلاً بحيث لا فرق بين مشي زيد وحركة المرتعش كما ذهب إليه الجبريّة وهم الجهميّة ، وقال : هذا معنى الأمر بين الأمرين ، ومعنى قول الحكماء الإلهيتين : لا مؤثر في الوجود إلا الله ، فمعناه أنّه لا يوجد شيء إلا بإيجاده تعالى وتأثيره في وجوده ، بأن يكون فاعلاً قريباً له ،

• • • • •

سواء كان بلامشاركة تأثير غيره فيه كما في أفعاله سبحانه كخلق زيد مثلاً ، أو بمشاركة تأثير غيره فيه كخلفه فعل زيد مثلاً ، فجميع الكائنات حتى أفعال العباد بمشيئته تعالى وإرادته وقدره ، أي تعلق إرادته وقضائه ، أي إيجاده وتأثيره في وجوده ، ولما كانت مشيئة العبد وإرادته وتأثيره في فعله بل تأثير كل واحد من الأمور المذكورة آنفاً في أفعاله جزءاً أخيراً للعللة التامة لأفعاله ، وانما يكون تحقق الفعل والترك مع وجود ذلك التأثير وعدمه فينتفي صدور القبيح عن الله تعالى ، بل انما يتحقق بالمشيئة والإرادة الحادثة ، وبالتأثير من العبد الذي هو متمم للعللة التامة ، ومع عدم تأثير العبد والكف عنه بإرادته واختياره لا يتحقق فعله بمجرّد مشيئة الله تعالى وإرادته وقدره ، بل لا يتحقق مشيئة وإرادة وتعلق إرادة منه تعالى بذلك الفعل ، ولا يتعلق جعله وتأثيره في وجود ذلك الفعل مجرّداً عن تأثير العبد فجيشذ الفعل لاسيما القبيح مستند إلى العبد ، ولما كان مراده تعالى من إقدار العبد في فعله وتمكينه له فيه صدور الأفعال عنه باختياره وإرادته ، اذا لم يكن مانع أي فعل أراد واختار من الايمان والكفر والطاعة والمعصية ، ولم يرد منه خصوص شيء من الطاعة والمعصية ، ولم يرد جبره في أفعاله ليصح تكليفه لأجل المصلحة المقتضية له ، ولا يعلم تلك المصلحة إلا الله تعالى وكلفه بعد ذلك الإقدار باعلامه بمصالح أفعاله ومفاسده في صورة الامر والنهي ، لا نهما من الله تعالى من قبيل أمر الطبيب للمريض بشرب الدواء النافع ، ونهيه عن أكل غذاء الضار ، وذلك ليس بأمر ونهي حقيقة ، بل إعلام بما هو نافع وضار له ، فمن صدور الكفر والعصيان عن العبد بإرادته المؤثرة واستحقاقه بذلك العقاب ، لا يلزم أن يكون العبد غالباً عليه تعالى ، ولا يلزم عجزه تعالى ، كما لا يلزم غلبة المريض على الطبيب ، ولا عجز الطبيب إذا خالفه المريض وهلك ، ولا يلزم أن يكون في ملكه أمر لا يكون بمشيئته تعالى وإرادته ، ولا يلزم الظلم في عقابه ، لانه فعل القبيح بإرادته المؤثرة ، وطبيعة ذلك الفعل توجب أن يستحقّ فاعله العقاب ،

ولما كان مع ذلك الإعلام من الأمر والنهي بوساطة الحجج البيّنة اللطيف والتوفيق في الخيرات والطاعات من الله جلّ ذكره ، فما فعل الإنسان من حسنة فالأولى أن يسند وينسب إليه تعالى ، لأنّ مع إقداره وتمكينه له وتوفيقه للحسنات أعلمه بمضالحيّ الاتيان بالحسنات ، ومضارّ تركها والكفّ عنها بأوامره ، وما فعله من سيئة فمن نفسه ، لأنّه مع ذلك أعلمه بمفاسد الاتيان بالسيئات ومنافع الكفّ عنها بنواحيه وهذا من قبيل إطاعة الطبيب ومخالفته ، فأنّه من أطاعه وبرىء من المرض يقال له : عالجه الطبيب وصيّره صحيحاً ، ومن خالفه وهلك يقال له : أهلك نفسه بمخالفته للطبيب ، فظهر إسناد الحسنات إلى الله تعالى وإسناد السيئات إلى العبد ، فهذا معنى الأمر بين الأمرين وينطبق عليه الآيات والاخبار من غير تكلف « انتهى » وهذا المحقق وإن بالغ في التدقيق والتوفيق بين الأدلّة لكن يشكّل القول بتأثيره سبحانه في القبائح والمعاصي مع مفاسد آخر ترد عليه ، ذكرها يفضي إلى الإطناب .

الثالث: ما ذكره أيضاً أكثر السالكين مسلك الفلاسفة ونسب إلى المحقق الطوسي أيضاً حيث قالوا : قد ثبت أنّ ما يوجد في هذا العالم فقد قدر بهيئته وزمائه في عالم آخر فوق هذا العالم قبل وجوده ، وقد ثبت أنّ الله تعالى قادر على جميع الممكنات ولم يخرج شيء من الأشياء عن مصلحته وعلمه وقدرته وإيجاده بواسطة أو بغير واسطة وإلّا لم يصلح لمبدئية الكلّ ، فالهداية والضلال والإيمان والكفر والخير والشرّ والنفع والضرر وسائر المتقابلات كلّها منتهية إلى قدرته وتأثيره وعلمه وإرادته ومشيئته بالذات أو بالعرض ، وأفعالنا كسائر الموجودات وأفعالها بقضائه وقدره وهي واجبة الصدور بذلك منّا ، ولكن بتوسط أسباب وعلل من إدراكنا وإرادتنا وحرركاتنا وسكناتنا وغير ذلك من الأسباب العالية الغائبة عن علمنا ، وتدبيرنا الخارجة عن قدرتنا وتأثيرنا ، فاجتماع تلك الأمور التي هي الأسباب والشرائط مع إرتفاع الموانع علة تامّة يجب عندها وجود ذلك الأمر المدبّر والمقضى المقدّر ، وعند تخلف شيء

منها أو حصول مانع بقي وجوده في حيز الامتناع ، ويكون ممكناً وقوعياً بالقياس الى كل واحد من الاسباب الكونية.

ولما كان من جملة الأسباب خصوصاً القربة منها إرادتنا وتفكرنا وتخيّلنا وبالجملة ما تختار به أحد طرفي الفعل والترك فالفعل اختياريّ لنا فإن الله أعطانا القوة والقدرة والاستطاعة ليبلونا أيّنا أحسن عملاً ، مع إحاطة علمه ، فوجوبه لا ينافي إمكانه واضطرار ربه لا تدافع كونه اختياريّاً كيف وانما وجب إلّا باختياره ولا شكّ إنّ القدرة والاختيار كسائر الأسباب من الادراك والعلم والإرادة والتفكر والتخيّل وقواها وآلاتها كلّها بفعل الله تعالى لا بفعلنا واختيارنا ، وإلّا لتسلسلت القدر والارادات إلى غير النهاية ، وذلك لأنّا وإن كنّا بحيث إن شئنا فعلنا ، وإن لم نشأ لم نفعل ، لكنّا لسنا بحيث إن شئنا شئنا ، وإن لم نشأ لم نشأ ، بل إذا شئنا فلم تتعلق مشيئتنا بمشيئتنا بل بغير مشيئتنا فليست المشيئة الينا ، إذ لو كانت الينا لاحتجنا الى مشيئة أخرى سابقة ، وتسلسل الأمر الى غير النهاية ، ومع قطع النظر عن استحالة التسلسل نقول : مشيئتنا الغير المتناهية بحيث لا نشذ عنها مشيئة لا يخلو إما أن يكون وقوعها بسبب أمر خارج عن مشيئتنا أو بسبب مشيئتنا ، والثاني باطل لعدم امكان مشيئة أخرى خارجة عن تلك الجملة ، والاول هو المطلوب ، فقد ظهر أنّ مشيئتنا ليست تحت قدرتنا كما قال الله عز وجل : « وما تشاؤون إلّا أن يشاء الله » (١) فاذن نحن في مشيئتنا مضطرونّ وانما تحدث المشيئة عقيب الداعي ، وهو تصور الشيء الملائم تصوّراً ظنياً أو تخيّلياً أو علمياً ، فاذا أدركنا شيئاً فإن وجدنا ملائمته أو منافرته لنا دفعة بالوهم أو ببديهة العقل انبعث منّا شوق الى جذبته أو دفعه ، وتأكّد هذا الشوق هو العزم الجازم المسمّى بالارادة ، واذا انضمت الى القدرة التي هي هيئة للقوة الفاعلة انبعثت تلك القوة لتحريك الأعضاء الادوية من العضلات وغيرها ،

فيحصل الفعل فاذا تحقق الداعي للفعل الذي تنبعث منه المشية تحققت المشية ، وإذا تحققت المشية التي تصرف القدرة الى مقدورها انصرفت القدرة لا محالة ، ولم يكن لها سبيل الى المخالفة ، فالحركة لازمة ضرورة بالقدرة ، والقدرة محركة ضرورة عند إنجزام المشية والمشية تحدث ضرورة في القلب عقيب الداعي ، فهذه ضروريات يترتب بعضها على بعض ، وليس لنا أن ندفع وجود شيء منها عند تحقق سابقه ، فليس يمكن لنا أن ندفع المشية عند تحقق الداعي للفعل ، ولا إنصراف القدرة عن المقدور بعدها ، فنحن مضطرون في الجميع ، ونحن في عين الاختيار مجبورون على الاختيار « انتهى » .

والظاهر أن هذا عين الجبر ، وليس من الأمر بين الأمرين في شيء ، واحتياج الإرادة إلى إرادة أخرى ممنوع ، وتفصيل الكلام في ذلك يحتاج إلى تمهيد مقدمات وإيراد إشكالات وأجوبة تفضي إلى التطويل ، مع أن أمثال هذه شبه في مقابلة البديهة ولا وقع بمثلها .

ومثل هذا التوجيه ما قيل : أنه لا دخل لإرادة العبد في الإيجاب ، بل هي من الشروط التي بها يصير المبدء بإرادته موجبا تاما مستجمعا لشرائط التأثير ، وهذا القدر كاف لوقوع فعل العبد بإرادته ، وكونه مستندا إليها وعملا له .

وما قيل : أن لإرادة العبد مدخلية في الإيجاب لا بالمشاركة فيه ، بل بأنه أراد وقوع مراد العبد وأوجبه على أنه مراده ، فلها مدخلية في الإيجاب لا بالمشاركة فيه ، وبهذه المدخلية ينسب الفعل إلى العبد ويكون عملا له ، فهذان الوجهان وأضرابها مما تتركنا ذكرها حذرا من الاطالة مشتركة في عدم رفع المفاسد ، وعدم إيصال طالب الحق الى المقاصد .

الرابع : ما ذكره الفاضل الاسترأبادي رحمه الله تعالى حيث قال : معنى الأمرين الأمرين انهم ليسوا بحيث ما شاءوا صنعوا بل فعلهم معلق على إرادة حادثة متعلقة

بالتخلية أو بالصرف ، وفي كثير من الأحاديث أن تأثير السحر موقوف على اذنه تعالى وكان السرّ في ذلك أنه لا يكون شيء من طاعة أو معصية أو غيرهما كالأفعال الطبيعية إلا بأذن جديد منه تعالى ، فتوقف حينئذ كل حادث على الاذن توقف المعلول على شروطه ، لا توقفه على سببه .

أقول : وهذا معنى يشبه الحق وسنشير اليه .

الخامس : أن يكون الجبر المنفي مذهب اليه الاشعري والجهميّة ، والتفويض المنفي هو كون العبد مستقلاً في الفعل ، بحيث لا يقدر الربّ تعالى على صرفه عنه كما ينسب إلى بعض المعتزلة ، والأمر بينهما هو أنه جعلهم مختارين في الفعل والترك مع قدرته على صرفهم عما يختارون .

السادس : أن يقال : الأمر بين الأمرين هو أن الأسباب القريبة للفعل بقدره العبد ، والأسباب البعيدة كالآلات والأدوات والجوارح والأعضاء والقوى بقدره الله سبحانه ، فقد حصل الفعل بمجموع القدرتين .

وفيه : أن التفويض بهذا المعنى لم يقل به أحد حتى يحتاج إلى نفيه .

السابع : أن المراد بالأمر بين الأمرين كون بعض الأشياء باختيار العبد وهي الأفعال التكليفية ، وبعضها بغير اختياره كالصحة والمرض والنوم واليقظة وأشباهاها .

ويرد عليه ما أوردنا على الوجه السابق .

الثامن : أن التفويض المنفي هو تفويض الخلق والرزق وتدير العالم الى العباد كقول الغلاة في الأئمة عليهم السلام ، ويؤيده ما رواه الصدوق في العيون باسناده عن يزيد بن حمير قال : دخلت على عليّ بن موسى الرضا عليه السلام بمرو ، فقلت : يا بن رسول الله روى لنا عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال : لا جبر ولا تفويض ، أمر بين أمرين فما معناه ؟ فقال : من زعم أن الله يفعل أفعالنا ثم يعدّ بنا عليها فقد قال بالجبر ، ومن

زعم أن الله عز وجل فوّض أمر الخلق والرّزق إلى حججه عليه السلام فقد قال بالتفويض ،
فالقائل بالجبر كافر ، والقائل بالتفويض مشرك ، فقلت له : يا بن رسول الله ، فما أمر
بين أمرين ؟ فقال : وجود السبيل إلى إتيان ما أمروا به ، وترك ما نهوا عنه ، فقلت
له : فهل لله عز وجل مشيئة وإرادة في ذلك ؟ فقال : أما الطاعات فأرادة الله ومشيته
فيها الأمر بها والرضا لها ، والمعاونة عليها ، وإرادته ومشيته في المعاصي النهي عنها
والسخط لها والخذلان عليها ، قلت : فلله عز وجل فيها القضاء ؟ قال : نعم ، ما من فعل
يفعله العباد من خير وشر إلا والله فيه قضاء ، قلت : فبما معنى هذا القضاء ؟ قال : الحكم
عليهم بما يستحقونه على أفعالهم من الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة .

التاسع : ما ظهر لنا من الأخبار المعتبرة المأثورة عن الصادقين عليهم السلام ، وهو أن
الجبر المنفي قول الأشاعرة والجبرية كما عرفت ، والتفويض المنفي هو قول المعتزلة
أنه تعالى أوجد العباد وأقدرهم على أعمالهم وفوّض إليهم الاختيار ، فهم مستقلون
بإيجادها على وفق مشيئتهم وقدرتهم ، وليس لله سبحانه في أعمالهم صنع .

وأما الأمر بين الأمرين فهو أن لهداياته وتوفيقاته تعالى مدخلا في أفعالهم
بحيث لا يصل إلى حدّ الإلجاء والاضطرار ، كما أن لخذلانه سبحانه مدخلا في فعل
المعاصي وترك الطاعات ، لكن لا بحيث ينتهي إلى حدّ لا يقدر معه على الفعل أو
الترك ، وهذا أمر يعجده الإنسان من نفسه في أحواله المختلفة ، وهو مثل أن يأمر
السيد عبده بشيء يقدر على فعله وفهمه ذلك ، ووعد على فعله شيئا من الثواب وعلى
تركه قدراً من العقاب ، فلو اكتفى من تكليف عبده بذلك ولم يزد عليه مع علمه بأنه
لا يفعل الفعل بمحض ذلك ، لم يكن لوماً عند العقلاء لو عاقبه على تركه ، ولا ينسب
عندهم إلى الظلم ، ولا يقول عاقل أنه أجبره على ترك الفعل ، ولو لم يكتف السيد
بذلك وزاد في ألطافه والوعد باكرامه والوعيد على تركه ، وأكد ذلك بيعث من يحثه
على الفعل ويرغبه فيه ويحذره على الترك ، ثم فعل ذلك الفعل بقدرته وإختياره فلا

يقول عاقل أنه جبره على الفعل ، وأما فعل ذلك بالنسبة إلى قوم وتركه بالنسبة إلى آخرين فيرجع إلى حسن إختيارهم وصفاء طويقتهم أو سوء إختيارهم وقبح سريرتهم أو إلى شيء لا يصل إليه علمنا ، فالقول بهذا لا يوجب نسبة الظلم إليه سبحانه ، بأن يقال : جبرهم على المعاصي ثم عذّبهم عليها ، كما يلزم الأولين ، ولا عزله تعالى من ملكه واستقلال العباد ، بحيث لا مدخل لله في أفعالهم ، فيكونون شركاء لله في تدبير عالم الوجود كما يلزم الآخرين .

وبدل على هذا الوجه أخبار كثيرة كالخبر الأول لا سيما مع التتمة التي في الاحتجاج ، والخبر الثامن والثالث عشر من هذا الباب ، بل أكثر أبواب^(١) هذا الباب ، والابواب السابقة واللاحقة ، وبه يمكن رفع التنافي بينها كما أو مانا اليه في بعضها ، وقد روى في الاحتجاج وتحف العقول فيما أجاب به أبو الحسن العسكري عليه السلام في رسالته إلى أهل الأهواز حيث قال عليه السلام : قال الصادق عليه السلام : لا جبر ولا تفويض ، أمر بين أمرين ، قيل : فماذا يابن رسول الله ؟ قال : صحة العقل وتخليه السرب ، والمهلة في الوقت ، والزاد قبل الراحلة ، والسبب المهيّج للفاعل على فعله ، فهذه خمسة أشياء ، فإذا نفى العبد منها خلّة كان العمل عنه مطرَحاً بحسبه وأنا أضرب لكل باب من هذه الأبواب الثلاثة وهي الجبر والتفويض والمنزلة بين المنزلتين مثلاً يقرّب المعنى للطالب ويسهّل له البحث من شرحه ، ويشهد به القرآن بمحكم آياته وتحقيق تصديقه عند ذوي الالباب وبالله العصمة والتوفيق .

ثم قال عليه السلام : فأما الجبر فهو قول من زعم أن الله عزّ وجل جبر العباد على المعاصي وعاقبهم عليها ، ومن قال بهذا القول فقد ظلم الله وكذّب به وردّ عليه قوله : « ولا يظلم ربك أحداً »^(٢) وقوله جلّ ذكره : « ذلك بما قدّمت يدك وأنّ الله ليس بظلام للعبيد »^(٣) مع آي كثيرة في مثل هذا ، فمن زعم أنه مجبور على المعاصي فقد

(١) والظاهر « الأخبار » بدل الابواب .

(٢) سورة الحج : ١٠ .

(٣) سورة الكهف : ٤٩ .

أحال بذنبه على الله عز وجل وظلمه في عقوبته له ، ومن ظلم ربه فقد كذب كتابه ، ومن كذب كتابه لزمه الكفر باجماع الامة .

والمثل المضروب في ذلك مثل رجل ملك عبداً مملوكاً لا يملك إلا نفسه ، ولا يملك عرضاً من عروض الدنيا ، ويعلم مولاه ذلك منه ، فأمره على علم منه بالمصير إلى السوق لحاجة يأتيه بها ، ولا يملكه ثمن ما يأتيه به ، وعلم المالك أن على الحاجة رقيقاً لا يطمع أحد في أخذها منه إلا بما يرضى به من الثمن ، وقد وصف مالك هذا العبد نفسه بالعدل والنصفة وإظهار الحكمة ونفي الجور ، فأوعد عبده إن لم يأتيه بالحاجة أن يعاقبه ، فلما صار العبد إلى السوق وحاول أخذ الحاجة التي بعته المولى للآتيان بها وجد عليها مانعاً يمنعه منها إلا بالثمن ، ولا يملك العبد ثمنها ، فانصرف إلى مولاه خائباً بغير قضاء حاجته ، فاغتاظ مولاه لذلك وعاقبه على ذلك ، فاقه كان ظالماً متعدياً مبطلاً لما وصف من عدله وحكمته وصفته ، وإن لم يعاقبه كذب نفسه ، أليس يجب أن لا يعاقبه والكذب والظلم ينفيان العدل والحكمة تعالى الله عما يقول المجبرة علواً كبيراً .

ثم قال عليه السلام بعد كلام طويل : فأما التفويض الذي أبطله الصادق عليه السلام وخطأ من دان به فهو قول القائل : إن الله فوّض إلى العباد اختيار أمره ونهيه وأهملهم ، وفي هذا كلام دقيق لم يذهب إلى غوره ودقته إلا الأئمة المهديّة عليهم السلام من عترة آل الرسول عليهم السلام فانهم قالوا : لو فوّض الله إليهم على جهة الاهمال لكان لازماً له رضا ما اختاروه واستوجبوا به من الثواب ، ولم يكن عليهم فيما اجترموا العقاب ، إذ كان الاهمال واقعاً ، فتتصرف هذه المقالة على معنيين : إما أن يكون العباد تظاهروا عليه فالزموه قبول اختيارهم بآرائهم ضرورة ، كره ذلك أم أحبه فقد لزم الوهن ، أو يكون جلّ وتقدّس عجز عن تعبدّهم بالامر والنهي ففوّض أمره ونهيه إليهم وأجرهما على محبتهم ، إذ عجز عن تعبدّهم بالامر والنهي على إرادته ، فجعل الاختيار إليهم في

الكفر والايمان ، ومثل ذلك مثل رجل ملك عبداً إبتاعه ليخدمه ويعرف له فضل ولايته ويقف عند أمره ونهيه، وادّعى مالك العبد أنه قادر قاهر عزيز حكيم ، فأمر عبده ونهاه ووعدته على إتباع أوامره عظيم الثواب ، وأوعده على معصيته أليم العقاب ، فخالف العبد إرادة مالكة ولم يقف عند أمره ونهيه ، فأمر أمره به أو نهى نهاه عنه لم يأتمر على إرادة المولى ، بل كان العبد يتبع إرادة نفسه، وبعثه في بعض حوائجه ، وفيها الحاجة له ، فصدر العبد بغير تلك الحاجة خلافاً على مولاه، وقصد إرادة نفسه واتبع هواه ، فلمّا رجع إلى مولاه نظر إلى ما أتاه فاذا هو خلاف ما أمره به ، فقال العبد : إتكملت على تفويضك الأمر إليّ فاتّبعته هواي وإرادتي ، لأنّ المفوض إليه غير محصور عليه ، لاستحالة إجتماع التفويض والتحصيل .

ثم قال ﷺ : من زعم أنّ الله فوض قبول أمره ونهيه إلى عباده فقد أثبت عليه العجز ، وأوجب عليه قبول كل ما عملوا من خير أو شرّ وأبطل أمر الله تعالى ونهيه ، ثم قال : إنّ الله خلق الخلق بقدرته ، وملكهم استطاعة ما تعبدّهم به من الأمر والنهي وقبل منهم إتباع أمره ورضي بذلك منهم ، ونهاهم عن معصيته وذمّ من عصاه وعاقبه عليها ، والله الخيرة في الأمر والنهي ، يختار ما يريد ويأمر به ، وينهى عما يكره ، ويثيب ويعاقب بالاستطاعة التي ملكها عباده لإتباع أمره وإجتناّب معاصيه ، لأنّه العدل ومنه النصفة والحكومة ، بالغ الحجة بالإعذار والإنذار ، وإليه الصفوة يصطفى من يشاء من عباده ، إصطفى محمداً ﷺ وبعثه بالرسالة إلى خلقه ، ولو فوض إختيار أموره إلى عباده لأجاز لقريش إختيار امية بن الصلت وأبي مسعود الثقفي ، إذ كانا عندهم أفضل من محمداً ﷺ لما قالوا : « لو لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ، يعنونهما بذلك .

فهذا هو القول بين القولين ليس بجبر ولا تفويض ، بذلك أخبر أمير المؤمنين عليه السلام حين سئله عباية بن ربيع الاسدي عن الاستطاعة ؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام :

تملكها من دون الله أو مع الله؟ فسكت عباية ، فقال له : قل يا عباية ! قال : وما أقول؟ قال : إن قلت تملكها مع الله قتلتك ، وإن قلت تملكها من دون الله قتلتك ، قال : وما أقول يا أمير المؤمنين؟ قال : تقول تملكها بالله الذي يملكها من دونك ، فإن ملكها كان ذلك من عطائه ، وإن سلبكها كان ذلك من بلائه ، وهو المالك لما ملكك ، والمالك لما عليه أقدرك ، أما سمعت الناس يسئلون الحول والقوة حيث يقولون : لا حول ولا قوة إلا بالله؟ فقال الرجل : وما تأويلها يا أمير المؤمنين؟ قال : لا حول بنا عن معاصي الله إلا بعصمة الله ، ولا قوة لنا على طاعة الله إلا بعبون الله ، قال : فوثب الرجل وقبل يديه ورجليه ، إلى آخر الخبر بطوله .

وأقول أكثر أجزاء هذا الخبر يدلّ على ما ذكرنا في الوجه التاسع ، وأمّا ما ذكر في معنى التفويض ، فيحتمل أن يكون راجعاً إلى الوجه الاول ، لكنّ الظاهر أنّ غرضه عليه السلام من نفي التفويض نفي ما ذكره المخالفون من تفويض إختيار الامام عليه السلام ونصبه إلى الامة وتفويض الأحكام إليهم بأن يحكموا فيها بأرائهم ، وقياساتهم واستحساناتهم ، ولهذا أجل عليه السلام في الكلام ، وقال في هذا كلام دقيق ، ويبيّن ذلك أخيراً بذكر قریش واصطفائهم فلا تغفل .

فيمكن أن يعدّ هذا وجهاً عاشرًا لنفي الجبر والتفويض ، وإثبات الواسطة . ويؤيد ما ذكرنا أيضاً ما رواه الشيخ أبو الفتح الكراجكي في كتاب كنز الفوائد إن الحسن البصري كتب إلى الإمام الحسن بن علي عليه السلام : من الحسن البصري إلى الحسن بن رسول الله أمّا بعد فاتكم معاشر بني هاشم الفلك الجارية في اللجج الغامرة ، مصايح الدجي وأعلام الهدى ، والائمة القادة ، الذين من تبعهم بجا والسفينة التي يؤل إليها المؤمنون ، وينجو فيها المتمسكون ، قد كثر يا بن رسول الله عندنا الكلام في القدر ، واختلافنا في الاستطاعة ، فعلمنا ما الذي عليه رأيك ورأي آبائك فاتكم نذبة بعضها من بعض ، من علم الله علمتم ، وهو الشاهد عليكم ، وأنتم الشهداء

على الناس والسلام؟ فأجابه صلوات الله عليه من الحسن بن عليٍّ إلى الحسن البصري :
 أما بعد فقد انتهى إلى كتابك عند حيرتك وحيرة من زعمت من أمتنا وكيف ترجعون
 إلينا وأنتم معنا بالقول دون العمل ، واعلم أنه لولا ما تناهى إليّ من حيرتك وحيرة
 الأمة من قبلك لأمسكت عن الجواب ، ولكنني الناصح ابن الناصح الأمين ، والذي
 أنا عليه أنه من لم يؤمن بالقدر خيره وشره فقد كفر ، ومن حمل المعاصي على الله فقد
 فجر ، إن الله سبحانه لا يطاع باكره ، ولا يعص بقلبه ، ولا أهمل العباد من الملكة
 ولكنّه عز وجل المالك لما ملكهم والقادر على ما عليه أقدرهم ، فان ائتمروا بالطاعة
 لم يكن الله عز وجل لهم صادّاً ، ولا عنها مانعاً ، وان ائتمروا بالمعصية فشاء سبحانه
 أن يمنّ عليهم فيحول بينهم وبينها فعل ، وإن لم يفعل فليس هو حملهم عليها إجباراً
 ولا ألزمهم بها إكراهاً ، بل احتجاجه عزّ ذكره عليهم أن عرفهم وجعل لهم السبيل
 إلى فعل ما دعاهم إليه ، وترك ما نهاهم عنه ، والله الحجة البالغة والسلام .

وفي تحف العقول هكذا : أما بعد فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أن الله يعلمه
 فقد كفر ، إلى قوله ﷺ : وان لم يفعل فليس هو الذي حملهم عليها جبراً ولا ألزموها
 كرهاً ، بل منّ عليهم بأن بصّرتهم وعرفهم وحذّرتهم وأمرهم ونهاهم لا جبلاً لهم على
 ما أمرهم به ، فيكونوا كالملائكة ، ولا جبراً لهم على ما نهاهم ، والله الحجة البالغة
 فلو شاء لهداكم اجمعين والسلام على من اتبع الهدى .

واقول : قال السيد بن طاووس قدس سره في كتاب الطرائف : روى جماعة من علماء
 الاسلام عن نبيّهم ﷺ انه قال : لعنت القدرية على لسان سبعين نبياً ، قيل : ومن
 القدرية يا رسول الله ؟ قال : قوم يزعمون أن الله قدر عليهم المعاصي وعذب بهم عليها .
 وروى صاحب الفائق وغيره من علماء الاسلام عن محمد بن عليّ المكيّ باسناده
 قال : إن رجلاً قدم على النبي ﷺ فقال له رسول الله ﷺ : أخبرني بأعجب شيء
 رأيت ؟ قال : رأيت قوماً ينكحون أمهاتهم وبناتهم وأخواتهم ، فاذا قيل لهم : لم

﴿ باب الاستطاعة ﴾

١ - علي بن إبراهيم ، عن الحسن بن محمد ، عن علي بن محمد القاساني ، عن علي ابن اسباط قال : سألت ابا الحسن الرضا عليه السلام عن الاستطاعة ، فقال : يستطيع العبد بعد أربع خصال : ان يكون مخلى السرب ، صحيح الجسم ، سليم الجوارح ، له سبب وارد من الله ، قال : قلت : جعلت فداك فسر لي هذا قال : أن يكون العبد مخلى السرب ، صحيح الجسم ، سليم الجوارح يريد أن يزني فلا يجد امرأة ثم يجدها ،

تفعلون ؟ قالوا : قضاء الله علينا و قدره ، فقال النبي ﷺ : ستكون من أمتي أقوام يقولون مثل مقاتلهم ، أولئك مجوس أمتي .

وروى صاحب الفائق وغيره عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ انه قال : يكون في آخر الزمان قوم يعملون المعاصي ويقولون ان الله قد قدرها عليهم ، الراد عليهم كشاهر سيفه في سبيل الله .

أقول : الاخبار الواردة في ذلك أوردناها في كتابنا الكبير ، وإنما أوردناها بعضها تأييداً لما ذكرنا في شرح الأخبار ، إذ المصنف (ره) انما اقتصر على الاخبار الموهمة للجبر ، ولم يذكر مما يعارضها إلا قليلاً والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

باب الاستطاعة

الحديث الاول : ضعيف .

قوله عليه السلام : أن يكون مخلى السرب ، والسرب بالفتح والكسر : الطريق والوجهة ، وبالكسر البال والقلب والنفس ، اي مخلى الطريق مفتوحة ، وهو كناية عن رفع الموانع والزواجر كزجر السلطان وأمثاله « صحيح الجسم » اي من الأمراض المانعة عن الفعل « سليم الجوارح » التي هي آلات الفعل « له سبب وارد من الله » من عصمته أو التولية بينه وبين إرادته « فسر لي هذا » اي السبب الوارد ففسره عليه السلام

فإِذَا أَن يَعصم نفسه فيمتنع كما امتنع يوسف عليه السلام أو يخلّي بينه وبين إرادته فيزني فيسمّي زانياً ، ولم يطع الله باكره ولم يعصه بغلبة .

بالعصمة والتخلية ، فيكون ذكر وجدان المرأة استطراداً « ولم يطع الله باكره ، بل بارادته وعصمة الله من أسباب ارادته » ولم يعصه بغلبة منه ، بل بارادته مع تخلية الله بينه وبين إرادته ، فلو لم يخل الله بينه وبين اختياره ، وأراد منعه لم يمكنه الفعل فلم يكن الله في ذلك مغلوباً منه .

ويحتمل أن يكون المراد بتخلية السرب أن يكون مخلى بالطبع ، فارغ البال غير مشغول خاطر بما يصرفه عن الفعل ، وبصحة الجسم أن لا يكون له مرض لا يقدر معه على الفعل ، وبسلامة الجوارح أن لا يكون في الجارحة التي يحتاج إليها في الفعل آفة ، كقطع الذكر في مثل الزنا ، وبالسبب إذنه تعالى أي رفع الموانع ، فقوله : فلا يجد امرئ ، مثال لتخلف السبب عن الثلاث وقوله : ثم يجدها ، بيان لوجوده ، فقوله : إِمَّا أَن يَعصم نفسه ، أي يعصم المكلف نفسه لكن في المقابلة بينه وبين أن يخلّي تكلف .

وفيما أجاب به أبو الحسن الثالث عليه السلام قال الصادق عليه السلام : لا جبر ولا تفويض ولكن منزلة بين المنزلتين ، وهي صحة الخلقة وتخلية السرب والمهلة في الوقت والزاد مثل الراحلة والسبب المهيج للفاعل على فعله ، ثم فسر عليه السلام صحة الخلقة بكمال الخلق للانسان بكمال الحواس وثبات العقل والتمييز واطلاق اللسان بالنطق قال : وأما تخلية السرب فهو الذي ليس عليه رقيب يحظر عليه ، ويمتنعه العمل ممّا أمر الله به ، وأما المهلة في الوقت وهو العمر الذي يتمتع به الانسان من حدّ ما يجب عليه المعرفة إلى أجل الوقت ، وذلك من وقت تميزه وبلوغ الحلم ، إلى أن يأتيه أجله ، فمن مات على طلب الحق فلم يدرك كماله فهو على خير ، وأما الزاد فمعناه البلغة والجدّة التي يستعين بها العبد على ما أمره الله به ، والراحلة للحجّ والجهاد وأشياء ذلك ، والسبب المهيج هو النية التي هي داعية الانسان إلى جميع الافعال

٢ - محمد بن يحيى وعلي بن إبراهيم جميعاً ، عن أحمد بن محمد ، عن علي بن الحكم وعبدالله بن يزيد جميعاً ، عن رجل من أهل البصرة قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن

وحاستها القلب ، فمن فعل فعلاً وكان بدين لم يعقد قلبه على ذلك لم يقبل الله منه عملاً إلا بصدق النية ، الى آخر الخبر الطويل الذي أوردته في الكتاب الكبير وفيه فوائد جمة .

الحديث الثاني : مرسل .

واعلم أن المتكلمين اختلفوا في أن الاستطاعة والقدرة هل هما في العبد قبل الفعل أو معه ؟ فذهبت الإمامية والمعتزلة الى الأول والاشاعرة الى الثاني ، واستدل كل من الفريقين على مذهبه بدلائل ليس هذا موضع ذكرها ، والحق أن ما ذهب إليه الإمامية ضرورة إذ القطع حاصل بقدرة القاعد في وقت فعوده على القيام ، والقائم في حال قيامه على القعود بالوجدان ، ويدل عليه أخبار كثيرة :

منها ما رواه الصدوق عن عوف بن عبدالله عن عمه قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الاستطاعة ؟ فقال : وقد فعلوا ، فقلت : نعم زعموا انها لا تكون إلا عند الفعل ، واردة في حال الفعل لا قبله ، فقال : أشرك القوم .

وفي الصحيح عن ابن أبي عمير عن بعض أصحابنا عن أبي عبدالله عليه السلام قال سمعته يقول : لا يكون العبد فاعلاً إلا وهو مستطيع ، وقد يكون مستطيعاً غير فاعل ، ولا يكون فاعلاً أبداً حتى يكون معه الاستطاعة .

وفي الصحيح عن هشام بن سالم عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ما كلف الله العباد كلفة فعل ، ولا نهاهم عن شيء حتى جعل لهم الاستطاعة ، ثم أمرهم ونهاهم فلا يكون العبد آخذاً ولا تاركاً إلا باستطاعة متقدمة قبل الأمر والنهي ، وقبل الأخذ وترك وقبل القبض والبسط .

وفي الصحيح أيضاً عن هشام عنه عليه السلام قال : لا يكون من العبد قبض ولا بسط إلا باستطاعة متقدمة للقبض والبسط .

وفي الصحيح أيضاً عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سمعته يقول وعنده قوم يتناظرون في الأفاعيل والحركات ، فقال : الاستطاعة قبل الفعل ، لم يأمر الله عز وجل بقبض ولا بسط إلا والعبد لذلك مستطيع ، والأخبار في ذلك كثيرة .
والاشاعة إنما قالوا بعدم القدرة قبل الفعل وكونها مع الفعل لا أنهم يقولون بعدم تأثير قدرة العبد وإرادته في الفعل أصلاً .

إذا عرفت هذا فاعلم أن هذا الخبر ظاهراً موافق لمذهب الاشاعة ، ومخالف لمذهب الامامية ، والأخبار الصحيحة السالفة تنفيه ، ويمكن تأويله بوجوه :

الاول : حملة على التقيّة إذ أكثر المخالفين يرون رأى الأشعري ويتبعونه في أصول مذهبهم ، ويؤيده أن ما ذكر فيه من الدليل على نفي الاستطاعة من عمدة دلائل الاشاعة على نفي اختيار العبد حيث قالوا : القدرة على الأثر بمعنى التمكن على فعله وتركه ، إما حال وجود الأثر وحينئذ يجب وجوده ، فلا يتمكن من الترك وإما حال عدمه فيجب عدمه فلا يتمكن من الفعل ، وأجيب بأننا نختار أنها حال عدم الأثر لكنّها عبارة عن التمكن من الفعل في ثاني الحال ، فلا ينافيه عدم في الحال ، بل يجتمع معه .

الثاني : أن يقال المراد بالاستطاعة في الخبر الاستعداد التام الذي لا يكون إلا مع الأثر والمراد بالآلة الاستطاعة جميع ما يتوقف عليه الأثر فعلاً كان أو تركاً ، فاستطاعة الفعل لا يكون إلا مع الفعل ، واستطاعة الترك لا يكون إلا مع الترك ، وبعبارة أخرى : المراد بالاستطاعة الاستقلال بالفعل ، بحيث لا يمكن أن يمنعه مانع عنه ، ولا يكون هذا إلا في حال الفعل إذ يمكن قبل الفعل أن يزيله الله تعالى عن الفعل بصرفه عنه ، أو إعدامه أو إعدام الآلة ، والحاصل أن استطاعة الشيء التمكن منه وانقياد حصول ذلك الشيء له ، واستطاعة أحد الطرفين لا يستلزم استطاعة الآخر بخلاف القدرة ، فإن القدرة على أحد الطرفين تلزمه القدرة على الآخر ، والقدرة

الاستطاعة ، فقال : أستطيع أن تعمل ما لم يكون ؟ قال : لا ، قال : فتستطيع أن تنتهي عما قد كون ؟ قال : لا ، قال فقال له أبو عبدالله عليه السلام : فمتى أنت مستطيع ؟ قال : لا أدري ؟ قال : فقال له أبو عبدالله عليه السلام : إن الله خلق خلقاً فجعل فيهم آلة الاستطاعة

على الفعل تسبقه بمراتب بخلاف الاستطاعة ، قال إمامهم الرازي في الجمع بين رأيي الأشاعرة والمعتزلة في تلك المسئلة : القدرة قد تطلق على القوة العضلية التي هي مبدء الآثار المختلفة في الحيوان بحيث متى انضم إليها إرادة كل واحد من الضدين حصل دون الآخر ، ولا شك في أن نسبتها إلى الضدين على السواء ، وقد تطلق على القوة المستجمعة لشرائط التأثير ، ولا شك في إمتناع تعلقها بالضدين وإلا اجتمعا في الوجود ، بل هي بالنسبة إلى كل مقدور غيرها بالنسبة إلى مقدور آخر لاختلاف الشرائط بحسب مقدور مقدور ، فلعل الاشعري أراد بالقدرة المعنى الثاني ، فحكم بأنها لا تتعلق بالضدين ، ولا هي قبل الفعل ، والمعتزلة أرادوا بها المعنى الأول فذهبوا الى أنها تتعلق بالضدين وأنها قبل الفعل « انتهى » وهذا الكلام متين لكنه لا يصلح جامعاً بين القولين ، لأن الاشعري لا يقول بتأثير قدرة العبد وإرادته ، ولذا قال بمقارنتها للفعل .

الثالث : أن يكون المعنى أن في حال الفعل تظهر الاستطاعة ، ويعلم انه كان مستطيعاً قبله ، بأن أذن الله له في الفعل ، كما ورد أن بعد القضاء لا بداء .

قوله عليه السلام : أن تعمل ما لم يكون ، أي بعد حصول الترك في زمان الترك لا تستطيع الفعل ، بل تستطيع الترك ، وتمت علته وحصل ، فلا تستطيع الفعل حينئذ ، إذ لم يحصل منك ولا من الله ما يتوقف عليه حصول الفعل قبله ، فصار الترك حينئذ واجباً بعلمه التي منها إرادة العبد الترك .

قوله عليه السلام : أن تنتهي عما قد كون ، أي بعد وجود الفعل ووجوبه بعلمه التي منها إرادته كيف يستطيع الترك ، فالقدرة على الفعل والترك قبلهما واستطاعتهما أي وجوبهما ولزومهما في وقتها كما مر في الوجه الثاني « فجعل فيهم آلة الاستطاعة »

ثم لم يفوض إليهم ، فهم مستطيعون للفعل وقت الفعل مع الفعل إذا فعلوا ذلك الفعل فإذا لم يفعلوه في ملكه لم يكونوا مستطيعين أن يفعلوا فعلاً لم يفعلوه ، لأن الله عز وجل أعز من أن يضاده في ملكه أحد ، قال البصري ، فالناس مجبورون ؟ قال : لو كانوا مجبورين كانوا معذورين ، قال : ففوض إليهم ؟ قال : لا ، قال : فهاهم ؟ قال : علم منهم فعلاً فجعل فيهم آلة الفعل فإذا فعلوا كانوا مع الفعل مستطيعين ، قال البصري : أشهد أنه الحق وأنكم أهل بيت النبوة والرسالة .

٣- محمد بن أبي عبدالله ، عن سهل بن زياد ؛ وعلي بن إبراهيم ، عن أحمد بن محمد ؛ ومحمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد جميعاً ، عن علي بن الحكم ، عن صالح النيلي قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام : هل للعباد من الاستطاعة شيء ؟ قال : فقال لي : إذا فعلوا الفعل كانوا مستطيعين بالاستطاعة التي جعلها الله فيهم ، قال : قلت وما هي ؟ قال :

أي ما يتوقف عليه حصولها من تخلية السرب وصحة الجسم وسلامة الجوارح ونحو ذلك على حسب الاعمال المستطاع لها « ثم لم يفوض إليهم » بحيث يكونون مستقلين لا يمكنه صرفهم عنه ، أو بحيث لا يكون له مدخل في أفعالهم بالتوفيق والخذلان ، أو المراد بالتفويض عدم الحصر بالأمر والنهي « لم يكونوا مستطيعين » أي بالاستقلال بحيث لا مدخل لتوفيق الله وخذلانه فيه ، أو لم يحصل لهم العلة التامة للفعل وإن كان باختيارهم ، ويمكن حمله على ما إذا كان الترك لعدم الآلات والموانع الصارفة من قبل الله تعالى ، وعلى هذا ينطبق التعليل غاية الانطباق ، إذ استقلال العبد على هذا الوجه بحيث لا يتوقف فعله على شيء من قبل الله تعالى ، وعدم قدرته سبحانه على صرفه عنه ، قول بوجود أضداد له تعالى في ملكه ، وعلى الأول أيضاً ظاهر ، وعلى الثاني يحتاج إلى تكلف ، وربما يقال : التعليل لعدم التفويض ، ولا يخفى بعده « فجعل فيهم آلة الفعل » أي قدرتهم وإرادتهم وقواهم وجوارحهم التي هي من أسباب وجود ذلك الفعل.

الحديث الثالث : ضعيف ، والكلام في صدر الخبر ما مر في الخبر السابق .

الآلة مثل الزاني إذا زني كان مستطيعاً للزنا حين زني ، ولو أنه ترك الزنا ولم يزن كان مستطيعاً لتركه إذا ترك ، قال : ثم قال : ليس له من الاستطاعة قبل الفعل قليل ولا كثير ولكن مع الفعل والترك كان مستطيعاً ، قلت : فعلى ما ذا يعذبه ؟ قال : بالحجة البالغة والآلة التي ركب فيهم ، إن الله لم يجبر أحداً على معصيته ، ولا أراد - إرادة حتم - الكفر من أحد ، ولكن حين كفر كان في إرادة الله أن يكفر ، وهم في إرادة الله وفي علمه أن لا يصيروا إلى شيء من الخير ، قلت : أراد منهم أن يكفروا ؟ قال : ليس هكذا أقول ولكنني أقول : علم أنهم سيكفرون ، فأراد الكفر لعلمه فيهم وليست هي إرادة حتم إنما هي إرادة اختيار .

قوله ﷺ : مثل الزنا ^(١) ؛ هذا مثال لقوله : إذا فعلوا الفعل ، وليس مثلاً لتفسير الاستطاعة ، ولما توهم السائل من قوله ﷺ : كانوا مستطيعين بالاستطاعة التي جعلها الله فيهم ، ومن أن الاستطاعة مع الفعل لا قبله الجبر قال : فعلى ما يعذبه ؟ أي الزاني والمراد بالحجة البالغة أوامر الله تعالى ونواهيه وإرسال الرسل وإنزال الكتب ونصب الأنبياء والأوصياء ﷺ لأعلام الناس بالأفعال النافعة والضارة ، والمراد بالآلة التي ركب فيهم القدرة والإرادة المؤثرتين اللتين خلقهما الله تعالى في العباد .

قوله : كان في إرادة الله أن يكفر ، أي إرادة بالعرض لأنه لما أراد أن يعطي العبد إرادة واختياراً ويخليه وإختياره وهو أراد المعصية فهو سبحانه أراد ما صار سبباً لكفره إرادة بالعرض أو يقال إرادته سبحانه علة بعيدة للكفر ، أو يقال : لما خيره وخلاه مع علمه بأنه يكفر بإرادته فكأنه أراد كفره مجازاً كما مر تفصيله .

قوله ﷺ : أن لا يصيروا إلى شيء من الخير ، أي باختيارهم وإرادتهم المؤثرة ولما توهم السائل من قوله ﷺ : أنه تعالى شاء منهم أن يكفروا ، أي جبرهم عليه أو ذلك مقصوده منهم ، أجاب ﷺ بأن ليس مرادي ذلك ، بل مرادي أن الله أراد بحسب مصلحة التكليف أن يكلهم إلى إختيارهم وإرادتهم ، وعلم أن إرادتهم يتعلق

(١) كذا في النسخ وفي المتن «الزاني» بدل «الزنا» .

٤ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسين بن سعيد ، عن بعض أصحابنا ، عن عبيد بن زرارة قال : حدثني حمزة بن حمران قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الاستطاعة فلم يجبني فدخلت عليه دخلة أخرى ، فقلت : أصلحك الله إنه قد وقع في قلبي منها شيء لا يخرجني إلا شيء أسمع منه منك ، قال : فإنه لا يضرك ما كان في قلبك ، قلت : أصلحك الله إني أقول : إن الله تبارك وتعالى لم يكلف العباد ما لا يستطيعون ولم يكلفهم إلا ما يطيقون وإلّهم لا يصنعون شيئاً من ذلك إلا بأرادة الله ومشيته وقضائه وقدره ، قال : فقال : هذا دين الله الذي أنا عليه وآبائي ، أو كما قال .

بالكفر فتعلق إرادته بكفرهم من حيث تعلق إرادته بما يصير سبباً لإرادتهم الكفر مع علمه بذلك ، وهذا لا يستلزم كون الكفر مقصوده ومطلوبه منهم ، فإن دخوله في القصد بالعرض لا بالذات ، وتعلق الإرادة بالكفر بالعرض ليست موجبة للفعل إيجاباً يخرجهم عن الاختيار ، لأن هذا التعلق من جهة إرادتهم واختيارهم وما يتعلق بشيء من جهة الإرادة والاختيار لا يخرجهم عن الاختيار ، وقيل : الفرق بين كلام الامام وكلام السائل أن في كلامه عليه السلام عدت الإرادة بفي وفي كلام السائل بمن ، والتعدي بفي تفيد التمكين مع القدرة على المنع ، والتعدي بمن ، تفيد الطلب إما تكليفاً وإما تكويناً ، فالظر فان متعلقان بالإرادة كالظرف في قوله لعلمه .

الحديث الرابع : مرسل .

قوله : فإنه لا يضرك ، هذا إما لأنه عليه السلام كان مطلعاً على ما في قلبه وإما حقي ، أو المراد أنه إذا كان في قلبك شيء ثم رجعت عنه إلى قولنا لم يضرك ، وقوله أو كما قال ، تريد من السائل بين العبارة المنقولة وما في حكمها من العبارات الدالة على تصديق معتقده بوجه من الوجوه .

﴿ باب البيان والتعريف ولزوم الحجة ﴾

١ - محمد بن يحيى وغيره ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسين بن سعيد ، عن ابن أبي عمير ، عن جميل بن درّاج ، عن ابن الطيّار ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله احتج على الناس بما آتاهم وعرفهم .

محمد بن إسماعيل ، عن الفضل بن شاذان ، عن ابن أبي عمير ، عن جميل بن درّاج مثله .

٢ - محمد بن يحيى وغيره ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن محمد بن أبي عمير ، عن محمد بن حكيم قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : المعرفة من صنع من هي ؟ قال : من صنع الله ، ليس للعباد فيها صنع .

باب البيان والتعريف ولزوم الحجة

الحديث الاول : حسن بسنده الاول ، مجهول كالصحيح بسنده الثاني .
قوله عليه السلام : بما آتاهم ، أي من العقول والآلات والأدوات والجوارح والقوى وعرفهم من أصول الدين وفروعه كما قال تعالى : « ألم نجعل له عينين ولساناً وشفتين وهديناه النجدين » ^(١) .

الحديث الثاني : مجهول .

والمراد بالمعرفة إما العلم بوجوده سبحانه فأنه ممّا فطر الله العباد عليه إذا خلوا أنفسهم عن المعصية ، والاعراض الدنيّة كما قال تعالى : « ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولنّ الله » ^(٢) وبه فسرّ قوله عليه السلام : من عرف نفسه فقد عرف ربه ، أي من وصل الى حدّ يعرف نفسه فيوقن بأنّ له خالقاً ليس مثله ، ويحتمل أن يكون المراد كمال المعرفة فأنه من قبل الله تعالى بسبب كثرة الطاعات والعبادات والرياضات ، أو المراد معرفة غير ما يتوقف عليه العلم بصدق الرسل فإنّ ما سوى ذلك

إنما نعرفه بما عرفنا الله على لسان أنبيائه وحججه صلوات الله عليهم ، أو يقال : المراد بها معرفة الأحكام الفرعية لعدم استقلال العقل فيها ، أو المعنى أنها إنما تحصل بتوقيفه تعالى للاكتساب ، وذهب الحكماء إلى أن العلة الفاعلية للمعرفة تصويرياً كان أو تصديقياً ، بديهياً كان أو نظرياً ، شرعياً كان أو غيره ، إنما يفرض من الله تعالى في الذهن بعد حصول استعداد له بسبب الاحساس أو التجربة أو النظر والفكر والاستماع من المعلم أو غير ذلك ، فهذه الأمور معدّات والعبد كاسب للمعرفة لا موجد لها ، والظاهر من أكثر الأخبار أن العباد إنما كلّفوا بالانقياد للحق وترك الاستكبار عن قبوله ، فأمّا المعارف فأنّها بأسرها مما يلقى الله سبحانه في قلوب عباده بعد اختيارهم للحق ، ثمّ يكمل ذلك يوماً فيوماً بقدر أعمالهم وطاعاتهم حتى يوصلهم إلى درجة اليقين ، وحسبك في ذلك ما وصل إليك من سيرة النبيّين وأئمة الدين في تكميل أممهم وأصحابهم فانهم لم يحيلوهم على الاكتساب والنظر ، وتتبع كتب الفلاسفة وغيرهم ، بل إنّما دعوهم أولاً إلى الإقرار بالتوحيد وسائر العقائد ، ثمّ إلى تكميل النفس بالطاعات والرياضات ، حتى فازوا بما سعدوا به من أعالي درجات السعادات .

قال الفاضل المحدث أمين الدين الاستربادي في الفوائد المدنية : قد تواترت الأخبار عن أهل بيت النبوة متصلة إلى النبي ﷺ بأن معرفة الله بعنوان أنّه الخالق للعالم ، وأنّ له رضاءً وسخطاً ، وأنّه لا بدّ من معلّم من جهته تعالى ليعلم الخلق ما يرضيه وما يسخطه من الأمور الفطرية التي وقعت في القلوب بالهام فطريّ إلهي ، وذلك كما قالت الحكماء : الطفل يتعلّق بشدي أمّه بالهام فطريّ إلهي ، وتوضيح ذلك أنّه تعالى ألهمهم بتلك القضايا ، أي خلقها في قلوبهم وألهمهم بدلالات واضحة على تلك القضايا ، ثمّ أرسل إليهم الرسول وأنزل عليهم الكتاب ، فأمر فيه ونهى فيه ، وبالجملّة لم يتعلّق وجوب ولا غيره من التكاليفات إلّا بعد بلوغ خطاب الشارع ، ومعرفة الله قد حصلت لهم قبل بلوغ الخطاب بطريق إلهام بمراتب ، وكلّ من بلغته

دعوة النبي ﷺ يقع في قلبه من الله يقين بصدقه ، فانه قد تواترت الاخبار عنهم ﷺ بأنه ما من أحد إلا وقد يرد عليه الحق حتى يصدع قلبه ، قبله أو تركه .
وقال في موضع آخر : قد تواترت الاخبار ان معرفة خالق العالم ومعرفة النبي والائمة ﷺ ليستا من أفعالنا الاختيارية ، وأن على الله بيان هذه الامور وإيقاعها في القلوب بأسبابها ، وأن على الخلق بعد أن أوقع الله تلك المعارف الإقرار بها والعزم على العمل بمقتضاها .

ثم قال في موضع آخر : قد تواترت الأخبار عن الائمة الاطهار ﷺ بأن طلب العلم فريضة على كل مسلم كما تواترت بأن المعرفة موهبة غير كسبية ، وإنما عليهم إكتساب الأعمال فكيف يكون الجمع بينهما؟ أقول: الذي استفدته من كلامهم عليهم السلام في الجمع بينهما : ان المراد بالمعرفة ما يتوقف عليه حجية الأدلة السمعية من معرفة صانع العالم ، وإن له رضا وسخطاً ، وينبغي أن ينصب معلماً ليعلم الناس ما يصلحهم وما يفسدهم ، ومن معرفة النبي ﷺ ، والمراد بالعلم الأدلة السمعية كما قال ﷺ : العلم إما آية محكمة أو سنة متبعة أو فريضة عادلة ، وفي قول الصادق عليه السلام : ان من قولنا ان الله احتج على العباد بما آتاهم وعرفهم ، ثم أرسل إليهم الرسول وأنزل عليهم الكتاب وأمر فيه ونهى ، وفي نظائره إشارة إلى ذلك ، ألا ترى أنه ﷺ قدّم أشياء على الأمر والنهي ، فتلك الأشياء كلها معارف ، وما يستفاد من الأمر والنهي كله هو العلم ، ويحتمل أيضاً أن يراد بها معرفة الاحكام الشرعية وهو الذي ذهب اليه بعض أصحابنا حيث قال : المراد بهذه المعرفة التي يعذب ويثاب مخالفها وموافقها « انتهى » .

لكن المشهور بين المتكلمين من أصحابنا والمعتزلة والاشاعرة ان معرفته تعالى نظرية واجبة على العباد ، وانه تعالى كلّفهم بالنظر والاستدلال فيها ، إلا أن الاشاعرة قالوا : تجب معرفته تعالى نقلاً بالنظر ، والمعرفة بعده من صنع الله تعالى

٣ - عدّةٌ من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن ابن فضال ، عن ثعلبة ابن ميمون ، عن حمزة بن محمد الطيّار ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل : « وما كان الله ليضلّ قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون » قال : حتى

بطريق العادة ، وسائرهم قالوا : تجب معرفته سبحانه عقلاً بالنظر والمعرفة بعده من صنع العبد يولدها النظر ، كما أن حركة اليد تولد حركة المفتاح ، وهم قد اختلفوا في أوّل واجب على العباد ، فقال أبو الحسن الأشعري : هو معرفته تعالى إذ هو أصل المعارف والعقائد الدينية ، وعليه يتفرّع كلّ واجب من الواجبات الشرعية ، وقيل هو النظر في معرفته تعالى لأنّ المعرفة تتوقف عليه ، وهذا مذهب جمهور المعتزلة وقيل : هو أوّل جزء منه ، لأنّ وجوب الكلّ يستلزم وجوب أجزائه ، فأوّل جزء من النظر واجب ومقدّم على النظر المقدم على المعرفة ، وقيل : هو القصد إلى النظر ، لأنّ النظر فعل اختياريّ مسبق بالقصد المقدم على أوّل جزء من أجزاء النظر ، وقال شارح المواقف : النزاع لفظيّ إذ لو أريد الواجب بالقصد الاول ، أي أريد أوّل الواجبات المقصودة أولاً وبالذات فهو المعرفة إئتفاقاً ، وإن أريد أوّل الواجبات مطلقاً فالقصد إلى النظر ، لأنّه مقدمة للنظر الواجب مطلقاً فيكون واجباً ايضاً .

الحديث الثالث : حسن موثق .

قوله سبحانه : « وما كان الله ليضلّ قوماً » ^(١) أي يسميهم ضاللاً أو يؤاخذهم مؤاخذتهم ، أو يسميهم بسمة الضلالة يعرف بها من يشاء من ملائكته إذا نظروا إليها أنهم من الضالّين ، أو يخذلهم بسلب اللطف والتوفيق منهم « بعد إذ هداهم » قيل : يحتمل أن تكون الهداية ههنا بمعنى الايصال إلى المطلوب ، فمعناه انه تعالى لا يخذل قوماً أو لا يحتجّ على قوم ولا يحكم بضالّتهم بعد أن أوصلهم إلى المطلوب حتى يعرفهم ما يرضيه فيعملوا به ، وما يسخطه فيجتنبوا عنه ، أي حتى يوفقهم لكلّ خير ويعصمهم

يعرفهم ما يرضيه وما يسخطه؛ وقال: «فألهما فجورها وتقويها»^(١) قال: يبين لهما ما تأتي وما تترك، وقال: «إننا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً»^(٢) قال: عرفناه، إما آخذ وإما تارك، وعن قوله: «وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى»^(٣) قال: عرفناه فاستحبوا العمى على الهدى وهم يعرفون؟ وفي رواية: يبيننا لهم.

من كل شرط فما بعد «حتى» داخل فيما قبلها، ويحتمل أن يكون بمعنى إراءة الطريق فمعناه أنه تعالى لا يخذل قوماً أو لا يحكم بضاللتهم بعد إذ هداهم إلى الإيمان إلا بعد أن يعلمهم ما يرضيه وما يسخطه فما بعد «حتى» خارج عن حكم ما قبلها «انتهى». وفيه دلالة على أن التعريف من الله فيما يرضيه وفيما يسخطه من الشرائع والواجبات والسنن والأحكام، لكن لا ينافي ما مر، وقوله: وقال فألهما، من كلام ثعلبة وضميره راجع إلى حمزة، أي وسئله عن قوله تعالى: «فألهما» والضمير راجع إلى النفس، والمراد: بفجورها وتقويها، ما فيه فجورها وما فيه تقويها، وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: يبين لهما ما تأتي وما تترك، أي المراد بالإلهام هويان أن الله تعالى وأعلامه بما ينبغي للنفس أن تأتي به مما ينفع لها بالأمر، وبما ينبغي لها أن تتركه مما يضرها بالنهي فالنشر على خلاف ترتيب اللف، قال البيضاوي: إلهام الفجور والتقوى إلهامهما، وتعريف حالهما، والتمكين من الإتيان بهما «إننا هديناه السبيل» أي سبيل الخيرات والطاعات «إما شاكراً وإما كفوراً».

قال البيضاوي: هما حالان من الهاء، وإما للتفصيل أو التقسيم أي هديناه في حالتيه جميعاً أو مقسوماً إليهما بعضهم شاكراً بالاهتداء والاخذ فيه، وبعضهم كفوراً بالاعراض عنه، أو من السبيل ووصفه بالشكر والكفر مجاز «قال: عرفناه» بالتشديد أي السبيل «إما آخذ» تفسير للشاكر «وإما تارك» تفسير للكفور، وهذا شامل لجميع الواجبات الأصولية والفروعية، وكذا قوله: «وأما ثمود فهديناهم» شامل لهما، والهداية هنا بمعنى إراءة الطريق، وفي رواية: يبيننا لهم، أي مكان عرفناهم.

٤ - علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس بن عبد الرحمن ، عن ابن بكير ، عن حمزة بن محمد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سألته عن قول الله عز وجل : « وهديناه النجدين » ^(١) قال : نجد الخير والشر .

٥ - وبهذا الإسناد ، عن يونس ، عن حماد ، عن عبد الأعلى قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : أصلحك الله هل جعل في الناس أداة ينالون بها المعرفة ؟ قال : فقال : لا ، قلت : فهل كلّفوا المعرفة ؟ قال : لا ، على الله البيان « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها » « ولا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها » قال : وسألته عن قوله : « وما كان الله ليضلّ قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون » ^(٢) قال : حتى يعرفهم ما يرضيه وما يسخطه .

الحديث الرابع : حسن موثق أيضاً .

« نجد الخير » أي عرفناه سبيلهما ، والنجد في الأصل الطريق الواضح المرتفع ، وفيه دلالة على أن الهداية تطلق على إراءة طريق الشر أيضاً لأنها هداية إلى اجتنابه وتركه ، أو هو على التغليب وقال السيد الداماد (ره) إذا أريد تخصيص الهداية بالخير قيل أي نجدي العقل النظري والعقل العملي ، وسبيلي كمال القوة النظرية وكمال القوة العملية ، أو نجدي المعاش والمعاد ، أو نجدي الدنيا والآخرة ، أو نجد الجنة والعقاب والثواب والفناء المطلق في نور وجه الله البهجة الحقة للقاء بقائه .

الحديث الخامس : مجهول .

قوله : هل جعل في الناس أداة ، أي آلة من العقل والفهم ينالون بها بدون التعريف والتوقيف المعرفة بأحد المعاني المتقدمة ، « فهل كلّفوا المعرفة » أي بالنظر والاستدلال « على الله البيان » أي وعليهم القبول كما روي في التوحيد عن الصادق عليه السلام قال : ليس لله على الخلق أن يعرفوا قبل أن يعرفهم ، وللخلق على الله أن يعرفهم ، والله على الخلق إذا عرفهم أن يقبلوا ، ثم أشار عليه السلام إلى أن تكليفهم بالمعرفة أو بكما لها تكليف بالمحال ، بقوله : « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها » والوسع أوسع من الطاقة ، « ولا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها » أي ما آتاها علمه ، وظاهره أن المعارف توقيفية ، وتكليفهم بتحصيلها تكليف بالمحال وقد سبق الكلام فيه .

٦ - وبهذا الإسناد ، عن يونس ، عن سعدان رفعه ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله لم ينعم على عبد نعمة إلا وقد ألزمه فيها الحجة من الله ، فمن من الله عليه فجعله قوياً فحجته عليه القيام بما كلفه ، واحتمال من هو دونه ممن هو أضعف منه ومن من الله عليه فجعله موسعاً عليه فحجته عليه ماله ، ثم تعاذه الفقراء بعد بنوافله ، ومن من الله عليه فجعله شريفاً في بيته ، جيلاً في صورته ، فحجته عليه أن يحمد الله تعالى على ذلك وأن لا يتناول على غيره ، فيمنع حقوق الضعفاء لحال شرفه وجماله .

﴿ باب ﴾

﴿ اختلاف الحجة على عباده ﴾

١ - محمد بن أبي عبد الله ، عن سهل بن زياد ، عن علي بن أسباط ، عن الحسين ابن زيد ، عن درست بن أبي منصور ، عن حدثه ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ستة أشياء ليس للعباد فيها صنع : المعرفة والجهل والرضا والغضب والنوم واليقظة .

الحديث السادس : مرفوع .

قوله عليه السلام : فحجته عليه القيام بما كلفه ، أي ما يحتاج به عليه بعد التعريف قوة القيام بما كلف به ، أو المحتج له القيام بالملكف به ، وهذا أظهر وأوفق بما بعده من جعل التعاذه للفقراء بنوافل ماله والحمد على شرفه وجماله ، وعدم التناول على غيره ، من الحجة وحينئذ ينبغي حمل قوله « فحجته عليه ماله » على أن المحتج له إصلاح ماله وصرفه في مصارفه وحفظه عن التضييع والاسراف فيه .

باب (١)

ليس الباب في بعض النسخ ، وإنما لم يعنون لأنه من الباب الاول ، وإنما أفرد لامتياز حديثه بخصوصية كما لا يخفى .

الحديث الاول : ضعيف

«المعرفة والجهل» أقول: قد مرّ الكلام فيهما سابقاً ونقل إجماع المتكلمين على وجوب

(١) كذا في النسخ ومنه يظهر أن عنوان الباب غير موجود في النسخ التي عنده (ره)

النظر في معرفة الله تعالى، بل إجماع الأمة عليه، وإنما اختلفوا في أن وجوبها عقلي أو شرعي ونسب إلى البراهمة أنها تحصل بالالهام، وإلى الملاحدة أنها تحصل بالتعليم، وإلى المتصوفة أنها تحصل بتصفية الباطن والرياضات، وربما يقال: إن النظر في معرفة الله تعالى وصفاته وأفعاله والعقائد الدينية على ما تفعله المتكلمون بدعة في الدين، لم ينقل عن النبي ﷺ والصحابة والخلفاء الراشدين، ولو كانوا قد اشتغلوا بها لنقل إلينا لتوفر الدواعي على نقله كما نقل اشتغالهم بالمسائل الفقهية على اختلاف أصنافها، وأجيب بمنع عدم النقل بل تواتر أنهم كانوا يبحثون عن دلائل التوحيد وما يتعلق به، والقرآن مملوء منه، وهل ما يذكر في كتب الكلام إلا قطرة من بحر مما نطق به الكتاب الكريم؟ نعم أنهم لم يدونوها ولم يشتغلوا بتقرير المذاهب وتحرير الاصطلاحات، ولم يبالغوا في تفصيل الأسئلة وتلخيص الجوابات لاختصاصهم بصفاء النفوس وقوة الأذهان، ومشاهدة الوحي المقتضية لفيض أنوار العرفان، والتمكن من مراجعة من يفيدهم ويدفع عنهم ما عسى أن يعرض لهم من الشكوك والشبهات في كل حين، مع قلة عناد المعاندين وندرة تشكيك المشككين، بخلاف زمان من بعدهم إلى زماننا هذا، حيث كثرت المذاهب والمقالات، وشاعت المنازعات والمجادلات، فاجتمع بالتدريج لأهل الأعصار التالية جميع ما حدث في الأزمان والقرون الخالية، فاحتيج إلى تدوين مسائل الكلام وتقرير كل ما أورد على كل حجة من النقض والابرام.

قالوا: فإن ادعى أن هذا التدوين بدعة فرب بدعة حسنة، وذلك بعينه كالاشتغال بتدوين الفقه وأصوله، وترتيب أبوابه وفصوله، فأنه حدث بعد ما لم يكن فكما ليس ذلك بقادح في الفقه ليس هذا بضائر للكلام، وقد أمر الله سبحانه بالنظر في آيات كثيرة كقوله تعالى: «قل انظروا ماذا في السموات والارض»^(١) وقوله تعالى: «فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها»^(٢) فأمر بالنظر وهو

للو جوب ، ولما نزل : «ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار آيات لأولى الباب» ^(١) قال النبي ﷺ : ويل لمن لا كهابين لحيتيه ولم يتفكر فيها ، فقد أوعد بترك التفكير في دلائل المعرفة ، فيكون واجباً ، إذ لا وعيد على ترك غير الواجب أقول : قال الشيخ المفيد قدس الله روحه في كتاب المقالات : المعرفة بالله تعالى إكتساب وكذلك المعرفة بأبيائه ﷺ وكل غائب ، وأنه لا يجوز الاضطرار إلى معرفة شيء مما ذكرناه وهو مذهب كثير من الإمامية والبغداديين من المعتزلة خاصة ، ويخالف فيه البصريون من المعتزلة والمجبرة والحشوية من أصحاب الحديث ، وقال في موضع آخر منه : العلم بالله عز وجل وأبيائه ﷺ وبصحة دينه الذي ارتضاه وكل شيء لا ندرك حقيقته بالحواس ، ولا تكون المعرفة به قائمة في البداهة وإنما يحصل بضرب من القياس لا يصح أن يكون من جهة الاضطرار ، ولا يحصل على الأحوال كلها إلا من جهة الاكتساب ، كما لا يصح وقوع العلم بما طريقه الحواس من جهة القياس ، ولا يحصل العلم في حال من الأحوال بما في البداهة .

ثم قال رحمه الله : العلم بصحة جميع الأخبار طريقه الاستدلال وهو حاصل من جهة الاكتساب ، ولا يصح وقوع شيء منه بالاضطرار ، والقول فيه كالقول في جملة الغائبات ، وإلى هذا القول ذهب جمهور البغداديين ويخالف فيه البصريون والمشبّهة وأهل الاخبار ، وأما العلم بالحواس فهو على ثلاثة أضرب ، فضرب هو من فعل الله تعالى ، وضرب من فعل الحاس ، وضرب من فعل غيره من العباد ، فأما فعل الله تعالى فهو ما حصل للعالم به عن سبب من الله ، كعلمه بصوت الرعد ولون البرق ووجود الحرّ والبرد وأصوات الرياح وما أشبه ذلك مما بيده ذو الحاسة من غير أن يعتمد لاحساسه ، ويكون بسبب من الله سبحانه ، ليس للعباد فيه إختيار ، فأما فعل الحاس فهو ما حصل له عقيب فتح بصره أو الاصغاء بأذنه أو التعمّد لاحساسه بشيء من حواسه

أو يفعله السبب الموجب لآحاساس المحسوس ، وحصول العلم به ، وأما فعل غير الحاس من العباد فهو ما حصل للحاس بسبب من بعض العباد كالصايح بغيره وهو غير متعمد لسماعه أو المولم له فلا يمتنع من العلم بالالم عند ايلامه وما أشبه ذلك ، وهذا مذهب جمهور المتكلمين من أهل بغداد ومخالف فيه من سميّناه « انتهى » .

وأقول : الغرض من إيراد هذه الوجوه أن تطّلع على مذاهب القوم في ذلك ، وإن كان للنظر فيها مجال واسع ، ولنتكلم على الخبر فنقول : قد عرفت الوجوه التي يمكن حمل أمثال هذا الخبر عليه ، ولنعد بعضها :

الاول : أنه يصحّ على القول بأنّ جميع العلوم والمعارف فائضة من قبل الله سبحانه بحسب استعدادات العباد وقابليّاتهم إمّا بلا واسطة أو بتوسّط الانبياء والادّعاء عليهم السلام ، وإنّما الواجب على الخلق أن يخلو أنفسهم عن الأغراض الدنيّة والحيّة والعصبيّة ، ويصيروا طالبين للحقّ ثمّ بعد إفاضة الحقّ عليهم أن يقرّوا بها ظاهراً ولا ينكروا ولا يكونوا كالذين قال الله سبحانه فيهم : « جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم » ^(١) .

قال المحقق الطوسي روح الله روحه القدوسي : ولا بدّ فيه أي في العلم من الاستعداد ، أمّا الضروري فبالحواس ، وأمّا الكسبي فبالأول ، وقال العلامة رفع الله مقامه في شرحه : قد بينّا أنّ العلم إمّا ضروريّ وإمّا كسبيّ ، وكلاهما حصل بعد عدمه ، إذ الفطرة البشريّة خلقت أوّلاً عارية عن العلوم ، ثمّ يحصل لها العلم بقسميه فلا بدّ من استعداد سابق مغاير للنفس ، وفاعل للعلم ، فالضروريّ فاعله هو الله تعالى إذ القابل لا يخرج المقبول من القوة إلى الفعل بذاته ، وإلا لم ينفكّ عنه ، وللقبول درجات مختلفة في القرب والبعد ، وإنّما يستعدّ النفس للقبول على التدرّج فينتقل من أقصى مراتب البعد إلى أدناها قليلاً قليلاً لأجل المعدّات التي هي الاحساس بالحواس على اختلافها ، والتمرّن عليها وتكرارها مرّة بعد أخرى ، فيتمّ الاستعداد

لإفاضة العلوم البديهيّة الكلّيّة من تصوّرات والتصديقات بين كليات تلك المحسوسات وأما النظرية فإنها مستفادة من النفس أو من الله تعالى على اختلاف الآراء ، لكن بواسطة الاستعداد بالعلوم البديهيّة ، أمّا في التصورات فبالحدّ والرسم ، وأمّا في التصديقات فبالقياسات المستندة الى المقدمات الضرورية « انتهى » .

وظاهر كلام المصنف أنّ الإفاضة من المبدء الفياض ، وليس من فعل النفس بالتوليد كما ذهب إليه المعتزلة .

وقال صاحب الفوائد المدنية رحمه الله : هنا إشكال كان لا يزال يخطر ببالي من أوائل سنّي ، وهو أنه كيف تقول بأنّ التصديقات فائضة من الله تعالى على النفوس الناطقة ، ومنها كاذبة ومنها كفريّة ، هذا انما يتّجه على رأي جمهور الأشاعرة القائلين بجواز العكس بأن يجعل الله كلّ ما حرّمه واجباً وبالعكس ، المنكرين للحسن والقبح الذاتيةين ، لا على رأي محقّقيهم ، ولا على رأي المعتزلة ، ولا على رأي أصحابنا ؛ والجواب أنّ التصديقات الصادقة فائضة على القلوب بلا واسطة أو بواسطة ملك ، وهي تكون جزماً أو ظناً ، والتصديقات الكاذبة تقع في القلوب بالهام الشيطان ، وهي لا تتعدّى الظنّ ولا تبلغ إلى حدّ الجزم ، وفي الأحاديث تصريحات بأنّ من جملة نعماء الله تعالى على بعض عباده أنّه يسلط ملكاً يسدّده ويلهمه الحقّ ، ومن جملة غضب الله على بعض أنّه يخلى بينه وبين الشيطان ليضلّه عن الحقّ ويلهمه الباطل ، وبأنّ الله تعالى يحول بين المرء وبين ان يعجز جزماً باطلا « انتهى » .

وعلى ما ذكره يكون المراد بالمعرفة العلم اليقيني المطابق ، والجهل يشمل البسيط والمركب ، ونسبته إليه سبحانه من جهة التخلية ، ولا يرد على شيء من تلك الوجوه عدم معاقبة الكفار والمخالفين على عقائدهم الباطلة ، لأنّهم إمّا موقنون في أنفسهم منكرون ظاهراً فيعاقبون على الإنكار أو غير موقنين لتقصيرهم في المبادي ، فلذا يعاقبون .

ويؤيده ما رواه الصدوق في التوحيد عن عبد الرحيم القصير قال : كتبت على يدي عبد الملك بن أعين إلى أبي عبد الله عليه السلام اختلف الناس جعلت فداك بالعراق في المعرفة والجحود ، فأخبرني جعلت فداك أهما مخلوقان ؟ فكتب عليه السلام : أعلم رحمك الله أن المعرفة من صنع الله عز وجل في القلب مخلوقة ، والجحود صنع الله في القلب مخلوق ، وليس للعباد فيهما من صنع ، فلهما فيهما الاختيار من الاكتساب ، فبشهوتهم الايمان إختاروا المعرفة ، فكانوا بذلك مؤمنين عارفين ، وبشهوتهم الكفر إختاروا الجحود فكانوا بذلك كافرين جاحدين ضالاً ، وذلك بتوفيق الله لهم وخذلان من خذله الله ، فبالاختيار والاكتساب عاقبهم الله وأثابهم ، إلى آخر الخبر .

إذ ظاهره أن المفيض للمعارف هو الرب تعالى ، وللنظر والتفكر والطلب مدخل فيها ، وإنما يثابون ويعاقبون بفعل تلك المبادئ وتركها ، ويحتمل أن يكون المعنى أن المعرفة ليست إلا من قبله تعالى ، إما بالقائها في قلوبهم أو ببيان الانبياء والحجج عليهم السلام ، وإنما كلف العباد بقبول ذلك وإقرارهم به ظاهراً وتخليه النفس قبل ذلك لطلب الحق عن العصبية والعناد ، وعمّا يوجب الحرمان عن الحق من تقليد أهل الفساد ، فهذا هو المراد بالاختيار من الاكتساب ، ثم بيّن عليه السلام أن لتوفيق الله وخذلانه ايضاً مدخلا في ذلك الاكتساب ايضاً كما مرّ تحقيقه .

الثاني : أن يخصّ بمعرفة الخالق والاقرار بوجوده سبحانه ، فائها فطريّة كما عرفت ، وروى في قرب الاسناد من معاوية بن حكيم عن البرزطي قال : قلت للرضا عليه السلام : للناس في المعرفة صنع ؟ قال : لا ، قلت : لهم عليها ثواب ؟ قال : يتطوّل عليهم بالثواب كما يتطوّل عليهم بالمعرفة ، وروى في المحاسن بسند صحيح عن صفوان قال : قلت للعبد الصالح : هل في الناس استطاعة يتعاطون بها المعرفة ؟ قال : لا ، إنما هو تطوّل من الله ، قلت : أفلهم على المعرفة ثواب إذا كان ليس لهم فيها ما يتعاطونه بمنزلة الركوع والسجود الذي أمر وابه ففعلوه ؟ قال : لا إنما هو تطوّل من الله عليهم

وتطوّل بالثواب . وفي الصحيح أيضاً عن زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل : « وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم » ^(١) قال : كان ذلك معاينة فأنساهم المعاينة وأثبتت الاقرار في صدورهم ، ولو لا ذلك ما عرف أحد خالقه ولا رازقه ، وهو قول الله : « ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنَّ الله » ^(٢) .

الثالث : أن يعمّ بحيث يشمل جميع أصول الدين ، ويكون المراد أن الهداية انما هو من الله سبحانه كما قال : « إنك لا تهدي من أحببت » ^(٣) لأن الله تعالى أعطى العقل وأقام الحجج على وجوده وعلمه وقدرته وحكمته في الآفاق والانفس ، ثم بعث الانبياء عليهم السلام ليبينوا للناس ما لا يفي به عقولهم ، وأيدهم بالمعجزات الباهرات ، ثم نصب لهم الاوصياء فترجع أسباب الهداية كلها إليه سبحانه ، وليس للعباد فيها مدخلية تامّة ، ويكون المراد بالجهل الجهل ببعض الامور كمن لم تقم عليه حجة من المستضعفين في الامامة وغيرها ، فيعذرهم أو بالجميع كالمجانين .

الرابع : أن يكون المراد سوى ما يتوقف عليه العلم بحقيقة الرسل عليهم السلام ، فالمراد انّ ما سوى ذلك توقيفية يعرفها الله بتوسطهم عليهم السلام ولم يكلفهم تحصيلها بالنظر كما قرّرنا سابقاً .

الخامس : أن يكون المراد بالمعرفة كمالها ، وبالجهل مقابله فانهما بتوفيق الله سبحانه وخذلائه بأسباب راجعة إلى العبد كما دلّت عليه الاخبار وشهدت به التجربة والاعتبار .

السادس : أن تحمل على العلم بالاحكام الشرعية ردّاً على المخالفين القائلين بجواز استنباطها بقياس العقول واستحساناتها ، كما روى البرقي في المحاسن باسناده عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال : ليس على الناس أن يعلموا حتى يكون الله هو المعلم لهم ، فاذا علمهم فعليهم أن يعلموا ، وقد مضت الاخبار الدالة على النهي عن

﴿ باب حجج الله على خلقه ﴾

١ - محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسين ، عن أبي شعيب المحاملى ، عن درست ابن أبي منصور ، عن بريد بن معاوية ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ليس لله على خلقه أن يعرفوا ، وللخلق على الله أن يعرفهم ، والله على الخلق إذا عرفهم أن يقبلوا .

٢ - عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحجاج ، عن ثعلبة

اتباع الاهواء والعمل بالقياس في الدين .

السابع : حمله على التقية لموافقته ظاهر المذاهب الاشاعة وأشباههم ، لكن لا ضرورة فيه ، وحمله على بعض الوجوه السابقة أظهر .

والرضا كيفية نفسانية تتفعل بها النفس وتتحرك نحو قبول شيء ، سواء كان ذلك الشيء مرغوباً لها أو مكروهاً ، والغضب حالة نفسانية تتفعل بها النفس وتتحرك نحو الإتيان ، وقد يطلقان على نفس الانفعاليين ، والنوم حالة تعرض للحيوان من إسترخاء أعصاب الدماغ من رطوبات الأبخرة المتصاعدة ، بحيث تقف الحواس عن أفعالها ، لعدم انصباب الروح الحيواني إليها ، واليقظة زوال تلك الحالة .

واقول : لعل تخصيص تلك الستة من بين سائر الصفات النفسانية لأنها مما يتوهم فيها كونها بالاختيار ، أو يقال : إنها أصول الكيفيات النفسانية فيظهر سائرهما بالمقايسة ، كاللذة والألم ، والإرادة والكرهية والحياة والموت ، والصحة والمرض ، والفرح والغم ، والحزن والهَم ، والبخل والحقد وأشباهها ، والاول أظهر .

باب حجج الله على خلقه

الحديث الاول : ضعيف .

ويعرف شرحه مما مر في الاخبار السابقة ، وهذه الاخبار وأمثالها مما يدل على الحسن والقبح العقليتين .

الحديث الثاني : مجهول .

ابن ميمون ، عن عبد الأعلى بن أعين قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام من لم يعرف شيئاً هل عليه شيء ؟ قال : لا .

٣ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن ابن فضال ، عن داود بن فرقد عن أبي الحسن زكرياً بن يحيى ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ما حجب الله عن العباد فهو موضوع عنهم .

قوله من لم يعرف ، على بناء المعلوم من المجرد أو المجهول من باب التفعيل « شيئاً » على العموم أي شيئاً من الأشياء بأرسال الرسل أو الوحي أو الإلهام، هل يجب عليه شيء يؤاخذ بتركه ويعاقب عليه ؟ أو المراد من لم يعرف شيئاً خاصاً بتعريفه سبحانه هل يجب ذلك الشيء عليه ويؤاخذ بتركه ؟ والجواب بنفي الوجوب أمّا على الاول فلقوله تعالى : « وما كنا معذّبين حتى نبعث رسولا » ^(١) ولأن من لم يعرف شيئاً حتى المعرفة بالله سبحانه التي من صنع الله كما مرّ على بعض الوجوه كيف يؤاخذ بعدم المعرفة به ، وبما يترتب عليه كما قيل ، وأمّا على الثاني فلا لآية ولأن مؤاخذه الغافل عن الشيء من غير أن ينبّه عليه وعقابه على تركه قبيح عقلاً ، وقيل : إفاضة المعرفة من الله لا يعاقب على عدمها ، وإنما يعاقب على ترك التحصيل كما مرّ في بعض الوجوه ، ويدلّ على أن الجاهل معذور ، وعلى أن من لم تبلغه الدعوة ولم تتمّ عليه الحجة غير معاقب .

المحديث الثالث : مجهول .

قوله : ما حجب الله عن العباد ، وفي التوحيد « علمه » وظاهره عدم تكليف العباد في التفكير في الأمور التي لم تبيّن لهم في الكتاب والسنة ، وربما يحمل على ما ليس في وسعهم العلم به كأسرار القضاء والقدر وأمثالها ، وعلى التقادير يدلّ على أن الجاهل بالحكم مع عدم التقصير في تحصيله معذور .

٤ - عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن علي بن الحكم ، عن أبان الأحمر عن حمزة بن الطيطار ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال لي : اكتب فأملئ علي : إن من قولنا إن الله يحتج على العباد بما آتاهم وعرفهم ، ثم أرسل إليهم رسولاً وأنزل عليهم الكتاب فأمر فيه ونهى ، أمر فيه بالصلاة والصيام فنام رسول الله

الحديث الرابع : حسن موثق .

قوله عليه السلام : اكتب ، يدل على استحباب كتابة الحديث ولعل الامر هنا للاعتناء بشأن ما يمليه لئلا ينسى شيئاً منه ، والإيماء الالفاء على الكاتب ليكتب ، وأصله من المضاعف فأبدل الثاني ياء ، كما قال تعالى على الأصل : «وليملأ الذي عليه الحق» ^(١) «بما آتاهم» أي من العقول «وعرفهم» ولعل المراد هنا معرفة الله سبحانه التي عرفها العباد بفطرتهم عليها ، أو بنصب الدلائل الواضحة في الآفاق والانس عليها ، ويدل عليه قوله عليه السلام : ثم أرسل إليهم ، فان إرسال الرسول إنما يتأخر عن هذا التعريف « وأنزل عليهم » وفي التوحيد « عليه » بارجاع الضمير إلى الرسول وخص الصلوة والصيام بالذكر لأنهما من أعظم اركان الايمان والاسلام ، فنام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا النوم رواه العامة والخاصة انه صلى الله عليه وآله وسلم نام في المعرس حتى طلعت الشمس ، ومن أنكر سهو النبي لم ينكر هذا كما ذكره الشهيد (ره) لكنه ينافي ظاهراً ما عد من خصائصه صلى الله عليه وآله وسلم انه كان ينام عينه ولا ينام قلبه ، فيلزم ترك الصلوة متعمداً . وأجيب عنه بوجوه : « الاول » ان المراد لا ينام قلبه في الاكثر وهذه الإيامة كانت لمصلحة فكان كنوم الناس .

الثاني : ما ذكره بعض العامة ان المراد انه لا يستغرقه النوم حتى يصدر منه

الحدث .

الثالث : ما قال بعضهم ايضاً انه صلى الله عليه وآله وسلم أخبر ان عينيه تنامان وهما اللتان نامتا ههنا ، لأن طلوع الفجر يدرك بالعين لا بالقلب ، ولا يخفى ما فيه إذ ظاهر

صلى الله عليه وآله عن الصلاة فقال : أنا أنيمك وأنا أوقظك فإذا قمت فصل ليعلّموا إذا أصابهم ذلك كيف يصنعون ، ليس كما يقولون : إذا نام عنها هلك وكذلك الصيام أنا أمرضك وأنا أصحّك فإذا شفيتك فاقضه ، ثم قال أبو عبد الله عليه السلام : وكذلك إذا نظرت في جميع الأشياء لم تجد أحداً في ضيق ولم تجد أحداً إلا لله عليه الحجة والله فيه المشيئة ولا أقول : إنهم ما شأؤوا صنعوا ، ثم قال : إن الله يهدي ويضل

إن الغرض إطلاعه عليه السلام على ما يخفى على النائم ، سواء كان ممّا يدرك بالعين أم لا كما يدلّ عليه قصة ابن أبي رافع وغيرها ، وأوردناها في الكتاب الكبير .

الرابع : ما يخطر بالبال وهو أنه عليه السلام لم يكن مكلفاً بالعمل بما يعلمه من غير الجهات التي يعلم بها سائر الخلق ، لأنّه عليه السلام كان يعلم كفر المنافقين ولم يكن مأموراً بالعمل بما يقتضيه هذا العلم من قتلهم والاجتناب عنهم وعدم مناكحتهم وغيرها من الأحكام ، وكان الأئمة عليهم السلام يعلمون كون السمّ في الطعام أو الذهاب إلى العدوّ يوجب القتل أو هزيمة الأصحاب ولم يكونوا مكلفين بالعمل بهذا العلم ، فلا يبعد أن يكون مع العلم بالفجر الصلوة ساقطة عنه أو مأموراً بتركها لتلك المصلحة ، ويمكن أن يعدّ هذا الوجه الأخير جواباً خامساً وسيأتي بعض القول فيه في كتاب الصلوة إن شاء الله تعالى .

قوله تعالى : أنا أنمتك ، في بعض النسخ أنيمك على صيغة المضارع كما في التوحيد وهو أصوب ، وهذا الكلام وما بعده لبيان أن الله تعالى لم يضيّق على العباد في التكليف بل وسّع عليهم فيها ، فكيف يتوهّم أنه جبرهم على المعاصي أو كلّفهم ما لا يعلمون أو لا يطيقون؟ وقوله عليه السلام : والله عليه الحجة ، كالدليل على ذلك ، فانه لا حجة على المجبور ولا على الجاهل لكونهما معذورين ، وقوله : والله فيه المشيئة ، إشارة إلى نفي التفويض كما عرفت ، كما صرّح به بقوله : ولا أقول إنهم ما شاءوا صنعوا ، بل لا بدّ من إذنه تعالى وتوفيقه أو خذلانه وتخليته كما مرّ ، أو المراد نفي التفويض بمعنى عدم الحصر بالأمر والنهي ، وهو بعيد .

«إن الله يهدي ويضلّ» قيل : أي يثيب ويعاقب أو يرشد في الآخرة إلى طريق

• • • • •

الجنة والنار للمطيع والعاصي كما قيل في قوله تعالى : « سيهديهم ويصلح بالهم » ^(١) او ينجي ويهلك كما فسر قوله تعالى : « لوهدانا الله لهديناكم » ^(٢) بالنجاه وفسرت الضلالة في قوله تعالى : « فلن يضل أعمالهم » ^(٣) وفي قوله : « اذا ضللنا » ^(٤) بالهلاك أو يكون نسبة الهداية والاضلال إليه مجازاً باعتبار إقداره على الخيرات والمعاصي ، والأظهر ان المراد بهما التوفيق للخيرات لمن يستحقه ، وسلبه وخذلانه ممن لا يستحقه كما مر .

وقال المحقق الطوسي (ره) في التجريد : الاضلال إشارة الى خلاف الحق وفعل الضلالة ، والاهلاك والهدى مقابل ، والأولان منفيتان عنه تعالى ، وقال العلامة قدس سره في الشرح : يطلق الاضلال على الإشارة الى خلاف الحق وإلباس الحق بالباطل ، كما تقول : أضلني فلان عن الطريق إذا أشار الى غيره ، وأوهم انه هو الطريق ويطلق على فعل الضلالة في الانسان كفعل الجهل فيه ، حتى يكون معتقداً خلاف الحق . ويطلق على الاهلاك والبطلان كما قال الله تعالى : « فلن يضل أعمالهم » بمعنى فلن يبطلها ، والهدى يقال لمعان ثلاثة مقابلة لهذه المعاني ، فيقال بمعنى نصب الدلالة على الحق كما تقول : هداني الى الطريق ، وبمعنى فعل الهدى في الانسان حتى يعتقد المشي على ما هو به ، وبمعنى الإثابة كقوله تعالى : « سيهديهم » يعني سيثيبهم والأولان منفيتان عنه تعالى بمعنى الإشارة إلى خلاف الحق وفعل الضلالة ، لانهما قبيحان والله تعالى منزّه عن فعل القبيح ، وأما الهداية فإن الله نصب الدلالة على الحق وفعل الهداية الضرورية في العقلاء ولم يفعل الايمان فيهم لأنه كلفهم به ويثيب على الايمان ، فمعاني الهداية صادقة في حقه تعالى إلا فعل ما كلف به ، وإذا قيل : ان الله تعالى يهدي ويضل ، فإن المراد به انه يهدي المؤمنين بمعنى انه يثيبهم ، ويضل

(٢) سورة ابراهيم : ٢١ .

(١) سورة محمد : ٥ .

(٤) سورة المجدة : ١٠ .

(٣) سورة محمد : ٤ .

العصاة بمعنى أنه يهلكهم ويعاقبهم ، وقول موسى عليه السلام : « إن هي إلا فتنتك » ^(١) فالمراد بالفتنة الشدة والتكليف الصعب ، « تضل بها من تشاء » أي تهلك من تشاء وهم الكفار « انتهى » .

وقال الفاضل المحدث الاسترآبادي (ره) في حاشيته على هذا الحديث : يجيء في باب ثبوت الإيمان أن الله خلق الناس كلهم على الفطرة التي فطرهم عليها لا يعرفون إيماناً بشريعة وكفراً بجحود ، ثم بعث الله الرسل يدعو العباد إلى الإيمان به ، فمنهم من هدى الله ومنهم من لم يهدي الله ، وأقول : هذا إشارة إلى الحالة التي سمّتها الحكماء العقل الهولائي ومعنى الضالّ هو الذي إنحرف عن صوب الصواب ولمّا لم يكن قبل إرسال الرسل وإنزال الكتب صوب صواب إمتنع حينئذ إلاّ انحراف عنه ، ولمّا حصل أمكن ذلك ، فيكون الله تعالى سبباً بعيداً في ضلالة الضالّ ، وهذا هو المراد بقوله عليه السلام : « يضل » .

وقال في الفوائد المدنية : وأما أنّه تعالى هو المضلّ فقد تواترت الاخبار عنهم عليهم السلام بأنّ الله يخرج العبد من الشقاوة إلى السعادة ولا يخرج من السعادة إلى الشقاوة ، فلا بدّ من الجمع بينهما ، ووجه الجمع كما يستفاد من الأحاديث وإليه ذهب ابن بابويه : إنّ من جملة غضب الله تعالى على العباد أنّه إذا وقع منهم عصيان ينكت نكتة سوداء في قلبه ، فإن تاب وأناب يزيل الله تعالى تلك النكتة ، وإلاّ فتنشر تلك النكتة حتى تستوعب قلبه كله ، فحينئذ لا يرد قلبه إلى موضعه دليل .

لا يقال : من المعلوم أنّه مكلف بعد ذلك ، فإذا إمتنع تأثر قلبه بكون تكليفه بالطاعة من قبيل التكليف بما لا يطاق؟

لا نقول : من المعلوم أن انتشار النكتة لا ينتهي إلى حدّ تعذّر التأثر ، ومما يؤيد هذا المقام ما اشتمل عليه كثير من الأدعية المأثورة عن أهل بيت النبوة صلوات

الله عليهم من الاستعاذة بالله من ذنب لا يوفق صاحبه للتوبة بعده أبداً . ثم أقول : هيهنا دقيقة أخرى وهي انه يستفاد من قوله تعالى : « وهديناه النجدين » ^(١) أي نجد الخير ونجد الشر ، ومن نظائره من الآيات والروايات ، ومن قوله تعالى : « ان الله يحول بين المرء وقلبه » ^(٢) ومن نظائره من الآيات والروايات ان تصوير النجدين وتمييز نجد الخير من نجد الشر من جانبه تعالى ، وانه تعالى قد يحول بين المرء وبين أن يميل إلى الباطل ، وقد لا يحول ويخلى بينه وبين الشيطان ليضلك عن الحق ويلهمه الباطل ، وذلك نوع من غضبه ، ويتضرع على اختيار العبد العمي بعد أن عرفه الله تعالى نجد الخير ونجد الشر ، فهذا معنى كونه تعالى هادياً ومضلاً ، وبالجملة أن الله يقعد أولاً في أحد أذني قلب الانسان ملكاً ، وفي أحد أذنيه شيطاناً ثم يلقي في قلبه اليقين بالمعارف الضرورية ، فان عزم الانسان على إظهار تلك المعارف والعمل بمقتضاها يزيد الله في توفيقه ، وان عزم على إخفائها وإظهار خلافها يرفع الملك عن قلبه ويخلى بينه وبين الشيطان ليلقى في قلبه الأباطيل الظنيّة ، وهذا معنى كونه تعالى مضلاً لبعض عبادہ « انتهى » .

وقال بعض المحققين في جواب استدلال الاشاعرة بقوله تعالى : « يضلّ من يشاء ويهدي من يشاء » ^(٣) على مذهبه المفسد : هذا مدفوع بما فصله الاصحاب في تحقيق معنى الهداية والضلالة ، وحاصله ان الهدى يستعمل في اللغة بمعنى الدلالة والارشاد نحو « إن علينا للهدى » ^(٤) وبمعنى التوفيق نحو « والذين اهتموا زادهم هدى » ^(٥) وبمعنى الثواب نحو « أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم جنات تجري من تحتها الانهار » ^(٦) وبمعنى الفوز والنجاة نحو « لو هدانا الله لهديناكم » ^(٧)

(٢) سورة الانفال : ٢٤ .

(١) سورة البلد : ١٠ .

(٤) سورة الليل : ١٢ .

(٣) سورة النحل : ٩٣ .

(٦) سورة يونس : ٩ .

(٥) سورة محمد : ١٧ .

(٧) سورة ابراهيم : ٢١ .

وقال : وما أمروا إلاّ بدون سعتهم ، وكلّ شيء أمر الناس به فهم يسعون له ، وكلّ شيء لا يسعون له فهو موضوع عنهم ، ولكنّ الناس لاخير فيهم ثمّ تلاّ تِلَا : « ليس

وبمعنى الحكم والتسمية نحو « أتريدن ان تهدوا من أضلّ الله » ^(١) يعنى أتريدون أن تسموا مهتدياً من سمّاه الله ضالاً ، وحكم بذلك عليه .

والإضلال يأتي على وجوه : « أحدها » الجهل بالشيء يقال : أضلّ بغيره إذا جهل مكانه « وثانيها » الإضاعة والإبطال يقال : أضلّه أي أضاعه وأبطله ، ومنه قوله تعالى : « أضلّ أعمالهم » ^(٢) أي أبطلها « وثالثها » بمعنى الحكم والتسمية يقال أضلّ فلان فلاناً أي حكم عليه بذلك ، وسمّاه به « ورابعها » بمعنى الوجدان والمصادفة ، يقال : أضللت فلاناً أي وجدته ضالاً ، كما يقال : أبخلته أي وجدته بخيلاً ، وعليه حمل قوله تعالى : « وأضلّه الله على علم » ^(٣) أي وجدّه ضالاً وحمل أيضاً على معنى الحكم والتسمية وعلى معنى العذاب « وخامسها » أن يفعل ما عنده يضلّ ويضيفه ^(٤) مجازاً لاجل ذلك كقوله تعالى : « يضلّ به كثيراً » ^(٥) أي يضلّ عنده كثير « وسادسها » أن يكون متعدّياً إلى مفعولين نحو « فأضلّونا السبيل » ^(٦) « ليضلّ عن سبيله » ^(٧) وهذا هو الاضلال بمعنى الإغواء وهو محلّ الخطاب ^(٨) بيننا وبينهم ، وليس في القرآن ولا في السنّة شيء يضاف إلى الله تعالى بهذا المعنى « انتهى » .

« وما أمروا إلاّ بدون سعتهم » أي أقلّ من طاقتهم ، بل السعة أوسع من الطاقة وهو يتضمّن السهولة ، ويحتمل أن يكون - دون - بمعنى - عند - « ولكنّ الناس لا خير فيهم » إذ وسع عليهم هذه التوسعة ، ومع ذلك لا يطيعونه ، أو المراد أن ما لم يقع

(١) سورة النساء : ٨٨ . (٢) سورة محمد : ١ .

(٣) سورة الجاثية : ٢٣ .

(٤) كذا في النسخ وفي شرح المولى محمد صالح ويضيفه الى نفسه ... ، وهو الظاهر .

(٥) سورة البقرة : ٢٤ . (٦) سورة الاحزاب : ٦ .

(٧) سورة الزمر : ٨ .

(٨) وفيه أيضاً « الخلاف » بدل « الخطاب » .

على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج، فوضع عنهم
« ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم » ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم^(١)
قال : فوضع عنهم لأنهم لا يجدون .

من المأمور به ليس لأنهم لا يسعون بل لأنه لا خير فيهم ، ويحتمل أن يكون
المراد بالناس العامة المجبرة حيث ينسبون ربهم إلى الجور والظلم ، مع هذه التوسعة
التي جعلها الله في التكليف .

وقيل : المعنى المخالفون لا خير فيهم ، حيث تمسكوا في أصول الدين وفروعه
بمفتريات أوهامهم ، وتركوا إتباع من جعله الله مبيناً وهادياً لهم « ثم تلا عَلَيْكُمْ »
استشهاداً لقوله : لم تجد أحداً في ضيق ، وقوله : وما أمروا إلا بدين سعتهم « ليس على
الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون » لكمال فقرهم « ما ينفقون » في سبيل
الجهاد « حرج » فوضع عنهم تكليف الخروج والخرج والإثم للفقود عن الجهاد
والتأخر عن الخروج « ما على المحسنين » وهم الضعفاء والمرضى « من سبيل » إلى
معايشتهم ومؤاخذتهم وتكليفهم ما ليس في وسعهم ، وإنما وضع الظاهر موضع الضمير
للدلالة على أن إتصافهم بصفة الاحسان ودخولهم في المجاهدين بالقلب واللسان ،
وإن تخلفوا عنهم بالأبدان صار منشأ لنفي الحرج عنهم كما قال سبحانه : « إذا نصحو
الله ورسوله والله غفور رحيم » يغفر لهم خطيئاتهم ولا يكلفهم بما لا يطيقون
« ولا على الذين إذا ما أتوك » من فقراء الصحابة « لتحملهم » إلى الجهاد بتحصيل الراحلة
والزاد لينفروا معك « قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع
حزناً ألا يجدوا ما ينفقون » قال : فوضع عنهم الجهاد والحرج لأنهم لا يجدون
ما يركبون وما ينفقون .

قيل : والمقصود من ذكر الآية أن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها ، فكيف يكلف
الناس على إختلاف عقولهم وأهوائهم أن يكتسبوا المعارف والأحكام بأوهامهم ، ولا
يبين لهم ذلك بهاد يهديهم ومرشد يرشدهم ، والله يعلم حقائق الأمور .

﴿باب الهداية أنها من الله عز وجل﴾

١- عدةٌ من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن محمد بن إسماعيل ، عن إسماعيل السراج ، عن ابن مسكان ، عن ثابت بن سعيد قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : يا ثابت مالكم و الناس ! كفوا عن الناس و لا تدعوا أحداً إلى أمركم ، فوالله لو أن أهل السماوات و أهل الأرضين اجتمعوا على أن يهدوا عبداً يريد الله ضلالتة ما استطاعوا

باب الهداية انها من الله عز وجل

الحديث الاول : مجهول .

قوله عليه السلام : مالكم و للناس ؟ الواو للعطف على الضمير المجرور بإعادة الجار ، و العامل معنوي يشعر به كلمة الاستفهام و حروف الجر الطالبان للفعل ، و المعنى : ما تصنعون أنتم و الناس ، ثم أن أخبار هذا الباب تشتمل على امرين : الاول : ترك المجادلة و المخاصمة و الاحتجاج في مسائل الدين ، و الآيات و الاخبار في ذلك متعارضة ظاهراً إذ كثير منها دالة على وجوب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، و فضل الهداية و التعليم ، و دفع شبه المخالفين ، و كثير منها تدل على رجحان الكف عن ذلك و عدم التعرض لهم و النهي عن المراء و المجادلة و المخاصمة .

و يمكن الجمع بينها بوجوه : « الاول » حمل أخبار النهي على التقيّة و الاتقاء على الشيعة فانهم لحرصهم على هداية الخلق و دخولهم في هذا الامر كانوا يلغون أنفسهم في المهالك ، و يحتجّون على المخالفين بما يعود به الضرر العظيم عليهم و على أئمتهم عليهم السلام ، كما كان من أمر هشام بن الحكم و أضرابه ، فهوهم عن ذلك و أزالوا التوهم الذي صار سبباً لحرصهم في ذلك من قدرتهم على هداية الخلق بالمبالغة و الاهتمام في الاحتجاج فيها ، بأن الهداية بمعنى الايصال إلى المطلوب من قبل الله تعالى ، ولو علم الله المصلحة في جبرهم على اختيار الحق لكان قادراً عليه و لفعل ، فاذا لم يفعل الله ذلك لمنافاته للتكليف و غير ذلك من المصالح ، فلم تتعرضون أنتم للمهالك ، مع عدم

على أن يهدوه ، ولو أن أهل السماوات و أهل الأرضين اجتمعوا على أن يضلّوا عبداً

قدرتكم عليه ، وقد منع الله نبيّه صلوات الله عليه من ذلك وقال : « إنك لا تهدي من أحببت » ^(١) وأما إظهار الحق فائماً يجب مع عدم التقيّة ، مع انه قد تبين الرشد من الغي وتمّت الحجة عليهم بما رأوا من فضل الائمة وعلمهم وورعهم وكمالهم ، وفجور خلفائهم الجائرين وبغيهم ، وانتشرت الاخبار الدالة على الحق بينهم ، وبكفى ذلك لهدايتهم إن كانوا قائلين ، ولا تمام الحجة عليهم إن كانوا متعنّتين .

« الثاني » أن يكون الامر بها عند عدم ظهور الحق واشتباه الامر على الناس والنهي عنها ، أو تجويز تركها عند وضوح الحق وظهور الامر كما أشرنا اليه .

« الثالث » أن يحمل أخبار الامر على ما اذا كان لظهور الحق وهداية الخلق ، وأخبار النهي على ما إذا كان للمراء والمخاصمة ، وإظهار الفضل والكمال ، والتعنّت والغلبة ، وإن كان بالباطل ، وهذا من أخسّ صفات الذميمة وأرذلها .

« الرابع » يمكن حمل بعض أخبار النهي على المسائل التي نهى عن الخوض فيها كمسئلة القدر وكنه صفات الباري تعالى وأشياء ذلك .

« الخامس » أن يكون النهي محمولا على مجادلة من يعلم أنّه لا يؤلّ إلى الحق لشدة رسوخه في باطله .

« السادس » أن يكون بعضها محمولا على من لا تقدر على إلقاء الحجج ودفع الشبه فيكون مخاصمته سبباً لقوّة حجة الخصم ورسوخه في ضلالته ، ويدلّ عليه ما رواه الكشي عن عبد الأ على قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إنّ الناس يعيرون عليّ بالكلام وأنا أكلم الناس ؟ فقال : أمّا مثلك من يقع ثم يطير فنعم ، وأمّا من يقع ثم لا يطير فلا ، وعن الطيّار قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : بلغني أنّك كرهت مناظرة الناس ؟ فقال : أمّا كلام مثلك فلا يكره من إذا طار يحسن أن يقع ، وإن وقع يحسن أن يطير ، فمن كان هكذا لا نكرهه ، وعن حماد قال : كان أبو الحسن عليه السلام يأمر محمد

ابن حكيم أن يجالس أهل المدينة في مسجد رسول الله ﷺ وأن يكلمهم ويخاصمهم حتى يكلمهم في صاحب القبر ، وكان إذا أنصرف إليه قال : ما قلت لهم ؟ وما قالوا لك ؟ ويرضي بذلك منه ، وعن هشام بن الحكم قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : ما فعل ابن الطيثار ؟ قال : قلت : مات ، قال : رحمه الله ولقاء نضرة وسروراً فقد كان شديد الخصومة عنا أهل البيت .

ويؤيد الوجه الثالث ماروي في تفسير الامام عليه السلام قال : ذكر عند الصادق عليه السلام الجدل في الدين ، وإن رسول الله ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام قد نهوا عنه ؟ فقال الصادق عليه السلام : لم ينه عنه مطلقاً ، لكنّه نهى عن الجدل بغير التي هي أحسن ، أما تسمعون إليه يقول : « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن » ^(١) وقوله تعالى : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن » ^(٢) فالجدل بالتي هي أحسن قد قرنه العلماء بالدين ، والجدل بغير التي هي أحسن محرّم ، وحرّمه الله على شيعتنا ، وكيف يحرّم الله الجدل جملة وهو يقول : « وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى » قال الله تعالى : « تلك أمانيتهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » ^(٣) فجعل علم الصدق والايمان بالبرهان ، وهل يؤتى بالبرهان إلا في الجدل بالتي هي أحسن ، قيل : يا بن رسول الله فما الجدل بالتي هي أحسن والتي ليست بأحسن ؟ فقال : أما الجدل بغير التي هي أحسن أن تجادل مبطلاً فيورد عليك باطلاً فلا تردّه بحجة قد نصبها الله تعالى ، ولكن تجحد قوله أو تجحد حقاً يريد ذلك المبطل أن يعين به باطله فتجحد ذلك الحق مخافة أن يكون له عليك فيه حجة لأنك لا تدري كيف المخلص منه ، فذلك حرام على شيعتنا أن يصيروا فتنة على ضعفاء إخوانهم ، وعلى المبطلين ، أما المبطلون فيجعلون الضعيف منكم إذا تعاطى مجادلة

(١) سورة النكبات : ٤٦ .

(٢) سورة النحل : ١٢٥ .

(٣) سورة البقرة : ١١١ .

وضعف في يده حجة له على باطله ، وأما الضعفاء منكم فتعنى قلوبهم لما يرون من ضعف المحق في يد المبطل ، ثم ذكر عليه السلام له احتجاجات النبي صلى الله عليه وآله على أرباب الملل الباطلة .

ومما يؤيد سائر الوجوه ما رواه الصدوق في الخصال عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال : إيتاك والخصومات فانها تورث الشك وتحبط العمل ، وتردى صاحبها ، وعسى أن يتكلم الرجل بالشئ لا يغفر له ، وفي المجالس عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إيتاك والخصومة في الدين فانها تشغل القلب عن ذكر الله عز وجل وتورث النفاق وتكسب الضغائن وتستجيز الكذب .

وما رواه الشيخ في مجالسه عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال لأصحابه : اسمعوا مني كلاماً هو خير لكم من الدهم الموقفة^(١) : لا يتكلم أحدكم بما لا يعنيه ، وليدع كثيراً من الكلام فيما يعينه ، حتى يجد له موضعاً ، فرب متكلم في غير موضعه جني على نفسه بكلامه ، ولا يمارين أحدكم سفيهاً ولا حليماً ، فانه من ماري حليماً أقصاه ، ومن ماري سفيهاً أرداه ، وفي المحاسن عن أبي بصير قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام أدعوا الناس إلى ما في يدي ؟ فقال : لا ، قلت : إن استرشدني أحد أرشده ؟ قال : نعم ، إن استرشدك فأرشده ، فان استزادك فزده ، فان جاحدك فجاحده .

وروى السيد بن طاوس في كشف المحجة نقلاً من كتاب عبدالله بن حماد عن عاصم الحنات عن أبي عبيدة الحذاء قال : قال لي أبو جعفر عليه السلام وأنا عنده : إيتاك وأصحاب الكلام والخصومات ومجالستهم ، فانهم تركوا ما أمروا به ، وتكلفوا ما لم يؤمروا به ، تعلمه حتى تكلفوا علم السماء ، يا أبا عبيدة خالط الناس بأخلاقهم وزايلهم بأعمالهم ،

(١) هذا هو الظاهر الموافق للمصدر ولنسخة الشارح (ره) ، وفي نسخة و الدهم

الموقفة ، وهو مصحف ، و الدهم جمع الادهم : الاسود من الخيل والدواب ، و الموقفة - بتشديد القاف - : التي في قوائمها خطوط سود .

ومن الكتاب المذكور عن جميل قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : متكلموا هذه العصابة من شرار من هم منهم ، إلى غير ذلك من الأخبار التي أوردتها في كتاب بحار الانوار .

وقال شارح التجريد القوشجي في سياق أدلة النافين لوجوب النظر شرعاً : وثانيها : أن النبي صلى الله عليه وآله نهى عن الجدل كما في مسألة القدر ، روى أنه صلوات الله عليه خرج على أصحابه فرآهم يتكلمون في القدر ، فغضب حتى احمرت وجنتاه وقال : إنما هلك من كان قبلكم بخوضهم في هذا ، عزمت عليكم أن لا تخوضوا فيه أبداً ، وقال صلوات الله عليه : اذا ذكر القدر فامسكوا ، ولا شك أن النظر جدل ، فيكون منهياً عنه لا واجباً ، وأجيب : بأن ذلك النهي الوارد عن الجدل إنما هو حيث كان الجدل نعتاً ولجاجاً بتلفيق الشبهات الفاسدة لترويج الآراء الباطلة ، ودفع العقائد الحقّة وإرادة الباطل في صورة الحق بالتلبيس والتدليس ، كما قال تعالى : « وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق » ^(١) وقال : « بل هم قوم خصمون » ^(٢) وقال « ومن الناس من يجادل في الله بغير علم » ^(٣) ومثل هذا الجدل لا نزاع في كونه منهياً عنه ، وأما الجدل بالحق لاظهاره وإبطال الباطل فأمور به ، قال الله تعالى : « وجادلهم بالتي هي أحسن » ^(٤) ومجادلة الرسول لابن الزبيري ، وعلي عليه السلام للقدري مشهورة الى آخر ما قال .

الثاني : إن الهداية من الله سبحانه ، ولا يقدر الخلق عليها ، وهو حق ، وهو محمول على الايصال إلى المطلوب ، وهو ممّا لا يقدر عليه غيره تعالى ، وأما الهداية بمعنى إرادة الطريق فهي شأن الانبياء والاولياء والعلماء ، وربما يحمل على أن مفيض العلم

(١) سورة الفافر : ٥ .

(٢) سورة زخرف : ٥٨ .

(٣) سورة الحج : ٣ و ٨ .

(٤) سورة النحل : ١٢٥ .

يريد الله هدايته ما استطاعوا أن يضلّوه ، كفّوا عن الناس ولا يقول أحدٌ : عمّي وأخي و ابن عمّي وجاري؛ فإنّ الله إذا أراد بعبد خيراً طيّب روحه فلا يسمع معروفاً إلا عرفه ولا منكراً إلا أنكره ، ثمّ يقذف الله في قلبه كلمة يجمع بها أمره .

٢- عليّ بن إبراهيم بن هاشم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن محمد بن حمران ، عن سليمان بن خالد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال : إنّ الله عزّ وجلّ إذا أراد بعبد خيراً نكت في قلبه نكتة من نور وفتح مسامع قلبه و وّكل به ملكاً يسدّده ، وإذا أراد بعبد سوءاً نكت في قلبه نكتة سوداء و سدّ مسامع قلبه و وّكل به شيطاناً يضلّه ، ثمّ

هو الله تعالى كما مرّ ، والاول أظهر ، وهو المراد بقوله عليه السلام : عليّ أن يهدوا عبداً يريد الله ضلّاته ، والمراد بارادة الضلالة أن يكله إلى نفسه ، ويمنعه اللطاف الخاصّة التي لا يستحقّها ، فيختار الضلالة ، فارادة الضلالة إرادة بالعرض وعلى المجاز ، وربما تأوّل الارادة بالعلم الازليّ ، أو بالعذاب والهلاك كما مرّ ، وكذا إرادة الهداية توفيقه وتأييده بما يصير سبباً لاختياره الاهتداء ، وربما تأوّل بالانابة والإرشاد الى طريق الجنة في الآخرة .

« ولا يقول أحد عمّي » اي هذا عمّي ويلزمني هدايته « فإنّ الله إذا أراد بعبد خيراً » اي استحقّ اللطاف الخاصّة « طيّب روحه » من خبث العقائد الباطلة « إلا عرفه » اي ايقن أنّه حقّ « إلا أنكره » اي لم يذعن به ، وعلم انه باطل « ثم يقذف الله في قلبه كلمة يجمع بها أمره » المراد بالكلمة ولاية الائمة عليهم السلام ووجوب متابعتهم فيها يتمّ نجاته لأنّه يأخذ عنهم ما ينجيه من العقائد والاعمال الحقّة ، أو الاخلاص وصدق النية في طلب الحق ، وترك الاغراض الباطلة ، وقيل : اي كلمة التقوى وهي المعرفة الكاملة .

الحديث الثاني : مجهول .

قوله عليه السلام : إذا أراد بعبد خيراً ، اي لطفاً يستحقّه بحسن اختياره ، وقيل : اي علماً « نكت في قلبه نكتة » اي أثّر في قلبه تأثيراً وافاض عليه علماً يقينياً ينتقش

تلا هذه الآية : « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام و من يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء »^(١).

فيه من قولهم : نكت الأرض بالقضيب إذا أثر فيها ، وسمى اليقين بالنور إذ به يظهر حقائق الأشياء على النفس ، وفتح مسامع القلب كناية عن تهيهه لقبول ما يرد عليه من المعارف « ووكّل به ملك يسدّه » ويلهمه الحق ، ويدفع عنه إستيلاء الشيطان بالشبهات ، « وإذا أراد بعبد سوءاً » أي منع لطفه لعدم استحقاقه « نكت في قلبه » أي يخليه والشيطان ، فينكت الشيطان في قلبه نكتة سوداء من الجهالة والضلالة ، وما يصير سبباً لعدم قبول الحق وسد مسامع قلبه ، أي لا يوفقّه لقبول الحق ولا يفعل به ما فعل بمن استحقّ اللطاف الخاصة ، فكأنّه سبحانه سد مسامع قلبه ، وهو مثل قوله سبحانه : « ختم الله على قلوبهم »^(٢) « ووكّل به شيطاناً » أي يخلى بينه وبين الشيطان لعدم قبوله هداية الرحمن ، وإعراضه عن الحق بعد البيان .

قوله تعالى « فمن يرد الله أن يهديه » قال البيضاوي : أي يعرفه طريق الحق ويوفقّه للإيمان « يشرح صدره للإسلام » فيتسع له ويفسح مافيه مجاله وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهياً لحلوله فيها ، مصفاة عما يمنعه وينافيه « ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً » بحيث ينبو^(٣) عن قبول الحق ، فلا يدخله الإيمان « كأنما يصعد في السماء » شبهه مبالغة في ضيق صدره بمن يزاوّل ما لا يقدر عليه ، فإن صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة .

وقال الطبرسي : قد ذكر في تأويل الآية وجوه : « أحدها » أن معناه من يرد الله أن يهديه إلى الثواب وطريق الجنة يشرح صدره في الدنيا للإسلام ، بأن يثبت عزمه عليه ويقوّي دواعيه على التمسك ، ويزيل عن قلبه وساوس الشيطان ، وإثماً يفعل ذلك لطفاً ومنّاً عليه وثواباً على إهتدائه بهدى الله ، وقبوله إياه ونظيره قوله سبحانه

(١) سورة الانعام : ١٢٥ .

(٢) سورة البقرة : ٧ .

(٣) نبا الطبع عن الشيء : نفرو لم يقبله .

«والذين اهتدوا زادهم هدى»^(١) «ويزيد الله الذين اهتدوا هدى»^(٢) «ومن يرد أن يضله» عن نوابه وكرامته «يجعل صدره» في كفره «ضيقة حرجاً» عقوبة له علي تركه الايمان من غير أن يكون سبحانه مانعاً له عن الايمان و سالباً إتياء القدرة عليه ، بل ربما يكون ذلك سبباً داعياً له إلى الايمان فإن من ضاق صدره بالشيء كان ذلك داعياً له إلى تركه ، وقد وردت الرواية الصحيحة انه لما نزلت هذه الآية سئل رسول الله ﷺ عن شرح الصدر ما هو ؟ فقال ﷺ : نور يقذفه الله في قلب المؤمن ، فينشرح له صدره ، و ينفسخ قالوا : فهل لذلك من إمارة فيعرف بها ؟ قال ﷺ : نعم الإجابة إلى دار - الخلود و التجافي عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل نزوله .

وثانيها : ان معنى الآية من يرد الله أن يثبتته على الهدى يشرح صدره من الوجه الذي ذكرناه جزاء له على ايمانه واهتدائه ، وقد يطلق لفظ الهدى والمراد به الاستدامة كما قلناه في : إهدنا الصراط المستقيم « و من يرد أن يضله » أى يخذله و يخلّي بينه و بين ما يريد لاختياره الكفر ، و تركه الايمان « يجعل صدره ضيقاً حرجاً » بأن يمنعه الا لطاف التي ينشرح لها صدره لخروجه من قبولها ، باقامته على كفره .

و ثالثها : ان معنى الآية من يرد الله أن يهديه زيادة الهدى التي وعد بها المؤمن يشرح صدره لتلك الزيادة لأن من حققها أن تزيد المؤمن بصيرة ، و من يرد أن يضله عن تلك الزيادة بمعنى يذهب عنها من حيث أخرج هو نفسه من أن تصح عليه « يجعل صدره ضيقاً حرجاً » لمكان فقد تلك الزيادة لأنها إذا اقتضت في المؤمن ما قلناه ، إقتضي في الكافر ما يضاده ، و تكون الفائدة في ذلك الترغيب في الايمان و الزجر عن الكفر ، وقد روى عن ابن عباس انه قال : اتما سمى قلب الكافر حرجاً لانه لا يصل الخير إلى قلبه ، و في رواية اخرى : لاتصل الحكمة إلى قلبه ، و لا يجوز أن يكون

. (١) سورة محمد : ١٧

. (٢) سورة مريم : ٧٦

المراد بالاضلال في الآية الدعاء إلى الضلال، ولا الأمر به، ولا الإيجاب عليه، لا إجماع الأمة على أن الله تعالى لا يأمر بالاضلال، ولا يدعو إليه، فكيف يجبر عليه، والدعاء إليه أهون من الإيجاب عليه، وقد ذم الله سبحانه فرعون والسامري على إضلالهما عن دين الهدى في قوله: «وأضلّ فرعون قومه وما هدى»^(١) وقوله: «فأضلّهم السامري»^(٢) ولا خلاف في أن إضلالهما إضلال أمر وإيجاب و دعاء، وقد ذمهما الله سبحانه عليه مطلقا، فكيف يتمدّح بما ذمّ عليه غيره.

و قوله: «كأنّما يصعد في السماء» فيه وجوه: «أحدها» إنّ معناه كأنّه قد كلف أن يصعد إلى السماء إذا دعى إلى الاسلام من ضيق صدره عنه، وكأنّ قلبه يصعد إلى السماء نبوّاً عن الاسلام والحكمة عن الزجاج «وثانيها» إنّ معنى يصعد كأنّه يتكلف مشقّة في إرتقاء صعود «وثالثها» إنّ معناه كأنّما ينزع قلبه إلى السماء لشدة المشقّة عليه في مفارقة مذهبه «انتهى».

وروى الصدوق في التوحيد والعيون وغيرهما باسناده عن حمدان بن سليمان قال: سئلت الرضا عليه السلام عن قول الله عز وجل: «فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام» قال: «من يرد الله أن يهديه بإيمانه في الدنيا إلى جنته ودار كرامته في الآخرة يشرح صدره للتسليم لله والثقة به، والسكون إلى ما وعده من ثوابه حتى يطمئنّ إليه، ومن يرد أن يضله عن جنته ودار كرامته في الآخرة لكفره به وعصيانه له في الدنيا يجعل صدره ضيقاً حرجاً حتّى يشكّ في كفره ويضطرب من اعتقاده قلبه حتى يصير كأنّما يصعد في السماء» كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون».

وفي معاني الاخبار باسناده عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عز وجل: «ومن يرد

(١) سورة طه: ٧٩

(٢) سورة طه: ٨٥.

٣- عدّةٌ من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن فضال ، عن علي بن عقبة ، عن أبيه قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : اجعلوا أمركم لله ، ولا تجعلوه للناس فإنّه ما كان لله فهو لله ، وما كان للناس فلا يصعد إلى الله ، ولا تخاصموا الناس لدينكم فإنّ المخاصمة ممرضة للقلب ، إنّ الله تعالى قال لنبيه عليه السلام : « إنك لا تهدي من أحببت »

أن يضلّه يجعل صدره ضيقاً حرجاً ، فقال : قد يكون ضيقاً وله منفذ يسمع منه ويبصر والحرج هو الملتئم الذي لا منفذ يسمع به ولا يبصر منه .

الحديث الثالث : حسن .

قوله عليه السلام : اجعلوا أمركم ، اي دينكم قولاً وفعلاً خالصاً لله ، طالبين لمرضاته « ولا تجعلوه للناس » رياء وسمعة ، وللغلبة عليهم وازهاراً للفضل والكمال فاقه ما كان لله فهو لله « اي يصل إليه ويقبله ، وقيل : ما كان لله في الدنيا فهو في الآخرة ايضاً لله يطلب الثواب منه » وما كان للناس فلا يصعد إلى الله ، اي لا يقبله ، أو لا يصعد به ليكتب في ديوان المقرّبين كما قال سبحانه : « إنّ كتاب الابرار لفي عليين » ^(١) وقال : « اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح » ^(٢) فانّ صعودهما إليه مجاز عن قبوله ايّاهما ، او صعود الكتبة بصحيفتهما « فانّ المخاصمة ممرضة » بفتح الميم والراء ، اسم مكان او بضم الميم وكسر الراء اسم فاعل ، اي موجبة لحدوث امراض الشك والشبهة والاخلاق الذميمة من الحقد والحسد وغيرهما في القلب ، والقلب المستعد لقبول الحق يكفيه أدنى تنبيه ، والقلب المطبوع على الباطل لا تنجع ^(٣) فيه اعلى مدارج الخصومات من العالم النبيه بل يضرّ . ويصير سبباً لمزيد رسوخه فيما هو فيه ، ثم أيّد عليه السلام ما ذكره بقوله تعالى لنبيه صلوات الله عليه في عدم ترتب الهداية على مبالغته ومجادلته : « إنّك لا تهدي من أحببت » قال الطبرسي رحمه الله اي احببت هدايته او

(١) سورة المطففين : ١٨ .

(٢) سورة فاطر : ١٠ .

(٣) اي لا تؤثر ولا تدخل .

ولكن الله يهدي من يشاء»^(١) وقال : «أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين»^(٢)

احببته لقربته ، والمراد بالهداية هنا اللطف الذي يختار عنده الايمان ، فانه لا يقدر عليه إلا الله لأنه إما أن يكون من فعله خاصة او باعلامه ، ولا يعلم ما يصلح المرء في دينه إلا الله تعالى ، فان الهداية التي هي الدعوة والبيان قد أضافه سبحانه اليه في قوله : «وانك لتهدي إلى صراط مستقيم»^(٣) .

وقيل: ان المراد بالهداية في الآية الاجبار على الاهتداء اي أنت لا تقدر على ذلك ، وقيل : معناه ليس عليك اهتدائهم وقبولهم الحق «ولكن الله يهدي من يشاء» بلطفه ، وقيل: على وجه الاجبار.

وقال رحمه الله في قوله تعالى « ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعاً »^(٤) معناه الاخبار عن قدرة الله تعالى أن يكره الخلق على الايمان ، كما قال : « إن نشأ نزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين »^(٥) ولذا قال بعد ذلك « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » ومعناه انه لا ينبغي ان تريد إكراههم على الايمان ، مع أنك لا تقدر عليه ، لأن الله تعالى يقدر عليه ولا يريد له أن ينافي التكليف ، وأراد بذلك تسلية النبي ﷺ وتخفيف ما يلحقه من التحسر والحرص على ايمانهم عنه « انتهى » .

وروى الصدوق رحمه الله في كتاب العيون باسناده عن الرضا عليه السلام انه قال له المؤمنون : ما معنى قول الله جلّ ثناؤه : « ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » وما كان لنفس أن تؤمن إلا باذن الله » فقال الرضا عليه السلام : حدثني أبي عن آبائه عن علي بن ابي طالب عليه السلام قال : ان المسلمين

(١) سورة القصص : ٥٦ .

(٢-٣) سورة يونس : ٩٩ .

(٣) سورة الشورى : ٥٢ .

(٥) سورة الشعراء : ٢ .

ذرّوا الناس فإنّ الناس أخذوا عن الناس وإتكم أخذتم عن رسول الله ﷺ ، إنّي سمعت أبي ﷺ يقول : إنّ الله عزّ وجلّ إذا كتب على عبد أن يدخل في هذا الأمر كان أسرع

قالوا لرسول الله ﷺ : لو أكرهت يا رسول الله من قدرت عليه من الناس على الاسلام لكثرت عدونا ، وقوّينا على عدونا ؟ فقال رسول الله ﷺ : ما كنت لألقى الله ببدعة لم يحدث إلى فيها شيئا وما أنا من المتكلفين ، فأترّل الله تبارك وتعالى يا محمد ﷺ « ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلّهم جميعاً » على سبيل الإلجاء والاضطرار في الدنيا كما يؤمن عند المعاينة ورؤية البأس في الآخرة ، ولو فعلت ذلك بهم لم يستحقوا منّي ثواباً ولا مدحاً ولكنّي أريد منهم أن يؤمنوا مختارين غير مضطرينّ ليستحقوا منّي الزلفي والكرامة ، ودوام الخلود في جنة الخلد أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ، وأما قوله عزّ وجلّ : « وما كان لنفس أن تؤمن إلّا بأذن الله » فليس على تحرّيم الايمان عليها ، ولكن على أنّها ما كانت لتؤمن إلّا بأذن الله ، وإذنه امره لها بالايمان ، ما كانت مكلفة متعبدة وإلجائه إياها الى الايمان عند زوال التكليف والتعبّد عنها ، فقال المأمون : فرّجت عني يا أبا الحسن فرّج الله عنك .

« ذرّوا الناس » اي اتركوا المخالفين ولا تعرّضوا لمعارضتهم ومجادلتهم ، او لدعوتهم ايضاً تقيّة فأنهم اخذوا دينهم من الناس واتبعوهم وظنّوا انّ فعلهم وقولهم حجة ، فلا يتركون دينهم بقولكم ، وأنتم أخذتم دينكم عن رسول الله ﷺ بواسطة المعصومين من أهل بيته ﷺ ، والغرض إمّا بيان المباينة بين المسلكين والبعد بين الطريقتين لبيان أنّ حجة الشيعة لا يؤثر فيهم فلا ينبغي لهم التعرّض للمهالك لذلك أو هو تسلية للشيعة بأنّكم لما كنتم على الحقّ فلا تبالوا بمخالفة من خالفكم ، أو الغرض أنّه إن كان غرضكم هدايتهم فقد سبق الله من الله ، وان كان لتبيّن حجة مذهبكم فحجّتكم واضحة لا نحتاج إلى ذلك .

وقيل : المعنى ذرّوا مخالطة الناس وموافقهم ، فأنكم على الحق وأنهم على الباطل ، ولا يخفى بعده .

إليه من الطير إلي وكره .

٤ - أبو علي الأشعري ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن صفوان بن يحيى ، عن محمد بن مروان ، عن فضيل بن يسار قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : ندعو الناس إلى هذا الأمر ؟ فقال : لا يافضيل إن الله إذا أراد بعبد خيراً أمر ملكاً فأخذ بعنقه فأدخله في هذا الأمر طائعاً أو كارهاً .

ثم كتاب العقل والعلم و التوحيد من كتاب الكافي و يتلوه كتاب الحجّة [في الجزء الثاني من كتاب الكافي تأليف الشيخ أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني رحمه الله عليه] .

« إذا كتب على عبد » اي علم ايمانه وكتبه في اللوح ، وكرر الطائر : عشّه .

الحديث الرابع : مجهول .

والنهي عن الدعوة إمّا للتقية أو محمول على ترك المبالغة فيها لمن لا يرجي نفعها فيه « طائعاً أو كارهاً » اي سواء كان في أول الامر راغباً فيه أم لا ، إذ كثيراً ما نرى رجلاً في غاية التعصب في خلاف الحق ، ثم يدخل فيه بلطف من أطفاه تعالى كالأحلام الصادقة أو غيرها ، وقيل : إشارة إلى اختلاف مراتب الألفاف ، وقيل : اي أدخله في معرفة هذا الامر والعلم بحقيقته بالاطلاع على دلائله ، سواء كان راغباً فيه أو كارهاً له ، فان عند الاطلاع على الدلائل ، والانتقال إلى وجه الدلالة يحصل العلم بالمدلول ، وإن لم يكن المطلع راغباً وكان كارهاً .

إنتهى ما وفق الله سبحانه لتعليقه على كتاب التوحيد من كتاب الكافي : أفقر العباد إلى عفو ربه الغني محمد باقر بن محمد تقي الملقب بالمجلسي عفى الله عن جرائمهما في سابع شهر ربيع الثاني من سنة ثمان وتسعين بعد الالف الهجرية على غاية الاستعجال وتوزّع البال ووفور الاشغال ، والحمد لله على كل حال والصلوة على سيد المرسلين محمد وآله خير آل .

كتاب الحجة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ باب الاضطرار الى الحجة ﴾

[قال أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني "مصنّف هذا الكتاب رحمه الله : حدّثنا]
١ - عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن العباس بن عمر الفقيميّ ، عن هشام بن

الجزء الثاني من شرح اصول الكافي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ألحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى محمد وآله خيرة الورى
أما بعد فهذا هو المجلد الثاني من كتاب مرآة العقول في شرح أخبار الرسول
صلّى الله عليه وعليهم اجمعين من كتاب الكافي .

كتاب الحجة

باب الاضطرار الى الحجة

اي لا بدّ في كل زمان من حجة معصوم ، عالم بما يحتاج اليه الخلق إمّا نبيّ أو
وصيّ نبيّ ، وهذا المطلوب مبين في كتب الكلام بالبراهين العقلية والنقلية .
الحديث الاول مجهول ، وهو جزء من حديث طويل أورده في الكتاب الكبير
وقد مضى بعض أجزائه في كتاب التوحيد .

الحكم ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال للزنديق الذي سأله من أين أثبت الأنبياء و الرسل ؟ قال : إننا لما أثبتنا أن لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنا وعن جميع ما خلق ، و كان ذلك الصانع حكيماً متعالياً لم يجز أن يشاهده خلقه ، و لا يلامسوه ، فيباشرهم و يباشروه ، و يحاجتهم و يحاجّوه ، ثبت أن له سفراء في خلقه ، يعبرون عنه إلى خلقه و عباد ، و يدلوّنهم على مصالحهم و منافعهم و ما به بقاؤهم و في تركه فناؤهم ، فثبت الآمرون و الناهون عن الحكيم العليم في خلقه و المعبرون عنه جلّ و عزّ ، و هم الانبياء عليهم السلام و صفوته من خلقه ، حكماء مؤدّبين بالحكمة ، مبعوثين بها ، غير مشاركين للناس - على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب - في شيء من أحوالهم مؤيّدين

« من أين اثبت » على صيغة المخاطب وربما بقرء على بناء المفعول وهو بعيد « متعالياً عنا » اي عن مشابهتنا والاشتراك معنا في الحقيقة والصفة ، وقوله : متعالياً ثانياً أريد به تعاليه عن العبث واللغو ، أو عن أن يشاهده الخلق ويلامسوه ، فقوله : « لم يجز » صفة موضحة ، وعلى الأوّل يحتمل أن يكون خبراً بعد خبر لكان ، ثمّ أنّه يحتمل أن يكون المراد باللامسة والمباشرة معنييهما الحقيقيين ، أو إدراكه بحقيقته فأنّه يستلزم حصول حقيقته سبحانه في الذهن ، أو إدراكه على وجه الكمال ، والمراد بالخلق أكثرهم ، أو ادراك كلّ أحد على ما ينبغي ويليق به بالمعنى بلا واسطة .

وقوله : ثبت ، جواب لما ، والسفراء : جمع سفير من سفر بين القوم اي اصلح ، او من السفر بمعنى الكشف والايضاح « على مصالحهم ومنافعهم » اي الدينويّة والاخرويّة « وما به بقاؤهم » من امور المعاش ، او الأعمّ منها ومن العبادّة والمعرفة ، فإنّ بقاء الخلق بهما « غير مشاركين للناس » اي في التقديس والقرب والكمالات .

ثمّ أعلم أنّه عليه السلام أشار بذلك الى براهين شتى على اضطراب الناس الى الرسل

نذكر منها وجهين جامعين :

الاول : أنّه لما ثبت وجود الصانع تعالى وحكمته وإنّه لا يفعل العبث ، ولو لم يكن الخلق مكلفين بمعرفته وعبادته ليفوزوا بهما بالثبوتات الاخرويّة والكمالات النفسانيّة ، لكان خلقهم عبثاً ، إذ يعلم كلّ عاقل انّ اللذات الدينويّة المشوبة

بأنواع المحن والآلام لا تصلح علة لهذا الخلق والنظام ، وأما معرفته سبحانه فلا يمكن حصولها للخلق إلا بوحيه سبحانه ، لتعاليه عن مشاركة الخلق في حقائقهم ، ومشابھته لهم حتى يعرفوا حقيقته بذلك كما تعرف سائر الخلق به ، وهو متعال عن أن يدرك بالحواس أيضاً حتى يعرف بذلك ، وكذا معلوم أن ما يوجب القرب والكمال من الاخلاق والاعمال مما لا تنفى بها القوى البشرية والعقول الانسانية فلا بد في معرفة جميع ذلك من وحي من الله سبحانه وتلقى الوحي منه تعالى لا يتيسر لجميع الخلق ، إذ لا بد من نوع مناسبة بين الموحى والموحى إليه حتى يفهم ما يلقى اليه فلذا أرسل الله تعالى من عباده أقواماً من جهة روحانيتهم و تقدسهم و تنزههم عن الادناس البشرية يناسبون الملائكة الا على و بهذه الجهة يتأقنون الوحي من ربهم جل و علا ، ومن جهة بشريتهم و تجسمهم و مشاكلتهم للخلق في صورهم وأجسامهم ومعاشرتهم لهم في ظواهر أحوالهم ، يلقون الوحي إليهم .

و ايضاً لو كان الله تعالى يلقى الوحي إلى سائر الخلق كما ألقى الى نبينا ﷺ في ليلة المعراج وغيرها ، وإلى موسى عند الشجرة ، لم تتم الحجة عليهم ، لانه لم تكن لهم قابلية أن يعرفوا أن ذلك الوحي من قبله سبحانه وليس من الشياطين ، بخلاف ما إذا سمعوا من بشر مثلهم يأتي بما لا يقدر على الاثيان بمثله ، فثبت انه لا بد من سفراء بينه سبحانه وبينهم ، ولا بد أن يكونوا من نوع البشر ، وأن يكونوا مع مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب مبائنين لهم في سائر أحوالهم واطوارهم و اخلاقيهم مقدسين منزّهين روحانيين ليضاهئوا الملائكة الا على كما مر ذكره فيما مضى ، ومعصومين مؤيدين بالمعجزات ليكونوا حجة على غيرهم .

وهذا مما خطر ببالي القاصر ، وهو بيان شاف ، وبرهان كاف لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

الثاني : ما ذكره السالكون مسلك الحكماء وهو مبني على مقدّمات عقلية : اولها: ان لنا خالقاً صانعاً قادراً على كل شيء .

والثانية: ان الله جل اسمه متعال عن التجسم والتعلق بالمواد والاجسام ، وعن أن يكون مبصراً او محسوساً باحدى الحواس خلافاً للكرامية ومن يحذو حذوهم .
والثالثة : انه تعالى حكيم عالم بوجوه الخير والمنفعة في النظام ، وسبيل المصلحة للخلائق في المعيشة والقوام والبقاء والدوام .

والرابعة : ان الناس محتاجون في معاشهم ومعادهم الى من يدبر أمورهم ويعلمهم طريق المعيشة في الدنيا ، والنجاة من العذاب في العقباء وذلك لانه من المعلوم ان الانسان لا تمشى معيشته لو انفرد وحده شخصاً واحداً كغيره من أنواع الحيوان يتوكلى امره من غير شريك يعاونه على ضروريات حاجاته ، وانه لا بد من ان يكون مستغنياً بآخر من نوعه يكون ذلك ايضاً مستغنياً مكفياً به وبنظيره ، فيكون هذا يزرع لهذا وهذا يطحن لذاك ، وذلك يخبز لآخر وآخر يخطط لغيره ، وهذا يبني وهذا يتخذ الحديد ، وهذا ينجر وعلى هذا القياس ، حتى اذا اجتمعوا كان أمرهم مكفياً ولهذا اضطروا الى عقد المدن والاجتماعات للمعاملات والمناكحات وسائر المعاونات والمشاركات .

وبالجملة لا بد في وجود الانسان وبقائه من المشاركة ، ولا تتم المشاركة إلا بالمعاملة ، ولا بد في المعاملة من سنة وقانون عدل ، ولا بد للسنة والعدل من سان ومعدّل ، ولا يجوز ان يترك الناس وآرائهم واهوائهم في ذلك ، فيختلفون ، فيرى كل احد منهم ماله عدلاً وما عليه ظلماً وجوراً ، ولا بد ان يكون هذا المعدّل والسان بشراً لا ملكاً ، لان الملك لا يراه اكثر الناس إلا ان يتشكّل بشراً ، لان قواهم لا تقوى على رؤيته على صورة الملكية ، وانما رآهم الأفراد من الأنبياء بقوتهم القدسيّة .

ثم لو فرض ان يتشكّل بحيث يراه سائر الخلق كجبرئيل في صورة دحية كان ملتبساً عليهم كالبشر كما قال تعالى : «ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم

من عند الحكيم العليم بالحكمة ، ثم ثبت ذلك في كلّ دهر وزمان مما أتت به الرُّسل

ما يلبسون ،^(١) فلا بدّ أن يكون السانّ له خصوصيّة ليست لسائر الناس حتى يستشعر الناس فيه أمراً لا يوجد لهم ، فيتميّز به منهم ، فيكون له المعجزات التي أخبرنا بها والحاجة إلى هذا الانسان في أن يبقى نوع البشر ، ويتحصّل وجوده أشدّ من كثير من المنافع التي لا ضرورة فيها للبقاء كما نبات الشعر على الحاجبين ، وتقدير الأخصص للقدمين ، وما يجري مجراهما من منافع الاعضاء التي بعضها للزينة وبعضها للسهولة في الأفعال والحركات ، كما يظهر من علم التشريح ، ووجود هذا الانسان الصالح لأنّ يسنّ ويشرح ممكن وتأييده بالآيات والمعجزات الموجبة لاذعان الخلق له أيضاً ممكن فلا يجوز أن تكون الغاية الاولى^(٢) تقتضى تلك المنافع ، ولا تقتضى هذه التي هي أصلها وعمدتها .

فاذا تمهّدت هذه المقدمات فثبت وبيّن أنّه واجب أن يوجد نبيّ وأن يكون إنساناً ، وأن تكون له خصوصيّة ليست لسائر الناس وهي الامور الخارقة للعادات ، ويجب أن يسنّ للناس سنناً باذن الله وأمره ووحيه ، وانزال الملك إليه ، ويكون الاصل الاول فيما يسنّه تعريفه ايّاهم أنّ لهم صانعاً قادراً واحداً لا شريك له ، وأنّ النبيّ عبده ورسوله ، وأنّه عالم بالسرّ والعلانية وأنّه من حقّه أن يطاع أمره ، وأنّه قد أعدّ لمن أطاعه الجنة ، ولمن عصاه النار ، حتى يتلقّى الجمهور أحكامه المنزلة على لسانه من الله والملائكة بالسمع والطاعة .

ففي هذا الحديث الشريف وتلويح الى جميع ذلك كما لا يخفى على المتأمل .

قوله : « ثم ثبت ذلك » أقول: يحتمل هذا الكلام وجوهاً:

الأول : أن يكون المعنى أنّ الدليل المتقدّم انما يدلّ على وجوب النبيّ

(١) سورة الانعام : ٩ .

(٢) في نسخة « العناية » بدل « الغاية » .

و الأنبياء من الدلائل والبراهين ، لكيلا تخلو أرض الله من حجة يكون معه علمٌ

أو الحجة في كل عصر، وأما تعيين الاشخاص المعينة فائما يثبت بما أتوا به من الدلائل والبراهين ، اي الآيات والمعجزات وخوارق العادات ، وغلبتهم في العلوم على أهل عصرهم ، وقوله ﷺ : « لكيلا يخلو » تعليل لقوله : ثم ثبت ، ووجه التعليل انه ما دامت الارض باقية والناس موجودين فيها لا بد لهم من حجة لله عليهم يقوم بأمرهم ، ويهديهم الى سبيل الرشاد مؤيداً بما يدل على صدقه وعدالته ووجوب متابعتة .

الثاني: ان يكون ذلك اشارة الى وجود الأمرين والناهين الموصوفين بالأوصاف المذكورة ، والمراد أن الدليل السابق انما دل على وجوب اقامة الحجة في الارض في الجملة ، وأما عدم خلوه دهر طويل أو زمان قصير من حجة فائما ثبت بقول الانبياء والرسل ، فإن كلامهم وأخبارهم عن الله دليل وبرهان حيث أخبروا أن أرض الله لا تخلو من حجة فمن في قوله « مما » للسببية ، والظرف متعلق بقوله : ثم ثبت ، أو بكل من « فثبت ، و « ثم ثبت » على التنازع .

الثالث : أن يكون المقصود بالدليل أو لا أثبات الانبياء ﷺ ، وبقوله : ثم ثبت اثبات الاوصياء ، وهذا يحتمل وجهين : « أحدهما » انه قد ثبت الاوصياء في كل دهر بما أتت به الأنبياء من قبل الله من النص عليهم ، فيكون ثبوت الأنبياء ﷺ بالعقل والاوصياء بالنقل « وثانيهما » أن يكون المراد أن الاوصياء بعد الانبياء ايضاً ثبت امامتهم بما أتت به الأنبياء من المعجزات ، وفي بعض النسخ: مما أثبت ، ولا يخفى توجيهه على الوجوه ان قرء معلوماً أو مجهولاً .

ويزيد على الاخير أنه يمكن تعميمه بحيث يشمل الدليل العقلي المتقدم الدال على وجوب الانبياء ﷺ .

قوله ﷺ : تكون معه علم ، بفتحين اي علامة ودليل ، وربما يقرء بكسر الاول وسكون الثاني .

يدلّ على صدق مقالته و جواز عدالته .

٢- محمد بن إسماعيل ، عن الفضل بن شاذان ، عن صفوان بن يحيى ، عن منصور ابن حازم قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إن الله أجلُّ وأكرم من أن يعرف بخلقه ، بل الخلق يعرفون بالله ؟ قال : صدقت ، قلت : إن من عرف أن له رباً ، فينبغي له

قوله عليه السلام : على جواز عدالته ، أي جريان حكمه العدل .

الحديث الثاني : مجهول كالصحيح .

قوله : من أن يعرف بخلقه ، قد سبقت الوجوه المحتملة في هذه الفقرة ، وحاصلها : أنه تعالى أجلُّ من أن يعرف بتعريف خلقه ، إذ المعرفة موهبة وعلى الخلق إراءة السبيل ، والموصل هو الله سبحانه «بل الخلق يعرفون بالله» على بناء المعلوم أي إنما يعرفونه بأفاضته وهدايته وتوفيقه ، أو من أن يعرف بصفات خلقه ومشابهيهم بل إنما يعرفونه بما عرف به نفسه من الصفات اللاتئة ، أو بل الخلق يعرفون الحقائق الممكنة وأحوالها بالله ، أي بسبب خلقه لها أو بسبب فيضان معرفتها منه عليهم على قدر عقولهم .

وقيل : إشارة إلى ما ذكره المحققون من أن المقرّبين يعرفون الحقّ بالحق لا بالاستدلال بمخلوقاته عليه ، ويمكن أن يقرأ «يعرفون» على بناء المجهول بل هو أظهر ، أي الأنبياء والحجج عليهم السلام إنما تعرف حقيقتهم ورسالتهم وحجيتهم بما اتاهم من المعجزات والبراهين ، أو به يعرف جميع الخلق بما أشرق منه عليهم من نور الوجود .

و قال صدقت ، بالتخفيف ، وربما يقرأ بالتشديد ، إذ كلامه مأخوذ منهم عليه السلام كما مرّ ولا يخفى بعده ، وقوله : فقد ينبغي لأن يعرف^(١) إن لذلك الربّ رضاءً وسخطاً أي ينبغي له أن يعرفه بصفات كماله وتنزّهه عن النقائص ، ومنها حكمته وعلمه وقدرته

(١) وفي المتن «فينبغي له أن يعرف» وكأنه نقله بالمعنى أو من تصحيف الناسخ

أو من جهة اختلاف النسخ وقد مروياتي أيضاً تطائر هذا الاختلاف في موارد كثيرة .

أن يعرف أن ذلك الربّ رضاً وسخطاً وأنه لا يعرف رضا وسخطه إلا بوحي أو رسول ، فمن لم يأت الوحي فقد ينبغي له أن يطلب الرّسل فإذا لم يلقهم عرف أنهم الحجّة وأنّ لهم الطاعة المفترضة .

وقلت للناس : تعلمون أنّ رسول الله ﷺ كان هو الحجّة من الله على خلقه ؟ قالوا : بلى ، قلت : فحين مضى رسول الله ﷺ من كان الحجّة على خلقه ؟ فقالوا : القرآن فنظرت في القرآن فإذا هو يخاصم به المرجي والقدري والزنديق الذي لا يؤمن به

وإرادته للخير ، وكرهته للشرّ والقيح ، وأنه لا يخلّ بالحسن ، ولا يأتي بالقيح ، فلا يخلّ باللطف الى عباده ، وأنما يتمّ بالأمر بالحسن والنهي عن القبيح الموجبين للرضا بالطاعة ، والسخط على المعصية ، وأنما يعرف أمره ونهيه وإرادته وكرهته بالوحي ، أو بارسال الرسول ، فمن لم يأت الوحي فعليه طلب الرسول ، فإذا طلب إطلع عليه بالآيات والحجج الدالة على رسالته .

قوله : وقلت للناس ، اي للعامة مناظرأ لهم في الامامة فقالوا القرآن ، اي هو كاف لرفع حاجة الخلق ، ولا حاجة الى غيره كما قال امامهم : حسبنا كتاب الله « فنظرت » في نفسي بدون أن أقول لهم ، أوبتقدير القول « في القرآن فهو اذا يخاصم به المرجئي » اي لا يغني عن المبيّن له ، اذ يخاصم به الفرق المختلفة حتّى يغلب كلّ منهم خصمه بما يجده في القرآن لاجماله واغلاقه ، وكونه ذا وجوه ومحامل .

وفي النهاية : المرجئة فرقة من فرق الاسلام ، يعتقدون انّه لا يضرّ مع الايمان معصية كما أنّها لا ينفع مع الكفر طاعة ، سمّوا مرجئة لاعتقادهم أنّ الله ارجأ تعذيبهم عن المعاصي اي أخره عنهم ، والمرجئة تهمز ولا تهمز ، وكلاهما بمعنى التأخير ، يقال : أرجأت الأمر وارجئته اذا أخرته فتقول من الهمز رجل مرجئ ، وهم المرجئة وفي النسب مرجئيّ مثل مرجع ومرجعة ومرجعيّ ، واذا لم تهمز قلت رجل مرج ومرجئة ومرجى ، مثل معط ومعطية ومعطي ، انتهى .

وقد تطلق المرجئة على كلّ من أخر أمير المؤمنين عن مرتبته ، وقد عرفت

حتى يغلب الرجال بخصومته ، فعرفت أنّ القرآن لا يكون حجّة إلا بقيّم ، فما قال فيه من شيء كان حقاً ، فقلت لهم : من قيّم القرآن ؟ فقالوا ابن مسعود قد كان يعلم ، وعمر يعلم ، وحذيفة يعلم ، قلت : كلّهم ؟ قالوا : لا ، فلم أجد أحداً يقال : إنه يعرف ذلك كلّهم إلا عليّاً عليه السلام ، وإذا كان الشيء بين القوم فقال هذا : لا أدري ، وقال هذا : لا أدري ، وقال هذا : لا أدري ، وأنا أدري ، فأشهد أنّ عليّاً عليه السلام كان قيّم

إطلاق القدرى على الجبرى والتفويضى ، والزنديق هو النافى للصانع أو الثنوى .
قوله : إلا بقيّم ، في الفايق : قيّم القوم : من يقوم بسياسة أمورهم ، والمراد هنا من يقوم بأمر القرآن ويعرف ظاهره وباطنه ومجمله ومؤوله ومحكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه بوحى إلهى أو بالهام ربانى ، أو بتعليم نبوى ، فلما سألهم عن القيّم ذكروا جماعة لم يكونوا يعرفون من القرآن إلا أقله ، والقيّم لابد أن يكون عالماً بجميع القرآن وسائر الأحكام ، ويكون منصوفاً عليه ، معصوماً عن الخطأ والزلل حتى تجب متابعتة وقبول قوله ، وإيضاً لم يدّع أحد منهم سماع جميع ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله ، وإنما ادّعوا سماع مسائل قليلة ممّا يحتاج إليه الناس فيما سمعوا تفسيره عنه صلى الله عليه وآله ، ولم يذهب أحد إلى كون أحد منهم عالماً بجميعه بالنقل ، أو العلم المقرون بالعصمة إلا أمير المؤمنين عليه السلام ، حيث كان يدعى ذلك على رؤوس الأشهاد ، ومجامع جماهير المسلمين ، وإذ لابد من عالم ولم يدّع غيره ، بل علم عدمه في غيره ، وهو كان يدّعيه ويبيّنه بدلائل عقلية وعقلية ، وآيات وعلامات إعجازيّة ، علم أنّه قيّم القرآن ، وكونه عليه السلام أعلم الأمة متفق عليه بين فرق المسلمين ، حتى قال الآبى في كتاب الاكمال - وهو من أعظم علماء المخالفين ومتعصبيهم - لقد كان : في على عليه السلام من الفضل والعلم وغيرهما من صفات الكمال - ما لم يكن في جميع الأمة حتى أنّه لو لم يقدم عليه طائفة من الأمة أبابكر لكان هو أحق بالخلافة ، انتهى .

وما في الخبر بعد تنقيحه وتفصيله يرجع إلى الدلائل المفصلة في كتب الكلام ، على وجوب نصب الامام وعصمته لحفظ الشرايع والاحكام .

وقوله : فأشهد أنّ عليّاً عليه السلام «اه» لازم لجزاء مقدّر أقيم مقامه والتقدير

القرآن ، و كانت طاعته مفترضة و كان الحجّة على الناس بعد رسول الله ﷺ وأنّ ما قال في القرآن فهو حق ؟ فقال: رحمك الله .

٣ - عليّ بن إبراهيم ، عن الحسن بن إبراهيم ، عن يونس بن يعقوب قال : كان عند أبي عبد الله عليه السلام جماعة من أصحابه منهم هران بن أعين ، و محمد بن النعمان وهشام بن سالم ، و الطيّار ، و جماعة فيهم هشام بن الحكم و هو شابّ فقال أبو عبد الله عليه السلام : يا هشام ألا تخبرني كيف صنعت بعمر بن عبيد و كيف سألته ؟ فقال هشام : يا ابن رسول الله إنّي أجدك و أستحييك و لا يعمل لساني بين يديك ، فقال أبو عبد الله : إذا أمرتكم بشيء فافعلوا .

قال هشام : بلغني ما كان فيه عمرو بن عبيد و جلوسه في مسجد البصرة فعظم ذلك عليّ فخرجت إليه و دخلت البصرة يوم الجمعة فأتيت مسجد البصرة فإذا أنا بحلقة كبيرة فيها عمرو بن عبيد و عليه شملة سوداء متزّز بها من صوف ، و شملة مرتد بها و الناس يسألونه ، فاستفرجت الناس فأفرجوا لي ، ثمّ قعدت في آخر القوم على ركبتني ثمّ قلت : أيّها العالم إنّي رجل غريب تأذن لي في مسألة ؟ فقال لي : نعم ،

اعلم إنّ الفائل أنا أدري هو القيمّ دونهم فاشهد ... اه

الحديث الثالث : مجهول .

و عمرو بن عبيد من رؤساء المعتزلة ، و الاجلال : التعظيم « إذا أمرتكم » الامر مفهوم من ألا التحضيضة ، و المراد أنّ إطاعة الامر أوجب من رعاية الاجلال و الاستحياء .

و في النهاية : الحلقة : الجماعة من الناس مستديرين كحلقة الباب و غيره ، و الشملة بالفتح : كساء يشتمل به « فاستفرجت » أي طلبت الفرجة و هي الخلل بين الشئين ، أو طلبت منهم الافراج عن الطريق أي إنكشافهم عنه فانكشفوا عنه لاجلى ، « أيّها العالم » أي بزعم الناس ، و وصف المسئلة بالحقق على سبيل التجوّز مبالغة ، و ربما يقرء حمقاء بضم الحاء و سكون الميم بدون إلف مصدراً و إنّما لم يذكر اللبس

فقلت له : ألك عين ؟ فقال : يا بني أي شيء هذا من السؤال ؟ وشيء تراه كيف تسأل عنه ؟ فقلت : هكذا مسألتي فقال : يا بني سل وإن كانت مسألتك حمقاء قلت : أجبني فيها ، قال لي : سل .

قلت : ألك عين ؟ قال : نعم ، قلت : فما تصنع بها ؟ قال : أرى بها الألوان و الأشخاص ، قلت : فلك أنف ؟ قال : نعم ، قلت : فما تصنع به ؟ قال : أشم به الرائحة قلت : ألك فم ؟ قال : نعم ، قلت : فما تصنع به ؟ قال : أذوق به الطعم ، قلت : فلك أذن ؟ قال : نعم ، قلت : فما تصنع بها ؟ قال : أسمع بها الصوت ، قلت : ألك قلب ؟ قال : نعم ، قلت : فما تصنع به ؟ قال : أُمَيِّزُ به كلُّما ورد على هذه الجوارح والحواس ، قلت : أو ليس في هذه الجوارح غنى عن القلب ؟ فقال : لا ، قلت : وكيف ذلك وهي صحيحة سليمة ؟ قال : يا بني إن الجوارح إذا شكَّت في شيء شمته أو رآته أو ذاقته أو سمعته ، ردَّته إلى القلب فيستيقن اليقين و يبطل الشك ، قال هشام : فقلت له :

لأنَّه ليست له جارحة مخصوصة ظاهرة ، أو فَعْلَة الاشتباه فيه ، مع أنه يعرف بالمقايسة ، والمراد بالقلب النفس الناطقة المتعلقة أولاً وبالذات بالروح الحيواني المنبعث عن القلب الصنوبري الذي نسبته إلى أعضاء الحسّ والحركة كنسبة النفس إلى قوى الحسّ والحركة في أنه ينبعث منه الدَّم والروح البخاري إلى سائر الأعضاء ، فالنفس رئيس القوى وإمامها ، والقلب وهو مستقرّها وعرش استوائها باذن الله رئيس سائر الأعضاء وإمامها ، أو المراد بالقلب القوَّة العقلية التي للنفس الانسانية أو ما يشمل القوى الحسية الباطنة التي هي كالات للقوَّة العقلية في فكرتها وسائر تصرفاتها كما قيل .

و أما شكّ الحواسّ و غلطها فقليل : معناه أنّ العقل والوهم المشوب بالحسّ يغلط ، أو يشكّ بسبب من الاسباب ، ثمّ يعلم النفس بقوة العقل ما هو الحقّ المتيقن كما يرى البصر العظيم صغيراً لبعده ، والصغير كبيراً لقربه ، والواحد إثنين لحول في العين ، والشجرة التي في طرف الحوض منكوسة لانعكاس شعاع البصر من الماء إليها ،

فإنما أقام الله القلب لشكّ الجوارح؟ قال : نعم ، قلت : لا بدّ من القلب و إلا لم تستيقن الجوارح ؟ قال : نعم ، فقلت له : يا أبا مروان فالله تبارك و تعالى لم يترك جوارحك حتّى جعل لها إماماً يصحّح لها الصحيح و يتيقّن به ما شكّ فيه و يترك هذا الخلق كلّهم في حيرتهم و شكّهم و اختلافهم ، لا يقيم لهم إماماً يردّون إليه شكّهم و حيرتهم ، و يقيم لك إماماً لجوارحك تردّ إليه حيرتك و شكّك ؟ ! قال : فسكت و لم يقل لي شيئاً .

و السمع يسمع الصوت الواحد عند الجبل و نحوه ممّا فيه صلابة أو صفالة صوتين ، لانعكاس الهواء المكيف بكيفية السمع الى الصماخ تارة أخرى ، ويقال للصوت الثاني : الصداء ، و كما تجد الذائقة الحلومراًّ لغلبة المرأة لصفراء على جرم اللسان ، و كذا تشمّز الشامة من الروائح الطيبة بالزكام ، فهذه وأمثالها أغلاط حسية يعرف القلب حقيقة الامر فيها .

وقيل : معناه أن النفس مع هذه القوى الحسية الظاهرة ، تحتاج إلى قوة حاكمة عليها ، إذ من شأنها من حيث هذه القوى هذه الادراكات التصورية دون التصديقات و اليقينيّات ، فلا يستيقن إلا بقوة أخرى هي الحاكمة باليقينيّات ، وهي القوة التي بها تخرج عن الشكّ إلى اليقين ، فإنما أقام الله القلب باعطاء هذه القوة لتخرج بها النفس عن تلك المرتبة التي شأنها بحسبها الشكّ و عدم الاستيقان إلى مرتبة اليقين ، ثمّ إذا كان بحكمته لا يخلّ باعطاء ما تحتاج إليه نفسك في وصولها إلى كمالها القابلة ، كيف يخلّ بما يحتاج إليه الخلق كلّهم ، لخروجهم عن حيرتهم و شكّهم إلى الاستيقان بما فيه بقاؤهم و نجاتهم عن الضلال و الهلاك ، فأولّ هذا الكلام تنبيه على حكمته المقتضية للصالح و الخير و إعطاء ما يحتاج إليه المستكمل في الخروج من النقصان إلى الكمال ، والوصول إلى النجاة عن الضلال ، و آخره الاستدلال من تلك الحكمة على اقامة الامام الذي انما يحصل نجاته الخلق عن حيرتهم و شكّهم بمعرفته ، والأخذ عنه ، و الاهتداء بهداه .

ثمّ التفت إليّ فقال لي : أنت هشام بن الحكم ؟ فقلت : لا ، قال : أمن جلسائه ؟ قلت : لا ، قال : فمن أين أنت ؟ قال : قلت : من أهل الكوفة قال : فأنت إنذا هو ، ثمّ ضمّني إليه ، وأقعديني في مجلسه وزال عن مجلسه وما نطق حتّى قمت ، قال : فضحك أبو عبد الله عليه السلام وقال : ياهشام من علمك هذا ؟ قلت : شيء أخذته منك وألفته ، فقال : هذا والله مكتوب في صحف إبراهيم وموسى .

٣- عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عمّن ذكره ، عن يونس بن يعقوب قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فورد عليه رجل من أهل الشام فقال : انّني رجل صاحب كلام وفقه وفرائض وقد جئت لمناظرة أصحابك ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : كلامك من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله أو من عندك ؟ فقال : من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله و من عندي فقال أبو عبد الله عليه السلام : فأنت إذا شريك رسول الله ؟ قال : لا ، قال : فسمعت الوحي عن الله عزّ

قوله : فقلت لا ، قال ذلك تورية للمصلحة ، ويمكن أن يكون غرضه لا - أخبرك به .

الحديث الرابع : مرسل .

و ذكر الفرائض بعد الفقه تخصيص بعد التعميم لغموض مسائلها بالنسبة الى سائر أبواب الفقه ، وكون اختلاف الامة فيها أكثر من غيرها ، وشدة اعتناء المخالفين بها ، ومدخلية علم الحساب فيها ، وهو [غير] مأخوذ من الشارع ، وربما يقال : المراد بالفرائض الواجبات وهو بعيد «لناظرة أصحابك» انما نسب المناظرة الى الاصحاب رعاية للأدب و «من» في قوله : «من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله» للابتداء أو للتعليل أو للتبويض .

قوله عليه السلام : فأنت إذا شريك رسول الله صلى الله عليه وآله ، يدل على بطلان الكلام الذي لم يكن مأخوذاً من الكتاب والسنة ، وأنته لا يجوز الاعتماد في أصول الدين على الأدلة العقلية ، وقيل : لما كان مناظرته في الامامة والمناط فيها قول الشارع قال له ذلك ، لأنّه إذا بني أمراً لا بدّ فيه من الرجوع الى الشارع على قول الرسول وقوله

و جلّ يخبرك ؟ قال : لا ، قال : فتجب طاعتك كما تجب طاعة رسول الله ﷺ ؟ قال : لا ، فالتفت أبو عبدالله عليه السلام اليّ فقال : يا يونس بن يعقوب هذا قد خصم نفسه قبل أن يتكلم ، ثمّ قال : يا يونس لو كنت تحسن الكلام كلمته ، قال يونس : فيالها من حسرة ، فقلت : جعلت فداك انّني سمعتك تنهى عن الكلام و تقول : ويل لأصحاب

معاً ، فيلزمه أن يجعل نفسه شريكه ﷺ في رسالته و في شرعه المدين ، فلمّا نفى الشركة قال عليه السلام فسمعت الوحي عن الله ، أى المبيّن لاصول الدين ، على الاول ، أو للإمامة على الثاني ، إعلام الله بها أو بتبيين وتعيين ممّن أوجب الله طاعته كطاعة رسول الله أو اعلام الله إمّا بواسطة الرسول أو بالوحي بلا واسطة ، و ما بواسطة الرسول فهو من كلامه لامن عندك ، فتعيّن عليك في قولك من عندى أحد الامرين إمّا الوحي اليك بسماعك عن الله بلا واسطة ، أو وجوب طاعتك كوجوب طاعة رسول الله ﷺ ، فلمّا نفاهما بقوله « لا » في كليهما لزمه نفى ما قاله و من عندى ، ولذا قال عليه السلام هذا خاصم نفسه قبل أن يتكلم ، و قيل : مخاصمة نفسه من جهة أنّه اعترف ببطالان ما يقوله من عنده ، لأنّ شيئاً لا يكون مستنداً إلى الوحي ولا إلى الرسول ، ولا يكون قائله في نفسه واجب الاطاعة لامحالة ، بل يكون باطلاً .

و أقول : يحتمل أن يكون الكلام الذى ردّد عليه السلام الحال فيه بين الامرين الكلام في الفروع من الفقه و الفرائض ، لأنّه لا مدخل للعقل فيها ، و لا بدّ من استنادها إلى الوحي ، فمن حكم فيها برأيه يكون شريكاً للرسول في تشريع الاحكام ، و التعميم أظهر .

« لو كنت تحسن الكلام » أى تعلمه كما ورد : قيمة المرء ما يحسنه « يالها من حسرة » النداء للتعجب و المنادى محذوف ، و لام التعجب متعلّق باعجبوا ، و « من حسرة » تميز من الضمير المبهم بزيادة من ، و الحسرة أشدّ التلهف على الشيء الفائت ، و قوله : فقال يونس ، إمّا على الالتفات أو بتقدير « قلت » بعده ، أو قال ذلك عند الحكاية للراوى .

الكلام يقولون : هذا ينقاد وهذا لا ينقاد ، وهذا ينساق وهذا لا ينساق ، وهذا نعقله وهذا لا نعقله ؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام : انما قلت : فويلٌ لهم ان تركوا ما أقول وذهبوا الى ما يريدون .

ثم قال لي : اخرج الى الباب فانظر من ترى من المتكلمين فأدخله ؟ قال : فأدخلت حران بن أعين وكان يحسن الكلام ، وأدخلت الأحول وكان يحسن الكلام وأدخلت هشام بن سالم وكان يحسن الكلام ، وأدخلت قيس بن الماصر وكان عندي أحسنهم كلاماً ، وكان قد تعلم الكلام من علي بن الحسين عليه السلام ، فلما استقر بنا المجلس - وكان أبو عبد الله عليه السلام قبل الحج يستقر أياً ما في جبل في طرف الحرم في فارة له مزرعة - قال : فأخرج أبو عبد الله عليه السلام رأسه من فازته فإذا هو ببعير يخب

وقوله : « هذا ينقاد وهذا لا ينقاد » أي انهم يزنون ماورد في الكتاب و السنة بميزان عقولهم وقواعدهم الكلامية ، فيؤمنون ببعض ويكفرون ببعض ، فانهم كثيراً ما يتركون ظواهر الكتاب والسنة لمناقضة آرائهم إياها ، فيقولون : هذا ينقاد لما وافق عقولهم ، وهذا لا ينقاد لما خالفها ، وهو المراد ايضاً بقوله : « هذا ينساق وهذا لا ينساق » .

وقيل : المعنى هذا ينجر إلى أمر كذا من محال أو تناقض أو دور أو تسلسل ، وهذا لا ينساق ، أي لا ينجر إليه ، وقيل : هذا ينقاد وهذا لا ينقاد ، إشارة الى مايقوله أهل المناظرة في مجادلاتهم : سلمنا هذا ولكن لا نسلم ذلك ، وهذا ينساق وهذا لا ينساق إلى قولهم للخصم : أن يقول كذا و ليس له أن يقول كذا .

« وهذا نعقله » أي تقبله عقولنا « ان تركوا ما أقول » أي ما ثبت من الشارع في الدين « فلما استقر بنا المجلس » الباء إمّا بمعنى في ، والمعنى على القلب ، أي إستقرنا فيه أو الاسناد على المجاز ، وإمّا للمصاحبة أو للتعدية ، وعلى الوجوه : المعنى كنّا لم نتظر حضور غيرنا ، والفازة بالفاء والراى مظلة بعمودين ، والخب : ضرب من العدو

فقال : هشامٌ وربُّ الكعبة ، قال : فظننّا أنّ هشاماً رجلٌ من ولد عقيل كان شديد المحبة له .

قال : فورد هشام بن الحكم وهو أوّل ما اختطّت لحيته ، و ليس فينا إلّا من هو أكبر سنّاً منه ، قال : فوسّع له أبو عبدالله عليه السلام وقال : ناصرنا بقلبه ولسانه و يده ، ثمّ قال : يا حمران كَلِّم الرجل ، فكلّمه فظهر عليه حمران ، ثمّ قال : يا طاقى كلّمه فكلّمه فظهر عليه الأُحول ، ثمّ قال : يا هشام بن سالم كلّمه ، فتعارفا ، ثمّ قال أبو عبدالله عليه السلام لقيس الماصر : كلّمه فكلّمه فأقبل أبو عبدالله عليه السلام يضحك من كلامهما ممّا قد أصاب الشاميّ .

فقال للشاميّ : كلّم هذا الغلام - يعني هشام بن الحكم - فقال : نعم فقال لهشام : يا غلام سلني في امامة هذا ، فغضب هشام حتّى ارتعد ثمّ قال للشاميّ : يا هذا أربك أنظر لخلقه أم خلقه لا نفسهم ؟ فقال الشاميّ : بل ربّي أنظر لخلقه ، قال : ففعل بنظره لهم ماذا ؟ قال : أقام لهم حجةً و دليلاً كيلا يتشتتوا أو يختلفوا ، يتألفهم و يقيم أودهم

ذكرهما الجوهري «هوشديد المحبة له» اي هشام له عليه السلام أو بالعكس ، قال الجوهري : اختطّ الغلام اي ثبت عذاره «فتعارفا» في اكثر النسخ بالعين و الراء المهملتين والفاء ، اي تكلمّا بما عرف كلّ منهما صاحبه و كلامه بالاغلبة لا حدّهما على الآخر ، و في بعضها بالواو و الفاء اي تعوّق كل منهما عن الغلبة و في بعضها بالفاء و الراء و القاف و هو ظاهر ، و في بعضها بالعين و الراء و القاف اي وقعا في العرق كناية عن طول المناظرة «مما قد أصاب الشاميّ» بالنصب اي من المغلوبة و الخجلة ، أو بالرفع فما مصدرية اي إصابة الشاميّ و خطأ قيس ، فالضحك لعجز قيس «فغضب هشام» لسوء ادب الشامي بالنسبة الى جنبه عليه السلام «أربك أنظر» يقال : نظر له كضرب و علم نظراً : أعانه ، و النظرة بالفتح الرحمة «كيلا يتشتتوا» اي لا يتفرّقوا في مذاهبهم و مسالكهم و آرائهم ، و الاود : بالتحريك الاعوجاج ، اي يزيل إعوجاجهم و إعطافهم عن الحقّ باقامتهم .

و يخبرهم بفرض ربهم، قال : فمن هو؟ قال : رسول الله ﷺ ، قال هشام : فبعد رسول الله ﷺ ؟ قال : الكتاب و السنة ، قال هشام : فهل نفنعا اليوم الكتاب و السنة في رفع الاختلاف عنا؟ قال الشامي : نعم ، قال : فلم اختلفنا أنا و أنت و صرت إلينا من مخالفتنا إياك؟ قال : فسكت الشامي ، فقال أبو عبد الله عليه السلام للشامي : مالك لا تتكلم؟ قال الشامي : ان قلت : لم نختلف كذبت ، و إن قلت : ان الكتاب و السنة يرفعان عنا الاختلاف أبطلت ، لأنهما يحتملان الوجوه و إن قلت : قد اختلفنا و كل واحد منا يدعي الحق فلم ينفعنا إذن الكتاب و السنة إلا أن لي عليه هذه الحجة؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام : سله تجده ملياً .

فقال الشامي : يا هذا من أنظر للخلق أربهم أو أنفسهم؟ فقال هشام : ربهم أنظر لهم منهم لأفسهم ، فقال الشامي : فهل أقام لهم من يجمع لهم كلمتهم و يقيم أودهم و يخبرهم بحقهم من باطلهم؟ قال هشام : في وقت رسول الله ﷺ أو الساعة؟

قوله : فلم اختلفت أنا و أنت؟ فان عارض بآته مع قولك ايضاً الاختلاف واقع بيننا و بينك فلم ينفع وجود الامام؟ يجاب بآته لا بد في لطف الله تعالى و حكمته أن يعين لهم حجة إذا رجعوا إليه يرتفع الاختلاف عنهم ، فاذا لم يرجعوا إليه و حصل الاختلاف كان التفصيل منهم ولم يكن لهم على الله حجة .

قوله : وكل منا يدعي الحق، اي يدعي في قوله ان الله الحق دون قول مخالفيه، و لما لم يبق له سبيل إلى النقض التفصيلي و الدخل في مقدمة من المقدمات أراد سلوك سبيل المعارضة بالمثل أو النقض الاجمالي و الأول أظهر ، و في النهاية : يقال : أبطل إذا جاء بالبطل ، و قال : الملىء بالهمز : الثقة الغنى ، و قد ملا فهو ملىء و قد أولع الناس بترك الهمزة و تشديد الياء « انتهى » و المراد هنا تجده غنياً بالعلم ، مقتدرأ على المناظرة ، و قيل : فاعيل بمعنى مفعول ، اي حملوا علماً أو بمعنى فاعل من ملىء كعلم و حسن اي امتلاء .

قال الشامي: في وقت رسول الله رسول الله ﷺ و الساعة من؟ فقال هشام: هذا القاعد الذي تشد إليه الرّحال، ويخبرنا بأخبار السماء [و الأرض] ورائة عن أب عن جد، قال الشامي: فكيف لي أن أعلم ذلك؟ قال هشام: سله عما بدالك، قال الشامي: قطعت عذري فعليّ السؤال.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا شامي! أخبرك كيف كان سفرك؟ وكيف كان طريقك؟ كان كذا وكذا، فأقبل الشامي يقول: صدقت، أسلمت لله الساعة، فقال أبو عبد الله عليه السلام:

قوله: قال الشامي في وقت رسول الله ﷺ، أي ظاهراً و كان الرسول، و في بعض النسخ بعد ذلك رسول الله ﷺ و هو أظهر، و لعله سقط من النسخ لتوهم التكرار.

قوله: تشد إليه الرّحال، هو جمع الرّحل و هو ما يستصعبه المسافرين من الاثاث، و القتب للبعير، والظرف متعلق بتشدد بتضمنين معنى التوجه، أي يتوجه إليه علماء كل بلد للاستفادة منه.

قوله: ورائة عن أب عن جد، أي هذه الحالة وهي الامامة المستلزمة للعلم بالمغيبات، و الاخبار بأخبار السماء و الأرض ورائة عن أب عن جد. إذ كلّ منهم عليه السلام و ارث و وصى لمن تقدّمه، أو الاخبار ورائة، و قوله: «يخبرنا» على الأوّل بيان لطريق العلم بكونه وصياً و اماماً، فإنّ الاخبار معجزة، و قوله: «فكيف لي أن أعلم ذلك» أي الاخبار بالمغيبات؟ فأجاب بأنّ طريقه السؤال عما لا طريق الى علمه إلا من قبل الله، و على الثاني: الاخبار إنّما يكون طريقاً الى العلم لأنّه إذا كان هو من بين الامة عالماً بما يخفى على غيره ولا يخفى عليه ما يعلمه غيره فيكون أولى بالخلافة و الامامة، و لهذا قال: سله عما بدالك على التعميم في المسؤول عنه تعميماً لا يحيط به النقل، ولا تحصره الرواية، و يمكن أن يكون ذلك إشارة الى العلم بامامته عليه السلام، أمّا على الأوّل فبأن يحمل على أنّه لم يفهم مقصود هشام من قوله يخبرنا، و على الثاني فبأنّ الاخبار ورائة لا يكون دليلاً عليها، و الجواب مأمور و الأوّل أظهر.

بل آمنت بالله الساعة ، إنَّ الاسلام قبل الايمان و عليه يتوارثون و يتناكحون ، و الايمان عليه يثابون ، فقال الشامي : صدقت فأنا الساعة أشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله ﷺ و أنك وصي الأوصياء .

ثم التفت أبو عبد الله عليه السلام إلى حمران ، فقال : تجري الكلام على الأثر فتصيب ؛ و التفت إلى هشام بن سالم ، فقال : تريد الأثر ولا تعرفه ، ثم التفت إلى الأحول ،

قوله : إنَّ الاسلام قبل الايمان ، سيأتي معانيهما في كتاب الايمان والكفر ، و يدلّ على أنَّ الاسلام هو الاعتقاد بالتوحيد والرسالة والمعاد وما يلزمها سوى الامامة ، و الايمان هو الاعتقاد القلبي بجميع العقائد الحقّة التي عمدتها الاقرار بجميع أئمة الحق ﷺ ، و يدلّ على أنَّ الاحكام الدينيّة تترتب على الاسلام ، وأمّا الثواب الاخرى فلا يكون له إلاّ بالايمان ، فالمخالفون لا يدخلون الجنة أبداً ، و على انه يجوز نكاح المخالفين و إنكاحهم ، و يكون التوارث بينهم و بين المؤمنين ، و على عدم دخول الاعمال في الايمان ، و سيأتي الكلام في جميع ذلك في مظانها إنشاء الله تعالى ، و قبلية الاسلام بالنسبة إلى الايمان إمّا ذاتي كقصد الكلي على الجزئي و الكل على الجزء ، أو المعنى انه يمكن حصول الاسلام قبل الايمان بالزمان و إن أمكن مقارنتهما ، و الحاصل أنَّ النسبة بينهما العموم و الخصوص المطلق .

قوله عليه السلام : تجري الكلام على الأثر ، اى على الأخبار المأثورة عن النبي و أئمة الهدى صلوات الله عليهم فتصيب الحق ، و قيل : على حيث ما يقتضي كلامك السابق ، فلا يختلف كلامك بل يتعاقد .

أقول : ويحتمل أن يكون المراد على أثر كلام الخصم ، اى جوابك مطابق للسؤال ، و الاول أظهر .

« تريد الأثر » اى تريد أن تبني كلامك على الخبر عن رسول الله ﷺ ، و لا تعرفه ، لعدم التتبّع في الاخبار ، أو عدم القدرة على الاستنباط « قياس » بالقياس

فقال : قياس رَوَّاغٍ ، تكسر باطلاً بباطل إلا أن باطلك أظهر ، ثم التفت إلى قيس الماصر ، فقال : تتكلم و أقرب ما تكون من الخبر عن رسول الله ﷺ أبعد ما تكون منه ، تمزج

الفقهى أو المنطقى ، «رَوَّاغٍ» أى ميثال عن الحق ، أو مميل كثير الميل عما يوجب غلبة الخصم عليك ، من قولهم راغ عن الشيء أى مال و حاد ، و منه روغان الثعلب «إلا أن باطلك أظهر» أى أغلب على الخصم ، أو أوضح أو أشبه بالصواب «و أقرب ما يكون» أقرب مرفوع بالابتداء و مضاف الى الموصول ، و «يكون» تامة أو ناقصة بتقدير الخبر ، و الضمير المستتر فيه لما و «من» صلة لا قرب أو تبعيضيه ، و أبعد خبر و ضمير « منه » للخبر ، و الجملة حال عن فاعل تتكلم ، أو كلمة «ما» مصدرية أى أقرب أوقات كون كلامك من الخبر أبعدا .

ويحتمل أن يكون أبعد منصوباً على الحالية ساداً مسدً الخبر كما في قولهم : أخطب ما يكون الأمير قائماً ، على إختلافهم في تقدير مثله كما هو مذكور في محله . قال الرضي رضى الله عنه في شرحه على الكافية بعد نقل الأقوال في ذلك : و اعلم انه يجوز رفع الحال الساد مسدً الخبر عن أفعال المضاف إلى «ما» المصدرية الموصولة بكان أو يكون ، نحو أخطب ما يكون الأمير قائم ، هذا عند الاخفش و المبرّد ، ومنعه سيبويه و الأولى جوازه ، لائتك جعلت ذلك الكون أخطب مجازاً فجاز جعله قائماً أيضاً ، ثم قال : و يجوز أن يقدّر في أفعال المذكور زمان مضاف إلى ما يكون لكثرة وقوع ما المصدرية مقام الظرف ، نحو قولك : ما ذرّ شارق^(١) فيكون التقدير أخطب ما يكون الأمير قائم ، أى أوقات كون الأمير ، فتكون قد جعلت الوقت أخطب و قائماً كما يقال : نهاده صائم و ليله قائم ، انتهى .

و على التقادير : المراد بيان بعد كلامه عن الاثر و أن كلما يزعمه أقرب إلى الخبر فهو أبعد منه ، و قال بعض الأفاضل : أى تتكلم و كلامك أقرب ما يكون من الخبر عن رسول الله ﷺ أبعد ما يكون منه ، أى مشتمل عليهما تمزج الحق القريب

الحق مع الباطل وقليل الحق يكفي عن كثير الباطل ، أنت والأحول قفازان حاذقان ، قال يونس : فظننت والله أنه يقول لهشام قريباً ممّا قال لهما ، ثم قال : يا هشام لا

منه من الخبر مع الباطل البعيد عنه ، ولو اكتفيت بالحق عن الباطل لأصبحت ، وقليل الحق يكفي عن كثير الباطل .

و يحتمل وجهين آخرين « أحدهما » كون الضمير في قوله : أبعد ما يكون منه ، راجعاً إلى الكلام ، والمعنى يتكلم والحال أن أقرب ما يكون من الخبر عن رسول الله ﷺ أبعد ما يكون من كلامك « و ثانيهما » أن يكون راجعاً إلى الخبر ، ويكون المعنى والحال أن أقرب ما تكون من الخبر عن رسول الله أبعد ما يكون من الخبر عنه في كلامك وبحسب حملك و تنزيلك ، والأول أظهر ؛ وفي بعض النسخ أقرب ما تكون بلفظ الخطاب ، أي أقرب حالك التي تكون عليها من الخبر أبعد حالك عنها ، وحاصله أنه إذا أردت القرب من الخبر والموافقة له تقع في المخالفة والبعد عنه .

« قفازان » بالقاف والفاء المشددة والزاي من القفز وهو الوثوب ، أي وثابان من مقام إلى آخر غير ثابتين على أمر واحد ، وقيل : هو من القفيز وهو المكيال ، والمراد علم الميزان ، وفي بعض النسخ بالراء المهملة من الفقر وهو المتابعة والافتاء وفي بعضها بتقديم الفاء على القاف من فقرت البئر أي حفرت ، والفقر أيضاً : ثقب الخزر للنظم ومناسبتها ظاهرة « لا تكاد تقع » أي لا يقرب وقوعك على الأرض و مغلوبيتك « تلوى رجليك إذا هممت بالأرض » أي قصدت الوقوع على الأرض تنزلاً لما شاة الخصم ، أو قربت من الوقوع مجازاً ، ولويت الجبل فتلته ، ولوى الرجل رأسه : أمال ، والحاصل أنك كلما قربت من الأرض وخفت الوقوع عليها لويت رجليك كما هو شأن الطير عند إرادة الطيران ، ثم طرت ولم تقع ، والغرض أنك لا تغلب من خصمك قط ، وإذا قرب أن يغلب إليك ويعجزك تجد مفرّاً حسناً فتغلب عليه .

و الزلة هي ما وقع منه في زمن الكاظم صلوات الله عليه من مخالفته ﷺ حين

تكاد تقع ، تلوي رجلبك إذا هممت بالأرض طرت مثلك فليكنم الناس ، فاتق الزلّة ،
والشفاعة من ورائها إن شاء الله .

٥ - عدّةٌ من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن عليّ بن الحكم ، عن
أبان قال : أخبرني الأحول : أن زيد بن عليّ بن الحسين عليه السلام بعث إليه وهو مستخف
قال : فأتيته فقال لي : يا أبا جعفر ما تقول إن طرقت طارقاً منّا أخرج معه ؟ قال :
فقلت له : إن كان أباك أو أخاك خرجت معه ، قال : فقال لي : فأنا أريد أن أخرج

أمره بترك الكلام تقيّةً و اتقاءً وإبقاءً عليه وعلى نفسه صلوات الله عليه ، كما روي
الكشي عن أبي يحيى الواسطي عن عبد الرحمن بن حجاج قال : سمعته يؤدّي الى هشام
بن الحكم رسالة أبي الحسن عليه السلام قال : لا تتكلم فأنه قد أمرني أن آمرك أن لا
تتكلم قال : فما بال هشام يتكلم وأنا لا أتكلم ؟ قال : أمرني أن آمرك أن لا تتكلم
أنا رسولك إليك ، قال أبو يحيى : أمسك هشام بن الحكم عن الكلام شهراً ثم تكلم ،
فأتاه عبد الرحمن بن الحجاج فقال : سبحان الله يا أبا محمد تكلمت وقد نهيت عن الكلام؟
فقال : مثلي لا ينهي عن الكلام ، قال أبو يحيى : فلما كان من قابل أتاه عبد الرحمن بن
الحجاج فقال له يا هشام : قال لك أيسرّك أن تشرك في دم إمراء مسلم ؟ قال : لا ، قال :
فكيف تشرك في دمي ؟ فان سكتّ وإلا فهو الذبح ، فما سكت حتى كان من أمره ما
كان صلى الله عليه ، وذكر نحواً من ذلك بأسانيد ، وله قصة طويلة في مناظرته في بيت يحيى
البرمكي و هارون خلف التستر ، وإن ذلك صار سبب موته ، لكن فيه مدائح كثيرة
تغلب ذمّه ، ولعلّ هذه الزلّات التي كانت لشدة حبّهم و رسوخهم في الدين مقرونة
بالشفاعة والمغفرة كما وعده عليه السلام ، وقد أشبعت الكلام في ذلك في الكتاب الكبير .

الحديث الخامس : موثق كالصحيح .

«إن طرقت طارقاً منّا، أي دخل عليك بالليل خوفاً من الظلمة طارقاً منّا أهل
البيت يدعوك إلى معاونته في رفع شرّ الظلمة أخرج معه لمعاونته ؟ وقد يطلق الطارق
على مطلق النازل ليلاً كان أو نهاراً » فقلت له : إن كان أباك أو أخاك « أي إن كان

أجاهد هؤلاء القوم فاخرج معي ، قال : قلت : لا، ما أفعل جعلت فداك .
قال : فقال لي : أترغب بنفسك عني ؟ قال : قلت له : إنما هي نفس واحدة

الطارق أو مرسله إماماً مفترض الطاعة كأبيك و أخيك يدعوني إلى الخروج معه
خرجت معه .

واعلم أن الأخبار في حال زيد مختلفة ، ففي بعضها ما يدل على أنه إدعى الإمامة
فيكون كافراً ، وفي كثير منها أنه كان يدعو إلى الرضا من آل محمد وأنه كان غرضه دفع
هؤلاء الكفرة وردّ الحق إلى أهله ، وربما يقال : أنه كان مأذوناً عن الصادق عليه السلام
باطناً و إن كان ينهاء بحسب الظاهر تقيّة وفيه بعد ، و قيل : كان جهاده لدفع
شرهم عنه و عن أهل البيت عليهم السلام كجهاد المرابطين في زمن الغيبة لدفع الكفرة ، أو
كمجاهد المرء عدوّه على سبيل الدفع عن نفسه و حرمة ماله ، و إجماله في القول
لثلاث تخلف عنه العامة و تنصّر منه الخاصة ، و لعلّ جملة على أحد هذه الوجوه أولى ،
فإن الأصل فيهم كونهم مشكورين مغفودين ، وقد وردت الأخبار في النهي عن التعرّض
لأمثالهم بالذمّ ، وأنهم يوقفون عند الموت للرجوع إلى الحق ، والاعتقاد بإمام العصر
« أترغب بنفسك عني » أي أترغب عني ولا تميل إليّ بسبب نفسك ، و خوفاً عليها
أن تقتل ، أو المعنى أتمدّ نفسك أرفع من أن تبايعني أو ترى لنفسك فضلاً فتحافظ
عليها مالم تحافظ عليّ ، أو فتظنّ أنّك أعرف بأمر الدين منّي و إنّ ما تراه في ترك
الخروج لدفع شر هؤلاء أولى ممّا أراه من مجاهدتهم لدفعهم ، قال في النهاية : فيه ،
إنّي لا رغب بك عن الأذان ، يقال رغبت بفلان عن هذا الأمر إذا كرّهته و زهدت له فيه ،
و في القاموس : رغب بنفسه عنه بالكسر : رأى لنفسه عليه فضلاً .

« إنما هي نفس واحدة » أي ليس لي نفسان إن أتلفت إحداها في معصية الله
تداركت بالآخرى طاعة الله ، فلا بدّ لي من أن أنظر لها و لا أضيعها ، و قيل : المعنى
لست إلا رجلاً واحداً ليس لي أتباع فلا ينفعك نصرتي ، ويحتمل أن يراد أن الحجة
نفس واحدة ، و معلوم أنّ أخاك أو ابن أخيك حجة فكيف تكون أنت حجة ، و

فإن كان الله في الأرض حجّة فالتخلف عنك ناجٍ والخارج معك هالك وإن لا تكن لله حجّة في الأرض فالتخلف عنك والخارج معك سواء .

قال : فقال لي : يا أبا جعفر كنت أجلس مع أبي على الخوان فيلقمني البضعة السمينة ويرد لي اللقمة الحارّة حتى تبرّد ، شفقة عليّ ، ولم يشفق عليّ من حرّ النار ، إذا أخبرك بالدين ولم يخبرني به ؟ فقلت له : جعلت فداك من شفقتك عليك من حرّ النار لم يخبرك ، خاف عليك أن لا تقبله فتدخل النار ، وأخبرني أنا ، فإن قبلت نجوت ، وإن لم أقبل لم يبال أن أدخل النار ، ثم قلت له : جعلت فداك أنتم أفضل أم

الاول أظهر .

ثم أخذ في الاستدلال على أنّه لا ينبغي أن يخرج معه بقوله : «فإن كان الله في الأرض حجّة فالتخلف عنك ناجٍ ، لأنك لست بذاك » و الخارج معك هالك ، لأنّ إمامي منعني عن الخروج ، أو لأنّ إجابة من ليس بحجّة إلى الخروج والطاعة و الانقياد له مع وجود الحجّة هلاك وضلال « وإن لا تكن لله حجّة ، فاجابة غير الحجّة و التخلف عنه سواء في الدين ، وليس شيء منهما مكلفاً به و في الاجابة إلقاء النفس الى التهلكة ، ولامفسدة في التخلف ، فقال له زيد - معرضاً عن إبطال حجّته مفصلاً ، مقتصراً على الإشارة إليه إجمالاً - بأنّه لو كان هذا الخروج الذي أريده محظوراً لأخبرني به أبي ﷺ ، وإنّه مع كمال شفقتك عليّ لم يكن يخبرك و أمثالك بما يتعلق بالدين ، و لا يخبرني به ، أو المراد أنّه كيف أخبرك و أمثالك بالامام و لم يخبرني به ؟ فقال له الأ حول على طريقة الجدول : لعلّه لم يخبرك لشفقتك عليك مخافة أن لا تقبله ، وأخبرني لعدم الداعي الى عدم القبول « وإن لم أقبل لم يبال أن أدخل النار » و انما قال ذلك تنزيلاً ، لأنّه كيف يتصور عدم علمه بامامة أخيه في مدّة حياة والده ﷺ وبعده .

وفي النهاية : الخوان بالكسر : الذي يؤكل عليه ، معرّب ، وقال : البضعة بالفتح القطعة من اللحم .

الانبياء؟ قال : بل الانبياء قلت : يقول يعقوب ليوسف : يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً ، لم لم يخبرهم حتى كانوا لا يكيدونه ولكن كتمهم ذلك فكذا أبوك كتمك لأنه خاف عليك ، قال : فقال : أما والله لئن قلت ذلك لفقدتني صاحبك بالمدينة أني أقتل وأصلب بالكناسة وأنّ عنده لصحيفة فيها قتلي وصلبي . فحجبت فحدثت أبا عبد الله عليه السلام بمقالة زيد وما قلت له ، فقال لي : أخذته من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوق رأسه ومن تحت قدميه ، ولم تترك له مسلماً يسلكه .

﴿باب طبقات الانبياء والرسل والائمة عليهم السلام﴾

١- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن أبي يحيى الواسطي ، عن هشام بن سالم ؛

قوله : «أما والله لئن قلت ذلك» الظاهر أنّ هذا على سبيل الإنكار ، وقيل : لما كان بناء كلام الأُحول على ظنه بزيد أنّه غير مقرر بالامامة ، وغير عارف بامامه ، ولم تكن المصلحة في إظهار حاله والتصريح ببطلان ظنه ومقاله ، أعرض عن التعرّض لجوابه ، وقال تنبيهاً له على أنّ مجاهدته ليس لنيل الرياسة ولا لجهله بالامامة كما ظنه ، بل لأمر آخر «والله لئن قلت ذلك» وظننت بي ماظننت «فلقد حدثني صاحبك» الذي هو الحجّة «بالمدينة» وأنا أو اليه وآخذ عنه «إنّي أقتل وأصلب بالكناسة» بالضم إسم موضع بالكوفة ، والغرض أنّه يعلم من قول من لا يشكّ في صدقه مصير أمره ، وإنّما يريد المجاهدة لما يجوز له بمراعاة من الحجّة ومشورته .

«أخذته من بين يديه» أي لم تترك له طريق جواب أصلاً ، وقيل : ذكر الجهات الست إشارة إلى الست الفقرات التي تكلم بها الأُحول .

باب طبقات الانبياء والرسل والائمة عليهم السلام

الحديث الاول : ضعيف

وقوله : درست إمّا معطوف على هشام ، والضمير في عنه راجع الى الامام عليه السلام ، أو الى هشام ، ينقله عنه بواسطة ايضاً ، أو على أبي يحيى والضمير راجع الى هشام .

و درست بن أبي منصور ، عنه قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : الأنبياء والمرسلون على أربع طبقات : فنبي منبأ في نفسه لا يعدو غيرها ، و نبي يرى في النوم و يسمع الصوت و لا يعاينه في اليقظة ، و لم يبعث إلى أحد و عليه إمامٌ مثل ما كان إبراهيم على لوط

قوله عليه السلام : الأنبياء والمرسلون ، اى مجموع الصنفين علي التداخل ينقسم إلى الأربع لاكل منهما ، فلا ينافي ما سيأتي في الباب الآتي من الفرق بين النبي و الرسول ، و يحتمل أن يكون هذا التقسيم مبنياً على إصطلاح آخر ، و الاول أظهر . قال شارح المقاصد : النبوة هو كون الانسان مبعوثاً من الحق إلى الخلق ، فان كان النبي مأخوذاً من النبوة و هو الارتفاع لعلو شأنه و إشتهار مكانه أو من النبي بمعنى الطريق لكونه وسيلة إلى الحق ، فالنبوة على الاصل كالأبوة ، و إن كان من النبأ بمعنى الخبر لانبائه عن الله تعالى ، فعلى قلب الهمزة واداً ثم الإدغام كالمرؤة ، و قال : النبي هو انسان بعثه الله لتبليغ ما أوحى اليه ، و كذا الرسول وقد يخص بمن له شريعة وكتاب ، فيكون أخص من النبي ، و اعترض بما ورد في الحديث من زيادة عدد الرسل على عدد الكتب ، فقيل : هو من له كتاب أو نسخ لبعض أحكام الشريعة السابقة ، و النبي قد يخلو عن ذلك كيوشع عليه السلام ، و في كلام بعض المعتزلة أن الرسول صاحب الوحى بواسطة الملك ، و النبي هو المخبر عن الله بكتاب أو إلهام أو تنبيه في منام ، انتهى .

أقول : وسيأتي تحقيق القول في ذلك .

قوله : فنبي منبأ في نفسه ، أقول : الفرق بينه و بين الثاني لا يخلو من اشكال ، و يمكن توجيهه بوجهين :

الاول : أن يكون المراد بقوله : منبأ في نفسه لا يعدو غيرها ، أنه لا يتعلق بنبوته شيء غير نفسه ، لا ملك يسمع صوته أو يعاينه ، و لا أحد يبعث إليه و الثاني ليس بمقصود على ذلك ، بل يسمع كلام الملك ايضاً بحيث لا يراه في اليقظة ، فيكون

عليه السلام ونبي يرى في منامه ويسمع الصوت ويعاين الملك ، وقد أرسل إلى طائفة قتلوا
أو كثروا ، كيونس قال الله ليونس : «و أرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون»^(١) قال : يزيدون :

القسمان مشتركين في عدم البعثة إلى أحد ، وإتما الفرق بسماع الصوت في اليقظة و
عدمه ، و التشبيه بلوط عليه السلام في محض كونه عليه إمام ، لأنّ لو طأ كان من المرسلين ،
و كان مبعوثاً على أمة عذّبوا بمخالفته .

و الوجه الثاني : أن يكون الأوّل من لم يبعث إلى أحد أصلاً ، و الثاني من
يكون مبعوثاً لكن لا من قبل الله ، بل من قبل الامام بأن يكون لو طاً مبعوثاً من
قبل إبراهيم عليه السلام إليهم لامن قبل الله ، و إن كان نبياً فيكون التشبيه كاملاً ، و
يكون قوله سبحانه «و إنّ لو طاً لمن المرسلين»^(٢) يعني به أنّه من المرسلين من قبل
الامام ، و المراد بعدم المعاينة عدمها عند إلقاء الحكم و سماع الصوت المشتمل على
بيان الحكم الشرعي ، فلا ينافي رؤية لو ط عليه السلام الملائكة المرسلين^(٣) لتعذيب قومه
و سماعه أصواتهم ، و يمكن أن يكون المراد رؤيتهم بصورتهم الاصلية ، و هو عليه السلام
رآهم في صورة البشر ، أو رؤيتهم عند معرفة أنّهم ملائكة ، فيمكن أن يكون حين
عرفهم لم يكن يراهم ، و لكن يسمع أصواتهم والظرف في قوله : في اليقظة ، متعلق
بسمع الصوت ولا يعاينه على التنازع .

و قوله تعالى «أو يزيدون» ممّا يوهم الشكّ و هو محال على الله سبحانه .
و اجيب بوجوه : «الاول» أنّ المعنى أو يزيدون في تقديركم ، بمعنى أنّه إذا
رآهم الرائي منكم قال : هؤلاء مائة ألف أو يزيدون على المائة ألف «الثاني» أنّ أو
بمعنى الواو «الثالث» إنّ أو بمعنى بل «الرابع» أنّه لا لبهام على المخاطبين «الخامس»
ما قيل : أنّه لما كان إرسال يونس إلى قومه امرأ مستمراً و كان قومه في بعض أوقات

(١) سورة الصافات : ١٤٧ .

(٢) سورة الصافات : ١٣٣ .

(٣) المقربين ، خ ل .

ثلاثين ألفاً و عليه إمامٌ ، و الذي يرى في نومه و يسمع الصوت و يعاين في اليقظة وهو إمامٌ مثل أولي العزم وقد كان إبراهيم عليه السلام نبياً وليس بإمام حتى قال الله : «إنتي جاعلك للناس إماماً قال : ومن ذرئتي فقال الله : لا ينال عهدي الظالمين» ^(١) من عبد صنماً أو وثناً لا يكون إماماً .

الارسال مائة ألف و زادوا بالتوالد في بعض الاوقات إلى أن صاروا مائة و ثلاثين ألفاً استعمل «أو» لبيان أن المرسل إليهم على قسمين ، ففي بعض الاوقات مائة ألف ، و في بعضها يزيدون ، و لم يذكر قدر الزيادة إشارة إلى انه في كل وقت من اوقات الزيادة غير ما في الاوقات الاخرى ، فبيّن عليه السلام أن منتهى الزيادة ثلاثون ألفاً .

و قال الطبرسي (ره) : و اختلف في الزيادة على مائة ألف كم هي ؟ فقيل : عشرون ألفاً عن ابن عباس و مقاتل ، و قيل : بضع و ثلاثون ألفاً عن الحسن و الربيع ، و قيل : سبعون ألفاً عن مقاتل بن حيان .

قوله : و عليه امام ، أى موسى عليه السلام و الامام من تكون له الرياسة العامة و يتبعه كل من يأتي بعده إلى أن تنسخ شريعته ، و هذا المعنى ثابت لجميع أولوا العزم ، و لا نمتنا صلوات الله عليهم ، و قوله عليه السلام : من عبد صنماً أو وثناً لم يكن إماماً ، إما تفسير لقوله تعالى : «لا ينال عهدي الظالمين» او متفرّع و مترتب عليه و هذا أنسب بساير الاخبار ، فيكون تعريضاً لائمة المخالفين الذين كانوا في اكثر عمرهم مشركين ، فعلى الاول المراد بالظلم الكفر و الشرك ، و بالعهد الامامة ، و على الثاني فالظلم على عمومته و العهد شامل للامامة و ما في حكمها ، و هو في الاصل ما يكتب للولادة ، من عهد إليه كعلم إذا أوصاه ، و هنا كناية عن خلافة الله في أرضه .

و قال الطبرسي (ره) قال مجاهد : العهد الامامة و هو المروى عن أبي جعفر و أبي عبد الله عليهما السلام ، أى لا يكون الظالم إماماً للناس فهذا يدل على انه يجوز ان يعطى ذلك بعض ولده إذا لم يكن ظالماً لأنه لو لم يرد أن يجعل أحداً منهم إماماً للناس

لوجب أن يقول في الجواب : لا ، أو لا ينال عهدي فدينتك ، وقال الحسن : إن معناه أن الظالمين ليس لهم عند الله عهد يعطيهم به خيراً وإن كانوا قديعاهدون في الدنيا فيوفى لهم ، وقد يجوز في العربية أن يقال لا ينال عهدي الظالمين ، لأن ما نالك فقد نلت ، وقد روى ذلك في قرائة ابن مسعود ، واستدل أصحابنا بهذه الآية على أن الامام لا يكون إلا معصوماً عن القبائح ، لأن الله سبحانه نفى أن ينال عهده الذي هو الامامة ظالم ، ومن ليس بمعصوم فقد يكون ظالماً إما لنفسه وإما لغيره ، فإن قيل : إنما نفى أن يناله في حال ظلمه ، فإذا تاب فلا يسمى ظالماً ، فيصح أن يناله ؟ فالجواب أن الظالم وإن تاب فلا يخرج من أن تكون الآية قد تناولته في حال كونه ظالماً ، فإذا نفى أن يناله فقد حكم بأنه لا ينالها ، والآية مطلقة غير مقيدة بوقت دون وقت ، فيجب أن تكون محمولة على الاوقات كلها ، فلا يناله الظالم وإن تاب فيها بعد ، انتهى كلامه رفع الله مقامه .

فان قلت : على القول باشتراط بقاء المشتق منه في صدق المشتق كيف يستقيم الاستدلال ؟

قلت : لا ريب أن الظالم في الآية يحتمل الماضي والحال ، لأن إبراهيم عليه السلام إنما سئل ذلك لذريته من بعده ، فأجاب تعالى بعدم نيل العهد لمن يصدق عليه أنه ظالم بعده ، فكل من صدق عليه بعدم مخاطبة الله تعالى لإبراهيم بهذا الخطاب أنه ظالم ، و صدر عنه الظلم في أي زمان من أزمنة المستقبل يشمل هذا الحكم ، أنه لا يناله العهد .

فان قلت : تعليق الحكم بالوصف مشعر بالعلية ؟

قلت : العلية لا تدل على المقارنة ، إذ ليس مفاد الحكم إلا أن عدم النيل إنما هو للاتصاف بالظلم في أحد الأزمنة المستقبلية بالنسبة إلى صدور الحكم فتدبر . وقال بعض الأفاضل : في الخبر دلالة على أن المراد بالظالم من ظلم وسبق ظلمه ، حيث قال : من عبد صنماً ولم يقل من لم يعبد ، ولم يدخل الفاء في الخبر

٢ - محمد بن الحسن ، عمن ذكره ، عن محمد بن خالد ، عن محمد بن سنان ، عن زيد الشحام قال : سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول : ان الله تبارك و تعالى اتخذ ابراهيم عبداً قبل ان يتخذه نبياً و ان الله اتخذهُ نبياً قبل ان يتخذه رسولاً و ان الله اتخذهُ رسولا قبل ان يتخذه خليلاً و ان الله اتخذهُ خليلاً قبل ان يجعله اماماً ، فلما جمع له الأشياء قال «إني جاعلك للناس اماماً» قال : فمن عظمتها في عين ابراهيم قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين ، قال : لا يكون السفيه امام التقى .

دلالة على عدم إرادة معنى الشرط ، وايضا فكما كان الخليل عليه السلام يسأل الامامة ويريدها لظالم حين ظلمه إنما يدخل في سؤاله الذي سبق ظلمه ، وهو غير متلبس به ، فأجاب باخراج من ظلم و سبق منه الظلم ، و يحتمل أن يكون مراد الخليل عليه السلام أخذ العهد لذريته بالامامة ، في ضمن عهد امامته ، و الجواب من يفعل منهم ظلماً لا ينال عهد الامامة ، فذريته على العموم لا يصح إدخالهم في العهد ، فان من ذريته من يعبد الصنم و الوثن .

الحديث الثاني : ضعيف ، وتقدم النبوة على الرسالة ظاهر ، و كذا الرسالة على الخلّة فانّها فراغ القلب عن جميع ما سوى الله ، و عدم التوسل في شيء من الامور إلى سواه ، و كل رسول لا يلزم أن تكون له هذه الدرجة ، و الامامة التي هي الرياسة العامة لجميع الخلق ، و كون من بعده من الانبياء تابعين له أفضل من الجميع .

قوله عليه السلام : فلما جمع له ، على بناء المعلوم أو المجهول «الأشياء» أي المذكورة سابقاً .

قوله عليه السلام : لا يكون السفيه ... هذا تفسير لنفي إمارة الظالم بحمل الظلم على السفاهة ، سواء كان يفقدان العقائد الحقّة و إختيار الباطل ، و هم الظلمة على أنفسهم ، أو بارتكاب القبائح الشنيعة و هم الظلمة على أنفسهم أو على غيرهم ، أو بيان لسببه ، أو لما يترتب عليه .

٣- عدّة من اصحابنا ، عن احمد بن محمد ، عن محمد بن يحيى الخثعمي ، عن هشام عن ابن ابي يعفور قال : سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول : سادة النبيين والمرسلين خمسة وهم اولوا العزم من الرسل و عليهم دارت الرحي : نوح و ابراهيم و موسى و عيسى و محمد صلي الله عليه و آله و علي جميع الانبياء .

٤- علي بن محمد ، عن سهل بن زياد ، عن محمد بن الحسين ، عن اسحاق بن عبد العزيز ابي السفاتج ، عن جابر ، عن ابي جعفر عليه السلام قال : سمعته يقول : ان الله اتخذ ابراهيم عبداً قبل ان يتخذ نبياً و اتخذ نبياً قبل ان يتخذ رسولا و اتخذ رسولا قبل ان يتخذ خليلاً واتخذ خليلاً قبل ان يتخذ اماماً فلما جمع له هذه الاشياء - وقبض

قيل : وفيه دلالة على عموم الامامة بالنسبة الى كل الناس كما هو الظاهر من قوله تعالى : « انى جاعلك للناس اماماً » .

الحديث الثالث : موثق

« و عليهم دارت الرحا » اي رحا النبوة و الرسالة و الشريعة و الدين ، و ساير الانبياء تابعون لهم فهم بمنزلة القطب للرحا ، و قيل : كنى بالرحا عن الشرايع لدورانها بين الامم مستمرة الى يوم القيامة ، وشبه اولوا العزم بالماء الذي تدور عليه الرحا ، أو كنى بالرحا عن الافلاك ، فانها تدور وتدوم بوجود الانبياء و دوام آثارهم و لولاهم لمادارت ولما بقيت كماورد في الحديث القدسي في حق نبينا عليه السلام : لولاك لما خلقت الافلاك .

الحديث الرابع : ضعيف .

قوله : و قبض يده ، الظاهر ان الضمير المستتر و البارز راجعان الى الباقر عليه السلام ، و الكلام من الراوى أي لما قال عليه السلام فلما جمع له هذه الاشياء قبض يده الشريفة ، اي ضم أصابعه الى الكف لبيان اجتماع هذه الخمسة له ، اي العبودية التي هي اخلاص العبادة لله ، و العمل بما يقتضيه ، و هذا غاية كمال الممكن ، و قد وصف الله المقرّبين من عباده بذلك حيث قال : « سبحانه الذي أسرى بعبده » ^(١) وقال :

يده - قال له : يا ابراهيم انني جاعلك للناس اماماً ، فمن عظمها في عين ابراهيم عليه السلام قال : يا رب و من ذرّيتي ، قال : لا ينال عهدي الظالمين .

﴿ باب ﴾

﴿ الفرق بين الرسول و النبي والمحدث ﴾

١- عدّةٌ من اصحابنا ، عن احمد بن محمد ، عن احمد بن محمد بن ابي نصر ، عن ثعلبة ابن ميمون ، عن زرارة قال : سألت ابا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ و جلّ : « و كان رسولا نبياً » ما الرسول و ما النبي ؟ قال : النبي الذي يرى في منامه و يسمع الصوت و لا

«عبداً من عبادنا» ^(١) الى غير ذلك من الآيات ، والنبوة ^(٢) والرسالة و الخلّة والامامة ، وضمّ الفعل إلى القول بهذه الاشارات شائع في الاستعمالات كما لا يخفى على المتدبرين في فهم الروايات ، وقيل : لعل المراد اخذيده ورفع من حضيض الكمالات إلى أوجها ، هذا اذا كان الضمير في يده راجعاً إلى ابراهيم وإن كان راجعاً إلى الله فقبض يده كناية عن إكمال الصنعة وإتمام الحقيقة في إكمال ذاته و صفاته ، أو تشبيه للمعقول بالمحسوس للايضاح ، فإن الصانع منّا إذا أكمل صنعة الشيء لرفع يده عنه و لا يعمل فيه شيئاً لتتمام صنعته ، وقيل : فيه اضممار أى قبض ابراهيم هذه الاشياء بيده ، أو قبض المجموع في يده ، و لا يخفى ما في جميع ذلك من التكلف والتعسف .

قوله : فمن عظمها اى الامامة .

باب الفرق بين الرسول و النبي و المحدث

الحديث الاول : صحيح

قوله عليه السلام : الذي يرى في منامه ، الغرض بيان مادّة الافتراق لاثبات العموم ، أى يصدق على هذا الفرد و لا يعاين الملك ، اى في اليقظة ، و المعنى : لا يعاينه حين سماع صوته ، فلا ينافيه الخبر الآتى ، ويدل على أنّه كان في قراءة أهل البيت عليهم السلام :

(١) سورة الكهف : ٦٥ .

(٢) عطف على قوله : « اى المبودية . . . »

يعاين الملك ، و الرسول الذي يسمع الصوت و يرى في المنام و يعاين الملك ، قلت :
الامام مامنزلته ؟ قال : يسمع الصوت و لا يرى ولا يعاين الملك ، ثم تلا هذه الآية :
وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث .

٢ - علي بن ابراهيم ، عن ابيه ، عن اسماعيل بن مرار قال : كتب الحسن بن
العباس المعروف الى الرضا عليه السلام : جعلت فداك أخبرني ما الفرق بين الرسول والنبي
والامام ؟ قال : فكتب او قال : الفرق بين الرسول والنبي والامام ان الرسول
الذي ينزل عليه جبرئيل فراء و يسمع كلامه و ينزل عليه الوحي و ربما رأى في منامه
نحو رؤيا ابراهيم عليه السلام ، والنبي ربما سمع الكلام و ربما رأى الشخص ولم يسمع

«ولامحدث» وقيل : يحتمل أن يكون بياناً للمراد من الآية ، أقول : هذا بعيد جداً
و ان أمكن توجيهه بأن الأئمة في هذه الأمة لما كانوا بمنزلة الانبياء الذين كانوا في
الامم السابقة كما قال النبي صلى الله عليه وآله : علماء أمتي كأنبيا بني اسرائيل ، و فسر بالائمة
عليه السلام ، فذكر الانبياء المتقدمين و بيان حكمهم مشتمل على ذكر الأئمة عليه السلام على
هذا الوجه ، لكن أوردنا في كتابنا الكبير أخباراً أصرح من هذه الاخبار ، في كون هذه
الكلمة في القرآن ، و لا استبعاد في سقوط بعض القرآن عما جمعه عثمان كما سيأتي
تحقيقه في كتاب القرآن انشاء الله تعالى .

الحديث الثاني : مجهول

قال : فكتب... القائل اما الحسن أو اسماعيل فان أحدهما شك في أن جوابه
عليه السلام كان بعنوان المكاتبه أو المكلمة « ينزل عليه جبرئيل » ذكره على المثال أو على
التعيين ، فيكون الملك في سائر الاخبار محمولاً عليه «و ينزل عليه الوحي» إما تفسير
لما سبق أو تعميم بعد التخصيص على الاحتمال الأول ، أو المراد الوحي بلا واسطة
الملك ، «وربما رأى الشخص» أي النبي الذي ليس برسول لا يجتمع له السماع والرؤية
في حالة واحدة كما مر ، و يرى في المنام ايضاً و لا يرى الشخص ، أي جبرئيل عليه السلام
على الاحتمال الثاني مطلقاً ، و إن كان ينافيه بعض الاخبار ، أو عند إلقاء الحكم كما

والامام هو الذي يسمع الكلام ولا يرى الشخص .

٣ - محمد بن يحيى ، عن احمد بن محمد ، عن الحسن بن محبوب ، عن الأحول قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن الرسول والنبي والمحدث ، قال : الرسول الذي يأتيه جبرئيل قبلاً فيراه ويكلمه فهذا الرسول ، وأما النبي فهو الذي يرى في منامه نحو رؤيا ابراهيم ونحو ما كان رأى رسول الله عليه السلام من أسباب النبوة قبل الوحي حتى أتاه جبرئيل عليه السلام من عند الله بالرسالة وكان محمد عليه السلام حين جمع له النبوة وجاءته الرسالة من عند الله يجيئه بها جبرئيل ويكلمه بها قبلاً ، ومن الانبياء من جمع له النبوة ويرى في منامه ويأتيه الروح ويكلمه ويحدثه ، من غير أن يكون يرى في اليقظة ؛ وأما

مر ، فالفرق بينه وبين بعض الانبياء غير المذكور هنا ، قيل : اى الامامة باعتبار هذه المرتبة ، كما ان النبوة باعتبار الرؤية في المنام ، والرسالة باعتبار نزول جبرئيل عليه السلام ورؤية شخصه وسماع كلامه في اليقظة ، فمتى فارقت الامامة النبوة والرسالة لم يكن الاسماع والكلام من غير معاينة ولا في المنام كما سيأتى .

الحديث الثالث : صحيح .

قال الفيروز آبادي : رأيت قبلاً محرّكة و بضمّتين ، وكسر د و غب ، و قبلاً كأمر : عياناً ومقابلة ، ويأتيه الروح ، أى جبرئيل للخبر السابق ، أو روح القدس كما سيأتى .

واعلم أن تحقيق الفرق بين النبى والامام عليه السلام وإستنباطه من تلك الاخبار لا يخلو من إشكال ، وكذا الجمع بينهما وبين سائر الاخبار التى سيأتى بعضها و أوردنا أكثرها في كتاب البحار ، في غاية الاشكال ، والذى ظهر لى من أكثرها : هو أن الامام لا يرى الحكم الشرعى في المنام ، والنبي قد يراه فيه ، وأما الفرق بين الامام والنبي وبين الرسول ، أن الرسول يرى الملك عند إلقاء الحكم والنبي غير الرسول والامام عليه السلام لا يريانه في تلك الحال ، وإن رأياه في سائر الأحوال ، ويمكن أن يخص الملك الذي لا يريانه بجبرئيل عليه السلام ، ويعم الأحوال لكن فيه أيضاً منافرة لبعض الروايات ، ومع قطع النظر عن الاخبار لعل الفرق بين الائمة عليهم السلام وغير

أولى العزم من الانبياء أن الائمة عليهم السلام نواب للرسول صلى الله عليه وآله لا يبلّغون إلا بالنبابة ، وأما الانبياء وإن كانوا تابعين لشريعة غيرهم لكنهم مبعوثون بالاصالة وإن كانت تلك النبابة أشرف وأعلى رتبة من تلك الاصالة ، وربما يفرّق بينهما بأن الملك يلقي إلى النبي على وجه التعليم ، وإلى الامام عليه السلام للتنبيه .

وبالجملة لا بدّ لنا من الاذعان بعدم كونهم أنبياء ، وأنهم أفضل وأشرف من جميع الانبياء سوى نبينا صلوات الله عليه وعليهم ، ومن سائر الاوصياء عليهم السلام ، ولا نعرف سبباً لعدم إتصافهم بالنبوة إلا رعاية جلالة خاتم الانبياء صلى الله عليه وآله ، ولا يصل عقولنا إلى فرق بين النبوة والامامة ، ومادكت عليه الاخبار فقد عرفته والله يعلم حقائق أحوالهم صلوات الله عليهم .

قال الشيخ المفيد قدس الله روحه في شرح عقائد الصدوق رحمه الله : أصل الوحي هو الكلام الخفي ثم قد تطلق على كل شيء قصد به إلى إفهام المخاطب على السر له من غيره ، والتخصيص له به دون من سواه ، فاذا اضيف إلى الله تعالى كان فيما يخص به الرسل خاصة دون من سواهم على عرف الاسلام وشريعة النبي صلى الله عليه وآله ، قال الله تعالى : « وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه » الآية ، ^(١) فاتفق أهل الاسلام على أن الوحي كان رؤياً مناماً وكلاماً ^(٢) سمعته أم موسى في منامها على الاختصاص ، وقال تعالى : « وأوحى ربك إلى النحل » الآية ^(٣) يريد به الالهام الخفي إذ كان خاصاً بمن أفرده دون من سواه ، فكان علمه حاصلًا للنحل بغير كلام جهر به المتكلم فأسمعه غيره . وساق (ره) الكلام إلى أن قال : وقد يرى الله في المنام خلقاً كثيراً ما يصح تأويله ويثبت حقه لكنّه لا يطلق بعد استقرار الشريعة عليه إسم الوحي ، ولا يقال في هذا الوقت لمن اطّلع الله على علم شيء أنه يوحى إليه ، وعندنا أن الله يسمع الحجج بعد نبية صلى الله عليه وآله كلاماً يلقيه إليهم أي الاوصياء في علم ما يكون ، لكنّه لا يطلق عليه

(٢) وفي المصدر كان رؤياً أو كلاماً - ، .

(١) سورة القصص : ٧ .

(٣) سورة النحل : ٦٨ .

إسم الوحي لما قد مناه من إجماع المسلمين على أنه لا يوحى لاحد^(١) بعد نبينا ﷺ ،
و أنه لا يقال في شيء مما ذكرناه أنه وحى الى أحد ، والله تعالى أن يبيح إطلاق
الكلام أحياناً ويحظره أحياناً ويمنع السمات بشيء حيناً ويطلقها حيناً ، فاما المعاني
فانها لا تتغير عن حقائقها على ما قد مناه .

وقال رحمه الله في كتاب المقالات^(٢) : أن العقل لا يمنع من نزول الوحي إليهم
ﷺ وإن كانوا ائمة غير أنبياء ، فقد أوحى الله عز وجل إلى أم موسى ﷺ أن
أرضعيه ، الآية ، فعرفت صحة ذلك بالوحي ، وعملت عليه ولم تكن نبياً ولا رسولا
ولا إماماً ، ولكنها كانت من عباد الله الصالحين ، وإنما منعت من نزول الوحي إليهم
والإيحاء بالاشياء إليهم للإجماع على المنع من ذلك والاتفاق على أنه من زعم أن أحداً
بعد نبينا ﷺ يوحى إليه فقد اخطأ وكفر ، ولحصول العلم بذلك من دين النبي
ﷺ ، كما أن العقل لم يمنع من بعثة نبي بعد نبينا ﷺ ونسخ شرعه كما نسخ
ما قبله من شرايع الانبياء ﷺ ، وإنما منع ذلك الإجماع والعلم بأنه خلاف دين
النبي ﷺ من جهة اليقين وما يقارب الاضطرار ، والامامية جميعاً على ما ذكرت ليس
بينها فيه على ما وصفت خلاف .

ثم قال رحمه الله : «التول في سماع الائمة ﷺ كلام الملائكة الكرام وإن كانوا
لا يرون منهم الاشخاص»^(٣) وأقول بجواز هذا من جهة العقل ، وأنه ليس يمتنع في
الصديقين من الشيعة ، المعصومين من الضلال ، وقد جاءت بصحته وكونه للائمة ﷺ
ومن سميت من شيعتهم الصالحين الابرار الاخيار واضحة الحجة والبرهان ، وهو
مذهب فقهاء الامامية وأصحاب الآثار منهم ، وقد أباه بنو نو بخت وجماعة من الامامية
لا معرفة لهم بالاخبار ، ولم يتعمقوا^(٤) النظر ولا سلكوا طريق الصواب .

(١) [لا وحي لاحد] خ ل .

(٢) وهو المعروف بكتاب أوائل المقالات المطبوع مرتين بتبريز .

(٣) هذا عنوان الباب و بعده من كلام المفيد (ر) .

(٤) وفي المصدر « ولم يعمقوا » .

المحدث فهو الذي يحدث فيسمع ولا يعاين ولا يرى في منامه .

٤- أحمد بن محمد و محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسين ، عن علي بن حسان عن ابن فضال ، عن علي بن يعقوب الهاشمي ، عن مروان بن مسلم ، عن بريد ، عن أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السلام في قوله عز وجل : « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي » (و لا محدث) ، قلت : جعلت فداك ليست هذه قراءتنا فما الرسول و النبي و المحدث ؟ قال : الرسول الذي يظهر له الملك فيكلمه و النبي هو الذي يرى في منامه و ربما اجتمعت النبوة و الرسالة لواحد ، و المحدث الذي يسمع الصوت و لا يرى الصورة ، قال : قلت : أصلحك الله كيف يعلم أن الذي رأى في النوم حق ، و أنه من الملك ؟ قال : يوفق لذلك حتى يعرفه ، لقد ختم الله بكتابكم الكتب و ختم بنبيكم الأنبياء .

ثم قال رحمه الله تعالى : وأقول : منامات الرسل و الانبياء و الائمة عليهم السلام صادقة لا تكذب ، و أن الله تعالى عصمهم عن الأحلام و بذلك جاءت الاخبار عنهم عليهم السلام ، و على هذا القول جماعة من فقهاء الامامية و أصحاب النقل منهم ، و اما متكلموهم فلا أعرف منهم نفياً و لا إثباتاً ، و لا مسألة فيه و لا جواباً ، و المعتزلة بأسرها تخالفنا فيه ، انتهى .

الحديث الرابع : ضعيف ، و أحمد بن محمد كأنه العاصمي .

قوله عليه السلام : يوفق لذلك ، أى يعطيه أسباب تلك المعرفة و يهيئها له من معجزة مقارنة له أو إفاضة علم ضروري به « لقد ختم الله بكتابكم » الظاهر أن هذا لرفع توهم النبوة في الحجج عليهم السلام ، لاشتراكهم مع الانبياء في سماع صوت الملك ، أو لبيان أنه لا بد من محدثين بعد النبي صلى الله عليه وآله لحفظ الملكة و هداية الامة ، إذ في الأمم السابقة كان في كل عصر جماعة من الانبياء يحفظون شريعة النبي الذي سبقهم من أولي العزم ، و يدعون الناس إلى ملته ، فلما إنقطعت النبوة بعد نبينا فلا بد من محدثين يأتون بما كانوا يأتون به .

وقيل : نبه بذلك على أن كيفية ذلك إنما يحتاج إلى علمه من يكون نبياً ، أو من يحتمل نبوته و هو لكم مفروغ عنه ، لا تقطاع النبوة بعد نبينا صلى الله عليه وآله و لا يخفى ما فيه .

﴿ باب ﴾

﴿ ان الحجة لا تقوم لله على خلقه الا بامام ﴾

١- محمد بن يحيى العطار ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن ابن أبي عمير ، عن الحسن بن محبوب ، عن داود الرقي ، عن العبد الصالح عليه السلام قال : « إنَّ الحجة لا تقوم لله على خلقه إلا بامام حتى يُعرف . »

٢- الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ، عن الحسن بن عليّ الوشاء قال : سمعت الرضا عليه السلام يقول : « إنَّ أبا عبد الله عليه السلام قال : « إنَّ الحجة لا تقوم لله عزَّ وجلَّ على خلقه إلا بامام حتى يُعرف . »

باب ان الحجة لا تقوم لله على خلقه الا بامام

الحديث الاول : صحيح .

قوله عليه السلام : « إنَّ الحجة لا تقوم ، أي في الدنيا بحيث يجب عليهم الاتيان بما أمروا به والانتفاء عما نهوا عنه ، فإنَّ التعريف شرط التكليف ، أو في الآخرة بحيث يحتاج عليهم لم فعلت كذا ؟ ولم تركت كذا ؟ » « إلا بامام حتى يعرف » على المعلوم من بناء التفعيل أي حتى يعرف الناس ما يحتاجون إليه ، فيكون دليلاً على المدعى أو على بناء المجهول بالتخفيف أو بالتشديد ، والضمير راجع إلى الله أو إلى الدين أو الحق المعلومين بقرينة المقام ، أو إلى الامام إذ لو لم يكن إماماً منصوباً من قبل الله مؤيداً بالمعجزات لم تعرف حقيقته وحجيته ، وفي بعض النسخ « حي » مكان « حتى » فالوجه أيضاً محتملة في البناء ، لكن الضمير راجع إلى الامام ، والتقيد بالحي للرد على العامة القائلين بأنَّ الامام بعد الرسول القرآن كما قال امامهم : حسبنا كتاب الله ، وفي بعض النسخ : « حق » مكانه ردّاً على المخالفين القائلين بامامة خلفاء الجور .

الحديث الثاني : ضعيف .

٣- أحمد بن محمد ، عن محمد بن الحسن ، عن عباد بن سليمان ، عن سعد بن سعد عن محمد بن عمار ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : **إِنَّ الْحُجَّةَ لَا تَقُومُ لِلَّهِ عَلَى خَلْقِهِ إِلَّا بِإِمَامٍ حَتَّى يُعْرَفَ .**

٤- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن البرقي ، عن خلف بن حماد ، عن أبان بن تغلب قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : **الحُجَّةُ قَبْلَ الْخَلْقِ وَ مَعَ الْخَلْقِ وَ بَعْدَ الْخَلْقِ .**

﴿ باب ﴾

﴿ أن الأرض لا تخلو من حجة ﴾

١ - عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن محمد بن أبي عمير ، عن الحسين بن أبي العلاء قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : **تكون الأرض ليس فيها إمام ؟** قال : لا ، قلت : **يكون إمامان ؟** قال : لا إلاّ وأحدهما صامت .

الحديث الثالث : مجهول .

الحديث الرابع : صحيح ، والحجة : البرهان ، والمراد بها هنا الامام عليه السلام
 إذ به تقوم حجة الله على الخلق « قبل الخلق » أي قبل جميعهم من المكلفين كآدم عليه السلام
 إذ كان قبل خلق حواء وخلق ذريته « ومع الخلق » لعدم خلوّ الأرض من الامام ، و
 بعدهم إذ القائم أو أمير المؤمنين عليه السلام آخر من يموت من الخلق ، أو يكون الحجة
 قبل كلّ أحد ومعه وبعده ، وقيل : حجة الحجة قبل إيجاد الخلق في الميثاق ،
 ومعهم في الدنيا و بعد موتهم في القيامة ، وأقول : يحتمل على بعد أن يكون المعنى :
 هو قبل الخلق بالعلية ، ومعهم بالزمان ، و بعدهم بالغائية ، ولعلّ المصنّف (ره)
 حمله على المعنى الثالث .

باب أن الأرض لا تخلو من حجة

الحديث الاول : حسن .

« إلاّ وأحدهما صامت » أي ساكت عن الدعوة والتعريف و إدعاء الامامة ، و
 الناطق إمام عليه في الحال كالسبطين عليه السلام .

٢- علي بن ابراهيم ، عن أبيه عن محمد بن أبي عمير ، عن منصور بن يونس و سعدان ابن مسلم ، عن اسحاق بن عمار ، عن ابي عبدالله عليه السلام قال : سمعته يقول : إن الأرض لا تخلو إلا وفيها إمام ، كيما إن زاد المؤمنون شيئاً ردّهم ، وإن نقصوا شيئاً أتمّهم لهم .
 ٣- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن علي بن الحكم ، عن ربيع بن محمد الملسي ، عن عبدالله بن سليمان العامري ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ما زالت الأرض إلا والله فيها الحجة ، يعرف الحلال و الحرام ويدعو الناس إلى سبيل الله .

الحديث الثاني : حسن موثق .

«إن الأرض لا تخلو» أي عن إمام سابق «إلا وفيها إمام» أي لاحق بشرط بقاء زمان التكليف ، والوالد للحال والاستثناء مفرغ متصل ، أي لا تخلو على حال من الأحوال إلا هذه الحالة ، أو لا تخلو من أحد إلا وفيها إمام ، أو لا تمضي إلا وفيها إمام ، من قولهم خلا الدهر أي مضى ، ونسبة المضى إليها مجاز بل الزمان يمضي عليها ، وهذا عندى أظهر ، أو من الخلق فيكون المراد إن آخر من يموت الحجة كيما إذا زاد المؤمنون شيئاً أي من العقائد أو الأعمال سهواً أو خطأ ردّهم ، وإن نقصوا شيئاً ، لقصورهم عن الوصول إليه «أتمّهم لهم» ويحتمل أن يكون المراد بالمؤمنين المدّعين للإيمان المبتدعين في الدين .

الحديث الثالث : مجهول .

قوله عليه السلام : ما زالت الأرض ، من زال يزول فعلاً تاماً أي من حال إلى حال ، فإن الأرض دائماً في التغير والتبدّل ، أو من زال يزال فعلاً ناقصاً فكلمة إلا زائدة . قال ابن هشام في المغنى عند ذكر معاني «إلا» والرابع : أن يكون زائدة ، قاله الأصمعي وابن جنّي ، وحمل عليه قوله :

حراجيج ما تنفك إلا مناخة على الخسف أو ترمى بها بلداً قفراً^(١)

و ابن مالك وحمل عليه قوله :

أرى الدهر إلا منجنوناً بأهله و ما صاحب الحاجات إلا معذّباً «انتهى»

يعرف كيف ضرب أو على التفعيل .

٤- أحمد بن مهران ، عن محمد بن علي ، عن الحسين بن أبي العلاء ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له : تبقى الأرض بغير إمام ؟ قال : لا .

٥ - علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن ابن مسكان ، عن أبي بصير ، عن أحدهما عليهما السلام قال : قال : إن الله لم يدع الأرض بغير عالم ولولا ذلك لم يعرف الحق من الباطل .

٦- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن القاسم بن محمد عن علي بن أبي حمزة ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله أجل وأعظم من أن يترك الأرض بغير إمام عادل .

٧- علي بن محمد ، عن سهل بن زياد ، عن الحسن بن محبوب ، عن أبي أسامة ؛ و علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن الحسن بن محبوب ، عن أبي أسامة وهشام بن سالم ، عن أبي حمزة ، عن أبي إسحاق ، عن يونس بن عمار ، عن أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام أن أمير المؤمنين عليه السلام قال : اللهم إنك لا تخلي أرضك من حجة لك على خلقك .

الحديث الرابع : ضعيف .

«تبقى الأرض بغير إمام» أى تبقى صالحة معمورة ، أو تبقى مقرأ للناس فأجاب عليه السلام بنفى البقاء حينئذ لفقد ما هو المقصود من الخلق من العبادة و المعرفة حينئذ مع فقد الزواجر عن الفساد المنجر إلى الخراب و الهلاك ، و قيل : تبقى فعل ناقص بمعنى تكون .

الحديث الخامس : صحيح .

«ولولا ذلك» استدلال على عدم خلو الأرض من عالم باستلزام الخلو عدم المعرفة المقصودة من الخلق والايجاد ، وعدم العبادة الموقوفة على المعرفة .

الحديث السادس : ضعيف .

قوله عليه السلام : «إن الله أجل وأعظم ، أى أجل وأعظم من أن لا يكون حكيماً لطيفاً بعباده ، ألا يكون قادراً على الاتيان بمقتضى الحكمة واللطف فيخل بمقتضاها و يترك الأرض بغير امام عادل .

الحديث السابع : مجهول .

٨ - علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن محمد بن الفضيل ، عن أبي حمزة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال : و الله ما ترك الله أرضاً منذ قبض آدم عليه السلام إلا وفيها إمام يهتدى به إلى الله و هو حجته على عباده ، و لا تبقى الأرض بغير إمام حجة لله على عباده .

٩ - الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ، عن بعض أصحابنا ، عن أبي علي بن راشد قال : قال أبو الحسن عليه السلام : إن الأرض لا تخلو من حجة وأنا و الله ذلك الحجة .

١٠ - علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن محمد بن الفضيل ، عن أبي حمزة قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : أتبقى الأرض بغير إمام ؟ قال : لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت .

١١ - علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن محمد بن الفضيل ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : قلت له : أتبقى الأرض بغير إمام ؟ قال : لا ، قلت : فأنما نروى عن أبي عبدالله عليه السلام أنها لا تبقى بغير إمام إلا أن يسخط الله تعالى على أهل الأرض أو على

الحديث الثامن : مجهول .

«ما ترك الله أرضاً» التنكير باعتبار تعدد الأزمنة أى الأرض في زمان ، وقيل : «في» في قوله «فيها» بمعنى علي ، والمراد جزءاً من الأرض فيها مكلف .

الحديث التاسع : ضعيف ، و أبو الحسن هو الثالث عليه السلام .

الحديث العاشر : مجهول .

وقال الفيروز آبادي : ساخت قوائمه ثاخذ والشيء رسب ، و الأرض بهم سوخاً و سوخاً و سوخاناً : انخسف ، انتهى . والمراد هنا غوصها في الماء إما حقيقة أو كناية عن هلاك البشر و ذهاب نظامها .

الحديث الحادي عشر : مجهول .

قوله عليه السلام : «لا تبقى» أى ليس مراد أبي عبدالله عليه السلام السخط الذي تبقى معه

العباد ، فقال : لا ، لا تبقى إذاً لساخت .

١٢ - عليّ ، عن محمد بن عيسى ، عن أبي عبد الله المؤمن ، عن أبي هراسة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : لو أن الإمام رفع من الأرض ساعة لماجت بأهلها ، كما يموج البحر بأهله .

١٣ - الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ، عن الوشاء قال : سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام هل تبقى الأرض بغير إمام ؟ قال : لا ، قلت : إنا نروى أنها لا تبقى إلا أن يسخط الله عز وجل على العباد ؟ قال : لا تبقى إذاً لساخت .

﴿باب﴾

﴿أنه لو لم يبق في الأرض الا رجلان لكان أحدهما الحجة﴾

١ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن محمد بن سنان ، عن ابن الطيّار قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : لو لم يبق في الأرض إلا اثنان لكان أحدهما الحجة .

الأرض وأهله ، بل السخط الذي تصير به الأرض منخسفة ذاهبة غير منقظمة ، ارفع عنها التكليف .

الحديث الثاني عشر : ضعيف .

الحديث الثالث عشر : ضعيف .

باب انه لو لم يبق في الأرض الا رجلان لكان أحدهما الحجة

الحديث الاول : ضعيف .

قوله عليه السلام «لأن أحدهما الحجة» أقول : نظيره من طرق العامة ما رواه مسلم عن النبي صلى الله عليه وآله قال : لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان ، وذلك لأنه كما يحتاج الناس إلى الحجة من حيث الاجتماع لأمر له مدخل في نظامهم و معاشهم ، كذلك يحتاجون إليه من حيث الانفراد لأمر له مدخل في معرفة مبدئهم و معادهم و عباداتهم ، وأيضاً الحكمة الداعية إلى الأمر بالاجتماع وسد باب الاختلاف المؤدّي إلى الفساد جارية هيئتنا ، وإنما تتم بحجية أحدهما ، ووجوب اطاعة الآخر له .

٢- أحمد بن إدريس و محمد بن يحيى جميعاً ، عن أحمد بن محمد ، عن محمد بن عيسى بن عبيد ، عن محمد بن سنان ، عن حمزة بن الطيار ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : لوبقي إثنان لكان أحدهما الحجة على صاحبه .

محمد بن الحسن ، عن سهل بن زياد ، عن محمد بن عيسى مثله .

٣- محمد بن يحيى ، عمّن ذكره ، عن الحسن بن موسى الخشاب ، عن جعفر بن محمد عن كرام قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : لو كان الناس رجلين لكان أحدهما الإمام و قال : إن آخر من يموت الإمام ، لثلاً يحتج أحد على الله عز وجل أنه تركه بغير حجة لله عليه .

٤- عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد البرقي ، عن علي بن إسماعيل ، عن ابن سنان ، عن حمزة بن الطيار قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : لو لم يبق في الأرض إلا إثنان لكان أحدهما الحجة - أو الثاني الحجة - الشك من أحمد بن محمد .

٥- أحمد بن محمد ، عن محمد بن الحسن ، عن النهدي ، عن أبيه ، عن يونس بن يعقوب ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سمعته يقول : لو لم يكن في الأرض إلا اثنان لكان الإمام أحدهما .

الحديث الثاني : ضعيف بسنده .

الحديث الثالث : مرسل .

و آخر من يموت إماماً القائم عليه السلام أو أمير المؤمنين عليه السلام في رجعتهم ، لما ورد أنه دابة الأرض .

الحديث الرابع : ضعيف .

الحديث الخامس : مجهول .

(باب)

(معرفة الامام والرد اليه)

١- الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ، عن الحسن بن عليّ الوشاء قال : حدثنا محمد بن الفضيل ، عن ابي حمزة قال : قال لي ابو جعفر عليه السلام : انما يعبد الله من يعرف الله ، فاما من لا يعرف الله فانما يعبد هكذا ضلالاً قلت : جعلت فداك فما معرفة الله؟ قال : تصديق الله عزّ وجلّ و تصديق رسوله عليه السلام و موالة عليّ عليه السلام و الائتمام به

باب معرفة الامام و الرد اليه

الحديث الاول : ضعيف على المشهور.

«انما يعبد الله من يعرف الله» اي معرفته تعالى كما ينبغي شرط لصحة العبادة ، «فانما يعبد هكذا» كأنه أشار بذلك الى عبادة جماهير الناس أو الي جهة الخلف ، أي يمشون على خلاف جهة الحق أو الى جهة الشمال ، فانها طريق أهل الضلال ، أو اشارة الى العبادة على غير المعرفة ، و قيل : غمض عينيه أو أشار بيده الى عينه لبيان العمى ، وقوله : «ضلالاً» تميز أو حال على المبالغة ، أو بأن يقرء بضمّ الضاد و تشديد اللام جمعاً ، و انما أدخل التصديق بالرّسول و موالة الائمة و البرائة من أعدائهم في معرفة الله تعالى لا شرائط قبول معرفته سبحانه بها ، أو لأن من لم يصدق بتلك الامور لم يعرف الله بصفاته الكمالية ، من اللطف و الحكمة و الرحمة كما لا يخفي على من تأمل فيما أسلفنا في الابواب السالفة ، و موالة الائمة متابعتهم بتسليم الامر اليهم بالامامة و اتخاذهم أئمة و الاقتداء بهم و الانقياد لهم ، و البرائة من أعدائهم المفارقة عنهم اعتقاداً قلباً و لساناً و اطاعة ، و قيل : انما اعتبر معرفة الامام فيما لاتتم العبادة إلاّ به من المعرفة ، لأنّه مالم يعرف استناد الامر و النّهى و الطلب اليه سبحانه لا يكون الايمان بالعمل عبادة له تعالى ، و انما تحصل تلك المعرفة بالاخذ عن الحجة ، و مالم يعرف الحجة امتنع الاخذ عنه فيجب على من يريد أن يعبد امام ، فعليه معرفة

و بأئمة الهدى عليهم السلام والبراءة إلى الله عز و جل من عدوهم ، هكذا يعرف الله عز و جل .

٢- الحسين ، عن معلى ، عن الحسن بن علي ، عن احمد بن عائد ، عن ابيه ، عن ابن اذينة قال : حدثنا غير واحد ، عن احدهما عليه السلام انه قال : لا يكون العبد مؤمناً حتى يعرف الله ورسوله و الأئمة كلهم و إمام زمانه ، ويرد إليه و يسلم له ، ثم قال : كيف يعرف الآخر وهو يجهل الأول ؟ ! .

الامام كما كان يجب عليه الإقرار به تعالى موحداً ، ورسوله مصداقاً له في جميع ما جاء به .

الحديث الثاني : ضيف على المشهور .

قوله عليه السلام : لا يكون العبد مؤمناً ، أى مصداقاً بالمعارف التى تجب عليه فلا يفلح إلا بها ، مالم يحصل له معرفة الله و التصديق بوجوده و وحدته و صفاته اللاتفة به ، و معرفة رسوله بالرسالة ، و التصديق بجميع ما جاء به ، و معرفة الأئمة عليهم السلام كلهم و إمام زمانه بالامامة ، و وجوب الرد إليه و الأخذ عنه و إطاعته ، و ذلك لانه إنما يحصل له المعرفة من جهتهم و بتعريفهم و هدايتهم ، فكل عبد يحتاج في معرفته إلى إمام زمانه ، و معرفته إنما يتيسر له غالباً بالنقل من الامام السابق عليه ، فيحتاج في معرفة إمام زمانه إلى معرفة الأئمة كلهم .

و قوله « و يرد إليه و يسلم له » يبان لجهة الاحتياج إلى معرفة إمام زمانه و قوله : « كيف يعرف الآخر وهو يجهل الأول » إشارة إلى أن سبب اعتبار معرفة الأئمة كلهم هو توقف معرفة إمام الزمان على معرفة الأئمة السابقين كلهم ، لأن إمامة كل لا حق إنما تعرف بنص السابق عليه ، أو أن طريق المعرفة واحدة ، فلو علم إمامة إمام زمانه بالمعجزة فقد تواترت المعجزات عن السابقين ، وأما معرفة إمام الزمان ومدخليتها في الايمان ، فلما تواتر عن النبي صلى الله عليه و آله : من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية ، و ما قيل : من أن المراد بالاول هو الله تعالى فلا يخفى ما فيه .

٣- محمد بن يحيى ، عن احمد بن محمد ، عن الحسن بن محبوب ، عن هشام بن سالم ، عن زرارة قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : أخبرني عن معرفة الإمام منكم واجبة على جميع الخلق ؟ فقال : إن الله عز وجل بعث محمداً عليه السلام إلى الناس اجمعين رسولا وحجة لله على جميع خلقه في أرضه ، فمن آمن بالله و بمحمد رسول الله و اتبعه و صدقه فإن معرفة الإمام منّا واجبة عليه ؛ و من لم يؤمن بالله و برسوله و لم يتبعه و لم يصدق معرفتهما ^(١) فكيف يجب عليه معرفة الإمام و هو لا يؤمن بالله ورسوله و يعرف حقهما ؟ قال : قلت : فماتقول فيمن يؤمن بالله ورسوله و يصدق رسوله في جميع ما

الحديث الثالث : صحيح.

قوله عليه السلام : فكيف تجب عليه معرفة الإمام ، اى على الانفراد بل يجب عليه أن يؤمن بالله ورسوله أولاً ثم بالإمام ، والغرض أن معرفتهما أوجب عليه بل لا سبيل له إلى معرفته إلا بمعرفتهما ، فلا ينافي أن يعاقب بتركها أيضاً إذا ترك الجميع ، وقيل: المراد أنه إنما تجب عليه معرفة الإمام إذا كان قابلاً لمعرفة الله ورسوله ، غير معذور في تركهما بأن يكون كامل العقل ، فإنه يجب عليه معرفة الإمام وإلا فلا ، لفقدان العقل الذي هو مناط التكليف ، وفيه بعد ، وقيل : هذا استدلال على وجوب معرفة الإمام على المسلمين دون غيرهم بأن من لم يؤمن بالله ورسوله و لم يصدق الله ورسوله ، لم تكن معرفة الإمام مطلوبة منه لأن معرفة الإمام للتعريف و تبين ما جاء به الرسول لصدقه وردّه إليه ، و التسليم و الانقياد له ، و اجتماع كلمة المسلمين و كونهم جماعة ليظهروا باتفاقهم على غيرهم ، فلم تكن مطلوبة من غيرهم .

و لعل المراد أن معرفة الإمام مطلوبة لالذاتها بل لحفظ الشريعة و الاقتداء به فيها ، فوجوبها بالحقيقة على المؤمن بالله و برسوله ، فإن المطلوب من غير المؤمن أن يؤمن بالله و برسوله ثم إذا أسلم فعليه أن يعرف الإمام و يطيعه .

قوله : فماتقول فيمن يؤمن «الخ» لعله إنما أعاد السؤال طلباً للتأكيد و التنصيص أو ذكره تعجباً و إستبعاداً ، وقيل : سؤال عن أنه إذا كان المؤمن مصداقاً للرسول في

أنزل الله ، يجب على أولئك حق معرفتكم ؟ قال : نعم أليس هؤلاء يعرفون فلاناً وفلاناً ؟ قلت : بلى ، قال : أترى أن الله هو الذي أوقع في قلوبهم معرفة هؤلاء ؟ والله ما أوقع ذلك في قلوبهم إلا الشيطان ، لا والله ما ألهم المؤمنين حقنا إلا الله عز وجل .

٤- عنه ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسن بن محبوب ، عن عمرو بن أبي المقدام ، عن جابر قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : إنما يعرف الله عز وجل ويعبد من عرف الله وعرف إمامه من أهل البيت ومن لا يعرف الله عز وجل ولا يعرف الإمام من أهل

جميع ما أنزل الله أى مفصلاً ، أى حاجة له في الامام ؟

و قوله عليه السلام : أليس هؤلاء يعرفون فلاناً و فلاناً ؟ إشارة إلى جهة إحتياجهم إلى الامام بعد تصديقهم النبي في جميع ما أنزل الله ، وهو أن هؤلاء العارفين من أصحاب النبي عليه السلام أضلهم الشيطان حتى أطاعوا فلاناً وفلاناً و إنقادوا إليهم ، و اتخذوهم أئمة فأنجر إلى ما أنجر إليه من الظلم و الطغيان و الضلال و العصيان ، فالمصدق للنبي في جميع ما أنزل الله ليس يأمن من الشيطان و إضلاله ، فيحتاج إلى الامام لرفع الأوهام و الشبه الفاسدة التي يلقوها الشيطان في أذهانهم ، وتستحسنها نفوسهم على وفق أهويتها الباطلة و أمانيتها الفاسدة .

اقول : و يحتمل أن يكون المراد أن المخالفين أيضاً قائلون بوجوب معرفة الامام فاعتقدوا لذلك بامامة هؤلاء ، و إن أخطأوا في تعيين الامام ، أو المعنى أنهم لما تفطنوا بوجوب الخليفة وتمكنوا من معرفته ، فما المانع لهم من الاهتداء لما هو الحق فيه ؟ ليس المانع إلا الشيطان لأن الله عز وجل أقدرهم على ذلك و أعطاهم آلة المعرفة ، فوجب عليهم تحصيل معرفة الامام .

الحديث الرابع : مختلف فيه .

« إنما يعرف الله و يعبد » أى معرفة و عبادة صحيحتين « من عرف الله و عرف إمامه » أى من جمع بين المعرفتين فمعرفة الله بدون معرفة الامام كلا معرفة و العبادة بدون معرفتهما باطلة « و يعرف الامام » الواو للحال عن المنفي أو النفي ، داخل على

البيت فإنما يعرف غير الله هكذا والله ضاللاً .

٥- الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ، عن محمد بن جمهور ، عن فضالة بن أيوب عن معاوية بن وهب ، عن ذريح قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الأئمة بعد النبي صلى الله عليه وآله قال : كان أمير المؤمنين عليه السلام إماماً ، ثم كان الحسن عليه السلام إماماً ثم كان الحسين عليه السلام إماماً ، ثم كان علي بن الحسين إماماً ، ثم كان محمد بن علي إماماً ، من أنكر ذلك كان كمن أنكر معرفة الله تبارك وتعالى ومعرفة رسوله صلى الله عليه وآله ، ثم قال : قلت : ثم أنت جعلت فداك ؟ فأعدها عليه ثلاث مرّات - فقال لي : إني إنما حدثتك لتكون

مجموع المعرفتين «فإنما يعرف» ويعبد «غير الله» إذ مع عدم معرفة الله يعرف ويعبد من يكون مطابق معرفته وهو غير الله ، ومع عدم معرفة الامام يعرف ويعبد إلهاً لا يكون حكيماً ولا رؤفاً رحيماً بعباده وهو غير الله ، مع أنه لا يمكن معرفة الله إلا بمعرفة الامام وأخذ معرفة الله عنه .

الحديث الخامس : ضعيف .

قوله : قلت ثم أنت ؟ تصديق أو إستفهام ، والسكوت على الأول تقرير ، وعلى الثاني إمّا للتقية أو لأمر آخر .

قوله : إني إنما حدثتك ، يحتمل أن يكون الغرض الامتنان عليه بأنك بعد معرفة ذلك صرت من شيعتنا وهم الشهداء كما قال الله تعالى : « الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ » ^(١) وقال : «و كذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس» ^(٢) أو الغرض نهيه عن الإذاعة، أي إنما أخبرتك لتكون من المؤمنين لا لأن تذيع وتردّه على ، أو تحريصه على التبليغ والتبيين عند عدم التقية ، فانه إذا فعل ذلك كان من شهداء الله على خلقه تنبيهاً لهم ، أو المعنى أني إنما أخبرتك لتكون شاهداً لي عند الله بأنني بلغت ذلك أو

(١) سورة الحديد : ١٩ .

(٢) سورة البقرة : ١٤٣ .

من شهداء الله تبارك وتعالى في أرضه .

ع- عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن أبيه ، عمن ذكره ، عن محمد ابن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أبيه ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إنكم لا تكونون صالحين حتى تعرفوا ولا تعرفوا حتى تصدقوا ولا تصدقوا حتى تسلموا أبواباً أربعة لا يصلح

شاهداً لله ببيانه للخلق على لساننا .

الحديث السادس : ضعيف وسيأتي بأدني اختلاف في كتاب الايمان والكفر بهذا السند .

«إنكم لا تكونون صالحين» أي لاصلاح ولا نجاه ولا قبول عند الله إلا بالمعرفة ، إذ لاصلاح إلا بالعبادة لمن يستحق أن يعبد ، ولا عبادة إلا بالمعرفة ، «ولا تعرفوا» بصيغة النهي ومعناه النفي ، والظاهر «ولا تعرفون» كما فيما سيأتي ، أي لا معرفة إلا بالتصديق لله ولرسوله وللحجج عليهم السلام ، ولا تصديق إلا بالتسليم والرضا بما من جانب المصدق به أعني الأبواب الأربعة ، وقيل : المراد بالتسليم الانقياد للأئمة عليهم السلام والرضا بما يصدر منهم «وأبواباً» منصوب بتقدير : الزموا ، أو خذوا ، أو اعلموا . وفي الأبواب الأربعة وجوه : «الاول» ما سمعته من الوالد قدس سره وهو أنها إشارة إلى الأربعة المذكورة في الآية الآتية ، أي التوبة ، و الايمان ، والعمل الصالح ، والاهتداء بولاية أهل البيت عليهم السلام ، وأصحاب الثلاثة هم التاركون للرابعة ، مع أنهم أصحاب الثلاثة على وجه آخر ايضاً لقولهم بخلافة الخلفاء الثلاثة .

الثاني : أن يكون المراد بها الأربعة الذين كانوا مع النبي صلى الله عليه وآله في الكساء فحمل الثلاثة على الخلفاء أنسب .

الثالث : أن يكون المراد بالأربعة الأصول الخمسة ، بجعل العدل داخل في التوحيد ، فإنه يرجع إلى صفاته تعالى ، وبالثلاثة ما سوى الامامة .

الرابع : أن أحد الأربعة ما يتعلق بمعرفة الله تعالى وتصديقه ، وثانيها ما يتعلق بتصديق رسوله ، وثالثها ما يتعلق بموالاة ولي الأمر من أهل البيت عليهم السلام ، و

أولها إلّا بآخرها ، ضلّ أصحاب الثلاثة وتاهوا نيتها بعيداً إنّ الله تبارك وتعالى لا يقبل إلّا العمل الصالح ولا يقبل الله إلّا الوفاء بالشروط والعهود ، فمن وفي لله عزّ وجلّ بشرطه واستعمل ما وصف في عهده نال ما عنده واستكمل [ما] وعده ، إنّ الله تبارك وتعالى أخبر العباد بطرق الهدى وشرع لهم فيها المنار وأخبرهم كيف يسلكون ، فقال : « وإني

رابعها ما يتعلق بالبرائة من أعدائهم .

الخامس : أن يكون المراد بها المذكورات في أوّل الخبر من الصّلاح والمعرفة ، وهي معرفة الله ، والتصديق ، أي لرسول الله ﷺ والتسليم أي الرضا والطاعة والانقياد لوليّ الله وحججه .

« لا يصلح أولها » المراد إمّا الأوّل والآخِر الحقيقيّين أو الأعمّ منهما ومن الإضافيين ، أي لا يتمّ كلّ سابق إلّا بلاحقه ، و تطبيقهما على كلّ من المعاني ظاهر « ضلّ أصحاب الثلاثة » أي الذين يرون الاكتفاء بالثلاثة الأوّل من الأربعة ، والغناء عن الرابع ، « وتاهوا » أي ضلّوا نيتها بعيداً عن الحقّ أو عن العقل « إنّ الله لا يقبل إلّا العمل الصّالح » أي إنّما يقبل من الأعمال العمل الصّالح فعليكم أن تكونوا صالحين بالآتيان به على الوجوب المطلوب الذي بالخروج عنه يخرج عن الصّلاح ، وإنّما يقبل الله ما يكون الاتيان به وفاء بالشروط التي شرطها على عباده ، والعهود التي عهد إليهم بها « فمن وفي لله تعالى بشرطه » عليه « واستعمل » فيما سيأتي واستكمل « ما وصف في عهده » إليه « نال ما عنده » من الثواب على الأعمال الصّالحة المقبولة المأتي بها على وجه يتعقّف به صلاحها ، ومن أخلّ بشيء منها لم يصحّ عمله ولم يقبل منه ما فعله ، ولم ينل ما عند الله من الثواب ، واستحقّ الخذلان والعقاب ، فلا تكونون صالحين إلّا بالوفاء بما شرط عليكم وعهد إليكم من المعرفة والتصديق والتسليم ، أو الأربعة المذكورة في الآية أو غيرهما ممّا تقدّم ، فهذا القول توضيح و تبين لما سبقه .

وقوله : « إنّ الله تبارك وتعالى أخبر العباد بطرق الهدى » النخ، بيان للشرط و

لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى»^(١) وقال : «إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ»^(٢)
فمن اتقى الله فيما أمره لقي الله مؤمناً بما جاء به محمد ﷺ ، هيهات هيهات فات قوم و
ما توافق أن يهتدوا وظنوا أنهم آمنوا ، وأشركوا من حيث لا يعلمون .

المهد منه سبحانه حيث قال : «وإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ» أي من الكفر «وآمن» أي بالله وبرسوله
وصدق الله ورسوله «وعمل صالحاً» أي عملاً صالحاً أمر به «ثم اهتدى» أي بعد التوبة و
الايمان ، والعمل بما كلف به من الأعمال الصالحة ، سلك طريق الهدى الذي أمر
بسلوكه من الأخذ عن الحجة فيما يحتاج إلى أخذه ، وإتباع من أمر بمتابعته و
جعل إماماً على المسلمين باعلام من الله ورسوله ، وفي الدلالة على تأخر الاهتداء
عن التوبة و الايمان والعمل الصالح و انفصاله عنها بقوله ، ثم أشار إلى أن المراد
بالاهتداء فيما يجب بعدها ، وإِنَّمَا الواجب بعدها ما يجب بعد زمن رسول الله ﷺ
من المراجعة في المعارف الالهية و الاحكام الشرعية إلى المنصوب لذلك من جانب الله
وإتباعه في أوامره و نواهيه الشرعية ، و حيث قال : «إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ»
أي إِنَّمَا تتقبل الأعمال الصالحة من الطاعات والعبادات من المتقين .

ولا يخفي دلالة على مغايرة التقوى للاتباع بها و التقوى المغايرة للاتباع بها
أخذها عن مأخذها والتجنب عن الأخذ عن غيره ، والدخول من غير الباب ، وتشريك
الطواغيت له سبحانه في الاعمال و العبادات ، كما قال تعالى في آية اخرى : «يا أيها
الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين»^(٣) .

«هيهات» تأكيد لقوله : ضل أصحاب الثلاثة ، وهو إسم فعل بمعنى بعد «و
أشركوا من حيث لا يعلمون» حيث أشركوا مع الامام المنصوب من قبل الله الطواغيت
و الفراعنة ، وقد أشير إلى ذلك في آيات كثيرة نحو قوله تعالى «و فريقاً حق عليهم
الضلالة إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون»^(٤) وقوله

(١) سورة طه : ٨٥

(٢) سورة المائدة : ٣١

(٣) سورة التوبة : ١١٩ .

(٤) سورة الاعراف : ٣٠ .

إنه من أتى البيوت من أبوابها اهتدي ، ومن أخذ في غيرها سلك طريق الردى ؛
وصل الله طاعة ولي أمره بطاعة رسوله ، وطاعة رسوله بطاعته ، فمن ترك طاعة ولادة
الأمر لم يطع الله ولا رسوله ، وهو الأقرار بما أنزل من عند الله عز وجل ، خذوا زينتكم

عز وجل : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله »^(١).

« أنه من أتى البيوت » إشارة إلى تأويل قوله تعالى « وأتوا البيوت من أبوابها »^(٢)
و أن المراد بها بيوت العلم والحكمة ، وبالأبواب الأوصياء عليهم السلام لقول النبي صلى الله عليه وآله :
أنا مدينة العلم أو الحكمة - وعلي بابها .

« وصل الله » الخ ، إشارة إلى قوله تعالى : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى
الأمر منكم »^(٣) حيث لم يفصل ولم يقل : وأطيعوا أولى الأمر منكم ، مع تكراره
في السابق للدلالة على أنهما تكليف واحد ، متعلق بأحدهما ، ففي زمان الرسول يتعلق
بالرسول ، و بعده يتعلق بولي الأمر ، و دليل على أن المراد بأولى الأمر ليس أمراء
السرايا ونحوهم كما توهمه المخالفون ، إذ لا ريب أنه تعالى لا يحكم بطاعة غير المعصوم
عموماً ، وطاعة رسوله بطاعته على الوجه السابق في قوله تعالى : « أطيعوا الله ورسوله »^(٤)
وقوله سبحانه : « ومن يطع الرسول فقد أطاع الله »^(٥) أو مطلقاً في آية أولى الأمر
أيضاً ، فلا يكون عدم تكرار « أطيعوا » منظوراً في الأول أيضاً ، و يحتمل أن يكون
المراد بوصل طاعة ولي الأمر بطاعة الرسول إدخالها فيه ، و جعل كل منهما مشروطاً
بالآخر ، و كذا وصل طاعة الرسول بطاعة الله ، وهذا نوع من الاستدلال أشاروا عليهم السلام
إليه في مواضع كاشتراط قبول الصلاة بابتاء الزكوة ، حيث قرنها الله في الآيات ، و
الایمان بالأعمال الصالحة لذلك .

« وهو » أي طاعة ولادة الأمر « الأقرار بما أنزل » بصيغة المجهول « من عند الله عز
وجل » في الآيات الآتية أو السابقة أو الأعم ، و على الوسط « خذوا زينتكم » اقتباس
من الآية دلالة على أن المراد بالزينة معرفة الامام و ولايته ، و بالمسجد الصلوة أو

(١) سورة التوبة : ٣١ . (٢) سورة البقرة : ١٨٩ .

(٣) سورة النساء : ٥٩ . (٤) سورة الانفال : ٢٠ . (٥) سورة النساء : ٨٠ .

عند كل مسجد والتمسوا البيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، فأنه أخبركم أنهم رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار إن الله قد استخلص الرّسل لأمره ، ثم استخلصهم

مطلق العبادة ، وقد ورد في بعض الرّوايات تأويل الزينة باللباس وبشباب التجميل والسواك ، والجمع بينها بأن الزينة شاملة لكل ما يزين به الانسان روحه وبدنه ، لقبول العبادة وكمالها ، فزينة الرّوح والنفس بالعقايد والاخلاق الحسنة ، والبدن بما ذكر .

«و التمسوا البيوت» اي أطلبوها ، ويدل على أن المراد بالبيوت بيوت الائمة عليهم السلام الصورية أو المعنوية ، فأنه قد ورد أنه ليس المراد بها البيوت المبنية بالطين والمدر فأنه أخبركم ، تعليل لكون المراد بها بيوتهم بأن الله تعالى وصف أهل تلك البيوت بصفات يخصهم ، حيث قال : «يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال» فضمير أنهم راجع إلى أهل البيوت بقرينة المقام ، و تفسير البيوت بالائمة عليهم السلام ، فأنهم منازل نور الله ، وجعل كلمة «في» في قوله «فيها» للسببية ، وتفسير الرّجال بأصحابهم الملتزمين للبيوت بعيد .

«لا تلهيهم تجارة» اي اشتراء فان أصل التاجر الحاذق بالامر ، والحذق إنما يحتاج إليه كثيراً في الشراء ، لأن الأول إشتراء مجهول بمعلوم ، والثاني بيع معلوم بمعلوم ، ربما تولا من لا بصيرة له وضرر ولا بيع الترقى فيه ، باعتبار أن البيع أهم عند التجار من الاشتراء ، لأن الأول إتفاقي والثاني باختيارهم «يخافون يوماً» اي عذاب يوم «تتقلب فيه القلوب والأبصار» ظهراً لبطن ، ومن جانب إلى جانب ، كتقلب الحية على الرّمضاء ، وذلك لشدة مصائبه وعظم نوائبه .

«إن الله قد استخلص الرّسل لأمره» قال الجوهرى : إستخلصه لنفسه استخصه «انتهى» اي جعلهم خالصين عن الأغراض الدنيوية والعلايق البدنية ، مخصوصين برسالته لأمر التبليغ والانذار وهداية الخلق «ثم استخلصهم» اي ولاة الامر المتقدم

مصدّقين بذلك في نُذْرِهِ، فقال : «وإن من أمة إلا خلا فيها نذير»^(١) تاه من جهل، واهتدى من أبصر و عقل .

ذكرهم «مصدّقين بذلك» الامر الذي بعث به الرّسول كائنين «في» جملة «نذره» فانّ النذير يشمل النبيّ و الامام كما قال تعالى : «وإن من أمة اى طائفة و أهل عصر و زمان «إلا خلا» اى مضى «فيها نذير» و يحتمل أن يكون «بذلك» متعلّقاً بقوله : استخلصهم ، لاصلة للتصديق ، ويكون إشارة إلى الامر ، أى بسبب الامر الذي بعث له الانبياء و هو تكميل الخلق و هدايتهم .

و يحتمل أن يكون على الأوّل النذر مصدراً بمعنى الانذار كما قيل في قوله تعالى : «فكيف كان عذابي ونذر»^(٢) اى إنذارى، فكلمة «في» للتعليل ، و الظرف متعلّق باستخلصهم . و يحتمل ايضاً أن يكون الضمير في قوله ﷺ : استخلصهم ، راجعاً إلى الانبياء ايضاً، فالمراد بالنذر الاوصياء، اى استخلصهم أوّلاً لامر تبليغ الشرايع ، ثم استخلصهم مصدّقين لله بذلك ، أى بالامر الذي أمروا بتبليغه في نذره بعدهم ، وهم الاوصياء ، أو المراد أنّه استخلصهم أوّلاً لعبادته وقربه ، ثمّ لما أكملهم إستخصّصهم لانذاره و رسالته و قيل : هذا تعليل لما سبق حيث أمرهم بالتماس البيوت و معرفتها و معرفة أهلها ، ثمّ قال : و ذلك غير متعسّر عليكم ، فانه تعالى أخبركم أنّهم رجال لا تلهيهم «النخ» و ليس هذا وصفاً للرّسل ، فانّهم إنّما يوصفون بالرسالة و تبليغ الامر و الانذار ، فانّ الله قد إستخلصهم و استخصّصهم لا مره و تبليغه و الرسالة فيه ، و بعد تصديقهم بذلك إستخصّصهم في نذره كما قال تعالى : «وإن من أمة إلا خلا فيها نذير» اى مضى وأرسل ، فالتعبير اللايق بهم الرّسول والنذير ، فقوله تعالى : «رجال لا تلهيهم» تعبیر عن غيرهم و هم ولاة الامر «انتهى» ولا يخفى ما فيه من التعسف .

«تاه» اى تحير و ضلّ عن إمام زمانه «من جهل» الكتاب و السنّة «واهتدى» إلى الامام «من أبصر» بعين قلبه طريق النجاة «وعقل» وفهم ما نزل على الرّسل ، ثمّ بين ﷺ أنّ الابصار الذي يوجب الهداية ماهو بابصار القلوب لا بابصار العيون بقوله

إن الله عز وجل يقول : « فإنيها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » ^(١) وكيف يهتدي من لم يبصر؟ وكيف يبصر من لم يتدبر؟ اتبعوا رسول الله وأهل بيته وأقرأوا بما نزل من عند الله واتبعوا آثار الهدى، فأنهم علامات الأمانة والتقوى واعلموا أنه لو أنكر رجل عيسى بن مريم عليه السلام وأقر بمن سواه من الرسل لم يؤمن، اقتصوا الطريق بالتماس المنار والتمسوا من وراء الحجب الآثار

تعالى : « فإنيها لا تعمى الأبصار، الضمير في إنيها للقصة، أو مبهم يفسره الأبصار، وفي « تعمى » راجع إليه، أو الظاهر أقيم مقامه، أي ليس الخلل في مشاعرهم، وإنما الفت عقولهم باتباع الهوى والانهماك في التقليد، وذكر الصدور للتأكيد ونفى التجوز وفضل التنبيه على أن العمى الحقيقي ليس المتعارف الذي يخص البصر.

ثم بين عليه السلام أن الاهتداء لا يكون إلا بأبصار القلب والتميز بين الحق والباطل، ولا يكون ذلك الأبصار إلا بالتدبر والتفكير في الآيات والخبار « اتبعوا رسول الله، فذلك للبحث ونتيجة لما سبق، و« آثار الهدى، الأئمة عليهم السلام، فأنهم علامة الهداية أو الدلائل الدالة على إمامتهم وجوب متابعتهم « فأنهم علامات الأمانة » أي المتصفون بها، أو بأقوالهم وأفعالهم تعلم أحكام الأمانة والتقوى، ثم بين عليه السلام وجوب الاقرار بجميع الأئمة عليهم السلام، واشتراط الإيمان به بأنه لو أقر رجل بجميع الأنبياء وأنكر واحداً منهم لم ينفعه إيمانه كما قال تعالى : « لا نفرق بين أحد من رسله » ^(٢) فكذلك من أنكر واحداً من الأئمة عليهم السلام لم ينفعه إقراره بسائر الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، لأن كلمة الأنبياء والأوصياء متفقة، وكل منهم مصدق بمن سواه، فأنكار واحد منهم إنكار للجميع.

« اقتصوا الطريق » يقال : قص أثره واقتصه أي اتبعه، أي إتبعوا طريق الشيعة والدین، أو اتبعوا أثر من تجب متابعتهم في طريق الدين بطلب المنار الذي به يعلم الطريق وهو الامام، والمنار بفتح الميم : محل النور الذي ينصب على الطريق ليهتدي به الضالون في الظلمات « والتمسوا » أي اطلبوا « من وراء الحجب » أي حجب الشكوك

تستكملوا أمر دينكم وتؤمنوا بالله ربكم .

٧- عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن محمد بن الحسين بن صغير ، عن حدثه ، عن ربعي بن عبدالله ، عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال :
أبى الله أن يجري الأشياء إلا بأسباب ، فجعل لكل شيء سبباً وجعل لكل سبباً شرحاً
وجعل لكل شرح علماً ، وجعل لكل علم باباً ناطقاً ، عرفه من عرفه ، وجهله من جهله ،

والشبهات والفتن التي صارت حجاباً بين الناس وفهم الحق والآثار ، أي آثار الهداية
ودلائلها ، وهم الائمة عليهم السلام ، أو دلائل إمامتهم أو المعنى إن لم يتيسر لكم الوصول
إلى الامام فاطلبوا آثاره وأخباره من روايتها وحملتها ، أو اطلبوا الامام المحجوب بحجاب
التقية والخوف حتى تصلوا إليه ، فإذا فعلتم ما ذكر فقد أكملت أمر دينكم بمعرفة
الائمة عليهم السلام ومتابعتهم ، وآمنت بالله حق الإيمان وإفليست بمؤمنين .

الحديث السابع : مجهول .

« أبى الله أن يجري الأشياء إلا بالاسباب » ^(١) أي جرت عادته سبحانه على وفق
قانون الحكمة والمصلحة أن يوجد الأشياء بالاسباب ، كإيجاد زيد من الآباء والمواد
والعناصر ، وإن كان قادراً على إيجادهم من كتم العدم دفعة بدون الاسباب ، وكذا علوم
أكثر العباد ومعارفهم ، جعلها منوطة بشرائط وعلل وأسباب ، كالمعلم والامام والرسول ،
والملك واللوح والقلم ، وإن كان يمكنه إفاضتها بدونها ، وكذا سائر الأمور التي تجري
في العالم ، ف فيما هو عليه بصدده بيان من الحاجة إلى الامام « الشيء » حصول النجاة
والوصول إلى درجات السعادات الآخوية أو الأعم « والسبب » المعرفة والطاعة و« الشرح »
الشريعة المقدسة و« العلم » بالتحريك أي ما يعلم بالشرع ، أو بالكسراى سبب علم وهو
القرآن و الباب الناطق الذي به يوصل إلى القرآن النبي صلى الله عليه وآله في زمانه والائمة
صلوات الله عليهم بعده .

فظهر أنه لا بد في حصول النجاة والوصول إلى الجنة الصورية والمعنوية من

(١) كذا في النسخ وفي المتن « الا بأسباب » .

ذلك رسول الله ﷺ ونحن .

٨- محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسين ، عن صفوان بن يحيى ، عن العلاء بن رزين ، عن محمد بن مسلم قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : كل من دان الله عز وجل بعبادة يجهد فيها نفسه ولا إمام له من الله فسيغفر له مقبول ، وهو ضال متحير والله شاني ، لأعماله ، ومثله كمثل شاة ضلت عن راعيها وقطيعها ، فهجمت ذاهبة وجائية يومها ، فلما

معرفة النبي ﷺ والامام عليه السلام ، ويحتمل أن يكون العلم الرسول ﷺ والباب الامام ، فقلوه : «ذاك» راجع إليهما معاً ، والأول أظهر .

الحديث الثامن : صحيح .

قلوه عليه السلام : كل من دان الله ، أى أطاع الله بزعمه أو عبد الله أو عامل الله « يجهد فيها نفسه » أى يجد ويبالغ فيها ويحمل على نفسه فوق طاقتها ، قال فى المغرب : جهده حمله فوق طاقتها من باب منع وأجهد لغة قليلة ، والجهد المشقة « ولا إمام له من الله » أى منصوب من قبل الله بأن لا يعتقد إمامته ، ولا يكون عمله بالأخذ عنه « وهو ضال متحير » حيث لم يأخذها عن مأخذها الموجب لصحة المعرفة ، فعمله لم يكن لله « والله شاني » أى مبغض لأعماله ، بمعنى أنها غير مقبولة عند الله و صاحبها غير مرضى عنه سبحانه « ومثله » أى فى أعماله وحيرته .

وقال الفيروز آبادى : هجم عليه هجوماً : انتهى إليه بغتة ، أودخل بغير إذن ، وفلاناً : أدخله كما هجمه ، والشئ : سكن وأطرق ، وفلاناً طرده « انتهى » .

فهو على بناء المعلوم أى دخلت فى السعى والتعب بلا روية ولا علم .
« ذاهبة وجائية » متحيرة فى جميع يومها ، فإن ذلك العامل لما لم يكن على ثقة من المعرفة بالعمل ، يكون فى معرض الشك والحيرة .

« فلما جنبها الليل » أى حان حين خوفه وأحاطت ظلمة الجهل به ولم يعرف من يحصل له الثقة به ، وطلب من يلحق به لحق على غير بصيرة لجماعة يراهم مجتمعين على من لا يعرف حاله وحن إليهم واغتر بهم ظناً منه أنهم على ما هو عليه .

جنّتها اللّيل بصرت بقطيع غنم مع [غير] راعيها ، فحنّت إليها واغترّت بها ، فباتت معها في مربضها فلما أن ساق الراعي قطيعه أنكرت راعيها وقطيعها ، فهجمت متحيّرة تطلب راعيها وقطيعها ، فبصرت بغنم مع راعيها فحنّت إليها واغترّت بها فصاح بها الراعي ؛ ألحقني براعيك وقطيعك فأنت تائهة متحيّرة عن راعيك وقطيعك ، فهجمت ذعرة ، متحيّرة ،

قوله : مع غير راعيها ، اي الشاة وفي بعض النسخ « مع راعيها » فالضمير راجع إلى الغنم .

وفي القاموس : الحزن : الشوق ، وتوقان النفس ، والذّعر : الفزع والخوف ، والحاصل أنّه ﷺ ذكر هذا التشبيه على سبيل التمثيل ، وهو عبارة عن تشبيه هيئة منتزعة من أشياء متعدّدة بهيئة أخرى ، ولا بدّ من إشتماله على تشبيهات متعدّدة للأجزاء بالأجزاء ، ففي هذا التمثيل شبه ﷺ الامام بالرّاعي ، والامة بالغنم ، والجاهل الذي لإمام له بالشاة التي ضلّت عن راعيها وقطيعها ، وشبه عبادته وسعيه لطلب الامام من غير بصيرة بتهجّم تلك الشاة ذاهبة وجائبة ، لاشتراكهما في الضلال والتحيّر مع السّعي والتردّد ولحوقه كل يوم بطائفة لتحيّره في أمره بلحوق الشاة الضالّة بالقطيع ، وتنفره عما يرى منهم من سوء العقائد والأعمال ، وأشياء يخالف ما في يده منهما بانكار الشاة راعيها وقطيعها ، وتنفر طائفة عنه محقّقين كانوا أو مبطلين ، لما يرون منه من رسوخه في الضلال وعدم إستعداده لقبول ما هم عليه ، إمّا للتقيّة أو لعدم تجويز تأثير النصّح فيه ، بصياح الراعي بالشاة النافرة : ألحقني براعيك وقطيعك الشيطان الذي يجعله ثابتاً في الضلالة ، بالذّئب المهلك .

فالتشبيه والتمثيل في غاية الحسن والتمام ، وهو وصف لحال الفرق الشاذّة عن الشيعة الاماميّة كالزيديّة والقططيّة والواقفيّة وأمثالهم ، فانهم لما تروا الامام الحق ، وضلّوا عنه ذهبوا إلى عبدالله الافطح وأمثاله ، فسألوهم عن مسائل ووجدوهم مخالفين لما وصل إليهم من أئمة الحق قولاً وفعلاً ، فتركوهم وذهبوا إلى طائفة أخرى من فرق الشيعة الضالّة فلم يقبلوهم ، أو إلى الفرقة الاماميّة فلم يتقوا بهم وردّوهم لعدم خلوص

تائهة ، لاراعي لها يرشدها إلى مرعاها أو يردّها ، فينهاي كذلك إذا اغتتم الذئب ضيعتها ، فأكلها ، وكذلك والله يا محمد من أصبح من هذه الأمة لإمام له من الله عز وجلّ ظاهر عادل أصبح ضالاً تائهاً ، وإن مات على هذه الحالة مات ميتة كفر وفاق ، واعلم يا محمد أنّ

نيتهم وإستعدادهم لقبول الحقّ ، فاغتتم الشيطان ضلالهم وحيرتهم و وسوس إليهم أنّ هذه الفرق كلهم ضالة فالحق بالمخالفين ، فهلك هلاكاً لا يرجو النجاة ، وكالمخالفين الذين تركوا أمير المؤمنين وتحسروا في خلافته فذهبوا إلى خلفاء الجور فلما رأوا منهم خلاف سيرة النبي ﷺ وطريقته ذهبوا إلى أهل الحقّ إمتحاناً من غير بصيرة فردّوهم نقيّةً أولغير ذلك ، فوسوس إليهم الشيطان وردّوهم إلى الكفر الاصلى ، أوسدّ عليهم الحقّ حتّى هلكوا في الحيرة والضلالة ، أو تركوا جميع المذاهب وذهبوا إلى الالحاد .

كما روي أنّ ابن أبي العوجاء كان من تلامذة الحسن البصري ، فأنحرف عن التوحيد ، فقيل له : تركت مذهب صاحبك ودخلت فيما لا أصل له ولا حقيقة ؟ فقال : إنّ صاحبي كان مخطئاً كان يقول بالقدر ، وطوراً بالجبر ، وما أعلمه إعتقد مذهباً دام عليه .

قوله ﷺ : إذا اغتتم الذئب ضيعتها ، أى ضياعها وكونها بلا راع وحافظ فيكون مصدرأ ، وقيل : الضمير راجع إلى قطيع الغنم ، أى ماضاع منها وقيل : إنّما اكتفى براعيين وقطيعين للإشارة إلى أنّ كلّ طريق من طرق الضلالة إمّا مشتمل على الافراط أو على التفريط ، والوسط هو الحق .

قوله : ظاهر ، أى بين حجّيته بالبرهان وإن كان غائباً ، وقال الفاضل التستري (ره) : الظاهر أنّه بالطاء المهملة ، ويؤيّده ما في بعض الروايات : إنّ الله طهرنا وعصمنا « انتهى » .

وقال الجوهري : الميتة بالكسر : كالجلسة والركبة يقال : مات فلان ميتة حسنة

« انتهى » .

أئمة الجور وأتباعهم لمعزولون عن دين الله قد ضلوا وأضلوا، فأعمالهم التي يعملونها كرماد اشتدَّت به الريح في يوم عاصف، لا يقدرّون ممّا كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد.

٩- الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن محمد بن جمهور، عن عبد الله بن عبد الرحمن عن الهيثم بن واقد، عن مقرن قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: جاء ابن الكواء إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين «و على الأعراف رجال يعرفون كلاً»

أقول: وهذا الخبر صريح في كفر المخالفين لانكارهم أصلاً عظيماً من أصول الدين، وتفاقهم لأنهم يقرّون ظاهراً بما جاء به النبي صلى الله عليه وآله وينكرون في القلب عمدتها وأضلوا، «فأعمالهم» إلى آخره، تضمين للآية الكريمة، وهي قوله تعالى: «مثل الذين كفروا بربّهم أعمالهم كرماد اشتدَّت به الريح» أي حملته وطيرته «في يوم عاصف» أي شديدة ريحه، ووصف اليوم بالعصف للمبالغة «لا يقدرّون» أي يوم القيامة «ممّا كسبوا على شيء» لحبوطه «ذلك» أي ضلالهم مع حسابهم أنهم يحسنون «هو الضلال البعيد» لكونهم في غاية البعد عن طريق الحق.

الحديث التاسع: ضعيف.

قوله تعالى: «و على الأعراف رجال» أعلم أن المفسرين أقوالاً شتى في تفسير الأعراف وأصحابه، فأما تفسير الأعراف فلهم فيه قولان:

الأول: أنها سوربين الجنة والنار، أو شرفها وأعلىها.

والثاني: أن المراد على معرفة أهل الجنة والنار رجال، والاختلاف تدلّ عليهما، وربما يظهر من بعضها أنه جمع عريف كشریف وأشراف، فالتقدير على طريقة الأعراف رجال، أو على التجريد، أو معنى الأعراف العارفون بالله تعالى وبحججه صلى الله عليه وآله، وتكرار كلمة على للاستعلاء كما في قولهم فلان مهيم على قومه وحفيظ عليهم، فالأعراف جمع عارف كناسر وأنصار، وظاهر وأطهار.

ثم القائلون بالأول اختلفوا في أن الذين على الأعراف من هم؟ فقيل: أنهم الأشراف من أهل الطاعة والثواب، وقيل: أنهم أقوام يكونون في الدرجة السافلة

بسيماهم^(١)؟ فقال: نحن على الأعراف، نعرف أئصارنا بسيماهم، ونحن الأعراف الذي

من أهل الثواب، فالقائلون بالاول منهم من قال أنهم ملائكة يعرفون أهل الجنة والنار، ومنهم من قال: أنهم الانبياء وأجلسهم الله على أعالي ذلك السور تمييزاً لهم عن سائر أهل القيامة، ومنهم من قال: أنهم الشهداء، والقائلون بالثاني، منهم من قال: أنهم أقوام تساوت حسناتهم وسيئاتهم، ومنهم من قال: أنهم قوم خرجوا إلى الغزو بغير إذن إمامهم، وقيل: إنهم مساكين أهل الجنة، وقيل: إنهم الفساق من أهل الصلاة، ويظهر من الاخبار التي أوردتها في الكتاب الكبير الجمع بين القولين، وأن الأئمة عليهم السلام يقومون على الأعراف لتمييزا شيعتهم من مخالفيهم، ويشفعوا للفساق محبسيهم وإن قوماً من المذنبين أيضاً يكونون فيها إلى أن يشفع لهم.

وفي هذا الخبر أيضاً إشارة إلى إطلاقات الأعراف ومعانيها، وأن الرّجال هم عليهم السلام كما قيل: إن الأعراف مأخوذ من العرفان، وهو يطلق على الموضع المشرف المعين بأشرافه على إطلاق من عليه.

فبهذه الجهة قال عليه السلام: نحن على الأعراف، ويطلق على حامل المعرفة المتأمل فيها، الذي إنما يعرف غيره بوساطته كالحجج من الرّسل والانبياء، و ولاية الامر عليهم السلام، وعلى هذا الاطلاق قال: ونحن الأعراف الذين لا يعرف الله تعالى إلاّ بسبيل معرفتنا.

ويطلق على المعرف الذي إنما يتم المقصود بمعرفته، وعلى هذا قال: نحن الأعراف يعرفنا الله يوم القيامة على الصراط، فإن اريد ظاهر الآية فالاعراف هو المعبر عنه بالسور بين الجنة والنار، ومن عليه من الرّجال الحجج عليهم السلام الذين يعرفون كلاً بسيماهم، وإنما ينال المقصود بمعرفتهم، وهم الحافظون لها المحيطون بأطرافها ويستحقون أن يطلق عليهم الأعراف لاشتمالهم عليها وإحاطتهم بها.

لَا يَعْرِفُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا بِسَبِيلٍ مَعْرِفَتَنَا ، وَنَحْنُ الْأَعْرَافُ يَعْرِفُنَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى الصِّرَاطِ ، فَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَنَا وَعَرَفَنَاهُ ، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَنَا وَأَنْكَرَنَاهُ .

فَقُولُهُ : وَنَحْنُ الْأَعْرَافُ كَقَوْلِهِ ﷺ : أَنَا كَلَامُ اللَّهِ النَّاطِقُ ، وَلَعَلَّ قَوْلَهُ ﷺ : وَنَحْنُ الْأَعْرَافُ الَّذِينَ لَا يَعْرِفُ اللَّهُ إِلَّا بِسَبِيلٍ مَعْرِفَتَنَا ، بِالنَّظَرِ إِلَى أَحْوَالِ الدُّنْيَا ، وَقَوْلُهُ : وَنَحْنُ الْأَعْرَافُ يَعْرِفُنَا اللَّهُ تَعَالَى ، بِالنَّظَرِ إِلَى أَحْوَالِ الْعَقْبَى .

وَقَوْلُهُ : « وَعَرَفَنَاهُ ، الظَّاهِرُ أَنَّهُ مِنَ الْمَجْرَدِ دَايِ مَنَاطِ دُخُولِ الْجَنَّةِ مَعْرِفَتَهُمْ بِنَا بِالْحَجِيَّةِ وَالْوَلَايَةِ ، وَمَعْرِفَتَنَا إِيَّاهُمْ بِكُونِهِمْ أَنْصَارَنَا وَمَوَالِينَا ، وَرَبَّمَا يَقْرَأُ مِنْ بَابِ التَّفْعِيلِ ، أَيْ مَنَاطِ دُخُولِ الْجَنَّةِ مَعْرِفَتَهُمْ بِنَاوَبَامَتِنَا وَتَعْرِيفُنَا مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ .

وَقِيلَ فِي تَأْوِيلِ الْآيَةِ : إِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى : « وَ عَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ » بَيَانٌ لِحَالِ الْمُفَرَّقِينَ وَالْحُجَجِ فِي الدُّنْيَا ، فَإِنَّ مَعْرِفَةَ الطَّائِفَتَيْنِ وَالتَّمْيِيزَ بَيْنَهُمَا بِالسِّمَاءِ وَالْعَلَامَةِ إِنَّمَا تَكُونُ فِي الدُّنْيَا ، وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَلَا تَمْيِيزَ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ فِي غَايَةِ الظُّهُورِ لَا يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَعْرِفَ بِالسِّمَاءِ ، وَكَذَا قَوْلُهُ : « لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ » يَنَاسِبُ حَالَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَكَذَا قَوْلُهُ : « وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تَلَقَّاءُ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ » يَعْنِي إِذَا أَرَادُوا أَهْلَ النَّارِ الَّذِينَ عَرَفُوهُمْ بِسِمَائِهِمْ وَمَاهِمُ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ أَوْ الْفُسْقِ ظَاهِرًا كَانَ أَوْ بَاطِنًا اسْتَعَاذُوا بِاللَّهِ وَدَعَا اللَّهُ أَنْ لَا يَجْعَلَهُمْ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ . وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَ نَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ » فَيَحْتَمِلُ الْوُقُوعَ فِي الدَّارَيْنِ ، وَكَذَا قَوْلُهُ : « وَ نَادَى أَصْحَابَ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِمَائِهِمْ » الْآيَةُ وَإِنْ كَانَ الظَّاهِرُ فِيهِ كَوْنُهُ حِكَايَةَ قَوْلِهِمْ فِي الْآخِرَةِ ، بِأَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ : وَ نَادَى أَصْحَابَ الْآخِرَةِ رِجَالًا كَانُوا يَعْرِفُونَهُمْ فِي الدُّنْيَا بِسِمَائِهِمْ وَقَالُوا ذَلِكَ الْقَوْلَ وَلَكِنْ يَجُوزُ حَمْلُهُ عَلَى الْوُقُوعِ فِي الدُّنْيَا ، أَوْ عَلَى مَا هُوَ أَعَمُّ .

وَعَلَى أَيِّ تَقْدِيرٍ لَا يَنَافِي كَوْنُ مَا سَبَقَ مِنَ الْمَذْكُورَاتِ إِخْبَارًا عَنْ حَالِ الْعَارِفِينَ فِي الدُّنْيَا ، فَقَوْلُهُ ﷺ : نَحْنُ عَلَى الْأَعْرَافِ ، تَنْبِيهُ عَلَى أَنَّ مَعْنَى « عَلَى الْأَعْرَافِ » عَلَى الْمَعْرِفَةِ ، وَأَنَّ كَلِمَةَ « عَلَى » هُنَا لِلْإِسْتِعْلَاءِ الْمَعْنَوِيِّ لَا الْمَكَانِي ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ

إِنَّ اللَّهَ تبارك وتعالى لو شاء لعرف العباد نفسه و لكن جعلنا أبوابه وصراطه وسيله والوجه الذي يؤتى منه ، فمن عدل عن ولايتنا أو فضل علينا غيرنا ، فأنهم عن الصراط لنا كبون ، فلا سواء من اعتصم الناس به ولا سواء حيث ذهب الناس إلى عيون

أضارهم أهل الجنة ، وأعدائهم أهل النار ، وهم يعرفون الفريقين في الدنيا بسميماهم ، لا بظواهر أعمالهم وقوله ﷺ : « ونحن الاعراف الذي لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتنا » أراد بالاعراف ما يعرف به الشيء سواء كان ما به المعرفة ذاتاً أو صفة من باب تسمية الشيء باسم سببه . أما قوله : و نحن الاعراف يعرفنا الله ، فأراد بالاعراف ها هنا نفس المعروف بالذات ، كما يطلق العلم على الصورة العلمية ، وهي المعلومة بالذات فأنه تعالى بهم يعرف أمتهم وأتباعهم إلى آخر ما حققه ولا نطيل الكلام بإيراده .

قوله ﷺ : « ولكن جعلنا أبوابه » أي أبواب معرفته وعلمه « وصراطه » الذي يعرف طريق عبادته « وسيله » الذي به يعرف الوصول إلى قربه وجنته ، والحاصل أنه تعالى كان قادراً على أن يعرف العباد جميع ذلك بنفسه ، لكن كانت المصلحة مقتضية لأن يجعلنا وسيلة فيها « ولا سواء » أي ليس بمستوى من اعتصم الناس أي المخالفون به ولا سواء من اعتصمهم به ، نظير قوله تعالى : « وما يستوى الأحياء ولا الأموات »^(١) وفيه مبالغة في نفى التساوي ، أو الثاني تكرار للأول والشق الآخر محذوف فيهما ، أي لا سواء من اعتصموا به ومن اعتصمتم به ، ولا يستوى صنع الناس وصنعكم^(٢) في الاعتصام .

أقول : ويحتمل أن يكون المراد بالناس جميعهم من المحققين والمبطلين ، وكذا من اعتصموا به ، أي ليس الكذين يعتصم الناس بهم متساوين ، ولا سواء المعتصمون بهم أو ما ينتفعون به منهم .

وفيه : أنه لا بد من حمل الناس ثانياً على المخالفين ، وكونه في كل من الموضعين بمعنى آخر بعيد ، ثم بين ﷺ عدم المساوات على الوجوه كلها فقال : « حيث ذهب الناس

(١) سورة فاطر : ٢٢ .

(٢) وفي بعض النسخ « منع الناس ومنعكم » والظاهر هو المختار .

كدرة يفرغ بعضها في بعض ، وذهب من ذهب إلينا إلى عيون صافية تجري بأمر ربها ،
لا تفادلهما ولا انقطاع .

١٠- الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ، عن علي بن محمد ، عن بكر بن صالح عن
الريان بن شبيب ، عن يونس ، عن أبي أيوب الخزاز ، عن أبي حمزة قال : قال أبو جعفر
عليه السلام : يا أبا حمزة يخرج أحدكم فراسخ فيطلب لنفسه دليلاً وأنت بطرق السماء أجهل
منك بطرق الأرض ، فاطلب لنفسك دليلاً .

إلى عيون كدرة يفرغ على بناء المجرد المعلوم أولاً أفعال معلوماً أو مجهولاً « بعضها
في بعض » أو من بعض ، قال الجوهري : فرغ الماء بالكسر يفرغ فراغاً مثل سمع يسمع
سماعاً أى إنصب وأفرغته أنا « انتهى » .

والحاصل أنه عليه السلام شبه العلم بالماء لأنه سبب للحياة الروحاني ، كما أن
الماء سبب للحياة البدني ، وقد شبه به في كثير من الآيات الفرقانية ، وشبه علوم علماء
المخالفين وخلفائهم بالمياه النابعة من العيون القليلة الماء المكثرة بالطين وغيره ،
ينقطع ينعها وينفد ماؤها بأخذ شيء قليل منها ، لأنهم خلطوا شيئاً قليلاً وصل إليهم
من الحكم والشرائع ، بالشبه الباطلة والأوهام الفاسدة ، وإن أجابوا عن قليل من
المسائل ينتهي علمهم ، ولا يجيبون فيما سواها ، ويفرغ بعضها في بعض ، أى يأخذ هذا
عن هذا وهذا عن هذا ولا ينتهي علمهم إلى من يستغنى بعلمه عن علم غيره ، فهي قاصرة
كمماً وكيفاً ، وشبه علوم أهل البيت عليه السلام بالمياه الجارية عن عيون صافية تجري بأمر
ربها ، لا تفادلهما ولا انقطاع ، إذبحار العلوم والحكم فائضة أبداً على قلوبهم من منابع
الوحي والالهام ، ولاتشوب بالآراء والاهام .

الحديث العاشر : ضيف .

والمراد بطرق السماء ، الطرق المألومة بالوحي ، التازل من السماء ، أو الطرق
الموصلة إلى الجنة التي في السماء ، أو الطرق المؤدية إلى سماء المعرفة والكمال ،
والأعرافية ظاهرة إذا الأمور المحسوسة أوضح من الأمور المعقولة .

١١- علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن أيوب بن الحر ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل : «ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً» ^(١) فقال : طاعة الله ومعرفة الإمام .

١٢- محمد بن يحيى ، عن عبد الله بن محمد ، عن علي بن الحكم ، عن أبان ، عن أبي بصير قال : قال لي أبو جعفر عليه السلام : هل عرفت إمامك ؟ قال : قلت : إي والله ، قبل أن أخرج من الكوفة ، فقال : حسبك إذا .

١٣- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن محمد بن إسماعيل ، عن منصور بن يونس ، عن بريد قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول في قول الله تبارك وتعالى : «أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس» ^(٢) فقال : «ميت» لا يعرف شيئاً و«نوراً

الحديث الحادي عشر : صحيح .

قوله عليه السلام : طاعة الله ، قيل : لما كانت الحكمة استكمال النفس الانسانية بحسب قوته العلمية والعملية وإنما استكمالها بالمعارف الحقّة والتحلي بالفضائل من الصفات والأتيان بالمحسنات ، والسلامة عن الرذائل وارثاب السيئات ، وقد أمر الله سبحانه عباده بجميعها ، وبين لهم منهجها وسبيلها ، وتجمعها طاعة الله المنوطة بمعرفة الامام ، ففسرها بطاعة الله ومعرفة الامام .

الحديث الثاني عشر : مجهول .

قوله عليه السلام : « حسبك إذا » فإن من عرف إمامه وتمسك به قولاً وفعلًا فقد استكمل بواعث النجاة .

الحديث الثالث عشر : موثق .

وفسر الميت بالجاهل ، ويعلم منه تفسير الحي بالعالم ، و«نوراً يمشي به في الناس» بامام يأنم به بعد معرفته ومن « مثله » وصفته انه « في الظلمات ليس بخارج منها » بالذي لا يعرف الامام فان من لا يعرفه لا يمكنه الخروج من ظلمات الجهل .

(١) سورة البقرة : ٢٦٩ .

(٢) سورة الانعام : ١٢٣ .

يمشي به في الناس : إماماً يؤتمّ به « كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها » قال :
الذي لا يعرف الإمام .

١٤- الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ، عن محمد بن أورمة ومحمد بن عبدالله ، عن عليّ بن حسان ، عن عبدالرحمن بن كثير ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال أبو جعفر عليه السلام : دخل أبو عبدالله الجدليّ على أمير المؤمنين فقال عليه السلام : يا أبا- عبدالله ألا أخبرك بقول الله عزّ وجلّ : « من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون » * ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون إلا ما

وقوله : « يمشي به في الناس » المراد به المشي العقلاني والسعي الروحاني في درجات المعارف الإلهية ، والمراد بالناس المقرّبون ، وسائر الناس ناساً أو الأعم ، أى كائناً بين الناس معدوداً منهم ، أو المراد بالمشي فيهم المعاملة والمعاشرة معهم بهديتهم ورعايتهم والتقية منهم ، وسائر ما يجري بينه وبينهم ، ومن كان عالماً حياً لا يعرف الإمام فهو في الظلمات كالأموات لا يتخلص منها ولا ينتفع بعلمه .

الحديث الرابع عشر ضعيف ، لكن هذا المضمون مروي بطرق كثيرة مستفيضة .
ورواه الثعلبي في تفسيره عن أبي عبدالله الجدليّ عن أمير المؤمنين عليه السلام ورواه الطبرسي عن مهدي بن نزار عن أبي القاسم الحسكاني بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام ، وقال في قوله تعالى : « من جاء بالحسنة » أى بكلمة التوحيد والإخلاص عن قتادة ، وقيل : بالآيمان « فله خير منها » قال ابن عباس : أى فمنها يصل الخير إليه ، والمعنى فله من تلك الحسنة خير يوم القيامة وهو الثواب والامان من العقاب ، فخير ههنا اسم وليس بالذي هو بمعنى الفضل ، وهو المروى عن الحسن وعكرمة وابن جريج ، وقيل : معناه فله أفضل منها في عظم النفع ، فأنه يعطى بالحسنة عشرة ، وقيل : هو رضوان الله ورضوان من الله أكبر « وهم من فزع يومئذ » قريء فزع بالتثوين ويومئذ بفتح الميم وبغير تنوين بكسر الميم وبفتحها ، قال الكلبي : إذا أطبقت النار على أهلها فزعوا فزعة لم يفزعوا مثلها وأهل الجنة آمنون من ذلك الفزع « ومن جاء بالسيئة » أى بالمعصية الكبيرة أتى هو الكفر والشرك ، عن ابن عباس وأكثر المفسرين « فكبت وجوههم في النار »

كنتم تعملون»^(١)؟ قال : بلى يا أمير المؤمنين جعلت فداك ، فقال : الحسنه معرفة الولاية وحبنا أهل البيت، والسئته إنكار الولاية وبغضنا أهل البيت ، ثم قرأ عليه هذه الآية.

﴿ باب فرض طاعة الائمة ﴾

١- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن حماد بن عيسى ، عن حريز ، عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الأشياء ورضا الرحمن تبارك وتعالى الطاعة للإمام بعد معرفته ، ثم قال : إن الله تبارك وتعالى يقول:

« اى ألقوا في النار منكوسين » هل تجزون إلا ما كنتم تعملون ، اى هذا جزاء فعلكم وليس بظلم « انتهى » .

والحاصل : أنه لما كانت معرفة الولاية والامامة مناط الحسنه لانها إنما تكون حسنة بالأخذ عن مأخذها المنتهى إلى الله سبحانه ، حتى يكون الايمان بها طاعة له وبدونه تكون سيئة ، وطاعة للطواغيت وأهل الغي والضلال ، فسر الحسنه بمعرفة الولاية وحب أهل البيت عليهم السلام الداعى إلى متابعتهم والأخذ عنهم ، والسئته بإنكار ولايتهم وبغضهم عليهم السلام مع أن الإقرار بامامتهم وحبهم من أعظم أركان الايمان ، والشرط الأعظم لقبول جميع الأعمال .

باب فرض طاعة الائمة عليهم السلام

الحديث الاول : حسن.

وذروة الأمر بالضم والكسر : أعلاه ، والأمر الايمان أو جميع الامور الدينية أو الأعم منها ومن الدينوية « وسنامه » بالفتح اى أشرفه وأرفعه مستعاراً من سنام البعير لانه أعلى عضومنه ، « ومفتاحه » أى ما يفتح ويعلم به سائر أمور الدين ، « وباب الأشياء » أى سبب علمها أو ما ينبغى أن يعلم قبل الدخول فيها ، أو ما يصير سبباً للدخول في منازل الايمان ، وعلى بعض الوجوه تعميم بعد التخصيص .

« ورضا الرحمن » بالكسر والقصر بمعنى ما يرضى به « بعد معرفته »

«من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً» ^(١).

٢- الحسين بن محمد الأشعري ، عن معلى بن محمد ، عن الحسن بن علي الوشاء عن أبان بن عثمان ، عن أبي الصباح قال : أشهد أني سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : أشهد أن علياً إمام فرض الله طاعته وأن الحسن إمام فرض الله طاعته وأن الحسين إمام فرض الله طاعته وأن علي بن الحسين إمام فرض الله طاعته وأن محمد بن علي إمام فرض الله طاعته .

٣- وبهذا الإسناد ، عن معلى بن محمد ، عن الحسن بن علي قال : حدثنا حماد ابن عثمان ، عن بشير العطار قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : نحن قوم فرض الله طاعتنا

أي الامام أو الرحمن تعالى شأنه والاول أظهر « ومن تولى » أي عن طاعته « حفيظاً » أي تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها ، إنما عليك البلاغ وعلينا الحساب ، والاستشهاد بالآية إما لأن طاعة الرسول عليه السلام إنما كانت تجب من حيث الخلافة والامامة التي هي رياسة عامة ، فانه عليه السلام كان إماماً على الناس في زمانه مع رسالته ، فبهذه الجهة تجب طاعة الامام بعده ، وأولعلمه عليه السلام بأن المراد بالرسول فيها أعم من الامام ، أو لأن الرسول ﷺ أمر بطاعة الأئمة عليهم السلام بالنصوص المتواترة ، فطاعتهم طاعة الرسول ﷺ وطاعته طاعة الله ، فطاعتهم طاعة الله ، أو علم عليه السلام أن المراد بطاعة الرسول طاعته في تعيين أولى الامر بعده وأمره بطاعتهم ، أولاً فهم عليهم السلام لما كانوا آب الرسول ﷺ وخلفائه فحكمهم حكمه في جميع الاشياء ، إلا ما يعلم اختصاصه بالرسالة وهذا ليس منه .

الحديث الثاني : ضعيف .

الحديث الثالث : ضعيف على المشهور .

«فرض الله طاعتنا» أي بالآيات الكريمة كقوله تعالى «وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم» وبما جرى من ذلك على لسان رسوله ﷺ «بمن لا يعذر الناس» أي

وأنتم تأتمون بمن لا يعذر الناس بجهالته .

٤- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن حماد بن عيسى عن الحسين بن المختار ، عن بعض أصحابنا ، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل : «وآتيناهم ملكاً عظيماً» ^(١) قال : الطاعة المفروضة .

٥- عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن محمد بن سنان ، عن أبي خالد القمط عن أبي الحسن العطار قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : أشرك بين الأوصياء والرسل في الطاعة .

٦- أحمد بن محمد ، عن محمد بن أبي عمير ، عن سيف بن عميرة ، عن أبي الصباح الكناني قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : نحن قوم فرض الله عز وجل طاعتنا ، لنا الأنفال ، و

المخالفون أو الأعم "بجهالته" لوضوح الامر وإن خفى عليهم فبتقصيرهم أو لكونه من أعظم أركان الإيمان وربما يخص بغير المستضعفين .
الحديث الرابع : مرسل .

قوله : الطاعة المفروضة ، أي الامامة التي هي رياسة عامة على الناس ، وفرض الطاعة من الله والانقياد لهم ، فأنه خلافة من الله ، وملك وسلطنة عظيمة لا يدانيه شيء من مراتب الملك والسلطنة .

الحديث الخامس : ضعيف على المشهور .

قوله عليه السلام : «أشرك» على صيغة الامر أو الماضي المجهول أو المعلوم ، والفاعل الضمير الراجع إلى الله بقرينة المقام ، والأوسط أظهر ، أي وجوب الطاعة غير مختص بالأنبياء بل الأوصياء أيضاً مشتركون معهم .

الحديث السادس صحيح .

والانفال جمع نفل بالفتح وبالتحريك وهو الزيادة ، والمراد هنا ما جعله الله تعالى للنبي في حياته وبعده للإمام زائداً على الخمس وغيره مما اشترك فيه معه غيره ، قال في مجمع البيان : قد صححت الرواية عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام أنهما قالوا : الانفال

لنا صفوا المال ونحن الراسخون في العلم ، ونحن المحسودون الذين قال الله : «أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله»^(١).

٧- أحمد بن محمد ، عن علي بن الحكم ، عن الحسين بن أبي العلاء قال : ذكرت لأبي عبد الله عليه السلام قولنا في الأوصياء أن طاعتهم مفترضة قال : فقال : نعم ، هم الذين قال الله تعالى : «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم»^(٢) وهم الذين قال الله

كل ما أخذ في دار الحرب بغير قتال ، وكل أرض إنجلي أهلها عنها بغير قتال ، وميراث من لا وارث له ، وقطيع الملوك إذا كانت في أيديهم بغير غصب ، والآجام وبطون الأودية ، والأرضون الموات وغير ذلك مما هو مذكور في مواضعه .

وقالا عليه السلام : هي لله وللرسول ، وبعده لمن قام مقامه ، يصرفه حيث شاء من مصالح نفسه ، ليس لأحد فيه شيء انتهى .

«ولنا صفو المال» أي خالصه ومختاره ، من صفا ياء ملوك أهل الحرب وقطيعهم وغير ذلك مما يصطفى من الغنيمة ، كالفرس الجواد والثوب المرتفع ، والجارية الحسنة والسيف الفاخر وأضرابها «ونحن الراسخون في العلم» الممدوحون في القرآن كما سيأتي وكذا يأتي ذكر المحسودين إنشاء الله .

الحديث السابع : حسن كالصحيح .

«وأولي الأمر منكم» قال الطبرسي رحمه الله : للمفسرين فيه قولان : أحدهما أنهم الأمراء ، والآخر أنهم العلماء ، وأما أصحابنا فأنهم رووا عن الباقر والصادق عليه السلام أن أولي الأمرهم الأئمة من آل محمد عليه السلام أوجب الله طاعتهم بالاطلاق ، كما أوجب طاعته وطاعة رسوله ، ولا يجوز أن يوجب الله طاعة أحد على الإطلاق إلا من ثبتت عصمته ، وعلم أن باطنه كظاهره وأمن منه الغلط والامر بالقيح ، وليس ذلك بحاصل في الأمراء ولا العلماء سواهم ، جل الله سبحانه أن يأمر بطاعة من يعصيه ، وبالنقياد للمختلفين بالقول والفعل ، لأنه محال أن يطاع المختلفون كما أنه محال

عز وجل: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا»^(١)

أن يجتمع ما اختلفوا فيه .

ومما يدل على ذلك أيضاً أن الله سبحانه لم يقرن طاعة أولى الامر بطاعة رسوله ، كما قرن طاعة رسوله بطاعته إلا وأولوا الأمر فوق الخلق جميعاً ، كما أن الرسول فوق أولى الأمر وفوق سائر الخلق ، وهذه صفة أئمة الهدى من آل محمد ﷺ الذين ثبتت إمامتهم وعصمتهم ، وانفقت الامة على علو رتبهم وعدالتهم «انتهى» .

قوله تعالى : « إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ » الآية ، أقول : هذه الآية عمدة ما استدل به أصحابنا رضي الله عنهم على إمامة أمير المؤمنين صلوات الله عليه ، وتقريره يتوقف على بيان أمور :

الاول : أن الآية خاصة وليست بعامة لجميع المؤمنين ، وببانه ان الله تعالى خص الحكم بالولاية بالمؤمنين المتصفين باقامة الصلاة وإيتاء الزكاة في حال الركوع ، ومعلوم أن تلك الاوصاف غير شاملة لجميع المؤمنين ، وليس لأحد أن يقول : « أن المراد بقوله : «وهم راكمون» أن هذه شيمتهم وعادتهم ، ولا يكون حالاً عن إيتاء الزكاة ، وذلك لأن قوله : « يقيمون الصلاة » قد دخل فيه الركوع فلولم يحمل على الحالية لكان كالتكرار ، والتأويل المفيد أولى من البعيد الذي لا يفيد ، وأما حمل الركوع على غير الحقيقة الشرعية بحمله على الخضوع من غير داع إليه سوى العصبية لا يرضى به ذو فطنة سوية ، مع أن الآية على أي حال تتأدى بسياقها على الاختصاص .

وقد قيل فيه وجه آخر : وهو أن قوله : « إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ » خطاب عام لجميع المؤمنين ودخل في الخطاب النبي ﷺ وغيره ، ثم قال : «ورسوله» فأخرج النبي ﷺ من جملتهم لكونهم مضافين إلى ولايته ثم قال : « والذين آمنوا » فوجب أن يكون الذي خوطب بالآية غير الذي جعلت له الولاية وإلا أدى إلى أن يكون المضاف هو المضاف إليه بعينه ، وإلى أن يكون كل واحد من المؤمنين ولي نفسه وذلك محال ، وفيه بعض المناقشات والأول أسلم منها .

الثاني : أن المراد بالوليّ هنا الأولي بالتصرّف ، والذي يلي تدبير الأمر ، كما يقال : فلان وليّ المرأة ووليّ الطفل ، ووليّ الدم ، والسّلطان وليّ أمر الرعيّة ويقال لمن يقيمه بعده : هو وليّ عهد المسلمين ، وقال الكميّ يمدح عليّاً عليه السلام :

ونعم وليّ الأمر بعد وليّه
ومنتجع التقوى ونعم المؤدّب
وقال المبرّد في كتاب العبارة عن صفات الله : أصل الوليّ الذي هو أولى أي أحقّ ، والوليّ وإن كان يستعمل في معانٍ آخر كالمحبّ والنّاصر لكن لا يمكن إرادة غير الأولي بالتصرّف والتدبير ههنا ، لأنّ لفظة إنّما تفيد التخصيص ، ولا يرتاب فيه من تتبّع اللّغة وكلام الفصحاء أنّ التخصيص ينافي حمله على المعاني الأخر ، إذ سائر المعاني المحتملة في بادئ الرأي لا يختصّ شيء منها ببعض المؤمنين دون بعض ، كما قال تعالى : «المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض» وبعض الأصحاب استدلّ على ذلك بأن الظاهر من الخطاب أن يكون عامّاً لجميع المكلفين من المؤمنين وغيرهم ، كما في قوله تعالى : «كتب عليكم الصيام» ^(١) وغير ذلك ، فاذا دخل الجميع تحته إستحال أن يكون المراد باللفظة الموالاتة في الدّين ، لأنّ هذه الموالاتة يختصّ بها المؤمنون دون غيرهم ، فلا بدّ إذاً من حملها على ما يصحّ دخول الجميع فيه ، وهي معنى الامامة وجوب الطّاعة وفيه كلام .

الثالث : أن الآية نازلة فيه عليه السلام ، والخبار في ذلك متواترة من طرق الخاصة والعامة ، وعليه إجماع المفسّرين ، وقد رواها الزمخشري والبيضاوي وإمامهم الرّأزي في تفاسيرهم مع شدّة تعصّبهم وكثرة إهتمامهم في إخفاء فضائله ، إذ كان هذا في الإشتهار كالشمس في رابعة النّهار .

قال محمد بن شهر آشوب في مناقبه : أجمعت الأمّة على أن هذه الآية نزلت في عليّ عليه السلام لما تصدّق بخاتمته وهوراكع ، لاخلاف بين المفسّرين في ذلك ، ذكره الثعلبي

والماوردي والقشيري والقزويني والرازي والنيسابوري والفلكي والطوسي والطبرسي في تفاسيرهم ، عن السدي والمجاهد والحسن والاعمش وعتبة بن أبي حكيم وغالب بن عبدالله وقيس بن ربيع وعباية بن ربعي وعبدالله بن العباس وأبي ذر الغفاري ، وذكره ابن البيع في معرفة أصول الحديث عن عبدالله بن عبدالله بن عمر بن علي بن أبي طالب ، والواحدى في أسباب نزول القرآن عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ، والسّمعاني في فضائل الصحابة عن حميد الطويل عن أنس ، وسلمان بن أحمد في معجمه الأوسط عن عمار ، وأبو بكر البيهقي في المصنّف ومحمد بن القتال في التنوير وفي الرّوضة عن عبدالله بن سلام وأبي صالح والشعبي ومجاهد ، والنطنزي في الخصائص عن ابن عباس ، والابانة عن الفلكي عن جابر الانصاري وناصح التميمي وابن عباس والكلبي في روايات مختلفة الألفاظ متفقة المعاني ، وفي أسباب النزول عن الواحدي أنّ عبدالله بن سلام أقبل ومعه نفر من قومه وشكوا بعد المنزل عن المسجد ، وقالوا : إن قومنا لما رأونا صدقنا الله ورسوله رفضوا ولا يكلمونا ولا يجالسونا ولا يناكحونا ، فنزلت هذه الآية ، فخرج النبي ﷺ إلى المسجد فرأى سائلاً فقال : هل أعطاك أحد شيئاً ؟ قال : نعم خاتم فضة ، وفي رواية : خاتم ذهب ، قال : من أعطاكه ؟ قال : أعطانيه هذا الرّاكع « انتهى » .

وأقول : روى الثعلبي في تفسيره بإسناده عن عباية بن ربعي عن أبي ذر الغفاري قال : إنني صليت مع رسول الله ﷺ يوماً من الأيام الظهر فسئل سائل في المسجد فلم يعطه أحد شيئاً ورفع السائل يده إلى السماء وقال : أَللّهم اشهد أني سئلت في مسجد رسول الله ﷺ فلم يعطني أحد شيئاً وكان عليّ في الصلاة راكعاً ، فأومى إليه بخنصره اليمنى ، وكان يتختم فيها ، فأقبل السائل فأخذ الخاتم من خنصره ، وذلك بمرأى النبي ﷺ وهو يصلي ، فلما فرغ النبي ﷺ من صلاته رفع رأسه إلى السماء وقال : أَللّهم إن أخي موسى سئلك فقال : « ربّ اشرح لي صدري ، ويسّر لي أمري ، واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي ، واجعل وزيراً من أهلي هارون أخي ، أشدّ به أزرى

وأشركه في أمرى^(١)، فأُتِلت عليه قرآنًا ناطقًا: «سنشدّ عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما بآياتنا» اللهمّ وأنا نحمد نبيّك وصفيّك اللهمّ فاشرح لى صدرى ويسر لى أمرى، واجعل لى وزيراً من أهلى عليّاً اشدد به ظهري، قال أبوذر: فما استتمّ رسول الله ﷺ كلامه حتّى نزل جبرئيل عليه السلام من عند الله عزّ وجلّ فقال: يا نبيّ اقرأ قال: وما أقرأ؟ قال: اقرأ: «إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا» الآية. وقال السيّد بن طاووس في كتاب سعد السعدود: رأيت في تفسير محمد بن العباس بن عليّ بن مروان أنّه روى نزل آية «إنما وليكم الله» في عليّ عليه السلام من تسعين طريقاً بأسانيد متصلة كلّها أو جلّها من رجال المخالفين لأهل البيت عليه السلام «انتهى». واقول: روى السيوطي في تفسيره الدر المنثور أخباراً كثيرة في ذلك أوردها مع سائر ماورد في ذلك في كتابنا الكبير.

وأما إطلاق لفظ الجمع على الواحد تعظيماً فهو شائع ذائع في اللغة والعرف، وقد ذكر المفسّرون هذا الوجه في كثير من الآيات الكريمة كما قال تعالى: «والسماء بنيناها بأيدينا وإنا لموسعون»^(٢) وإنا أرسلنا نوحاً،^(٣) وإنا نحن نزلنا الذكر،^(٤) وقوله: «الذين قال لهم الناس إنّ الناس قد جمعوكم»^(٥) مع أنّ القائل كان واحداً وأمثالها ومن خطاب الملوك والرؤساء: فعلنا كذا، وأمرنا بكذا، ومن الخطاب الشائع في عرف العرب والعجم إذا خاطبوا واحداً: فعلتم كذا، وقتلتم كذا، تعظيماً.

وقال الزمخشري: «فان قلت: كيف صحّ أن يكون لعليّ عليه السلام واللفظ لفظ جماعة؟ قلت: جييء به على لفظ الجمع وإن كان السبب فيه رجلاً واحداً ليرغب الناس في مثل فعله فينالوا مثل ثوابه، ولينبّه على أنّ سجيّة المؤمنين تجب أن تكون على هذه الغاية من الحرص على البرّ والاحسان وهم في الصلاة، لم يؤخّروه إلى الفراغ منها» انتهى.

(٢) سورة الزايات: ٤٧ .

(١) سورة طه: ٣٢ .

(٤) سورة الحجر: ٩ .

(٣) سورة نوح: ١ .

(٥) سورة آل عمران: ١٧٣ .

٨- وبهذا الإسناد، عن أحمد بن محمد، عن معمر بن خلاد قال : سألت رجلاً فارسيّاً أبا الحسن عليه السلام فقال : طاعتك مفترضة ؟ فقال : نعم ، قال : مثل طاعة عليّ ابن أبي طالب عليه السلام ؟ فقال : نعم .

٩- وبهذا الإسناد ، عن أحمد بن محمد ، عن عليّ بن الحكم ، عن عليّ بن أبي حمزة عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سألته عن الأئمة هل يجرون في الأمر والطاعة مجرى واحد ؟ قال : نعم .

١٠- وبهذا الإسناد ، عن مروك بن عبيد ، عن محمد بن زيد الطبري قال : كنت

على أنّه يظهر من بعض روايات الشيعة أنّ المراد به جميع الأئمة عليهم السلام ، وأنّهم جميعاً قد وفقوا لمثل تلك القضية كما سيأتي بعضها في باب : ما نصّ الله عزّ وجلّ على رسوله وعلى الأئمة ، وأيضاً كلّ من قال بأنّ المراد بالوليّ في هذه الآية ما يرجع إلى الإمامة قائل بأنّ المقصود بها عليّ عليه السلام ، ولا قائل بالفرق ، فإذا ثبت الأوّل ثبت الثاني ، هذا ملخص استدلال القوم ، وأمّا تفصيل القول فيه ودفع الشبهة الواردة عليه فموكول إلى مظانّه كالشافعي وغيره .

الحديث الثامن : صحيح .

قوله : مثل طاعة عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، أي في كون الافتراض بالنصّ من الله تعالى أوفي عموم الافتراض لجميع الخلق أوفي التأكيد والقدر والمنزلة وترتب الآثار عليها وجوداً وعدمًا .

الحديث التاسع : ضعيف على المشهور .

« هل يجرون » بصيغه المجهول ومن باب الافعال ، أو المعلوم من المجرد « في الأمر » أي أمر الخلافة والوصاية أوفي كونهم أولى الأمر ، أو في وجوب طاعة الأمر فقوله : « والطاعة » عطف تفسير « مجرى » إسم مكان من المجرد « أو من باب الافعال ، أو مصدر ميميّ من أحدهما .

الحديث العاشر (١) :

(١) كذا في النسخ .

قائماً على رأس الرضا عليه السلام بخراسان وعنده عدّة من بني هاشم وفيهم إسحاق بن موسى ابن عيسى العباسي فقال: يا إسحاق بلغني أن الناس يقولون: إننا نزع من أن الناس عبيدنا ، لا وقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله ما قلته قطّ ولا سمعته من آبائي قاله ولا بلغني عن أحد من آبائي قاله ؛ ولكنّي أقول : الناس عبيدنا في الطاعة ، موال لنا في الدين ، فليبلغ الشاهد الغائب .

١١- عليّ بن إبراهيم ، عن صالح بن السنديّ ، عن جعفر بن بشير ، عن أبي مسلمة عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سمعته يقول : نحن الذين فرض الله طاعتنا ، لا يسع الناس إلّا معرفتنا ولا يعذر الناس بجهالتنا ، من عرفنا كان مؤمناً ، ومن أنكرنا كان

«عبيد لنا» أي أرقاء يجوز لنا بيعهم ونحو ذلك ، أو نحن آلهمتهم « لا وقرابتي » يدلّ على جواز القسم بغير الله ، فما ورد من النّهي فلعله محمول على ما إذا كان يمين صبر في الدّعاوى الشرعيّة « ولا سمعته » أي مشافهة « عبيدنا في الطّاعة » أي كالأرقاء في أن فرض الله عليهم طاعتنا ليسوا أرقاء حقيقة وليست طاعتهم لنا عبادة ، لأنّه باذن من هو الأعلى «موال لنا» بفتح الميم جمع مولى «في الدين» والمولى هنا بمعنى الناصر أو التابع أو المعتق بالفتح ، فأنّه بسبب موالاتهم إعتقهم الله من النار ، فكلّمة «في» للسببيّة والأوّل أظهر «فليبلغ» على التّفعيل أي أن اراض بذلك ولا أرى فيه مفسدة ، أو لا بدّ من ذلك لتصحیح عقايد الشيعة ودفع إفتراء المفترين .

الحديث الحادي عشر (١):

« ومن أنكرنا » أي حكم وجزم بعدم وجوب ولايتنا وإمامتنا ، فالثالث من شك في ذلك من المستضعفين كما سيأتي تحقيقه في كتاب الايمان والكفر ، فقوله : من طاعتنا الواجبة ، أي القول بوجوب طاعتنا أو المراد بالثالث الفساق من الشيعة فانهم ناقصون في المعرفة ، وإلّا لم يخالفوا إمامهم ، فان ماتوا على ذلك يفعل الله بهم ما يشاء من العذاب أو العفو ، ويؤيده ظاهر قوله : من طاعتنا الواجبة ، وقيل : المراد بقوله : من أنكرنا ،

كافراً ، ومن لم يعرفنا ولم ينكرنا كان ضالاً حتى يرجع إلى الهدى الذي افترض الله عليه من طاعتنا الواجبة فإن يمت على ضلالته يفعل الله به ما يشاء .

١٢- عليٌّ ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن محمد بن الفضيل قال : سأله عن أفضل ما يتقرب به العباد إلى الله عز وجل ، قال : أفضل ما يتقرب به العباد إلى الله عز وجل طاعة الله وطاعة رسوله وطاعة أولي الأمر ، قال أبو جعفر (عليه السلام) : حبنا إيمانٌ وبغضنا كفر .

١٣- محمد بن الحسن ، عن سهل بن زياد ، عن محمد بن عيسى ، عن فضالة بن أيوب ،

من حججنا بعد الاطلاع على قول الله وقول الرسول فينا ، فالجحد بعد وضوح الأمر فينا رد على الله وعلى الرسول ، والراد عليهما كافر ، والضالون علي قسمين أسوءهما المتهاونون بأمر الدين ، التاركون لطلب المعرفة بالاستضعاف « فإن يمت على ضلالته يفعل الله به ما يشاء » من عقابه ونكاله ، وأما المستضعفون الذين استثناهم الله تعالى « إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان » فمن يمت على حد ضلاله يفعل الله به ما يشاء من العفو والخذلان .

الحديث الثاني عشر : مجهول ، بل صحيح إذا الظاهر أن محمد بن الفضيل هو محمد بن القاسم بن الفضيل ، فضمير سئلته راجع إلى الرضا (عليه السلام) ، وقيل : راجع إلى الصادق (عليه السلام) وهو بعيد ، وقيل : إلى محمد بن الفضيل فيكون كلام يونس وهو أبعد . « حبنا إيمان ، يطلق حبهم في الأخبار كثيراً على إعتقاد إمامتهم ، فإن من ادعى حبهم وأنكر إمامتهم فهو عدو مخلط ، إذ يفضل أعدائهم عليهم ، وبغضهم إنكار إمامتهم كما عرفت ، فالشاك والمستضعف متوسط بينهما والحمل فيهما على الحقيقة ، ويحتمل أن يكون الحب والبغض على معنأهما ، والحمل على المجاز أي حبهم يدعو إلى الإيمان لأنه إذا أحببتهم أطاعهم في القول والفعل ، وهو يستلزم الإيمان وكذا البغض ، وإن كان بغضهم في نفسه أيضاً كافراً .

الحديث الثالث عشر : ضعيف على المشهور .

عن أبان ، عن عبدالله بن سنان ، عن إسماعيل بن جابر ، قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام :
أعرض عليك ديني الذي أدين الله عز وجل به ؟ قال : فقال : هات قال : فقلت : أشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله والآخر بما جاء به من عند الله
وأن علياً كان إماماً فرض الله طاعته ، ثم كان بعده الحسن إماماً فرض الله طاعته ،
ثم كان بعده الحسين إماماً فرض الله طاعته ، ثم كان بعده علي بن الحسين إماماً
فرض الله طاعته حتى انتهى الأمر إليه ، ثم قلت : أنت يرحمك الله ؟ قال : فقال : هذا
دين الله ودين ملائكته .

١٤- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن محبوب ، عن هشام بن سالم ، عن أبي
حمزة ، عن أبي إسحاق ، عن بعض أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام :
إعلموا أن صفة العالم وإتباعه دين يدان الله به ، وطاعته مكسبة للحسنات ممحاة
للسيئات وذخيرة للمؤمنين ورفعة فيهم في حياتهم وجميل بعد مماتهم .

« والاقرار » بالرفع أى دينى الاقرار ، وهو مبتداء وخبره محذوف ، وقيل :
بالنصب على المفعول معه وعامله فعل معنوى ، لأن معنى أشهد يكون منى الشهادة
وهذا يؤيد مذهب أبي على الفارسي حيث جوز نحو هذا لك وأياك خلافاً لسيبويه ،
حيث ذهب إلى أنه لا بد للمفعول معه من تقدم جملة ذات فعل عامل أو اسم فيه معنى الفعل
« حتى انتهى » متعلق بقوله « قلت » .

« هذا دين الله » يمكن أن تكون الإضافة في الموضعين على نهج واحد ، أى دين
ارتضاه الله وملائكته أو في الأول بمعنى الدين الذي قرره الله تعالى للعباد وكلفهم
به ، والثاني بمعنى الدين الذي كلفت الملائكة به وأخذ منهم الميثاق عليه كما يظهر من
بعض الاخبار ، أو المعنى دين فرض الله التدين به ودين نزلت به ملائكته .

الحديث الرابع عشر : مجهول .

قوله عليه السلام : « أن صفة العالم أى الكامل في العلم ، وهو الامام عليه السلام أو الأئمة
منه ومن سائر العلماء الربانيين ، والمكسبة بالفتح : اسم مكان أو مصدر ميمي أو بالكسر
اسم آلة وكذا الممحاة « وجميل » أى ذكر أو أجز جميل .

١٥- محمد بن إسماعيل ، عن الفضل بن شاذان ، عن صفوان بن يحيى ، عن منصور ابن حازم قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إن الله أجل وأكرم من أن يعرف بخلقه بل الخلق يعرفون بالله ، قال : صدقت ، قلت : إن من عرف أن له رباً ، فقد ينبغي له أن يعرف أن لذلك الرب رضاً وسخطاً ، وأنه لا يعرف رضاء وسخطه إلا بوحي أو رسول ، فمن لم يأته الوحي فينبغي له أن يطلب الرسل فإذا لقيهم عرف أنهم الحجة وأن لهم الطاعة المفترضة ، فقلت للناس : أليس تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان هو الحجة من الله على خلقه ؟ قالوا : بلى قلت : فحين مضى صلى الله عليه وآله من كان الحجة ؟ قالوا : القرآن فنظرت في القرآن فإذا هو يخاصم به المرجي والقدري والزنديق الذي لا يؤمن به حتى يغلب الرجال بخصومته ، فعرفت أن القرآن لا يكون حجة إلا بقيم فما قال فيه من شيء كان حقاً فقلت لهم : من قيم القرآن ؟ قالوا : ابن مسعود قد كان يعلم وعمر يعلم وحذيفة يعلم ، قلت : كله ؟ قالوا : لا ، فلم أجد أحداً يقال إنه يعلم القرآن كله إلا علياً صلوات الله عليه ، وإذا كان الشيء بين القوم فقال هذا : لأدري وقال هذا : لأدري ، وقال هذا : لأدري ، وقال هذا : أنا أدري ، فأشهد أن علياً عليه السلام كان قيم القرآن ، وكانت طاعته مفترضة وكان الحجة على الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وأن ما قال في القرآن فهو حق ، فقال : رحمك الله ، فقلت : إن علياً عليه السلام لم يذهب حتى ترك حجة من بعده كما ترك رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأن الحجة بعد علي ، الحسن بن علي وأشهد على الحسن أنه لم يذهب حتى ترك حجة من بعده كما ترك أبوه وجده وأن الحجة بعد الحسن ، الحسين وكانت طاعته مفترضة فقال : رحمك الله ، فقبلت رأسه وقلت : وأشهد على الحسين عليه السلام أنه لم يذهب حتى ترك حجة من بعده علي بن الحسين وكانت طاعته مفترضة ، فقال : رحمك الله ، فقبلت رأسه وقلت : وأشهد على علي بن الحسين أنه لم يذهب حتى ترك حجة من بعده محمد بن علي أباجعفر وكانت

الحديث الخامس عشر : مجهول كالصحيح ، وقدم شرح صدر الخبر في باب

الاضطرار إلى الحجة .

طاعته مفترضة ، فقال : رحمك الله ، قلت : أعطني رأسك حتى أقبله ، فضحك ، قلت : أصلحك الله قد علمت أن أباك لم يذهب حتى ترك حجة من بعده كما ترك أبوه وأشهد بالله أنك أنت الحجة وأن طاعتك مفترضة ، فقال : كف رحمك الله ، قلت : أعطني رأسك أقبله فقبلت رأسه فضحك وقال : سلمي عما شئت ، فلا أنكرك بعد اليوم أبداً .

١٦- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن محمد بن خالد البرقي ، عن القاسم بن محمد الجوهري ، عن الحسين بن أبي العلاء قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : ألا وصياء طاعتهم مفترضة ؟ قال : نعم هم الذي قال الله عز وجل : «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم»^(١) وهم الذين قال الله عز وجل : «إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون»^(٢) .

١٧- علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس بن عبد الرحمن عن حماد ، عن عبد الله بن علي قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : السمع والطاعة أبواب الخير ، السامع المطيع لاجبة عليه ، والسامع العاصي لاجبة له ، وإمام المسلمين تمت حجته واحتجاجة يوم يلقى الله عز وجل ثم قال : يقول الله تبارك وتعالى : «يوم ندعو كل أناس بإمامهم»^(٣) .

قوله : فضحك ، لعل الضحك لتكرار التقبيل واهتمامه في ذلك والأمر بالكف والامساك عن ذكره بالامامة للثبوت والخوف عليه في زمانه «فلا أنكرك» من الإنكار بمعنى عدم المعرفة ، أي لا أجهل حقك وإستحقاقك لأن يجاب في كل مسألة بحق جوابها من غير تقيّة .

الحديث السادس عشر : ضعيف ، وقدم عن الحسين باختلاف في وسط السند .
الحديث السابع عشر : مجهول كالحسن .

قوله : السمع والطاعة ، أي لما قاله الإمام «والطاعة» له «أبواب الخير» أي موجب للدخول في جميع الخيرات «يوم يلقى الله» متعلق بقوله : «تمت» أو خبر «واحتجاجة» مبتداء وقوله تعالى : «يوم ندعو كل أناس بإمامهم» أي باسم إمامهم وعلى التقديرين ، إمام المراد كل من كان في عصر إمام أو من اتبعه من أصحابه فالإمام أعم من إمامهم

(٢) سورة المائدة : ٥٥ .

(١) سورة النساء : ٥٩ .

(٣) سورة الاسراء : ٧١ .

(باب*)

(في أن الائمة شهداء الله عزو جل على خلقه) ❀

١- علي بن محمد، عن سهل بن زياد، عن يعقوب بن يزيد، عن زياد القندي، عن سماعة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام في قول الله عزو جل: «فكيف إذا جئنا من كل

الهدى وإمام الضلالة.

ويؤيد الأول ما روى عن أبي عبد الله عليه السلام قال: بامامهم الذي بين أظهرهم وهو قائم أهل زمانه، وروى علي بن إبراهيم عن الباقر عليه السلام في تفسيرها قال: يجيء رسول الله عليه السلام في قومه وعلى عليه السلام في قومه، والحسن عليه السلام في قومه، والحسين عليه السلام في قومه، وكل من مات بين ظهراني قوم جاؤا معه، وروى العياشي مثله بأسانيد.

ويؤيد الثاني ما رواه الصدوق في المجالس عن الحسين عليه السلام أنه سئل عن هذه الآية؟ فقال: إمام دعا الى هدى فأجابوه إليه، وإمام دعا إلى ضلالة فأجابوه إليها، هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار، وهو قوله تعالى: «فريق في الجنة وفريق في السعير»^(١) وروى العياشي عن الصادق عليه السلام: سيدعى كل أناس بامامهم، أصحاب الشمس بالشمس، وأصحاب القمر بالقمر، وأصحاب النار بالنار، وأصحاب الحجارة بالحجارة، وفي المحاسن عنه عليه السلام أنتم والله على دين الله ثم تلا هذه الآية، ثم قال: علي إمامنا، ورسول الله إمامنا، كم إمام يجيء يوم القيامة يلعن أصحابه ويلعنونه، فعلى الأول الاستشهاد بالآية لأنه إذا دعى يوم القيامة كل أهل عصر باسم إمامهم ثبت حينئذ كونه إماماً لهم، أو يدعون معه ليم عليهم حجته، وعلي الثاني لأن كل قوم إذا دعوا مع رئيسهم وإمامهم فامام الحق يتم حجته حينئذ على الرؤساء والمرؤسين.

باب في ان الائمة شهداء الله عزو جل على خلقه

الحديث الاول : ضيف .

« فكيف » قال الطبرسي . ره . : أى فكيف حال الامم وكيف يصنعون « إذا جئنا

أُمَّةٌ بِشَهِيدٍ وَجُنَّا بَكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً»^(١) قال : نزلت في أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ ﷺ وَآلُهُ ﷺ خَاصَّةٌ ،
في كلِّ قرنٍ منهم إمامٌ مثلاً شاهدٌ عليهم ومُحَمَّدٌ ﷺ شاهدٌ علينا .

٢ - الحسين بن مُحَمَّدٍ ، عن معلى بن مُحَمَّدٍ ، عن الحسن بن عليٍّ الوشاء ، عن أحمد
بن عائذ ، عن عمر بن أذينة ، عن بريد العجلي قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام ، عن قول
الله عز وجل :

من كلِّ أُمَّةٍ ، من الامم «بشَهِيدٍ وَجُنَّا بَكَ» يا مُحَمَّدُ «على هَؤُلَاءِ» يعني قومه «شَهِيداً» ومعنى
الآية : إنَّ الله تعالى يستشهد يوم القيامة كلَّ نبيٍّ على أُمَّته ، ويستشهد نبيّاً ﷺ
على أُمَّته ، انتهى .

قوله ﷺ : «خاصة» يمكن أن يكون المراد تخصيص الشاهد والمشهود عليهم
جميعاً بهذه الأُمَّة ، فالمراد بكلِّ أُمَّةٍ كلِّ قرنٍ من هذه الأُمَّة ، أو المراد تخصيص الشاهد
فقط ، أى في كلِّ قرنٍ يكون أحد من الأئمة شاهداً على من في عصرهم من هذه الأُمَّة ،
وعلى جميع من مضى من الأمم ، وقيل : لعلَّ المراد أنَّ الآية نزلت فيهم خاصة لأنَّ
الحكم مخصوص بهم ، فإنَّ الآية شاملة لأُمَّةٍ مُحَمَّدٌ ﷺ وَآلُهُ ﷺ ولسائر الامم .

الحديث الثاني : ضعيف .

قوله تعالى : «وكذلك جعلناكم» قال الطبرسي قدس سره الوسط العدل ، وقيل :
الخيار ، قال : صاحب العين : الوسط من كلِّ شيءٍ أعدله وأفضله ، ومتى قيل : إذا كان
في الأُمَّة من ليست هذه صفته فكيف وصف جماعتهم بذلك ؟ فالجواب : أنَّ المراد به من
كان بتلك الصفة ، لأنَّ كلَّ عصرٍ لا يخلو من جماعة هذه صفتهم ، وروى بريد عن الباقر
عليه السلام قال : نحن الأُمَّة الوسط ، ونحن شهداء الله على خلقه ، وحجته في أرضه ، وفي
رواية أخرى قال : إلينا يرجع الغالي وبنا يلحق المقصّر ، وروى الحاكم أبو القاسم
الحسكاني في كتاب شواهد التنزيل بإسناده عن سليم بن قيس عن عليٍّ عليه السلام أنَّ الله

« وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس » ^(١) قال : نحن الائمة الوسطى و نحن شهداء الله على خلقه و حججه في أرضه ، قلت : قول الله عز و جل : « ملة أبيكم إبراهيم » ^(٢) .

تعالى إيتا غني بقوله : « لتكونوا شهداء على الناس » فرسول الله شاهد علينا ، ونحن شهداء الله على خلقه وحجته في أرضه ، و نحن الذين قال الله : « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً » . وقوله : « لتكونوا شهداء على الناس » فيه ثلاثة أقوال :
أحدها : لتشهدوا على الناس بأعمالهم التي خالفوا فيها الحق في الدنيا والآخرة ، كما قال تعالى : « وحيء بالنبئين والشهداء » ^(٣) .

والثاني : لتكونوا حجة على الناس فتبينوا لهم الحق والدين ، ويكون الرسول شهيداً مؤدياً للدين إليكم .

والثالث : أنهم يشهدون للانبياء على أهمهم المكذبين لهم بأنهم قد بلغوا ويكون الرسول عليكم شهيداً ، أي شاهداً عليكم بما يكون من أعمالكم ، وقيل : حجة عليكم ، وقيل : شهيداً لكم بأنكم قد صدقتم يوم القيامة فيما تشهدون به ، ويكون على بمعنى اللام كقوله : « وما ذبح على النصب » ^(٤) انتهى .

وأقول : في بعض الروايات أنها نزلت : ائمة وسطاً ، والحاصل أن الخطاب إنما توجه إلى الائمة عليهم السلام أو إلى جميع الامة باعتبار إشتغالهم على الائمة ، فكان الخطاب توجه إليهم فقوله عليهم السلام : نحن الامة الوسطى ، أن الامة ^(٥) إنما إتصفوا بهذه الصفة بسببنا وهذا أظهر بالنظر إلى لفظ الآية ، والثاني أظهر بالنظر إلى الاخبار . « ونحن شهداء الله » أي في الآخرة أو الأعم منها ومن الدنيا « وحججه في أرضه » في الدنيا .

قوله تعالى : « ملة أبيكم » أقول : قبله : « يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا »

(٢) سورة الحج : ٧٨ .

(١) سورة البقرة : ١٤٣ .

(٣) سورة المائدة : ٣ .

(٤) سورة الزمر : ٦٩ .

(٥) وفي نسخة والائمة بدل والامة .

قال : إِيَّا نَا عَنِ خَاصَّةٍ « هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ » فِي الْكِتَابِ الَّتِي مَضَتْ « وَفِي هَذَا » الْقُرْآنَ « لِيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً » فَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الشَّهِيدُ عَلَيْنَا بِمَا بَلَّغْنَا عَنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَنَحْنُ الشَّهَدَاءُ عَلَى النَّاسِ فَمَنْ صَدَّقَ صَدَقْنَا

وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ، وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ ، وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ « وَقَالَ الْبِيضَاوِيُّ : مَلَّةٌ مُنْتَصِبَةٌ عَلَى الْمَصْدَرِ لِفِعْلِ دَلَّ عَلَيْهِ مَضْمُونٌ مَاقْبَلُهَا بِحَذْفِ الْمِضَافِ ، أَيْ وَسَّعَ دِينَكُمْ تَوْسِعَةً مَلَّةٌ أَيْبِكُمْ ، أَوْ عَلَى الْإِغْرَاءِ أَوْ عَلَى الْإِخْتِصَاصِ ، وَإِنَّمَا جَعَلَهُ أَبَاهُمْ لِأَنَّهُ أَبُو رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَوْ كَالْأَبِ لِأَمْتِهِ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ سَبَبُ لِحَيَاتِهِمْ الْأَبَدِيَّةِ وَوُجُودِهِمْ عَلَى الْوَجْهِ الْمُعْتَدَبِ فِي الْآخِرَةِ ، أَوْلَانِ أَكْثَرُ الْعَرَبِ كَانُوا مِنْ ذُرِّيَّتِهِ فَغَلِبُوا عَلَى غَيْرِهِمْ ، انْتَهَى .

قوله ﷺ : إِيَّا نَا عَنِ ، أَيْ هُمُ الْمَقْصُودُونَ بِخُطَابٍ : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا » لِكَمَا لَهُمْ فِي الْإِيمَانِ ، وَلَا يَخْفَى أَنَّ الْأَمْرَ بِالْجِهَادِ وَالْاجْتِنَاءِ بِهِمْ أَنْسَبُ وَكَذَا « مَلَّةٌ أَيْبِكُمْ » لَا يَحْتَاجُ إِلَى مَا تَكَلَّفُوا فِي تَصْحِيحِهِ ، وَكَذَا سَائِرُ أَجْزَاءِ الْآيَةِ ، أَوْ هُمُ الْمَقْصُودُونَ بِالذَّاتِ بِهَذَا الْخُطَابِ وَإِنْ دَخَلَ غَيْرُهُمْ فِيهِ بِالتَّبَعِ ، أَوْ هُمُ الْعَامِلُونَ بِهَذَا الْخُطَابِ أَوْ خُطَابِ الْأُمَّةِ بِهِ لِاشْتِمَالِهِمْ ﷺ ، فَيَرْجِعُ إِلَى أَنَّهُمْ الْمَقْصُودُونَ بِالذَّاتِ بِهِ .

« هُوَ سَمَّاكُمْ » الضَّمِيرُ رَاجِعٌ إِلَى اللَّهِ ، وَقِيلَ : إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَهُوَ بَعِيدٌ ، « لِيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً » فِي الْآيَةِ « شَهِيداً عَلَيْكُمْ » وَلَعَلَّهُ مِنَ النَّسَاحِ أَوْ هُوَ نَقْلٌ بِمَعْنَى ، أَوْ كَانَ فِي قِرَاءَتِهِمْ ﷺ هَكَذَا .

وقال الطَّبْرَسِيُّ - ر ه - أَيْ بِالطَّاعَةِ وَالْقَبُولِ ، فَإِذَا شَهِدَ لَكُمْ بِهِ صَرَّحَ بِعَدُولِهِمْ لَا تَشْهَدُونَ عَلَى الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ أَنَّ الرَّسُولَ قَدْ بَلَّغَهُمْ رِسَالَةَ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ لَمْ يَقْبَلُوا فَيُوجِبُ لِكَافِرِهِمُ النَّارَ وَلِمُؤْمِنِهِمُ الْجَنَّةَ بِشَهَادَتِهِمْ ، وَقِيلَ : مَعْنَاهُ لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ فِي إِبْلَاجِ رِسَالَةِ رَبِّهِ إِلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شَهِدَاءَ عَلَى النَّاسِ بَعْدَهُ بِأَن تَبْلُغُوا إِلَيْهِمْ مَا بَلَّغَهُ الرَّسُولُ إِلَيْكُمْ ، انْتَهَى .

وَمَا ذَكَرَهُ ﷺ أَظْهَرَ وَأَحَقُّ بِالْقَبُولِ « فَمَنْ صَدَّقَ » بِالتَّشْدِيدِ وَيَحْتَمِلُ التَّخْفِيفَ ،

يوم القيامة ، ومن كذب كذباً بناء يوم القيامة .

٣- وبهذا الاسناد ، عن معلى بن محمد ، عن الحسن بن علي ، عن أحمد بن عمر الحلال قال : سألت أبا الحسن عليه السلام عن قول الله عز و جل : « أفمن كان على بينة من ربه و يتلوه شاهد منه » .^(١)

وكذا قوله : « كذب كذباً بناء » اى في دعوى التصديق يوم القيامة .

الحديث الثالث : ضعيف ، لكن مضمونه مروى بطرق مستفيضة بل متواترة من طرق الخاص ، أوردت أكثرها في الكتاب الكبير ، ورواه صاحب كشف الغمة وابن بطريق في المستدرک ، والسيد بن طاووس في الطرائف ، والعلامة في كشف الحق بطرق متعددة من كتب المخالفين .

وقال السيد في كتاب سعد السعد : وقد روى أن المقصود بقوله جل جلاله : « وشاهد منه » هو علي بن أبي طالب ، محمد بن العباس بن مروان في كتابه من ستة وستين طريقاً بأسانيدھا .

وقال إمامهم الرأى في تفسيره : قد ذكروا في تفسير الشاهد وجوهاً : « أحدها » أنه جبرئيل عليه السلام يقرء القرآن علي محمد عليه السلام « وثانيها » أن ذلك الشاهد لسان محمد عليه السلام « وثالثها » أن المراد هو علي بن أبي طالب والمعني أنه يتلو تلك البيئة وقوله : « منه » أى هذا الشاهد من محمد وبعض منه ، والمراد منه تشريف هذا الشاهد بأنه بعض من محمد عليه السلام ، انتهى .

و روى السيوطى من مشاهير علماء المخالفين أيضاً في الدر المنثور عن ابن أبي حاتم و ابن مردويه و أبي نعيم في المعرفة عن علي عليه السلام قال : ما من رجل من قريش إلا نزلت فيه طائفة من القرآن فقال رجل : ما نزل فيك ؟ قال : أما تقرء سورة هود : « أفمن كان على بينة من ربه و يتلوه شاهد منه » رسول الله على بينة من ربه ، وأنا شاهد منه .

قال الطبرسي (ره) في مجمع البيان : المراد بالبيئة القرآن و بمن كان علي

فقال : أمير المؤمنين صلوات الله عليه الشاهد على رسول الله ﷺ ، ورسول الله ﷺ علي بيته من ربه .

٢- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن محمد بن أبي عمير ، عن ابن أذينة ، عن بريد العجلي قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : قول الله تبارك وتعالى : «و كذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً» (١) قال : نحن الأمة الوسط و نحن شهداء الله تبارك وتعالى على خلقه ، و حججه في أرضه ، قلت : قوله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون» * و جاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم (٢) قال : إيتانا عنى و نحن

بيته النبي ﷺ ، و قيل : المعنى به كل محقّ يدين بحجة و بيته ، و قيل : هم المؤمنون من أصحاب محمد ﷺ «و يتلوه شاهد منه» أى و يتبعه من يشهد بصحته منه ، و اختلف في معناه فقيل : الشاهد جبرئيل يتلو القرآن على النبي ﷺ من الله ، و قيل : محمد ﷺ ، و قيل : لسانه ﷺ ، أى يتلو القرآن بلسانه و قيل : الشاهد منه علي بن أبي طالب عليه السلام يشهد للنبي ﷺ ، و هو المروى عن أبي جعفر و علي بن موسى الرضا عليه السلام ، و رواه الطبرى باسناده عن جابر بن عبد الله عن علي عليه السلام ، و قيل : الشاهد ملك يسدده و يحفظه ، و قيل : بيته من ربه حجة من عقله ، وأضاف البيته إليه تعالى لانه ينصب الأدلة العقلية والشرعية «و يتلوه شاهد منه» يشهد بصحته و هو القرآن ، انتهى .

قوله عليه السلام : الشاهد على رسول الله ﷺ ، أى في تبليغه إلى الأمة ما أمر بتبليغه ، أو «على» بمعنى اللام أى المصدق له أو هو عليه السلام شاهد بعلومه و معجزاته و كمالاته إلى حقيقة النبي ﷺ ، و لا يخفى أن «يتلوه» يدل على أنه المبلغ و الخليفة بعده على امته و «منه» يدل على غاية الاختصاص بينهما كما قال عليه السلام : علي منى و أنا منه .

المجتبون ، ولم يجعل الله تبارك وتعالى في الدين «من حرج» ، فالحرج أشد من الضيق «ملة أبيكم إبراهيم ، إنا نأمنى خاصة و «سماكم المسلمين» الله سمانا المسلمين «من قبل» في الكتب التي مضت «وفي هذا» القرآن «ليكون الرسول عليكم شهيداً و تكونوا شهداء على الناس» فرسول الله ﷺ الشهيد علينا بما بلغنا عن الله تبارك وتعالى ، ونحن الشهداء على الناس ، فمن صدق يوم القيامة صدقناه ومن كذب كذبناه .

٥- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن حماد بن عيسى ، عن إبراهيم بن عمر اليماني ، عن سليم بن قيس الهلالي ، عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه قال : «إن الله تبارك وتعالى طهرنا وعصمنا وجعلنا شهداء على خلقه ، وحجته في أرضه ، وجعلنا مع القرآن وجعل القرآن معنا ، لانفارقة ولا يفارقنا .

قوله : «من حرج» ^(١) في بعض النسخ «من ضيق» فعلى الاول المراد بقوله : فالحرج أشد من الضيق أنه ليس المراد نفى الضيق مطلقاً إذ في بعض التكليف الشرعية صعوبة وعسر ، وعلى الثاني فالمعنى بنفى الحرج هنا نفى الضيق مطلقاً ، لا معناه المتبادر فانه الضيق الشديد ، كما هو المراد به في قوله تعالى : «ضيّقاً حرجاً» ^(٢) أو المعنى أنه وإن نفى الله سبحانه هنا الحرج لكن مطلق الضيق منفي واقعاً وإنما خص الحرج هنا بالنفي لحكمة الله عز وجل «سمانا» الضمير راجع إليه تعالى .

الحديث الرابع ^(٣) مختلف فيه وحسن عندي .

«إن الله تعالى طهرنا» أي من الشرك والعقائد الفاسدة ، و الاخلاق الرديئة «وعصمنا» أي من المعاصي والذنوب «وجعلنا مع القرآن» حيث تعمل بما فيه أو يدل على فضلنا وجوب طاعتنا «وجعل القرآن معنا» لأنه عندهم لفظاً ومعنى كما سيأتى في الاخبار .

(١) كذا في النسخ ولا يخفى أن قوله «من حرج» في الحديث الرابع وكان المؤلف (ره) جملة من تنمة الحديث الثالث وذلك من جهة وقوع السقط في النسخ التي بيده أو غير ذلك والله اعلم .

(٢) سورة الانعام : ١٢٥ .

(٣) كذا في النسخ ، والصحيح «الخامس» بدل «الرابع» .

﴿باب﴾

﴿ أن الائمة عليهم السلام هم الهداة ﴾

١ - عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن النضر ابن سويد وفضالة بن أيّوب ، عن موسى بن بكر ، عن الفضيل قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : « و لكلّ قوم هاد »^(١) فقال : كلّ إمام هاد للقرن الذي هو فيهم .

٢ - عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن محمد بن أبي عمير ، عن ابن أذينة ، عن يزيد العجليّ ، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ : « إنّما أنت منذرٌ و لكلّ قوم هاد » فقال : رسول الله ﷺ المنذر ، و لكلّ زمان منّا هاد يهديهم إلى ما جاء به نبيّ الله

باب أن الائمة عليهم السلام هم الهداة

الحديث الاول : ضيف كالموثق .

الحديث الثاني : حسن .

و قال الطبرسي قدس الله روحه عند تفسير هذه الآية : فيه أقوال : « أحدها ، أن معناه إنّما أنت منذر ، أي مخوف و هاد لكلّ قوم ، و ليس إليك إنزال الآيات ، فأنت مبتداء و منذر خبره ، و هاد عطف على منذر ، و فصل بين الواو و المعطوف بالظرف « و الثاني ، إنّ المنذر محمد و الهادي هو الله » و الثالث ، أنّ معناه إنّما أنت منذر يا محمد و لكلّ قوم نبيّ و داع يرشدهم « و الرابع ، أنّ المراد بالهادي كلّ داع إلى الحقّ » ، و روى عن ابن عباس أنّه قال : لما نزلت الآية قال رسول الله ﷺ : أنا المنذر و عليّ الهادي ، يا عليّ بك يهتدي المهتدون ، و على هذه الأقوال الثلاثة يكون « هاد » مبتداء « و لكلّ قوم » خبره على قول سيبويه و يكون مرتفعاً بالظرف على قول الأخفش ، انتهى .

« رسول الله ﷺ المنذر » أي لكلّ أمة من أوّلهم إلى آخرهم ، و لكلّ قرن

عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ثُمَّ الْهُدَاةُ مِنْ بَعْدِهِ عَلَيَّ ثُمَّ الْأَوْصِيَاءُ وَاحِدٌ بَعْدَ وَاحِدٍ .

٣ - الحسين بن محمد الأشعري ، عن معلى بن محمد ، عن محمد بن جمهور ، عن محمد ابن إسماعيل ، عن سعدان ، عن أبي بصير قال : قلت لابي عبدالله عَلَيْهِ السَّلَامُ : « إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذَرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ؟ » فقال : رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المنذر وعليّ الهادي ، يا أبا محمد هل من هاد اليوم ؟ قلت : بلى جعلت فداك ما زال منكم هاد بعد هاد حتى دفعت إليك ، فقال : رحمك الله يا أبا محمد لو كانت إذا نزلت آيةٌ على رجل ثم مات ذلك الرجل ، ماتت الآية ، مات الكتاب ولكنه حيٌ يجري فيمن بقي كما جرى فيمن مضى .

و وقت من الزمان «هاد» أو هو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان منذراً لأهل عصره و لكل عصر بعده هاد ، فتسميته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منذراً و الامام هادياً لعله إشارة إلى أن الانبياء صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتقدمونهم أو لا من الشرك و ما يوجب دخول النار و شدايد العقوبات ، و الاوصياء صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكملونهم و يهدونهم إلى ما يستحقون به أرفع الدرجات ، بل يجعلهم النبي ظاهراً من المسلمين و يميز الوصي المؤمنون من المنافقين .

الحديث الثالث : ضعيف .

«و عليّ الهادي» أي أول الهداة عليّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

«حتى دفعت» علي بناء المجهول أي الهداية و الامامة والخلافة .

«ثم مات ذلك الرجل» أي الرسول الذي نزلت عليه الآية «ماتت الآية» أي فوات بيانها و بقيت مجهولة «مات الكتاب» المنزل علي الرسول و فوات بيانها و صار كالميت لعدم الانتفاع به ، ولعدم إمكان العمل بموجبه ولكنه لا يجوز فوات بيانها مع وجود المكلف به ، إذ حكمه و تكليف العمل به باق إلى يوم القيامة ، أو المراد بموت الكتاب سقوط التكليف بالعمل به ، فالمعنى أنه لو نزلت آية علي رسول و بعد موت ذلك الرجل لم يكن مفسراً لها فصارت مبهمة علي الأمة ، لزم سقوط العمل بالكتاب ، إذ تكليف الجاهل محال ، لكن الكتاب حيٌ ، أي حكمه باق غير ساقط عن المكلفين ضرورة و اتفاقاً ، يجري حكمه علي الباقيين كجريانه علي الماضيين ، و علي التقديرين الكلام مشتمل علي قياس استثنائي ينتج رفع التالي رفع المقدم .

٤ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن صفوان ، عن منصور ، عن عبدالرحيم القصير ، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى : «إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ» فقال : رسول الله صلى الله عليه وآله المنذر وعليّ الهادي ، أما والله ما ذهب منا وما زالت فينا إلى الساعة .

﴿ باب ﴾

﴿ أن الأئمة عليهم السلام ولادة أمر الله و خزنة علمه ﴾

١ - محمد بن يحيى العطّار ، عن أحمد بن أبي زاهر ، عن الحسن بن موسى ، عن عليّ ابن حسان ، عن عبدالرحمن بن كثير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : نحن ولادة أمر الله ، و خزنة علم الله وعيبة وحي الله .

الحديث الرابع : مجهول .

«ما ذهب» أي الهداية أو الآية يعني حكمها باق «إلى الساعة» أي الآن أو إلى يوم القيامة .

باب أن الأئمة عليهم السلام ولادة أمر الله و خزنة علمه

الحديث الاول : ضعيف .

«ولادة أمر الله» أي أمر الخلافة والامامة ، وقال الفيروزآبادي : العيبة : زبيل من آدم وما يجعل فيه الثياب ، ومن الرجل موضع سرّه ، وفي النهاية : العرب تكنّ عن القلوب والصدور بالعياب ، لأنّها مستودع السرائر كما أن العياب مستودع الثياب ، انتهى .

فالمراد بعيبة وحي الله أن كلّ وحي نزل من السماء على نبيّ من الأنبياء فقد وصل إليهم وهو محفوظ عندهم .

- ٢ - عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن علي بن أسباط ، عن أبيه أسباط ، عن سورة بن كليب قال : قال لي أبو جعفر عليه السلام : والله إنّنا لخزّان الله في سمائه وأرضه ، لأعلى ذهب ولا على فضة ، إلا على علمه .
- ٣ - علي بن موسى ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد و محمد بن خالد البرقي ، عن النضر بن سويد ، رفعه عن سدير ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قلت له : جعلت فداك ما أنتم ؟ قال : نحن خزّان علم الله ، ونحن تراجمه وحي الله ، ونحن الحجّة البالغة على من دون السماء ومن فوق الأرض .

الحديث الثاني : مجهول .

قوله عليه السلام : لخزّان الله في سمائه وأرضه ، أي خزنة العلوم المكتوبة في الألواح السماوية و العلوم الكائنة في الارض من الكتب المنزلة ، وخزنة علوم حقائق الاجرام السماوية و الملائكة و أحوالهم ، و حقائق ما في الارض من الجمادات و النباتات و أحوالها ، أو المراد : نحن الخزنة من بين أهل السماء و أهل الارض أو نحن المعروفون بذلك عند اهلهم .

«إلا على علمه» الاستثناء منقطع .

الحديث الثالث : مجهول .

قوله : ما أنتم ؟ أي من جهة الفضل و الخواص التي بها يمتازون من ساير المخلوقات ، و التراجم بفتح التاء و كسر الجيم جمع ترجمان بضم التاء و كسر الجيم و فتحهما ، و فتح التاء و صمّ الجيم ، وهو من يفسّر الكلام بلسان آخر ، و قد يكون الجمع بغير هاء ، و المراد هنا مفسّر جميع ما أوحى الله تعالى إلي الانبياء و مبينها .

« نحن الحجّة البالغة » أي التامة الكاملة «على من دون السماء» التخصيص بهم لظهور كونهم مكلفين بذلك ، و لنقص عقول المخاطبين عمّا ورد في كثير من الاخبار أنهم الحجّة على جميع أهل السماء و الارض ، أو المراد دون كلّ سماء فيشمل أكثر الملائكة ، و أراد نوعاً من الحجّة يختصّ بغير الملائكة .

٤- محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسين ، عن النضر بن شبيب ، عن محمد بن الفضيل عن أبي حمزة قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : قال رسول الله ﷺ : قال الله تبارك وتعالى استكمال حجتي على الأشقياء من أمتك من ترك ولاية عليّ والأوصياء من بعدك ، فإنّ فيهم سنتك وسنة الأنبياء من قبلك ، وهم خزائي على علمي من بعدك ، ثمّ قال رسول الله ﷺ : لقد أنبأني جبرئيل عليه السلام بأسمائهم وأبائهم .

٥- أحمد بن إدريس ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن محمد بن خالد ، عن فضالة بن أيوب ، عن عبد الله بن أبي يعفور قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : يا ابن أبي يعفور إنّ

الحديث الرابع : مجهول .

« استكمال حجتي ، أي كمال إحتجاجي يوم القيامة مبالغة في عليّ الأشقياء ، متعلّق بحجتي أو باستكمال ، أو خبر إستكمال «من ترك» من السببية والظرف خبر على غير الاحتمال الاخير ، ومتعلّق بالظرف المتقدّم عليه ، ويمكن أن يقرء من ترك ، بالفتح اسم موصول فيكون بدلا من الأشقياء «من بعدك» حال عن الأوصياء «فانّ فيهم» أي في عليّ والأوصياء «سنتك» أي سيرتك والطريقة والشرعة التي جئت بها والسيرة والطريقة والشرعة التي جاؤا بها من قبلك وهم حفظتها وحملتها .

« وهم خزائي على علمي » تتمّة للتعليل أي على العلم الكذي أنزلتها عليك و عليّ الأنبياء من قبلك ، وهذا إمّا تعليل لاستكمال الحجّة على من ترك ولايتهم ، فإنّ من هتّى له جميع الاسباب وترك المراجعة إليها والأخذ منها كانت الحجّة عليه كاملة غاية الاستكمال ، أو تعليل لشقاوة تارك ولايتهم ، فإنّ من ترك ولاية من فيه سنن جميع الأنبياء كان تاركاً لجميعها وترك جميع الأنبياء و سننهم أعلى مراتب الشقاوة .

الحديث الخامس : صحيح .

« إنّ الله واحد ، لا شريك له أو بسيط مطلق ليس فيه تركيب أصلا ، ولا صفات

الله واحد متوحد بالوحدانية ، متفرّد بأمره ، فخلق خلقاً فقدّرهم لذلك الأمر فنحن هم يا ابن أبي يعفور فنحن حجاج الله في عباده ، وخزّانه على علمه ، والقائمون بذلك .

٤- عليّ بن محمّد ، عن سهل بن زياد ، عن موسى بن القاسم بن معاوية ؛ ومحمّد ابن يحيى ، عن العمركيّ بن عليّ جميعاً ، عن عليّ بن جعفر ، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : إن الله عزّ وجلّ خلقنا فأحسن خلقنا ، وصورنا فأحسن صورنا ،

زائدة « متوحد » أي متفرّد في الوحدانية أو في الخلق والتدبير بسبب الوحدانية « متفرّد بأمره » أي بأمر الخلق أو في جميع أموره أو أمر تعيين الخليفة والوسط أظهر ، وعلى الأولين المراد بذلك الأمر غير هذا الأمر ، وعلى الأخير المراد أنّه لم يدع أمر تعيين الخليفة إلى أحد من خلقه كما زعمه المخالفون ، بل هو المتفرّد بنصب الخلفاء .

و يحتمل أن يكون المعنى أنّه تعالى قبل خلق الخلق كان متفرّداً بالأمر والتدبير ، فلمّا أراد الخلق خلقاً أوّلاً خلقاً مناسباً للخلافة وقدّرهم لها ، ففيه إشارة إلى تقدّمهم على ما سواهم من الخلق ، وقوله : « فقدّرهم » أي جعلهم بعد خلقهم على أحسن خلق وأفضل صورة ليناسبوا « لذلك الأمر » والولاية « فنحن » أي الأولياء ، ليشمل الرسل والأنبياء ، أي الخلق المقدّرون لذلك الأمر ، أو الأولياء من أهل البيت أو مع رسول الله صلى الله عليه وآله « هم » أي خلق مقدّرون لذلك من غير إدعاء الانحصار على أوّل هذين الاحتمالين ، أو بادعائه بحسب سبق الخلق و تقدّمه على ثانيهما ، لما روي عنه صلى الله عليه وآله أنّه قال : أوّل ما خلق الله نوري ، وإنّه قال صلى الله عليه وآله : أنا وعليّ من نور واحد ، ويؤيد الوجه الأخير أخبار كثيرة أوردتها في كتاب بحار الأنوار في أبواب بدو خلقهم عليه السلام و باب حدوث العالم . « والقائمون بذلك » أي بذلك الأمر المتقدّم .

الحديث السادس : صحيح ، وقد مرّ شرح أكثر الفقرات في باب النوادر من كتاب التوحيد .

وجعلنا خزانة في سمائه وأرضه ، ولنا نطق الشجرة وعبادتنا عبد الله عز وجل ،
ولولا ما عبد الله .

﴿ باب ﴾

﴿ أن الأئمة (ع) خلفاء الله عز وجل في أرضه وأبوابه التي منها يؤتى ﴾

١- الحسين بن محمد الأشعري ، عن معلى بن محمد ، عن أحمد بن محمد ، عن أبي مسعود ، عن الجعفري قال : سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول : الأئمة خلفاء الله عز وجل في أرضه .

٢- عنه ، عن معلى ، عن محمد بن جمهور ، عن سليمان بن سماعة ، عن عبد الله ابن القاسم ، عن أبي بصير قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : الأوصياء هم أبواب الله عز وجل

قوله عليه السلام : ولنا نطق الشجرة ، أي يمكننا استنطاقها بكل ما نريد بالاعجاز كما ورد في معجزات كل من النبي والأئمة صلوات الله عليهم كثير منها ، أو المعنى إننا نستنبط من الأشجار وأوراقها علوماً جمة لا يعلمها غيرنا ، وهذا أيضاً وارد في بعض الأخبار .

باب أن الأئمة عليهم السلام خلفاء الله عز وجل في أرضه وأبوابه

التي منها يؤتى .

الحديث الأول : ضعيف .

والجعفري كأنه القاسم بن اسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، أو ابنه داود أبو هاشم الجعفري ، وكونهم خلفاء الله لأنه تعالى فرض طاعتهم وجعل أمرهم أمره ، ونهيهم نهيه ، وطاعتهم طاعته ، ومعصيتهم معصيته .

الحديث الثاني : ضعيف .

وصفوا عليهم السلام بكونهم أبواباً لأنهم طرق إلى معرفة الله وعبادته ، ولا يمكن الوصول إلى قربته تعالى ورضوانه إلا بهم .

جلّ التي يؤتى منها ولولا هم ما عرف الله عزّ وجلّ، و بهم احتجّ الله تبارك و تعالى على خلقه .

٣ - الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ، عن الوشاء ، عن عبدالله بن سنان قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله جلّ جلاله : « وعد الله الذين آمنوا منكم و عملوا

قال الفاضل الاستربادي : فيه تصريح بأنّه لا يمكن معرفة الله حقّ معرفته في صفاته و أفعاله إلّا من طريق أصحاب العصمة عليه السلام ، فعلم أن فنّ الكلام المبنيّ على مجرّد الاحكام العقلية غير نافع .

الحديث الثالث : ضعيف . على المشهور لكن مضمونه مروى بأسانيد كثيرة فالمراد بالذين آمنوا الذين صدّقوا بالله و رسوله و بجميع ما يجب التصديق به حقّ التصديق ، و عملوا جميع الأعمال الصالحة ، و لم يخلوا بشيء منها ، و هم الائمة عليه السلام « ليستخلفنهم في الارض » أي يجعلهم خلفائه فيها ، و قيل : يخلفون من قبلهم ، « كما استخلف الذين من قبلهم » من أنبياء بني إسرائيل جعلهم خلفاء في الارض ، أو المعنى لنور تنبّههم أرض الكفار من العرب و العجم فنجعلهم سكّانها و ملوكها ، كما استخلف بني إسرائيل إذا هلك الجبارة بمصر ، و أورثهم أرضهم و ديارهم و أموالهم ، و قال تعالى بعد ذلك « و ليمنكنّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم » يعنى دين الاسلام الذي أمرهم أن يدينوا به « و ليمدّنّهم من بعد خوفهم أمناً » في الدنيا و الآخرة « يعبدونني لا يشركون بي شيئاً » قيل : أي لا يخافون غيري ، و قيل : أي لا يراؤن بعبادتي أحداً .

قال الطبرسي (ره) : اختلف في الآية ف قيل : أنّها واردة في أصحاب النبي صلى الله عليه و آله ، و قيل : هي عامّة في أمة محمد صلى الله عليه و آله ، و المروى عن أهل البيت عليه السلام أنّها في المهدي من آل محمد و آلهم ، و روى العياشي باسناده عن عليّ بن الحسين عليه السلام أنّه قرأ الآية و قال : هم و الله شيعتنا أهل البيت يفعل الله ذلك بهم على يد رجل منا و هو مهدي هذه الامة ، و هو الذي قال رسول الله صلى الله عليه و آله : لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتّى يلي رجل من عترتي ، اسمه إسمي يملأ الارض عدلاً و قسطاً كما ملئت

الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم»^(١) قال : هم الأئمة.

﴿ باب ﴾

﴿ أن الأئمة عليهم السلام نور الله عز وجل ﴾

١- الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ، عن علي بن مرداس قال : حدثنا صفوان ابن يحيى والحسن بن محبوب ، عن أبي أيوب ، عن أبي خالد الكابلي قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل : « فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا »^(٢) فقال :

ظلماً و جوراً .

و روي مثل ذلك عن أبي جعفر وإبي عبد الله عليهما السلام .

فعلى هذا يكون المراد بالذين آمنوا وعملوا الصالحات النبي وأهل بيته ، وتضمنت الآية البشارة لهم بالاستخلاف والتمكّن في البلاد ، وإرتفاع الخوف عنهم عند قيام المهدي منهم ، فيكون المراد بقوله « كما استخلف الذين من قبلهم » هو أن جعل الصالح للخلافة خليفة مثل آدم وداود وسليمان ، ويدلّ على ذلك قوله : «إني جاعل في الأرض خليفة»^(٣) و «يا داود إنا جعلناك خليفة»^(٤) وقوله : «فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً»^(٥) وعلى هذا إجماع العترة الطاهرة ، و إجماعهم حجة ، لقوله وَاللَّهُ عَلِيمٌ : «إني تارك فيكم الثقلين ، وأيضاً فإنّ التمكن في الأرض على الإطلاق ، ولم يتفق فيما مضى فهو منتظر ، لأنّ الله عزّ اسمه لا يخلّف وعده .

باب ان الأئمة عليهم السلام نور الله عز وجل في أرضه (٦)

الحديث الاول : ضعيف على المشهور .

«والتّور الذي أنزلنا» المشهور بين المفسّرين أنّ المراد بالنور هنا القرآن ، سمّاه نوراً لما فيه من الأدلّة والحجج الموصلة إلى الحقّ ، فشبّه بالنور الذي يهتدى به إلى الطريق .

(١) سورة النور : ٥٥ . (٢) سورة التغابن : ٨ .

(٣) سورة البقرة : ٣٠ . (٤) سورة ص : ٢٦ . (٥) سورة النساء : ٥٤ .

(٦) كذا في النسخ و لعل جملة «في أرضه» زائدة من النسخ .

يا أبا خالد النور والله نور الأئمة من آل محمد ﷺ إلى يوم القيامة ، وهم والله نور

وأقول : لما كان النور في الأصل ما يصير سبباً لظهور شيء فسمي الوجود نوراً لأنه يصير سبباً لظهور الأشياء في الخارج ، والعلم نوراً لأنه سبب لظهور الأشياء عند العقل ، وكل كمال نوراً لأنه يصير سبباً لظهور صاحبه وأنوار النيرين^(١) والكواكب نوراً لكونها أسباباً لظهور الأجسام وصفاتها للحس ، وبهذه الوجوه يطلق على الرب تعالى النور ، ونور الأنوار ، لأنه منبع كل وجود وعلم وكمال ، فاطلاقه على الأنبياء والأئمة ﷺ لأنهم أسباب لهداية الخلق وعلمهم وكمالهم بل وجودهم ، لأنهم العلل الغائية لوجود جميع الأشياء .

وأما نسبة الانزال إليهم ، فإما لا ينزال أرواحهم المقدسة إلى أجسادهم المطهرة ، أو أمرهم بتبليغ الرسالات ودعوة الخلق ومعاشرتهم بعدكونهم روحانيين في غاية التقديس والتنزه كما قال تعالى : « أنزل الله إليكم ذكراً رسولاً »^(٢) وفي بعض الأخبار أن الله أنزل نورهم فأسكنه في صلب آدم ، وقيل : إنزال النور إيقاع ولائهم وحبهم في قلوب المؤمنين ، وقيل : لما كان المراد بالنور ما يهتدى به من العلم والكشف عنه المطيبين أو المُنبت فيه ، الحافظ له من النفوس الزكية التي هي ينابيع العلوم والكتاب المشتمل عليها ، أو الروح الذي أنزل على رسول الله ﷺ ، ويكون مع الأئمة بعده وهو مناط المعارف الحقيقية ، والمراد بقوله : « أنزلنا » على تقدير حمل النور على النفوس القدسية : أنزلنا على رسول الله ﷺ كونها أنواراً ، وأن متابعتهم إقتنائهم مناط الاهتداء ، وهم الأئمة من آل محمد ﷺ على الحقيقة من غير تجوز ، وعلى سائر التقادير فقوله : « أنزلنا » أي أنزلناه وهو منزل عليه حقيقة علماً كان أو كتاباً ، وأرواحاً ، والأئمة ﷺ هم حملته وحفظته وذروه .

و إطلاق النور عليهم كإطلاق كتاب الله وكلامه في قول أمير المؤمنين ﷺ : أنا

(١) كذا في الأصل وفي المخطوطتين «النيران» بدل «النيرين» و الظاهر هو المختار.

(٢) سورة الطلاق : ١٠ .

الله الذي أنزل ، وهم والله نور الله في السماوات وفي الأرض ، والله يا أبا خالد لنور الإمام في قلوب المؤمنين أنور من الشمس المضيئة بالنهار ؛ وهم والله ينورون قلوب المؤمنين ، ويحجب الله عز وجل نورهم عمن يشاء فتظلم قلوبهم ؛ والله يا أبا خالد لا يحبنا عبدٌ ويتولانا حتى يطهر الله قلبه ولا يطهر الله قلب عبد حتى يسلم لنا ويكون مسلماً لنا ، فإذا كان مسلماً لنا سلمه الله من شديد الحساب وآمنه من فرع يوم القيامة الأكبر .

٢- علي بن إبراهيم بإسناده ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى : « الذين

كتاب الله الناطق ، لكونه حامل علم الكتاب وحافظه ، ولكونه مستكملاً به وموصوفاً به ومتحدداً معه ، فكأنه هو ، وقوله : «لنور الامام» اي هدايته ، و تعريفه المعارف الإلهية أو ولايته ومعرفة ، وقيل : الإضافة للبيان اي هم أنور وأكشف من الشمس » وهم والله ينورون قلوب المؤمنين ، بتعريف المعارف إياهم وتبئيتها في قلوبهم » و يحجب الله نورهم عمن يشاء » أن لا يطهره عن دنس الخباثة لشقاوته وسوء إختياره فيظلم قلوبهم ، ولا تتنور بنور معرفتهم لحجاب خباثتهم عن التنوير به .
وقوله : حتى يسلم لنا ، من الإسلام أو التسليم ، والسلم بالكسر خلاف الحرب اي سالماً محبباً لنا .

الحديث الثاني : مرسل .

«الذين يتبعون الرسول النبي الأمي» قال الطبرسي رحمه الله : اي يؤمنون به ويعتقدون نبوته وفي «الأمي» أقوال :
أحدها : أنه الذي لا يكتب ولا يقرأ .

وثانيها : أنه منسوب إلى الأمة ، والمعنى أنه على جبهة الأمة قبل استفادة الكتابة ، وقيل : أن المراد بالأمة : العرب لأنها لم تكن تحسن الكتابة .

يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ
يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ

و نالها : أنه منسوب إلى الأم ، والمعنى أنه على ما ولدته أمه قبل تعلم
الكتابة .

و رابعها : أنه منسوب إلى أم القرى وهو مكة ، وهو المروي عن أبي جعفر
الباقر عليه السلام « انتهى » .

و أقول : إختلفوا في أن النبي عليه السلام هل كان يقدر أن يقرء و يكتب أم لا ؟
و الذي يقتضيه الجمع بين الاخبار أنه صلوات الله عليه لم يكن تعلم الخطّ و القراءة من أحد
من البشر ، لكنّه كان قادراً على الكتابة و علماً بالمكتوب بما علم به ساير الامور من
قبل الله تعالى ، ولم يكن يقرء و يكتب ليكون حجته على قومه أتمّ و أكمل .

« الذي يجدونه » قال الطبرسي : معناه يجدون نفعه و صفته و نبوته مكتوباً
في الكتابين ، لأنّه مكتوب في التوراة في السفر الخامس : « إِنِّي سَأَقِيمُ لَهُمْ نَبِيًّا مِنْ
إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ وَأَجْعَلُ كَلَامِي فِيهِ ، فيقول لهم كلّما أوحيت به ، و فيها أيضاً مكتوب :
« و اما ابن الأمة فقد باركت عليه جداً جداً ، و سيلد اثنا عشر عظيماً و أوخره
لأمة عظيمة » و فيها أيضاً : « أَنَا نَا اللَّهُ مِنْ سِينَا و أَشْرَقَ مِنْ سَاعِيرِ و اسْتَعْلَنَ مِنْ جِبَالِ
فَارَانَ » .

و في الانجيل بشاردة بالفارقليط في مواضع ، منها : « نعطيكُم فار قليط آخر
يكون معكم آخر الدهركه ، وفيه ايضاً قول المسيح للحواريين : « أَنَا أَهْبَ وَسَيَأْتِيكُمْ
الفارقليط روح الحق الَّذِي لَا يَتَكَلَّمُ مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ ، أَنَّهُ نَذِيرُكُمْ بِجَمِيعِ الْحَقِّ و يخبركم
بالامور المزمعة ويمدحني ويشهد لي » .

« و يحلّ لهم الطيبات » هذا من تنمة المكتوب أو ابتداءً من قول الله تعالى
للنبي عليه السلام « و يضع عنهم إصرهم » اي ثقلهم ، شبه ما كان على بني اسرائيل من
التكليف الشديد بالثقل « و الاغلال التي كانت عليهم ، أي العهد التي كانت في ذمتهم ،

يؤمنون - إلى قوله - أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا»^(١) قال : فقال : قد آتاكم الله كما آتاهم ، ثم تلا : «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته و يجعل لكم نوراً تمشون به»^(٢) يعني إماماً تأتمون به .

٤- أحمد بن مهران ، عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني ، عن علي بن أسباط و الحسن بن محبوب ، عن أبي أيوب ، عن أبي خالد الكابلي قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى : «فآمنوا بالله ورسوله و النور الذي أنزلنا»^(٣) فقال : يا أبا

تعالى «وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به» أي بأنه كلام الله «أنه الحق من ربنا» استيناف لبيان ما أوجب إيمانهم به «إنا كنا من قبله مسلمين» استيناف آخر للدلالة على أن إيمانهم به ليس ممّا أحدثوا حينئذ بل تقدم عهده لما رأوا ذكره في الكتب المتقدمة « أولئك يؤتون أجرهم مرتين » مرة على إيمانهم بكتابتهم ، و مرة على إيمانهم بالقرآن « بما صبروا » بصبرهم و ثباتهم على الايمانين ، أو على الايمان بالقرآن قبل النزول و بعده ، أو على أذي المشركين و اذي من هاجرهم من أهل دينهم .

«يا أيها الذين آمنوا» قال الطبرسي (ره) : أي اعترفوا بتوحيد الله و صدقوا بموسى و عيسى «اتقوا الله و آمنوا برسوله» عليه السلام عن ابن عباس ، و قيل : معناه يا أيها الذين آمنوا ظاهراً آمنوا باطناً «يؤتكم كفلين» أي يعطكم نصيبين « من رحمته » نصيباً لايمانكم من تقدم من الانبياء ، و نصيباً لايمانكم بمحمد عليه السلام « و يجعل لكم نوراً تمشون به» أي هدى تهتدون به ، و قيل : النور القرآن ، انتهى .

و أقول : علي تأويله عليه السلام لعل المراد آمنوا برسوله فيما أتى به من ولاية الائمة عليهم السلام ، و سيأتي تأويل الكفلين بالحسين عليه السلام .

الحديث الرابع : ضعيف .

(٢) سورة الحديد : ٢٨ .

(١) سورة القصص : ٥٤ .

(٣) سورة التغابن : ٨ .

خالد النور والله الأئمة عليهم السلام بأبواب النور الإمام في قلوب المؤمنين أنور من الشمس المضيئة بالنهار وهم الذين ينورون قلوب المؤمنين ، ويحجب الله نورهم عن من يشاء فتظلم قلوبهم ويغشاهم بها .

٥ - علي بن محمد و محمد بن الحسن ، عن سهل بن زياد ، عن محمد بن الحسن بن شمعون ، عن عبد الله بن عبد الرحمن الأصم ، عن عبد الله بن القاسم ، عن صالح بن سهل الهمداني قال : قال أبو عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى : «الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة» ^(١) فاطمة عليها السلام «فيها مصباح» الحسن «المصباح في زجاجة» الحسين

«و يغشاهم بها» أي بالظلمة .

الحديث الخامس : ضعيف بالسند الأول ، صحيح بالسند الثاني .

«الله نور السماوات والأرض» أي منورهما بنور الوجود والعلم والهداية ، و الانوار الظاهرة ، وقيل : أي ذو نور السماوات والأرض ، و النور الأئمة عليهم السلام ، فهم نور السماوات حين كانوا محدقين بالعرش ، والأرض بعد ما أنزلوا صلب آدم «مثل نوره» أي صفة نور الله العجيبة الشأن «كمشكاة» أي مثل مشكاة وهي الكرة الغير النافذة التي يوضع فيها المصباح وقيل : المشكاة النبوة ^(٢) في وسط القنديل ، و المصباح : الفتيلة المشتعلة «فيها مصباح» الحسن .

أقول : في تفسير علي بن إبراهيم هكذا «فيها مصباح» الحسن و «المصباح» الحسين «في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري» كان فاطمة كوكب «الخ» .

فالمصباح المذكور في الآية ثانياً المراد به غير المذكور أولاً وهو الحسين عليه السلام ، ولعل فيه إشارة إلى وحدة نوريهما ، وشبهت فاطمة عليها السلام مرةً بالمشكاة و مرةً بالقنديل من الزجاجة ، و وجه التشبيه فيهما متحد وعند كونها عليها السلام ظرفاً لنور الحسين عليه السلام شبهت بالزجاجة ، لزيادة نوره باعتبار كون سائر الأئمة من ولده عليه السلام ،

(١) سورة النور : ٣٥ .

(٢) النبوة : ما بين المقدتين من القصب أو الرمح ، و يستعار لكل أجوف مستدير

« الزجاجة كأنها كوكب دري » ، فاطمة كوكب دري بين نساء أهل الدنيا « يوقد من شجرة مباركة » إبراهيم عليه السلام « زيتونة لشرقية ولاغربية » ، لا يهودية ولا نصرانية

فلذا غير التشبيه .

و على ما في الكتاب قد يتوهم أن المراد بالزجاجة الحسين عليه السلام ، فيوجه بما ذكره بعض الافاضل حيث قال : مثل النور الحقيقي الذي هو من عالم الامر بالنور الظاهري الذي هو من عالم الخلق ، والنور ضياء نفسه ومضيء لما يطلع عليه ويشرق عليه ، فمثل الجوهر الرّوحاني المناط للانكشافات العقلية بالمصباح ، وحامله بالمشكوة ، والحامل لمادته والمشمول عليها التي منها مدده وحفظه عن الانقطاع و النفاد بالزجاجة التي هي وعاء مادة نور المصباح التي هي الزيت ، ففي الأنوار الحقيقية التي هي النفوس القدسية والارواح الزكية للائمة من أهل البيت عليهم السلام الحسن عليه السلام ومصباح ، وفاطمة عليها السلام مشكوة فيها المصباح ، والحسين عليه السلام الزجاجة فيها مادة نور المصباح ، ويجيء منها مدده ، والزجاجة كوكب دري والمراد به فاطمة عليها السلام ، فإن الزجاجة يعني الحسين عليه السلام مجمع النور الفاضل من رسول الله صلى الله عليه وآله ، الواصل إليه ابتداءً و وساطة ، كما كانت عليها السلام مجمع ذلك و المعني عنها بالمشكوة كوكب دري لاحاطتها بالنور كله ، و الزجاجة أيضاً لاحاطتها بجميع النور كأنها كوكب دري « يوقد من شجرة مباركة » إبراهيم أي المشبه بالشجرة فيما ضرب له المثل إبراهيم ، لأن ابتداء ظهور ذلك النور منه ، و مواد العلوم من أثمار تلك الشجرة .

قال البيضاوي « دري » مضيء متألّليء كالزهرة في صفائه وزهرته منسوب الى الدر ، أو فعيل كمريق من الدرء فانه يدفع الظلام بضوئه ، أو بعض ضوئه بعضاً من لمعانه إلا أنه قلبت همزته ياء « يوقد من شجرة مباركة » اي ابتداء ثقب المصباح من شجرة الزيتون المتكاثرة نفعه بأن رويّت ذبالته بزيتها « لشرقية ولاغربية » يقع

« يكاد زيتها يضيء » يكاد العلم ينفجر بها « ولولم تمسسه نارٌ نورٌ على نور ، إمامٌ منها

الشمس عليها حيناً دون حين ، بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتي تكون على قلة جبل أو صحراء واسعة ، فإن ثمرته تكون أفضح وزيتها أصفى أو نابذة في شرق المعمورة وغربها بل وفي وسطها وهو الشام ، فإن زيتونه أجود الزيتون ، أولاً في مضحي تشرق الشمس عليها دائماً فتحرقها ، أو في مقناة تغيب عنها دائماً فتتركها نيّاً « انتهى » .

وأقول : هذا ما يتعلق بالمشبه به ، وأما تطبيقه على المشبه فان إبراهيم عليه السلام لكونه أصل عمدة الانبياء وهم عليهم السلام أغصانه و تشعبت منه الفصون المختلفة من الأنبياء والأوصياء من بني اسرائيل و بني اسمعيل ، واستنارت منهم أنوار عظيمة في الفرق الثلاث من أهل الكتب من اليهود والنصارى والمسلمين ، فكان إبراهيم عليه السلام كالشجرة الزيتونة من جهة تلك الشعب و الانوار ، ولما كان تحقق ثمار تلك الشجرة وسريان أنوار هذه الزيتونة في نبينا و أهل بيته صلوات الله عليهم أكمل وأكثر وأتم ، لكونهم الأئمة الفضلى ، وأمتهم الأمة الوسطى و شريعتهم و سيرتهم و طريقتهم أعدل السير وأقومها كما قال تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً » ^(١) كما أن اليهود كانوا يصلون إلى المغرب و النصارى إلى المشرق ، فجعل قبلتهم وسط القبلتين ، وكذا في حكم القصص والديّات و سائر الاحكام جعلوا وسطاً فشبه إبراهيم عليه السلام من جهة تشعب هذه الأنوار العظيمة منه بزيتونة لم تكن شرقية ولا غربية ، اى غير منحرفة عن الاعتدال إلى الافراط والتفريط ، المتحققين في الملتين والشريعتين ، وأومى بالشرقية إلى النصارى ، و بالغربية إلى اليهود لقبليتهم ، ويمكن أن يكون المراد بالآية الزيتونة التي تكون في وسط الشجرة في شرقها ، فلا تطلع الشمس عليها بعد العصر ، ولا غربية لا تطلع الشمس عليها في أوّل اليوم ، فيكون التشبيه أتمّ وأكمل « يكاد زيتها » اى زيت الشجرة أو الزيتونة ، والمراد بالزيتونة في المشبه المادة البعيدة للعلم ، وهي الإمامة والخلافة التي منبعهما إبراهيم حيث قال سبحانه : « إننى جاعلك

بعد إمام «يهدي الله لنوره من يشاء» يهدي الله للأئمة من يشاء «و يضرب الله الأمثال

للناس اماماً» و سري في ذريته المقدسة ، وبالزيت المواد القريبة من الوحي والالهام، و اضاءة الزيت إنفجار العلم من تلك المواد «و لو لم تمسه نار» أي وحي أو تعليم من البشر أو سؤال ، فان السؤال مما يقدر نار العلم .

«نور على نور» قال البيضاوي أي نور متضاعف فان نور المصباح زاد في إنارته صفا الزيت و زهرة القنديل ، وضبط المشكوة لأشعته « انتهى » و في المشبه كل امام يتلو اماماً يزيد في إنارة علم الله وحكمته بين الناس .

أقول : و يؤيد هذا التأويل ما رواه ابن بطريق (ره) في العمدة و السيد ابن طاووس رضي الله عنه في الطرائف من مناقب ابن المغازلي الشافعي باسناده عن الحسن البصري انه قال : المشكوة فاطمة ، و المصباح الحسن و الحسين عليهما السلام « و الزجاجة كأنها كوكب دري » فاطمة عليها السلام كوكباً درياً بين نساء العالمين « توجد من شجرة مباركة » الشجرة المباركة ابراهيم عليه السلام « لشرقية ولا غربية » ليهودية ولا نصرانية « يكاد زيتها يضيء » قال : يكاد العلم أن ينطق منها « و لو لم تمسه نار نور على نور » قال : منها امام بعد امام « يهدي الله لنوره من يشاء » قال : يهدي لولايتهم من يشاء . و ذكر الطبرسي قدس سره في تأويلها أقوالاً :

أحدها : انه مثل ضربه الله لنبيه محمد صلى الله عليه وآله فالمشكوة صدره ، و الزجاجة قلبه ، و المصباح فيه النبوة « لا شرقية ولا غربية » أي ليهودية و لا نصرانية « توجد من شجرة مباركة » يعني شجرة النبوة و هي ابراهيم عليه السلام « يكاد » محمد يتبين للناس ولو لم يتكلم به ، كما أن ذلك الزيت يضيء « و لو لم تمسه نار » أي تصيبه النار ، و قد قيل : أيضاً أن المشكوة ابراهيم عليه السلام ، و الزجاجة اسمعيل ، و المصباح محمد كما سمي سراجاً في موضع آخر « من شجرة مباركة » يعني ابراهيم لان أكثر الانبياء من صلبه « لا شرقية ولا غربية » لانصرانية و لا يهودية لان النصارى تصلّى إلى المشرق ، و اليهود تصلّى إلى المغرب « يكاد زيتها يضيء » أي يكاد محاسن محمد تظهر قبل أن يوحى إليه « نور على نور » أي نبي من نسل نبي و قيل : ان المشكوة عبد المطلب ،

للناس» ، قلت : «أو كظلمات» قال : الأول و صاحبه «يفشاء موج» الثالث «من فوقه

و الزجاجة عبدالله ، و المصباح هو النبي ﷺ ، لشرقية و لا غربية بل مكية ، لان مكة وسط الدنيا ، و روى عن الرضا عليه السلام أنه قال : نحن المشكوة ، و المصباح محمد ﷺ ، يهدي الله لولايتنا من أحب ، و في كتاب التوحيد لأبي جعفر ابن بابويه (ره) بالاسناد عن عيسى بن راشد عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في قوله : «كمشكوة فيها مصباح» قال : نور العلم في صدر النبي ﷺ «المصباح في زجاجة» الزجاجة صدر علي عليه السلام صار علم النبي ﷺ إلى صدر علي ، علم النبي علياً «يوقد من شجرة مباركة» نور العلم «لا شرقية و لا غربية» لا يهودية و لا نصرانية «يكاد زيتها يضيء و لو لم تمسه نار» قال : يكاد العالم من آل محمد ﷺ يتكلم بالعلم قبل أن يسئل «نور على نور» اي إمام مؤيد بنور العلم و الحكمة في اثر إمام من آل محمد ، و ذلك من لدن آدم إلى أن تقوم الساعة «الخبر» .

و ثانياها : أنها مثل ضربه الله للمؤمن ، و المشكوة نفسه و الزجاجة صدره و المصباح الايمان و القرآن ، في قلبه «يوقد من شجرة مباركة» هي الاخلاص لله وحده لا شريك له ، فهي خضراء ناعمة كشجرة التفت بها الشجرة فلا يصيبها الشمس على أي حال كانت ، لا إذا طلعت و لا إذا غربت ، و كذلك المؤمن قد اخترن^(١) من أين يصيبه شيء من الفتن فهو بين أربع خلال ، إن أعطى شكر ، و إن اتلى صبر ، و إن حكم عدل ، و إن قال صدق ، فهو في سائر الناس كالرجل الحيّ يمشي بين قبور الأموات «نور على نور» كلامه نور و علمه نور و مدخله نور و مخرجه نور ، و مصيره إلى نور يوم القيامة عن أبي بن كعب .

و ثالثها : أنه مثل القرآن في قلب المؤمن فكما أن هذا المصباح يستضاء به وهو كما هو لا ينقص ، فكذلك القرآن تهتدي به و يعمل به كالمصباح فالمصباح هو القرآن و الزجاجة قلب المؤمن ، و المشكوة لسانه و فمه ، و الشجرة المباركة شجرة الوحي «يكاد

(١) اخترن الطريق : أخذ اقربه . وفي المصدر : قد اخترن.

موجٌ ظلمات، الثاني «بعضها فوق بعض» معاوية لعنه الله وفتن بني أمية «إذا أخرج يده»

زيتها يضئ» يكاد حجج القرآن تتضح وإن لم يقرء ، وقيل : تكاد حجج الله على خلفه تضيء لمن تفكر فيها و تدبرها ولو لم ينزل القرآن «نور على نور» يعنى أن القرآن نور مع سائر الأدلة قبله فازدادوا نوراً على نور «يهدى الله لنوره من يشاء» أي يهدى الله لدينه و إيمانه من يشاء أو لنبوته و ولايته «انتهى» .

وأقول: لما ضرب الله الأمثال للمؤمنين وأئمتهم عليهم السلام ضرب مثلين للكافرين و المنافقين و أئمتهم ، فالمثل الأول قوله : «و الذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً و وجد الله عنده فوقاه حسابه والله سريع الحساب» و الثاني قوله : «أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج» فقوله : أو كظلمات ، عطف على قوله : كسراب ، وأو للتخير، فإن أعمالهم لكونها لاغية كالسراب، و لكونها خالية عن نور الحق كالظلمات ، فان شئت شبهتهم بذلك أو للتنويع فان الظلمات في الدنيا و السراب في الآخرة .

«في بحر لجي» أي عميق منسوب إلى اللج وهو معظم الماء «يغشاه» أي يغشى البحر «موج من فوقه موج» مترادفة متراكمة «من فوقه» أي من فوق الموج الثاني سحاب تغطي النجوم و تحجب أنوارها .

و أما تأويله عليه السلام فيحتمل وجهين :

الأول: أن المعنى أن الظلمات المذكورة في الآية أولاً أبوبكر، ويغشاه موج: إشارة إلى صاحبه يعني عمر ، فانه أتم بدع الأول و أكملها ، وزاد على الظلمة ظلمة ، و على الحيرة حيرة ، و من فوقه موج : عبارة عن عثمان و هو الثالث ، حيث زاد على بدعهما و إضلال الناس عن الحق ، و قوله : ظلمات الثاني ، أي لفظ الظلمات الواقع ثانياً في الآية ، الموصوف فيها بأن بعضها فوق بعض إشارة إلى معاوية وفتن بني أمية . و قوله : إذا أخرج يده المؤمن ، بيان للثمرة المترتبة على تلك الظلمات ، المتراكمة من حيرة المؤمنين واشتباة الأحكام الظاهرة عليهم ، فان اليد أظهر أجزاء

المؤمن في ظلمة فتنهم «لم يكديراها و من لم يجعل الله له نوراً» إماماً من ولد فاطمة

الانسان له، و يحتمل ان يكون فتن بني امية مبتداء، خبره : إذا أخرج يده، اى قوله إذا أخرج يده، إشارة إلى فتن بني امية، و يحتمل ايضاً أن يكون المراد بالثاني عمر، و الظلمات مضافاً إليه، أي ظلمات عمر فتنة بعضها فوق بعض، فيكون قوله : و معاوية ابتداء كلام آخر، اى إذا أخرج يده إشارة الى معاوية و فتن بني امية، و إنما كرّر عمر لأنّه رأس الفتنة ورئيس النفاق، ولا يخفى بعد هذين الوجهين .

و الثاني أن يكون المراد ان قوله تعالى : «أو كظلمات» إشارة إلى الأول و صاحبه الأولين، و يغشاه موج الى الثالث يعنى عثمان الذي من فوقه موج، يعنى من بعده، إشارة إلى ما وقع بعده من عشائره من بني أمية و ظلمات الثاني بعضها فوق بعض بالاضافة، أي كظلمات عمر، وتكراره لما مرّ فقوله : معاوية و فتن بني امية، ابتداء كلام آخر، و يحتمل أن يكون «من» في قوله : من فوقه موج، إلى قوله : فتن بني امية كلاً واحداً، فالمراد بالموج معاوية و بالظلمات فتن بني امية، و عبّر عنهم بظلمات الثاني لأنّهم كانوا من ثمرات ظلمه و جوره على أهل البيت عليهم السلام .

أقول : و يؤيد الثاني أن على بن ابراهيم أورد في تفسيره هذا الخبر هكذا : اى كظلمات فلان و فلان «في بحر لجى يغشاه موج» يعنى نعل و فوقه موج طلحة و الزبير «ظلمات بعضها فوق بعض» معاوية و فتن بني امية إلى آخر الخبر، و نعل كناية عن عثمان .

قال ابن الاثير في النهاية : كان أعداء عثمان يسمّونه نعلًا تشبيهاً له برجل من مصر كان طويل اللحية إسمه نعل، وقيل : النعل : الشيخ الاحمق .

و ذكر الضباع : و روى صاحب كتاب تأويل الآيات الظاهرة باسناده عن الحكم بن حمران قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله عزّ و جل : «أو كظلمات في بحر لجى»، قال : فلان و فلان «يغشاه موج من فوقه موج»، قال: أصحاب الجمل و صفين و النهروان

عليه السلام «فماله من نور» ^(١) إمام يوم القيامة .

وقال في قوله: «يسعى نورهم بين أيديهم وبأيامانهم» ^(٢) : أئمة المؤمنین يوم القيامة تسعى بين يدي المؤمنین و بأيامانهم حتى ينزلوهم منازل أهل الجنة .

علي بن محمد و محمد بن الحسن ، عن سهل بن زياد ، عن موسى بن القاسم البجلي و محمد بن يحيى ، عن العمركي بن علي جميعاً ، عن علي بن جعفر عليه السلام ، عن أخيه موسى عليه السلام مثله .

٦ - أحمد بن إدريس ، عن الحسين بن عبيد الله ، عن محمد بن الحسن و موسى بن عمر ، عن الحسن بن محبوب ، عن محمد بن الفضيل ، عن أبي الحسن عليه السلام قال : سألته عن قول الله تبارك وتعالى : «يريدون ليطفؤوا نور الله بأفواههم» ^(٣) قال : يريدون ليطفؤوا ولاية أمير المؤمنين عليه السلام بأفواههم ، قلت : قوله تعالى : «و الله متم نوره» قال : يقول : والله متم الإمامة ، والإمامة هي النور وذلك قوله عز وجل : «آمنوا بالله ورسوله و النور الذي أنزلنا» ^(٤) قال : النور هو الإمام .

«من فوقه سحاب ظلّمت بعضها فوق بعض» قال : بنو أمية «إذا أخرج يده لم يكديرها» قال : بنو أمية إذا أخرج يده يعني أمير المؤمنين عليه السلام في ظلّمتهم «لم يكديرها» أي إذا نطق بالحكمة بينهم لم يقبلها منهم أحد إلا من أقرّ بولايته ثم بامامته «و من لم يجعل الله له نوراً فما له من نور» أي من لم يجعل الله له إماماً في الدنيا فما له في الآخرة من نور ، إمام يرشده و يتبعه إلى الجنة .

الحديث السادس : مجهول .

«يريدون ليطفؤوا نور الله بأفواههم» قال الطبرسي (ره) : أي يريدون إزهاب نور الإيمان و الاسلام بفاسد الكلام ، الجارى مجرى تراكم الظلام ، فمثلهم فيه كمثل من حاول إطفاء نور الشمس بفيه «و الله متم نوره» أي مظهر كلمته و مؤيد نبّيه و معلى دينه و شريعته .

(١) سورة النور : ٤٠ .

(٢) سورة الحديد : ١٢ .

(٣) سورة الصف : ٨ .

(٤) سورة التباين : ٨ .

﴿ باب ان الائمة هم اركان الارض ﴾

١- أحمد بن مهران ، عن محمد بن علي ؛ و محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد جميعاً ، عن محمد بن سنان ، عن المفضل بن عمر ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ما جاء به علي عليه السلام آخذه وما نهى عنه أنهى عنه ، جرى له من الفضل مثل ما جرى لمحمد عليه السلام و لمحمد عليه السلام الفضل على جميع من خلق الله عز وجل ، المتعقب عليه في شيء من أحكامه كالمتعقب على الله و على رسوله ، و الراد عليه في صغيرة أو كبيرة على حد الشريك بالله ،

باب ان الائمة هم اركان الارض

الحديث الاول : ضعيف بسنديه على المشهور .

«ما جاء به علي آخذه» لأنه واجب الطاعة من الله ومن رسوله ، ولأن ما جاء به مما جاء به رسول الله و ما نهى عنه مما نهى عنه رسول الله ﷺ و لمحمد ﷺ الفضل ، إنما بيان لما جرى له ﷺ من الفضل ، فكما أن له ﷺ الفضل على جميع الخلق ، كذا لعلي عليه السلام الفضل على الجميع ، و إنما بيان للفرق بين ماله ﷺ من الفضل و بين ما لعلي عليه السلام منه بفضله ﷺ على الجميع حتى على علي عليه السلام ، و فضل علي عليه السلام على غيره ﷺ «و المتعقب عليه في شيء من أحكامه» أي الطالب لعثرته و المعيب عليه في شيء منها كالتالي لعثرة رسول الله ﷺ و المعيب عليه ، و «على» للإضرار ، و المراد المتقدم عليه في شيء بأن يجعله عقبه و خلفه ، و أراد التقدم عليه ، أو يجعل حكمه عقبه و ينبذه وراء ظهره ، فلا يعمل به ، أو تعقبه بمعنى أنه تأخر عنه و لم يلحق به و لم يقبل أحكامه ، أو المراد به شك في شيء من أحكامه ، و الأول أظهر ثم الأخير .

و كلمة «على» على بعض الوجوه بمعنى عن ، و على بعضها بتضمين معنى يتعدى به ، قال الفيروز آبادي : تعقبه أخذه بذنب كان منه ، وعن الخبر شك فيه و عاذا السؤال عنه ، و استعقبه و تعقبه طلب عورته أو عثرته .

«في صغيرة أو كبيرة» صفتان للكلمة أو الخصلة أو المسئلة أو نحو ذلك «على حد»

كان أمير المؤمنين عليه السلام باب الله الذي لا يؤتى إلا منه ، و سبيله الذي من سلك بغيره هلك ، وكذلك يجري لأئمة الهدى واحداً بعد واحد ، جعلهم الله أركان الأرض أن تميد بأهلها و حجته البالغة على من فوق الأرض و من تحت الثرى ، و كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه كثيراً ما يقول : أنا قسيم الله بين الجنة و النار و أنا الفاروق

الشرك بالله ، اى في حكمه إذ لا واسطة بين الايمان و الشرك ، والكائن عليه مشرف على الدخول في الشرك كما ترى في كثير منهم كالمجسمة والمصورة والصفانية وأضرابهم فانهم أشركوا من حيث لا يعلمون .

« أن تميد ، اى كراهية أن تميد أو من أن تميد ، بتضمين الاركان معنى الموانع ، و في القاموس ما ديميد ميذاً : تحرّك و زاغ » انتهى .

و فيه ايماء إلى أن المراد بالرّأسى في قوله تعالى : « وجعلنا في الارض رواسى أن تميد بهم » ^(١) الائمة عليهم السلام في بطن القرآن ، و المراد بالميد إمّا ذهاب نظام الأرض و إختلال أحوال أهلها كما يكون عند فقد الامام قبل القيامة ، أو حقيقته بالزلزال الحادثة فيها .

و قيل : المراد بمن فوق الأرض الأحياء ، و بمن تحت الثرى الأموات ، لانهم الأشهاد يوم القيامة ، و قد مرّ منّا الكلام فيهما .

قوله عليه السلام : كثيراً ما يقول ، اى حيناً كثيراً أو ما زائدة للتأكيد عند جميع البصريين ، و قيل : إسم نكرة صفة لكثير أو بدل منه ، و على التقادير يفهم منها التفضيم بالابهام « أنا قسيم الله » اى القسيم المنسوب من قبل الله للتميز بين أهل الجنة و أهل النار بسبب ولايته و تركها ، أو هو الذي يقف بين الجنة و النار فيقسمهما بين أهلها بسبب ولايته و عداوته كما دلت عليه صحاح الاخبار ، و الأخبار بذلك متواترة من طرق الخاصة و العامة . قال في النهاية في حديث على عليه السلام : أنا قسيم النار ، أراد أن الناس فريقان فريق معى ، فهم على هدى ، و فريق على فهم ضلال ، فنصف معى في الجنة و نصف على النار ، و قسيم : فاعيل بمعنى فاعل كالجلس و السمر « انتهى » و أنا الفاروق اى

الأكبر وأنا صاحب العصا والميسم ولقد أقرت لي جميع الملائكة والروح والرسل

الذي فرق بين الحق والباطل كما ذكره الفيروز آبادي، أو الفارق بين أهل الجنة وأهل النار «وأنا صاحب العصا والميسم» قال في النهاية : الميسم هي الحديد التي يوسم بها ، و أصله موسم فقلبت الواو ياءاً لكسرة الميم «انتهى» .

وهذا الإشارة إلى أنه ﷺ الدابة التي أخبر بها في القرآن بقوله : «وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون»^(١) و روى عن ابن عباس وابن جبير وغيرهما قراءة تكلمهم بالتخفيف وفتح التاء وسكون الكاف من الكلم بمعنى الجراحة .

و قال الطبرسي روح الله روحه : هي دابة تخرج بين الصفا والمروة فتخبر المؤمن بأثمه مؤمن والكافر بأنه كافر ، وعند ذلك يرتفع التكليف ولا تقبل التوبة ، وهو علم من أعلام الساعة ، و روي محمد بن كعب القرظي قال : سئل على ﷺ عن الدابة ؟ فقال : أما والله ما لها ذنب وإن لها اللحية ، وفي هذا إشارة إلى أنها من الانس ، وعن حذيفة عن النبي ﷺ قال : دابة الأرض طولها ستون ذراعاً لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب ، فقسم المؤمن بين عينيه وكتب بين عينيه مؤمن ، وتسم الكافر بين عينيه وكتب بين عينيه كافر ، ومعها عصا موسى وخاتم سليمان ﷺ ، فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتحطم أنف الكافر بالخاتم ، حتى يقال يا مؤمن يا كافر «انتهى» .

و روى علي بن ابراهيم في تفسيره عن أبيه عن ابن أبي عمير عن أبي عبد الله ﷺ قال : إنتهى رسول الله ﷺ إلى أمير المؤمنين ﷺ وهو قائم في المسجد قد جمع رملاً ووضع رأسه عليه فحرّكه برجله ثم قال له : قم يا دابة الله ، فقال رجل من أصحابه : يا رسول الله أيسمى بعضنا بهذا الاسم ؟ فقال : لا والله ما هو إلا له خاصة ، و هو الدابة التي ذكرها الله في كتابه : «وإذا وقع القول» الآية ، ثم قال : يا علي إذا كان آخر الزمان أخرجك الله في أحسن صورة ومعك ميسم تسم به أعداءك ، فقال رجل

لاى عبد الله ﷺ : ان العامة يقولون ان هذه الدابة إنما تكلمهم فقال ابو عبد الله ﷺ :
كلهم الله في نار جهنم إنما هو يكلمهم من الكلام .

و قال ابو عبد الله ﷺ : قال رجل لعمار بن ياسر : يا أبا اليقظان آية في كتاب
الله قد أفسدت قلبي وشككتني؟ قال عمار : آية آية هي ؟ قال : قوله : « وإذا وقع القول
عليهم الآية ، فأية دابة هذه ؟ قال عمار : والله ما أجلس ولا أكل ولا أشرب حتى أرى بها
فجاء عمار مع الرجل إلى أمير المؤمنين ﷺ وهو يأكل تمرأ وزبدأ ، فقال له : يا
أبا اليقظان هلم ، فجلس عمار وأقبل يأكل معه ، فتعجب الرجل من ، فلما قام عمار
قال له الرجل : سبحان الله يا أبا اليقظان حلفت أنك لا تأكل ولا تشرب ولا تجلس حتى
تربنيها ؟ قال عمار : قد أرى بها إن كنت تعقل .

و روي الحسن بن سليمان من كتاب البصائر لسعد بن عبد الله باسناده عن أبي جعفر
ﷺ قال : قال أمير المؤمنين في خطبة طويلة : أنا دابة الأرض ، وأنا قسيم النار ، و
أنا خازن الجنان ، وأنا صاحب الأعراف «الخبر» .

و في كتاب سليم بن قيس الهلالي عن أبي الطفيل قال : سألت أمير المؤمنين ﷺ
عن الدابة ؟ فقال : يا أبا الطفيل إله عن هذا ^(١) فقلت : يا أمير المؤمنين أخبرني به
جعلت فداك ! قال : هي دابة تأكل الطعام وتمشي في الاسواق وتنكح النساء ، فقلت :
يا أمير المؤمنين من هو ؟ قال : رب الأرض الذي يسكن الأرض قلت : يا أمير المؤمنين
من هو ؟ قال : الذي قال الله : « ويتلوه شاهد منه » ^(٢) و الذي « عنده علم من الكتاب » ^(٣)
والذي « صدق به » ^(٤) قلت : يا أمير المؤمنين فسمه لي ، قال : قد سميت له يا أبا الطفيل
« الخبر » . و أقول : الأخبار في ذلك كثيرة أوردتها في كتاب البحار .

و قيل : « أنا صاحب العصا والميسم » أي الرأعي لكل الأمة بعد رسول الله ﷺ ،
و مميز من يطيعه و يكون من قطيعه ، بالميسم الذي يعرفون به عن المتخلف عنه و

(١) أي اعرض عنه ولا تسئل ، من لهى عنه : ترك ذكره و أعرض عنه .

(٢) سورة هود : ١٧ . (٣) سورة الرعد : ٤٣ (٤) سورة الزمر : ٣٣ .

بمثل ما أقرُّوا به لمحمد ﷺ ولقد حملت على مثل حملته وهي حمولة الرب وإنَّ

الخارج عنهم ، ولا يخفى ما فيه .

« ولقد أقرت لي » أي أذنت لي بالولاية والفضل كما أذنت له ﷺ « و
لقد حملت على مثل حملته » على بناء المجهول ، والحمولة بالفتح ما يحمل عليه من
الدواب أي حملني الله على ما حمل عليه نبيه من التبليغ والهداية والخلافة ، أو يكون
خبراً عن المستقبل ، أني بالماضي لتحقق وقوعه ، أي يحملني الله في القيامة على مثل
مراكبه من نوق الجنة وخيولها ، فتناسب الفقرة التالية لها ، وشهد كثير من الاخبار
بها أو في الرجعة ، كما رواه الراوندي في الخرائج باسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام
قال : قال الحسين بن علي عليه السلام لأصحابه قبل أن يقتل : إن رسول الله ﷺ قال لي :
يا بني إنك لتساق إلى العراق وهي أرض قد إلتقي فيها النبيون وأوصياء النبيين ،
وعلى أرض تدعى غمورا وأنتك لتشهد بها ويستشهد معك جماعة من أصحابك ، لا
يجدون إلم مس الحديد ، وثلا « يا نار كوني برداً وسلاماً^(١) » يكون الحرب عليك
وعليهم برداً وسلاماً ، فأبشروا فوالله لئن قتلونا فائتاً نرد إلي نبينا ﷺ ، ثم أمكت
ما شاء الله فأكون أول من تنشق الأرض عنه فخرج خرجة توافق ذلك خرجة أمير المؤمنين
وقيام قائمنا وحياة رسول الله ﷺ ، ثم لينزلن علي وفد من السماء من عند الله لم
ينزلوا إلى الأرض قط ، ولينزلن علي جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وجنود من
الملائكة ، ولينزلن محمد وعلي وأنا وأخي وجميع من من الله عليه في حملات من حملات
الرب ، خيل بلق من نور لم يركبها مخلوق ، ثم ليرزن محمد ﷺ ولواءه ولیدفعنه
إلى قائمنا عليه السلام مع سيفه ، ثم أنا أمكت بعد ذلك ما شاء الله « الخبر » .

ويمكن أن يقرء على بناء المعلوم ، أي حملت أحمالي على مثل ما حمل ﷺ
أعماله عليه في ولاية الأمر الجاري على وفق أحكام الله وحكمه ، أو حملت أتباعي و
شيعتي على ما حمل ﷺ أصحابه عليه من أحكام القرآن ، ويمكن أن يقرء على

رسول الله ﷺ يدعى فيكسى ، وأدعى فأكسى ويستنطق وأستنطق فأنطق على حد منطقه ، ولقد أعطيت خلاصا ما سبقني إليها أحد قبلي علمت المنايا والبلايا ، والأنساب وفصل الخطاب ، فلم يفتني ما سبقني ، ولم يعزب عني ما غاب عني ، أبشر باذن الله

بناء المجهول الغائب و علي بالتشديد ، والقائم مقام الفاعل مثل حملته ، والتأنيث باعتبار المضاف إليه ، فالحمولة بمعنى الحمل لا المحمول عليه ، أي حمل الله علي من أعباء الامامة وأسرار الخلافة مثل ما حمل عليه ﷺ ، قال الفيروز آبادي : الحمولة ما احتمل عليه القوم من بعير و حمار و نحوه كانت عليه أثقال أو لم تكن ، والأحمال بعينها ، و المحمول بالضم : الهوادج أو الابل عليها الهودج و الواحد حمل بالكسر و يفتح « انتهى » .

و قوله : و هي حمولة الرب ، علي كل من المعاني ظاهر .

« يدعى » بصيغة المجهول أي في القيامة « وأدعى و أكسى » أي مثل دعائه و كسائه « ويستنطق » بصيغة المجهول أي للشهادة أو للشفاعة أو للاحتجاج علي الامة أو الأعم « علي حد منطقه » أي علي نهجه وطريقته في الصواب و النفاذ ، و المنطق بكسر الطاء مصدر ميمي « خلاصا » أي فضائل « ما سبقني إليها أحد » أي من الاوصياء أو من الرسل ايضاً ، فالمراد بقوله « قبلي » قبل ما أدركته من الاعصار « علمت المنايا » أي آجال الناس « و البلايا » أي ما يمتحن الله به العباد من الشرور والآفات أو الأعم منها ومن الخيرات « و الانساب » أي أعلم والد كل شخص فأميز بين أولاد الحلال و الحرام « و فصل الخطاب » أي الخطاب الفاصل بين الحق و الباطل أو الخطاب المفصول الواضح الدلالة علي المقصود ، أو ما كان من خصائصه صلوات الله عليه من الحكم المخصوص في كل واقعة ، والجوابات المسكنة للخصوم في كل مسألة ، و قيل : هو القرآن ، وفيه بيان الحوادث من ابتداء الخلق إلى يوم القيامة .

« فلم يفتني ما سبقني » أي علم ما سبق من الحوادث أو العلوم النازلة علي الأنبياء أو الأعم « ولم يعزب » كينصر و يضرب أي لم يغب عني علم ما غاب عن مجلسي

أُودِيَ عنه ، كل ذلك من الله مكنتني فيه بعلمه .

الحسين بن محمد الأشعري ، عن معلّى بن محمد ، عن محمد بن جمهور العمّتي ، عن محمد بن سنان قال : حدثنا المفضل قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول ثم ذكر الحديث الأول .

٢ - علي بن محمد و محمد بن الحسن ، عن سهل بن زياد ، عن محمد بن الوليد شباب الصير في قال : حدثنا سعيد الأعرج قال : دخلت أنا و سليمان بن خالد على أبي عبد الله عليه السلام فابتدأنا فقال : يا سليمان ما جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام يؤخذ به وما نهى عنه ينتهى عنه ، جرى له من الفضل ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وآله و لرسول الله صلى الله عليه وآله الفضل على جميع من خلق الله ، المعيب على أمير المؤمنين عليه السلام في شيء من أحكامه كالمعيب على الله عز و جل و على رسوله صلى الله عليه وآله و الراد عليه في صغيرة أو كبيرة على حدّ الشرك بالله ، كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه باب الله الذي لا يؤتى إلا منه ، و سبيله الذي من سلك بغيره هلك ، و بذلك جرت الائمة عليهم السلام واحد بعد واحد ، جعلهم الله أركان الأرض أن تميد بهم ، و الحجّة البالغة على من فوق الأرض و من تحت الثرى .

و قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : أنا قسيم الله بين الجنة و النار ، و أنا الفارق الأكبر و أنا صاحب العصا و الميسم ، ولقد أقرت لي جميع الملائكة و الرّوح بمثل ما أقرت لمحمد صلى الله عليه وآله ولقد حملت على مثل حمولة محمد صلى الله عليه وآله و هي حمولة الربّ و إنّ محمداً صلى الله عليه وآله يدعى فيكسى و يستنطق و ادعى فأكسى و أستنطق فأنطق على حدّ منطقته ، ولقد أعطيت خصالا لم يعطهنّ أحد قبلي ، علمت علم المنايا و البالايا ، و الأنساب و فصل الخطاب ، فلم يفتني ما سبقني ، ولم يعزب عني ما غاب عني ، أبشّر باذن الله و أودّي عن الله عز و جل ، كل ذلك مكنتني الله فيه باذنه .

في هذا العصر و في الاعصار الآتية «أبشّر باذن الله» أي عند الموت أو أولياءه أو الأعم و أودّي عنه «كلّ ما أقول لآعن رأي و هو» كل ذلك من الله ، أي من فضله علي «بعلمه» أي بسبب ما يعلم من المصلحة في تمكينني و بالعلم الذي أعطانيه .

الحديث الثاني : ضعيف .

و في أكثر النسخ فيه «المعيب على أمير المؤمنين» على بناء التفعيل ، من عيبه إذا نسب إلى العيب «بإذنه» أي بتوقيفه و تيسير أسبابه .

٣- محمد بن يحيى و أحمد بن محمد جميعاً ، عن محمد بن الحسن ، عن علي بن حسان قال: حدثني أبو عبد الله الرياحي ، عن أبي الصامت الحلواني ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: فضل أمير المؤمنين عليه السلام ما جاء به آخذه و ما نهى عنه أتتهى عنه ، جرى له من الطاعة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ما لرسول الله صلى الله عليه وآله والفضل لمحمد عليه السلام ، المتقدم بين يديه كالمقدم بين يدي الله ورسوله ، والمتفضل عليه كالمفضل على رسول الله صلى الله عليه وآله والراد عليه في صغيرة أو كبيرة على حدّ الشرك بالله ، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله باب الله الذي لا يؤتى إلا منه وسبيله الذي من سلكه وصل إلى الله عزّ وجلّ وكذلك كان أمير المؤمنين عليه السلام من بعده و جرى للأئمة عليهم السلام واحداً بعد واحد ، جعلهم الله عزّ وجلّ أركان الأرض أن تמיד بأهلها ، وعمد الاسلام ، و رابطه على سبيل هداة ، لا يهتدي هاد إلا بهداهم ولا

الحديث الثالث : ضيف ايضاً .

« فضل أمير المؤمنين » على المصدر مبتداء و الموصول خبره ، أى مزيته و فضله عليه السلام مشاركته لرسول الله صلى الله عليه وآله في وجوب الأخذ بما جاء به ، و الانتهاء عما نهى عنه و وجوب طاعته بعد رسول الله ، أو يقر « فضل » على بناء التفعيل المجهول أى على جميع الخلق أو الامة فقوله : « ما جاء » بيان له « والفضل لمحمد » أى الفضل عليه لمحمد دون غيره ، أو الفضل على العموم على جميع الانبياء و الاوصياء و الائمة مخصوص به صلى الله عليه وآله ، أو ذلك الفضل بعينه هو فضل محمد لا نهما نفس واحدة « المتقدم » عليه لعله إشارة إلى قوله سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا لا تقدّموا بين يدي الله ورسوله » ^(١) وإن كان في الآية على القراءة المشهورة على التفعيل وهنا على التفعّل ، كما قرأ به يعقوب ، فيؤيد الخبر تلك القراءة ، وعلى المشهورة أي لا تقدّموا أمراً ولا تقطعوه قبل أن يحكم الله ورسوله به ، والمراد هنا إما هذا أو من يرى لنفسه الفضل عليه ، و يريد أن يكون متبوعاً له فهو كمن يرى الفضل لنفسه على رسول الله صلى الله عليه وآله ، و يريد أن يكون متبوعاً له « والمتفضل » التفعّل هنا للتكلف ، أى المفضل نفسه بدون استحقاق .

« وعمد الاسلام » العمدة بفتحيتين وضمّتين جمع العمود و هو الاسطوانة أى لا -

يضلُّ خارج من الهدى إلا بتقصير عن حقهم ، أمناء الله على ما أهبط من علم أو عذر أو نذر ، و الحجة البالغة على من في الأرض ، يجري لآخرهم من الله مثل الذي جرى لأولهم ، ولا يصل أحد إلى ذلك إلا بعون الله .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : أنا قسيم الله بين الجنة والنار ، لا يدخلها داخل إلا على حد قسمي ، وأنا الفاروق الأكبر ، وأنا الإمام لمن بعدي ، والمؤدّي عمن كان قبلي ، لا يتقدّمني أحد إلا أحمد عليه السلام وإني وإياه على سبيل واحد إلا أنه هو

يقوم الاسلام إلا بامامتهم «ورابطه» بالضمير الراجع إلى الاسلام ، والوحدة لكونهم كنفس واحدة ، أو لأنّ في كل زمان واحد منهم ، أي هم يشدّون الاسلام على سبيل هدايته ، أو بالناء صفة للجماعة أي الجماعة الذين يشدّون الناس على سبيل هداية الله لئلا يتعدّوه ، أو المرابطين في نعر الاسلام لئلا يهجم الكفار وأهل البدع على المؤمنين فيضلّوهم «أو عذر أو نذر» أي محو إساءة أو تخويف ؛ وهما مصدران لعذر إذا محى الإساءة وأنذر إذا خوّف ، أو جمعان لعذير بمعنى المعذرة ، ونذير بمعنى الإنذار «ولا يصل أحد إلى ذلك» أي إلى مرتبة فضلهم أو إلى معرفة تلك المرتبة «إلا بعون الله» أي بتوقيفه «لا يدخلها» أي النار أو كل من الجنة والنار وفي بعض النسخ لا يدخلها وهو أظهر .

«على حد قسمي» الحدّ : الفصل بين الشيئين يميّز بينهما ، والقسم بالفتح : التقسيم ، وفي بعض النسخ على أحد قسمي بصيغة التثنية مضافة إلى ياء المتكلم وعلّله أصوب «عمن كان قبلي» أي النبي عليه السلام «وإني وإياه على سبيل واحد» أي متساويان في جميع وجوه الفضل «إلا أنه هو المدعو باسمه» أي النبي و الرسول ، فإني لست بنبي ولا رسول ، وإتمافضله على ذلك ، أو أنه تعالى سمّاه في القرآن وناداه باسمه ولم يسمني ، أو المقصود بيان غاية الاتحاد بينهما على سياق قوله تعالى : «وأنفسنا وأنفسكم» ^(١) أي ليس بيني وبينه فرق إلا أنه مدعو باسمه وأنا مدعو باسمي ، فلا

المدعو باسمه ولقد أعطيت الستة : علم المنايا والبلايا ؛ و الوصايا ؛ و فصل الخطاب ؛
و إنني لصاحب الكرّات و دولة الدول .

فرق في المسمى بل في الاسم ، وهذا وجه حسن .

« و الوصايا » اى أعلم ما أوصى به الانبياء أوصيائهم و أممهم من الشرايع
و غيرها .

« و إنني لصاحب الكرّات و دولة الدول » هذه الخامسة و يحتمل وجوهاً :
الأول : أن يكون المعنى أني صاحب الحملات في الحروب فانه ﷺ كان
كرّاراً غير فرار ، و صاحب الغلبة فيها ، فانه كان الغلبة في الحروب بسببه ،
أو إنني صاحب الغلبة على أهل الغلبة في الحروب ، قال الفيروز آبادي : الكرّة
المرّة و الحملة ، و قال : الدولة إنقلاب الزمان و العقبة في المال ، و يضمّ أو الضمّ فيه
و الفتح في الحرب ، أو هما سواء ، أو الضمّ في الآخرة و الفتح في الدنيا ، و الجمع
دول مثلثة ، و أدالنا الله من عدونا ، من الدولة و الأدالة الغلبة ، و دالت الأيّام : دارت ،
و الله يد اولها بين الناس .

الثاني : أن المراد إنني صاحب علم كلّ كرّة و دولة ، اى أعلم أحوال أصحاب
القرون الماضية و الباقية إلى يوم القيامة من أهل الدين و الدنيا .

الثالث : أن المعنى إنني أرجع إلى الدنيا مرّات شتى لأمر و كلنى الله بها ،
و كانت غلبة الأنبياء على أعاديهم و نجاتهم من المهالك بسبب التوسّل بنوري و أنوار
أهل بيتي ، أو يكون دولة الدول ايضاً إشارة إلى الدولات الكائنة في الكرّات و الرجعات ،
فأمّا الرجعات فقد دلّت عليها كثير من الروايات ، نحو ما روي في بصائر سعد بن عبد الله
و غيره بالاسناد عن أبي حمزة الثمالي عن ابي جعفر ﷺ في خطبة طويلة رواه عن
أمير المؤمنين ﷺ قال فيها : و إن لي الكرّة بعد الكرّة و الرّجعة بعد الرّجعة ،
و أنا صاحب الرّجعات و صاحب الصّولات و النقمات و الدّولات العجيبات ، إلى آخر
الخطبة ، و غيرها من الاخبار التي أوردتها في الكتاب الكبير .

و إنني لصاحب العصا والميسم ، والدابة التي تكلم الناس .

﴿ باب ﴾

❦ (نادر جامع في فضل الامام وصفاته) ❦

١- أبو محمد القاسم بن العلاء - رحمه الله - رفعه ، عن عبد العزيز بن مسلم قال :
كنّا مع الرضا عليه السلام بمرور فاجتمعنا في الجامع يوم الجمعة في بدء مقدمنا فأداروا
أمر الإمامة وذكروا كثرة اختلاف الناس فيها ، فدخلت على سيدي عليه السلام فأعلمته
خوض الناس فيه ، فتبسّم عليه السلام ثم قال : يا عبد العزيز جهل القوم و خدعوا عن آرائهم ،
إن الله عزّ وجلّ لم يقبض نبيّه ﷺ حتّى أكمل له الدين و أنزل عليه القرآن

و قوله : « و إنني لصاحب العصا » الى آخره هي السادسة « والدابة » تفسير لصاحب
العصا والميسم كما عرفت .

باب نادر جامع في فضل الامام عليه السلام وصفاته

الحديث الاول : مرفوع ، و رواه الصدوق في كثير من كتبه بسند آخر فيه
جهالة ، و هو مروى في الاحتجاج و غيبة النعماني وغيرهما .
و البدء بفتح الباء و سكون الدال مهموزاً : أوّل الشيء ، و المقدم بفتح الدال
مصدر كالقدوم ، و تبسّمه عليه السلام للتعجب عن ضالّتهم و غفلتهم عن أمر هو أوضح الأمور
بحسب الكتاب و السنة ، أو عن استبدادهم بالرأى فيما لا مدخل للعقل فيه ، و قال
الجوهري : خاض القوم في الحديث اى تفاوضوا فيه .

« و خدعوا » على المجهول « عن آرائهم » كلمة « عن » إمّا تعليلية اى بسبب آرائهم ،
أو ضمّن فيه معنى الاغفال ، فالمراد بالآراء ما ينبغي أن يكونوا عليها من إعتقاد
الإمامة ، و في بعض نسخ الكتاب و أكثر نسخ سائر الكتاب « عن أديانهم » وهو اظهر .
« إن الله لم يقبض » : يتن عليه السلام أن الامام لا بد أن يكون منصوباً عليه ، وليس

فيه تبيان كل شيء ، يبين فيه الحلال و الحرام ، و الحدود و الأحكام ، و جميع ما يحتاج إليه الناس كملاً ، فقال عز وجل : « ما فرطنا في الكتاب من شيء »^(١)

تعيينه باختيار الأمة بوجهين :

الأول : الآيات الدالة على أن الله تعالى أكمل الدين للأمة و يبين لهم شرائعهم و أحكامهم ، و ما يحتاجون إليه ، و معلوم أن تعيين الامام من الامور المهمة في الدين باجماع الفريقين ، ولذا اعتذر المخالفون للاشتغال بتعيين الامام قبل تجهيز الرسول ﷺ ، بأن تعيينه كان أهم من ذلك .

و الثاني : أن للإمامة شرائط من العصمة و العلم بجميع الاحكام ، و غير ذلك مما لا يحيط به عقول الخلق ، فلا يعقل تفويضها إلى الأمة ، و لابد من أن يكون الامام منصوباً من قبل الله تعالى ، و لا خلاف بين الأمة في أنه لم يقع النص على غير أئمتنا عليهم السلام ، فلا بد من أن يكونوا منصوبين منصوبين للإمامة من الله و من رسوله .

« فيه تبيان كل شيء » إشارة إلى قوله تعالى في سورة النحل : « و تركنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء » ثم فسر ذلك بقوله : « يبين فيه الحلال و الحرام و الحدود و الأحكام و جميع ما يحتاج إليه الناس كملاً » و لا ريب أن الإمامة و تعيين الامام شيء مما يحتاج إليه الناس غاية الاحتياج ، و قال الجوهرى يقال : أعطه هذا المال كملاً أى كله .

« ما فرطنا في الكتاب من شيء » قال البيضاوى : « من » مزيدة و شيء في موضع المصدر لا المفعول به ، فان فرط لا يعدى بنفسه ، و قد عدى بفى إلى الكتاب « انتهى » و وجه الاستدلال ما مر ، و هو مبنى على كون المراد بالكتاب القرآن كما ذهب إليه أكثر المفسرين ، و قيل : المراد به اللوح ، و يحتمل الاستدلال بالآيتين وجهاً آخر ، و هو أنه تعالى أخبر ببيان كل شيء في القرآن ، و لا خلاف في أن غير الامام لا يعرف

وأُنزل في حجة الوداع وهي آخر عمره ﷺ : «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً»^(١)

كل شيء من القرآن فلا بد من وجود الامام المنصوص ، و الأول أظهر .
«و أنزل في حجة الوداع» قال بعض العامة ناقلاً عن عمر : أن هذه الآية نزلت يوم عرفة في حجة الوداع في عرفات ، وقال مجاهد : نزلت يوم فتح مكة و نهدت الامامية إلى أنها نزلت في غدير خم يوم الثامن عشر من ذي الحجة في حجة الوداع ، بعد ما نصب علياً عليه السلام للخلافة بأمر الله تعالى ، وقد دلّت على ذلك الروايات المستفيضة من طرفنا و طرق العامة ، فقد روى السيد ابن طاوس قدس سرّه في كتاب الطرائف نقلاً من مناقب ابن المغازلي الشافعي ، و تاريخ بغداد للخطيب عن أبي هريرة قال : من صام يوم ثمانية عشر من ذي الحجة كتب الله له صيام ستين شهراً ، وهو يوم غدير خم لما أخذ رسول الله ﷺ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام و قال : أأنت أولى بالمؤمنين ؟ قالوا : نعم يا رسول الله ، قال : من كنت مولاه فعلي مولاه ، فقال له عمر : بنح بنح يا بن أبي طالب ، أصبحت مولاي ومولى كل مسلم ، فأُنزل الله عزّ وجلّ : «اليوم اكملت لكم دينكم» و رواه الصدوق (ره) في مجالسه ايضاً .

و روى السيد ايضاً في كتاب كشف اليقين نقلاً من كتاب محمد بن أبي الثلج من علماء المخالفين باسناده عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : أنزل الله عزّ وجلّ على نبيه ﷺ بكرا ع الغميم^(٢) «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك في علي عليه السلام و ان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس»^(٣) فذكر قيام رسول الله ﷺ بالولاية بغدير خم ، قال : و نزل جبرئيل عليه السلام بقول الله عزّ وجلّ : «اليوم اكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الاسلام ديناً» بعلي أمير المؤمنين في هذا اليوم ، أكمل لكم معاشر المهاجرين والانصار دينكم و أتممّ عليكم نعمته و رضي لكم الاسلام ديناً ، فاسمعوا له و أطيعوا تفوزوا و تغنموا .

(٢) كرا ع الغميم : واد بين مكة والمدينة .

(١) سورة المائدة : ٣ .

(٣) سورة المائدة : ٦٧ .

وأمر الإمامة من تمام الدين ، ولم يمض وَاللَّهُ عَلِيمٌ حتى بين لأئمة معالم دينهم و أوضح لهم سبيلهم و تركهم على قصد سبيل الحق ، و أقام لهم علياً عَلَيْهِ السَّلَام علماً و إماماً و ما ترك [لهم] شيئاً يحتاج إليه الأمة لإيئته ، فمن زعم أن الله عز و جل لم يكمل دينه فقد رد كتاب الله ، ومن رد كتاب الله فهو كافر به .

هل يعرفون قدر الإمامة ومحلها من الأمة فيجوز فيها اختيارهم ، إن الامامة

وروى السيوطي في تفسيره الدر المنثور عن ابن مردويه وابن عساكر باسنادهما عن أبي سعيد الخدري قال : لما نصب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علياً يوم غدیر خم فنأدى له بالولاية هبط جبرئيل عَلَيْهِ السَّلَام بهذه الآية : «اليوم أكملت لكم دينكم» .

و روى أيضاً عن ابن مردويه و الخطيب و ابن عساكر بأسانيدهم عن أبي هريرة قال : لما كان يوم غدیر خم و هو الثامن عشر من ذى الحجة قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : من كنت مولاه فعلي مولاه ، فأقر الله : «اليوم أكملت لكم دينكم» و الاخبار في ذلك كثيرة أوردتها في كتاب بحار الانوار .

«و أمر الامامة» اى ما يتعلق بها من تعيين الامام في كل زمان «من تمام الدين» اى من أجزائه التى لا يتم إلا بها ، فاكمال الدين بدون بيانه غير متصور «و لم يمض وَاللَّهُ عَلِيمٌ» اى كمال يفرط الله تعالى في البيان لم يفرط الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التبليغ ، و «المعالم» جمع معلم بالفتح اى ما يعلم به الدين ، كنصب الامام و بيان الاحكام ، والقصد : الوسط بين الطرفين و إضافته إلى السبيل و إضافة السبيل إلى الحق بيائتان ، و تحتملان اللامية .

«علماً» اى علامة لطريق الحق «إلا بينه» لعلي عَلَيْهِ السَّلَام و للناس بالنص عليه و الامر بالرجوع إليه «فهو كافر» يدل على كفر المخالفين «هل يعرفون» الاستفهام للانكار ، و هذا إشارة إلى الوجه الثاني من الوجهين المذكورين ، و الحاصل أن نصب الإمام موقوف على العلم بصفاته و شرايط الامامة ، و هم جاهلون بها ، فكيف يتيسر لهم نصبه ، و من شرايطها العصمة ولا يطلع عليها إلا الله تعالى كما استدل

أجل قدرأ وأعظم شأنأ وأعلامكانأ وأمنع جانبأ وأبعد غوراً من أن يبلغها الناس بعقولهم ، أو ينالوها بأرائهم ، أو يقيموا إمامأ باختيارهم ، إن الإمامة خص الله عز وجل بها ابراهيم الخليل عليه السلام بعد النبوة والخلة مرتبة ثالثة ، وفضيلة شرّف بها وأشاد بها ذكره ، فقال : « إنني جاعلك للناس إمامأ » ^(١) فقال الخليل عليه السلام سروراً بها : « ومن ذريّتي » قال الله تبارك وتعالى : « لا ينال عهدي الظالمين » فأبطلت هذه الآية إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة وصارت في الصفوة ، ثم أكرمه الله تعالى بأن جعلها في ذريّته أهل الصفوة والطهارة فقال : « وهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة و كلاً جعلنا صالحين » وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة و

عليه في الشافي ببراهين شافية ، لا يناسب الكتاب إبرادها .

« وأمنع جانبأ » أي جانبه وطريقه الموصل إليه أبعد من أن يصل إليه يدأحد « خص الله بها ابراهيم » أي بالنسبة إلى الأنبياء السابقين « سروراً بها » مفعول له لقال ، والاشادة : رفع الصوت بالشئ يقال : أشاده وأشاد به إذا أشاعه ورفع ذكره « فصارت في الصفوة » مثلثة أي أهل الطهارة والعصمة من صفا الجوّ إذا لم يكن فيه غيم ، أو أهل الاصطفاء والاختيار الذين إختارهم الله من بين عباده لذلك لعصمتهم وفضلهم و شرفهم « نافلة » النفل والنافلة : عطية التطوّع من حيث لا تجب ، ومنه نافلة الصلوة ، والنافلة أيضاً : ولد الولد والزيادة ، وهي على المعنى الأوّل حال عن كلّ واحد من إسحاق ويعقوب ، وعلى الآخرين حال عن يعقوب ، أمأ على الثاني فظاهر ، و أمأ على الأوّل فلان يعقوب زيادة على من سأله ابراهيم عليه السلام وهو اسحق .

« وكلاً جعلنا صالحين » موصوفين بالصالح ظاهرأ و باطنأ قابلين للخلافة و

الامامة « وجعلناهم أئمة » للخلايق « يهدون » الناس إلى الحق « بأمرنا » لابتعيين الخلق « وأوحينا إليهم فعل الخيرات » أي جميعها لكونه جمعأ معرفأ باللام « وإقام الصلوة » من قبيل عطف الخاص على العام للإشعار بفضلهما ، وحذفت التاء من إقام

إيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين»^(١).

فلم تزل في ذريته يرثها بعض عن بعض قرناً فقرناً حتى ورثها الله تعالى النبي ﷺ ، فقال جلّ و تعالى : « إن أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي ﷺ والذين آمنوا والله ولي المؤمنين »^(٢) فكانت له خاصة فقلدها ﷺ علياً عليه السلام بأمر الله تعالى على رسم ما فرض الله ، فصارت في ذريته الأصفياء الذين آتاهم الله العلم والإيمان ،

للتخفيف مع قيام المضاف إليه مقامها «و كانوا لنا عابدين» عطف على «أو حينما» أو حال من ضمير إليهم بتقدير قد ، و تقديم الظرف للحصر .

«قرناً فقرناً» منصوبان على الظرفية «إن أولى الناس بابراهيم» أي أخصهم به و أقربهم منه من الولي بمعنى القرب أو أحقهم بمقامه «للمؤمنين» في عقايدهم و أقواله و أعماله ظاهراً و باطناً ، ولم يخالفوه أصلاً ، و هم أوصياؤه و الأبناء من ولده ﷺ «و هذا النبي ﷺ و الذين آمنوا» حق الإيمان و هم أوصياؤه ﷺ «و الله ولي المؤمنين» ينصرهم لايمانهم و يرشدهم عباد الله إلى صراطه المستقيم ، و قال أمير المؤمنين عليه السلام فيما رواه في نهج البلاغة عنه في بعض خطبه حيث قال : و كتاب الله يجمع لنا ما شدّعنا ، و هو قوله تعالى : «و أولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله»^(٣) و قوله تعالى : «إن أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه» الآية ، فالاستدلال بالآية مبني على أن المراد بالمؤمنين فيها الإمامة عليه السلام ، و يحتمل أن يكون المراد به أن تلك الإمامة إنتهت إلى النبي ﷺ ، و هو لم يستخلف غير علي عليه السلام بالاتفاق .

«فكانت» أي الإمامة «له خاصة» أي للنبي ﷺ في زمانه «فقلدها» بتشديد اللام «علياً» أي جعلها لازمة في عنقه لزوم القلادة «بأمر الله» متعلق بقوله «على رسم ما فرض الله» الرسم السنة و الطريقة ، أي على الطريقة التي فرضها الله في السابقين ، بأن ينصب كل إمام بعده إماماً ثلثاً يخلو زمان من حجة ، و الظرف إمّا متعلق بالظرف الأول أو بقوله «فصارت في ذريته» الضمير لعلي عليه السلام «بقوله» الظرف متعلق بآتاهم ، أو بصارت.

(٢) سورة آل عمران : ٦٨ .

(١) سورة الانبياء : ٧٣ .

(٣) سورة الانفال : ٧٥ .

بقوله تعالى : « وقال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث »^(١) فهي في ولد علي عليه السلام خاصة إلى يوم القيامة؛ إذ لاني بعد محمد وآله من أين يختار هؤلاء الجهال ؟.

« وقال الذين أوتوا العلم والايمان » أقول : قبل هذه الآية قوله تعالى : « ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون » فإن المجرمين يقسمون يوم القيامة أنهم ما لبثوا في الدنيا أو في القبور غير ساعة لا ستقالاتهم مدة لبثهم إضافة إلى مدة عذابهم في الآخرة أو نسياناً « كذلك كانوا يؤفكون » أى مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون في الدنيا عن الحق ، فالمراد بالخبر أن الذين يحبونهم في القيامة وصفهم الله بأنهم أوتوا العلم والايمان هم النبي والائمة عليه السلام .
و يحتمل أن يكون المراد أن مصداقه الأكمل هم عليه السلام بأن يكون المراد بالموصول في الآية جميع الانبياء والاصياء صلوات الله عليهم ، كما ذكره المفسرون ، قال البيضاوي : من الملائكة والانس .

« لقد لبثتم في كتاب الله » أى في علمه أو فضائه أو اللوح أو القرآن « إلى يوم البعث » فهذا يوم البعث الذى كنتم منكبين له ، وهذا الجواب وإن لم يتضمن تحديد مدة لبثهم ، لكن فيه دلالة بحسب قرينة المقام على أنها زائدة على ما قالوه كثيراً ، حتى كأنها لا يحيط به التحديد ، وربما يوهم ظاهر الخبر أن المخاطب الائمة عليه السلام ، والمراد لبثهم في علم الكتاب ، لكن لا يساعده سابقه كما عرفت ، وإن كان مثل ذلك في نظم القرآن كثيراً ، وقال علي بن ابراهيم هذه الآية مقدمة و مؤخرة وإنما هو « وقال الذين أوتوا العلم والايمان في كتاب الله لقد لبثتم إلى يوم البعث » انتهى .

« إذ لاني بعد محمد » هذا إما تعليل لكون الخلافة فيهم والتقريب أنه لاني بعد محمد وآله حتى يجعل الامامة في غيرهم بعد جعل النبي فيهم ، أو لكونهم أئمة لا أنبياء ، أو لامتداد ذلك إلى يوم القيامة والتقريب ظاهر .

إنَّ الإمامة هي منزلة الأنبياء ، وإرث الأوصياء ، إنَّ الإمامة خلافة الله و خلافة الرسول ﷺ و مقام أمير المؤمنين ﷺ و ميراث الحسن و الحسين عليهما السلام إنَّ الإمامة زمام الدين ، و نظام المسلمين ، و صلاح الدنيا و عزُّ المؤمنين ، إنَّ الإمامة أَسُّ الإسلام النامي ، و فرعه السامي ، بالامام تمام الصلاة و الزكاة و الصيام و الحج و الجهاد ، و توفير الفئ و الصدقات ، و إمضاء الحدود و الأحكام ، و منع الثغور و الأطراف . الإمام يحلُّ حلال الله ، و يحرم حرام الله ، و يقيم حدود الله ، و يذب عن دين

« إنَّ الإمامة هي منزلة الانبياء » اي مرتبة لهم و لمن هو مثلهم أو كانت لهم فيجب أن ينتقل إلى من يشابههم ، وقيل : المعنى أنَّها منزلة بمنزلة نبوة الأنبياء ، فكما لا تثبت النبوة لأحد باختيار الخلق كذلك لا تثبت الإمامة باختيارهم « و إرث الاوصياء » اي ميراث ينتقل من الانبياء إليهم ، و من بعضهم إلى بعض ، و الإرث أصله الواو ، و هو في الأصل مصدر ، و كثيراً ما يطلق على الشيء الموروث كما هنا « إنَّ الإمامة خلافة الله » الخ ، خليفة الرجل من يقوم مقامه ، فلا بد أن يكون عالماً بما أراد المستخلف ، عاملاً بجميع أوامره مناسباً له في الجملة « زمام الدين » الزمام : الخيط الذي يشدُّ في طرفه المقود وقد يسمي المقود زمماً ، وفي الكلام استعارة مكنية و تخيلية « أَسُّ الإسلام » الأَسُّ والاساس أصل البناء « و النامي » صفة المضاف أو المضاف إليه والأوّل أظهر ، و نمو الأصل يستلزم نمو الفرع ، و قد يقال : هو من نمت الحديث أنميّه مخففاً إذا أبلغته على وجه الإصلاح و طلب الخير وهو بعيد ، « و السامي » العالى المرتفع ، و فرع كل شيء أعلاه .

« بالامام تمام الصلوة » الخ ، إذ هو الأمر بجميعها و معلّم أحكامها ، و الباعث لابقاعها على وجه الكمال ، و شرط تحقق بعضها ، و العلم بامامته شرط صحة جميعها ، و الفئ : الغنيمة لأنَّها كانت في الأصل للمسلمين ، لأنَّ [الله] خلقها لهم و غصبها الكفار ، ففأنت ورجعت إليهم ، و توفيره قسمته على قانون الشرع و العدل ، و الثغور : الحدود الفاصلة بين بلاد المسلمين و الكفار « و الأطراف » أعمّ منه « يحلُّ حلال الله و

الله ، و يدعو إلى سبيل ربّه بالحكمة ، و الموعظة الحسنة ، و الحجّة البالغة ، الإمام كالشمس الطالعة المجلّلة بنورها للعالم وهي في الأفق بحيث لا تنالها الأيدي و الأَبصار .

الإمام البدر المنير ، و السراج الزاهر ، و النور الساطع ، و النجم الهادي في غياهب الدجى و أجواز البلدان و القفار ، و ليج البحار ، الامام الماء العذب علي الظماء

أى يبين حليته و كذا التحريم ، و الذّب : المنع و الدّفع ، و حذف المفعول للتعميم « و يدعو إلى سبيل ربّه ، إشارة الى قوله تعالى : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة و جادلهم بالتّي هي أحسن » ففسّر عليه السلام المجادلة بالتّي هي أحسن بالبراهين القاطعة ؛ كما فسر الحسن بن عليّ العسكري عليه السلام الجدال بالتّي هي أحسن بالبرهان القاطع و بغير التّي هي أحسن بالجدل و إلزام الخصم بالباطل ، فالمراد بالحكمة و الموعظة الحسنة الأمثال و المواعظ و الخطايات النافعة كما ذكره الله تعالى عند بيان حكمة لقمان عليه السلام أمثال ذلك ، و فسر الأكثر الحكمة بالبرهان و الموعظة بالخطايات و المجادلة بالجدليات .

وقال الجوهري : جلّ الشيء تجليلاً أى عمّ ، و المجلل : السّحاب الذي يجلل الأرض بالمطر ، أى بعمّ وهي في الأفق هو ما ظهر من نواحي السّماء ، شبه الامام في عموم نفعه و اهتداء عامّة الخلق به ؛ و عدم وصول أيدي العقول و الافهام إلى كنه قدره و منزلته بالشمس المجلّلة بنورها العالم ، و هي في الارتفاع بحيث لا تنالها الايدي ، و تكلّ الابصار عن رؤيتها ، فالظاهر أنّه إستعارة تمثيلية ، و الزاهر المضيء و يقال : سطع الغبار و الرائحة و الصّبح يسطع سطوعاً إذا ارتفع ، « و الغيب » : الظلمة و شدة السّواد ، « و الدجى » بضمّ الدال : الظلمة و الاضافة بيايئة للمبالغة ، و استعير لظلمات الفتن و الشكوك و الشبه « و الاجواز » جمع الجوز وهو من كل شيء : وسطه ، « و القفار » جمع القفر وهي مفازة لانبات فيها و لا ماء ، و المراد هنا الخالية عن الهداية ، أو المراد بأجوازها ما بينها ، و في الاحتجاج : البيد القفار ، و هو أظهر ، و في بعض نسخ

و الدالُّ على الهدى ، والمنجى من الردى ، الإمام النار على اليفاع ، الحارُّ لمن اصطلى به و الدليل في المهالك ، من فارقه فهالك ، الإمام السحاب الماطر ، و الغيث الهاطل و الشمس المضئية ، و السماء الظليلة ، و الأرض البسيطة ، و العين الغزيرة ، و القدير و الروضة .

الإمام الأنيس الرفيق ، والوالد الشفيق ، والأخ الشقيق ، والأمُّ البرَّة بالولد الصغير ، و مفزع العباد في الداهية النَّاد .

الكتاب «و القفارة»^(١) وهو أيضاً حسن، ولجّة الماء بالضمّ: معظمه «والظماً» بالتحريك شدة العطش، وربما يقرأ بالكسر والمدّ جمع ظامىء وهو بعيد، و الردى: الهلاك «و اليفاع» ما ارتفع من الارض، «و الاصطلاء» إفتعال من الصلّى بالنار وهو التسخن بها «و الهطل» بالفتح و التحريك: تتابع المطر وسيلانه .

و السماء تذكر و تؤنث ، و هى كلّ ما علاك فأظلك ، و منه قيل : لسقف البيت : سماء ، و وصفها بالظليلة للإشعار بوجه التشبيه ، وكذا البسيطة ، أو المراد بها المستوية ، فإنّ الانتفاع بها أكثر ، «و الغزيرة» الكثيرة ، يقال غزرت الناقة أى كثر لبنها ، شبهه ﷺ في وفور علمه الذى هو حياة للارواح بالعين فى نبوع الماء الذى هو حياة للابدان منها ، «و الروضة» الأرض الخضرة بحسن النبات «و الرفيق» مأخوذ من الرفق وهو ضدّ العنف و الخرق ، و «الشفيق» من الشفقة ، و وصف الاخ بالشفيق لبيان أنّ المشبه به الاخ النسبى قال الجوهرى : هذا شفيق هذا إذا انشق الشيء بنصفين ، فكل واحد منها شفيق الآخر ، و منه قيل : فلان شفيق فلان ، أى أخوه . «فى الداهية النّاد» هو بفتح النون والهمزة و الالف و الدال المهملة ، مصدر: ناده الداهية كمنعه إذا فدحته و بلغت منه كلّ مبلغ ، فوصفت الداهية به للمبالغة ، قال الفيروز آبادى : نادى الداهية فلاناً : دهمته ، والنّاد : كسحاب والنّادى : كجبالى :

(١) أى يواو العطف كما هو فى المتن كذلك و منه يظهر ان نسخة الشارح (ره)

والبلدان القفارة، بلا واو .

الإمام أمين الله في خلقه ، وحجته على عباده وخليفته في بلاده ، والداعي إلى الله
و الذاب عن حرم الله .

الإمام المطهر من الذنوب والمبرأ عن العيوب ، المخصوص بالعلم ، الموسوم بالحلم ،
نظام الدين ، وعز المسلمين وغيظ المنافقين ، وبوار الكافرين .

الإمام واحد دهره ، لا يدانيه أحد ، ولا يعادله عالم ، ولا يوجد منه بدل ولا
له مثل ولا نظير ، مخصص بالفضل كله من غير طلب منه له ولا اكتساب ، بل اختصاص
من المفضل الوهاب .

فمن ذا الذي يبلغ معرفة الإمام ، أو يمكنه اختياره ، هيهات هيهات ، ضلت
العقول ، و تاهت الحلوم ، و حارت الأبواب ، وخست العيون و تصاغت العظماء ، و
تحيّرت الحكماء ، و تقاصرت العلماء ، و حصرت الخطباء ، و جهلت الألباء ، و كلت

الداهية ، وقال الجوهرى : النّادى و النّادى : الداهية ، قال الكميت :

و إياكم و داهية نّادى أظلمتكم بعارضها المخيل « انتهى »

« أمين الله ، أى على دينه و علمه و غيرهما » و الذاب « عن حرم الله » الحرم بضم
الحاء و فتح الراء جمع الحرمة و هى ما لا يحل انتهاكه و تجب رعايته ، أى يدفع
الضرر و الفساد عن حرّات الله ، و هى ما عظّمها و أمر بتعظيمها ، من بيته و كتابه و
خلفائه و فرائضه و نواهيه و أوامره ، و « البوار » الهلاك ، و الحمل على المبالغة كالفقير
السابقة .

« و لا يوجد منه بدل » أى في زمانه « هيهات » أى بعد البلوغ إلى معرفة الإمام
« هيهات » أى بعد إمكان اختياره غاية البعد ، و « الحلوم » كالأبواب : العقول ، و « ضلت »
و « تاهت » و « حارت » متقاربة المعانى ، و خساً بصره كمنع خساً و خسوءاً أى كل ، و
منه قوله تعالى : « ينقلب إليك البصر خاسئاً^(١) » .

و يقال : تصاغت إليه نفسه أى صغرت ، و التقاصر مبالغة فى القصر أو هو
إظهاره كالتطاؤل ، و « حصر » كعلم : عى فى المنطق ، و « الادباء » جمع أديب وهو المتأدّب

الشعراء ، و عجزت الأدباء ، و عيت البلغاء ، عن وصف شأن من شأنه ، أو فضيلة من فضائله ، و أقرت بالمعجز و التقصير ، وكيف يوصف بكله ، أو ينعت بكنهه ، أو يفهم شيء من أمره ، أو يوجد من يقوم مقامه و يغني غناه ، لا كيف وأنتي ؟ وهو بحيث النجم من يد المتناولين ، و وصف الواصفين ، فأين الاختيار من هذا ؟ وأين العقول عن هذا ؟ و أين يوجد مثل هذا ؟ !

أتظنون أن ذلك يوجد في غير آل الرسول ﷺ كذبهم و الله أنفسهم ، و منتهم الأباطيل فارتقوا مرتقاً صعباً دحضاً ، نزل عنه إلى الحضيض أقدامهم ، راموا

بالآداب الحسنة ، وقد شاع إطلاقه على العارف بالقوانين العربية و يقال : ما يغني عنك هذا أي ما ينفعك و يجديك ، و « الغناء » بالفتح : النفع « لا » تصريح بالانكار المفهوم من الاستفهام ، حذف الجملة لدلالة ما قبلها على المراد أي لا يوصف بكله إلى آخر الجمل .

« كيف » تكرار للاستفهام الإنكاري الأول تأكيداً « وأنتي » مبالغة أخرى بالاستفهام الإنكاري عن مكان الوصف وما بعده « وهو بحيث النجم » الواو للحال و الضمير للامام ﷺ و الباء بمعنى في ، و حيث ظرف مكان ، و النجم مطلق الكواكب ، و قد يخص بالثريا ، وهو مرفوع على الابتداء و خبره محذوف ، أي مرئي ، لأن حيث لا يضاف إلا إلى الجمل « من يد المتناولين » الظرف متعلق بحيث ، وهو من قبيل تشبيه المعقول بالمحسوس .

« كذبهم » بالتخفيف أي قالت لهم كذباً ، أو بالتشديد أي إذا رجعوا إلى أنفسهم شهدت بكذب مقالهم « و منتهم الأباطيل » أي أوقعت في أنفسهم الأمانى الباطلة ، أو أضعفتهم قال الجوهرى : الأمانة واحدة الأمانى تقول منه : تمنيت الشيء و تمنيت تمنية ، و فلان يتمنى الأحاديث أي يفعلها و هو مقلوب من المين و هو الكذب ، و قال : منه السير أضعفه و أعياه ، و يقال : مكان دحض و دحض بالتحريك أي زلق ، و في القاموس رجل جائر بائر أي لم يتجه لشيء ، و لا يأتمر رشداً ولا يطيع مرشداً « انتهى » .

إقامة الإمام بعقول حائزة باثرة نافضة ، وآراء مضلة ، فلم يزدادوا منه إلا بعداً ، [قاتلهم الله أنى يؤفكون] ولقد راموا صعباً ، وقالوا إفكاً ، وذلّوا ضاللاً بعيداً ، ووقعوا في الحيرة ، إذ تركوا الإمام عن بصيرة ، وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدّهم عن السبيل و كانوا مستبصرين .

رغبوا عن إختيار الله وإختيار رسول الله ﷺ وأهل بيته إلى إختيارهم والقرآن يناديهـم : « و ربك يخلق ما يشاء و يختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله و تعالى عما

« فلم يزدادوا منه » اي من الامام الحق « إلا بعداً » و في بعض النسخ بعد ذلك : و قال الصفواني في حديثه : « قاتلهم الله أنى يؤفكون » ثم اجتمعا في الرواية .

أقول : رواة نسخ الكليني كثيرة أشهرهم الصفواني و النعماني فبعض الرواة المتأخرة منهم عارضوا النسخ و أشاروا إلى الاختلاف ، فالأصل برواية النعماني و لم يكن فيه : « قاتلهم الله أنى يؤفكون » و كان في رواية الصفواني فأشارنا إلى الاختلاف « قاتلهم الله » دعاء عليهم بالهلاك و البعد عن رحمة الله ، لأن من قاتله الله فهو هالك بعيد عن رحمة الله أو تعجب عن شناعة عقابهم و أعمالهم « أنى يؤفكون » قال الراغب : أي يصرفون عن الحق في الاعتقاد إلى الباطل ، و من الصدق في المقال إلى الكذب ، و من الحسن في الفعل إلى القبيح ، والافك الكذب ، وكلّ مصروف عن وجهه .

« و زين لهم الشيطان أعمالهم » في طلب الامام باختيارهم « فصدّهم عن السبيل » و هو الامام و معرفته « و كانوا مستبصرين » اي عالمين بذلك السبيل ، أو قادرين على العلم فقصروا .

« و يختار » اي ما يشاء « ما كان لهم الخيرة » كلمة « ما » نافية ، و قيل : موصولة ، مفعول ليختار ، و العائد محذوف ، و المعنى يختار الذين كان لهم فيه الخيرة و الخيرة بمعنى التخيير « سبحان الله » تنزيهاً له أن ينازعه أحد في الخلق و يزاحم اختياره « و تعالى عما يشركون » اي عن إشراكهم في الخلق والاختيار .

قال السيد في الطرائف : روي محمد بن مؤمن الشيرازي في تفسير قوله تعالى : « و

يُشْرِكُونَ» ^(١) و قال عز وجل : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم » الآية ^(٢) و قال « ما لكم كيف تحكمون » أم لكم كتاب فيه تدرسون ؟ إن لكم فيه ما تخيرون ؟ أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة إن لكم ما تحكمون سلمهم أيهم بذلك زعيم * أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم إن كانوا

ربك يخلق ما يشاء ، قال : إن الله تعالى خلق آدم من طين حيث شاء ، ثم قال : « و يختار » إن الله تعالى إختارني وأهل بيتي على جميع الخلق فاتجبنا ، وجعلني الرسول و جعل علي بن أبي طالب عليه السلام الوصي ، ثم قال : « ما كان لهم الخيرة » يعني ما جعلت للعباد أن يختاروا و لكنني أختار من أشاء ، فأنا و أهل بيتي صفوة الله و خيرته من خلقه ، ثم قال : « سبحانه الله عما يشركون » يعني تنزيه الله عما يشرك به كفار مكة ، ثم قال : « وربك » يا محمد « يعلم ما تكن صدورهم » من بغض المنافقين لك و لأهل بيتك « و ما يعلنون » من الحب لك و لأهل بيتك .

و أقول : ليس قوله : « من أمرهم » في القرآن و لافي العيون و معاني الاخبار و غيرهما من كتب الحديث ، ولعله زيد من النسخ ، و على تقديره يمكن أن يكون في قرائتهم عليهم السلام كذلك ، أو زاده عليه السلام تفسيراً .

« أم لكم كتاب » أي من السماء « فيه تدرسون » أي تقرؤون « إن لكم فيه ما تخيرون » أي إن لكم ما تختارونه و تشتهونه ، قيل : أصله أن لكم بالفتح لأنه المدروس ، فلما جئت باللام كسرت ، و يجوز أن يكون حكاية للمدرس أو إستينافاً ، و تخير الشيء واختياره : أخذ خيره .

« أم لكم أيمان علينا » أي عهود مؤكدة بالايمان « بالغة » متناهية في التوكيد « إلى يوم القيامة » متعلق بالمقدّر في لكم أي ثابتة لكم علينا إلى يوم القيامة لا تخرج عن عهدها حتى نحكمكم في ذلك اليوم ، أو مبالغة أي أيمان علينا تبلغ ذلك اليوم . « إن لكم ما تحكمون » جواب القسم لأن معنى « أم لكم أيمان علينا » أم أقسمنا لكم . « سلمهم أيهم بذلك زعيم » أي بذلك الحكم قائم يدعيه و يصحّحه « أم لهم شركاء »

صادقين،^(١) وقال عز وجل: «أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها»^(٢) أم «طبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون»^(٣) أم «قالوا سمعنا وهم لا يسمعون» * إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون * ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم

يشاركونهم في هذا القول «فليأتوا بشر كائهم إن كانوا صادقين» في دعواهم إذ لا أقل من التقليد، قال البيضاوي: قد نبه سبحانه في هذه الآيات على نفي جميع ما يمكن أن يتشبثوا به من عقل أو نقل أو وعد أو محض تقليد على الترتيب تنبيهاً على مراتب النظر وتزييفاً لما لا سند له «أم على أقفالها» المانعة من دخول الحق فيها.

قيل: تنكير القلوب لأن المراد قلوب بعض منهم، وإضافة الأقفال إليها للدلالة على أقفال مناسبة لها مختصة بها، لا تجانس الأقفال المعهودة.

«أم طبع الله على قلوبهم» هذا من كلامه ﷺ إقتبسه من الآيات وليس في القرآن بهذا اللفظ، و«أم» منقطعة في مقابلة قوله: «و القرآن يناديهم» أي ختم الله على قلوبهم فهم لا يعلمون ما في متابعة القرآن وموافقة الرسول من السعادة، وما في مخالفتها والقول بالرأى من الشقاوة.

«أم قالوا سمعنا وهم لا يسمعون» هذا أيضاً إقتباس، وفي القرآن «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون» * ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون، أي سماع إنقياد وإذعان فكأنهم لا يسمعون أصلاً وبعد ذلك في القرآن: «إن شر الدواب» أي شر البهائم عند الله «الصم» عن الحق «البكم» عنه «الذين لا يعقلون» الحق فقد عد من لم يعمل بالآيات ولم يتفكر فيها شر البهائم، لا بطلهم عقولهم التي بها يتميزون عنها، ومن جملة تلك الآيات ما دل على المنع من القول في الدين بالرأى والاختيار وبعد تلك الآيات قوله: «ولو علم الله فيهم خيراً» قال البيضاوي: سعادة كتبت لهم أو إنتفاعاً بالآيات «لأسمعهم» سماع تفهيم «ولو أسمعهم» وقد علم أن لاخير فيهم «لتولوا» ولم ينتفعوا به أو ارتدوا بعد التصديق والقبول «وهم

(١) سورة القلم: ٤٢-٣٧

(٢) سورة محمد (ص): ٢٤

معرضون» (١).

معرضون، لعنادهم انتهى .

و يمكن أن يكون غرضه ﷺ تأويل الآيات بالامامة بأن يكون المراد بقوله: «أطيعوا الله ورسوله» في إمامة عليّ ﷺ ثم قال: «لو علم الله فيهم خيراً لآسمعهم» إمامة عليّ ﷺ و بطلان أئمة الضلال بأصرح مما في القرآن «ولو أسمعهم» كذلك وهم على هذه الشقاوة «لتولوا» صريحاً وارتدوا عن الدين ظاهراً، ولم تكن المصلحة في ذلك، فلذا لم يسمعهم كذلك، وبالجمله لابد أن يكون المراد بالاسماع إسماعاً زائداً على ما لا بد منه في إتمام الحجة إما بزيادة التصريح، أو بالألطف الخاصة التي لا يستحقها المعاندون .

و أورد ههنا إشكال مشهور وهو أن منين المذكورتين في الآية بصورة قياس إقترائي ينتج: لو علم الله فيهم خيراً لتولوا وهذا محال، لأنه على تقدير أن يعلم الله فيهم خيراً لا يحصل منهم التولي بل الانقياد، وقد ظهر من كلام البيضاوي لذلك جواب. والجواب الحق أنه ليس المقصود في الآية ترتيب قياس إقترائي حتى يلزم أن يكون منتجاً مشتملاً على شرائط الانتاج، و ليس مشتملاً عليها لعدم كليّة الكبرى، إذ قوله تعالى: «ولو أسمعهم لتولوا» ليس المراد أنه على أيّ تقدير أسمعهم لتولوا، بل على هذا التقدير الذي لا يعلم الله فيهم الخير لو أسمعهم لتولوا و لذا لم يسمعهم إسماعاً موجباً لانقيادهم، و الجملة الثانية مؤكدة للدولي، أي عدم إسماعهم في تلك الحالة، لأنه لو أسمعهم لتولوا، ويحتمل أن يكون في قوة استثناء نقيض التالي فيكون قياساً إستثنائياً .

و ينسب إلى المحقق الطوسي رحمه الله أنه أجاب عن هذا الاشكال بأن المقدّمين مهملتان وكبرى الشكل الأول يجب أن تكون كليّة، ولو سلم فأنما ينتجان لو كانت الكبرى لزومية وهو ممنوع، ولو سلم فاستحالة النتيجة ممنوعة، لأن علم الله تعالى فيهم خيراً محال، إذ لاخير فيهم، واما محال جاز أن يستلزم المحال .

و قال بعض الأفاضل هذا الجواب و أصل السؤال كلاهما باطل لأنّ لفظ «لو» لم يستعمل في فصيح الكلام في القياس الاقتراني ، وإنّما يستعمل في القياس الاستثنائي، المستثنى منه نقيض التالي ^(١) لأنّه معتبر في مفهوم «لو» فلو صرّح به كان تكراراً ، وكيف يصحّ أن يعتقد في كلام الحكيم تعالى و تقدّس أنّه قياس أهملت فيه شرائط الانتاج ، فأى فائدة تكون في ذلك ، و هل يركّب القياس إلّا لحصول النتيجة ؟ بل الحقّ أن قوله تعالى : « ولو علم الله فيهم خيراً لا أسمعهم » و ارد على قاعدة اللغة ، وهي أن امتناع الشرط ^(٢) يعنى أن سبب عدم الاسماع في الخارج عدم العلم بالخير فيهم من غير ملاحظة أن علّة العلم بانتفاء الجزاء ماهى ، ثمّ ابتدأ قوله : « ولو أسمعهم لتولّوا » كلاماً آخر على طريقة قوله ﷺ : « نعم العبد صهيّب لولم يخف الله لم يعصه » يعنى أن التولّى لازم على تقدير الاسماع ، فكيف على تقدير عدمه ، فهو دائم الوجود ، وهذه الطريقة غير طريقة أرباب الميزان الذين يستعملون لفظ «لو» في القياس الاستثنائي ، و غير طريقة أهل اللغة الذين يستعملونه لا امتناع الجزاء لأجل امتناع الشرط ، و بناء هذه الطريقة على أن لفظ «لو» يستعمل للدلالة على أن الجزاء لازم الوجود في جميع الأزمنة مع وجود الشرط وعدمه ، و ذلك إذا كان الشرط مما يستبعد إستلزامه لذلك الجزاء ، و يكون نقيض ذلك الشرط أنسب و أليق باستلزامه ذلك الجزاء ، فيلزم إستمرار وجود الجزاء على تقدير وجود الشرط وعدمه فيكون دائم الوجود في قصد المتكلم .

و قال التفتازاني : يجوز أن تكون الشرطية الثانية أيضاً مستعملة على قاعدة

(١) كذا في النسخ وفي شرح المولى محمد صالح هكذا : « المستثنى منه نقيض التالي لانها لامتناع الشيء لامتناع غيره ولهذا لا يصرح باستثناء نقيض التالي لانه مهتبر ... » و منه يظهر وقوع السقط في نسخ الكتاب .

(٢) وفي الشرح المذكور هكذا « و هي ان « لو » لا امتناع الجزاء لاجل امتناع

الشرط ... » .

أم « قالوا سمعنا وعصينا » بل هو فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

كيف لهم باختيار الامام ؟ ! والامام عالم لا يجهل ، ورع لا ينكل ، معدن

اللغة كما هو مقتضى أصل « لو » فتفيد أن التولي منتف بسبب انتفاء الاسماع ، لأن التولي هو الاعراض عن الشيء وعدم الانقياد له ، فعلى تقدير عدم إسماعهم ذلك الشيء لم يتحقق منهم التولي والاعراض عنه ، ولم يلزم من هذا تحقق الانقياد له . فان قيل : انتفاء التولي خير وقد ذكر أن لاخير فيهم ؟

قلنا : لانسلم أن انتفاء التولي بسبب انتفاء الاسماع خير ، وانما يكون خيراً لو كانوا من أهله بأن سمعوا شيئاً ثم انقادوا له ولم يعرضوا ، انتهى . أقول : ويحتمل على ما أشرنا إليه من حمل قوله : « لا سمعهم » على الهدايات والالطاف الخاصة ، أن يحمل قوله سبحانه « ولو أسمعهم » على غير ذلك من أصل الاستماع الذي هو شرط التكليف ، فلا يتكرر الوسط فلا يلزم الانتاج .

وهذا قريب من أحد الوجوه التي ذكرها ابن هشام في المغنى ، حيث أجاب عن ذلك بثلاثة وجوه : « الاول » : أن التقدير لأسمعهم إسماعاً نافعاً ، ولو أسمعهم إسماعاً غير نافع لتولوا فاختلف الوسط « و الثاني » : ما ذكره البيضاوى « و الثالث » : لو علم الله فيهم خيراً وقتاً ما لتولوا بعد ذلك ، وأشار البيضاوى إليه أيضاً ، و في الاخيرين ما ترى ، و سيأتى في باب : أنه لا يجمع القرآن كله إلا الأئمة عليهم السلام ، عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال : ان من علم ما أوتينا تفسير القرآن وأحكامه ، و علم تغيير الزمان وحدثاته ، إذا أراد الله بقوم خيراً أسمعهم ، ولو أسمع من لم يسمع لولى معرضاً كأن لم يسمع « الخبر » وفيه تأييد لما ذكرنا أو لا فتفتن .

« أم قالوا سمعنا وعصينا » أم منقطعة على نحو ما سبق ، مقتبساً مما ذكره الله في قصة بنى إسرائيل أى بل قالوا سمعنا كلام الله ورسوله فى تعيين الامام وعصيناها . « بل هو فضل الله » أى الامانة أو السماع ومعرفة الامام .

« عالم لا يجهل » أى شيئاً من الاشياء التي تحتاج الامة إليها « ورع » أى حافظ

القدس والطهارة، والنسك والزهادة، والعلم والعبادة، مخصوص بدعوة الرسول ﷺ ونسل المطهرة البتول، لامغز فيه في نسب، ولا يدانيه ذو حسب، في البيت من قريش

للأمة، وفي بعض النسخ بالبدال «لا ينكل» من باب ضرب وصر وعلم أى لا يضعف ولا يجبن «معدن» بفتح الدال وكسر ها «القدس» بالضم وبضمّتين وهو البراءة من العيوب «و الطهارة» وهي البرائة من الذنوب .

«و النسك» أى العبادة والطاعة أو أعمال الحج ، قال في النهاية : النسيكة : الذبيحة وجعلها نسك، والنسك أيضاً الطاعة والعبادة، وكلّ ما يتقرّب به إلى الله تعالى، والنسك ما أمرت به الشريعة والورع ما نهت عنه ، والناسك : العابد ، وسئل تغلب عن الناسك ؟ فقال : هو مأخوذ من النسيكة وهي سبيكة الفضة المصقاة ، كأنه صفى نفسه لله تعالى ، وفي القاموس : النسك مثلثة ، وبضمّتين : العبادة ، وكلّ حق لله عز وجل ، و نسك التوب أو غيره غسله بالماء فطهره .

«و الزهادة» عدم الرغبة في الدنيا «مخصوص بدعوة الرسول» أى بدعوة الخلق نيابة عنه ﷺ كما قال تعالى : «أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى»^(١) وقال النبى ﷺ :^(٢) لا يبلغه إلا أنا أو رجل مني ، أو بدعاء الرسول إياه قبل سائر الخلق أو للإمامة أو بدعاء الرسول له كقوله ﷺ : اللهم وال من والاه ، وقوله : اللهم اذهب عنهم الرجس ، وقوله : اللهم ارزقهم فهمى و علمى وغيرهما .

وقال البغوي : البتل : القطع ، ومنه سميت فاطمة البتول لا يقطعها عن النساء فضلاً و ديناً وحسباً و «لامغز فيه في نسب» المغمز مصدر أو إسم مكان من الغمز بمعنى الطعن ، وهذا من شرائط الامام عند الامامية .

«في البيت من قريش» أى في أشرف بيت من بيوت قريش ، أو في بيت عظيم هو قريش ، بأن تكون كلمة «من» ييايئة وعلى التقديرين يدل على أن الامام لابد أن يكون قريشياً .

و الذروة من هاشم ، و العترة من الرسول ﷺ و الرضا من الله عز وجل ،
شرف الأشراف ، والفرع من عبد مناف ، نامي العلم ، كامل الحلم ، مضطلع بالإمامة ،

و في أخبار العامة أيضاً دلالة عليه ، فقد روي مسلم في صحيحه عشرة أحاديث تدل
على ذلك ، منها ما روى عن النبي ﷺ قال : لا يزال هذا الامر في قريش ما بقي من
الناس اثنان .

ومنها ما روى عن جابر بن سمرة قال : دخلت مع أبي علي النبي ﷺ فسمعت
يقول : إن هذه الأمة لا تنقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة ، ثم تكلم بكلام خفي
علي ، قال : قلت لأبي : ما قال ؟ قال : كلهم من قريش .

و عن ابن سمرة أيضاً باسناد آخر أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا
يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة و يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش .
قال الآمدي : الشروط المختلفة فيها في الإمامة ستة منها القرشية و هو المشهور
عندنا بل مجمع عليه .

«والذروة من هاشم» يحتمل الوجهين السابقين ، و ذروة كل شيء بالضم والكسر :
أعلاه ، قيل : المراد أن يكون من فاطمة المخزومية أم عبدالله و أبي طالب و الزبير ، قال
حسان في ذم ابن عباس .

وإن سنام المجد من آل هاشم ❖ بنو بنت مخزوم و والدك العبد
و قال الجوهري : عترة الرجل أخص أقاربه ، و عترة النبي بنو عبد المطلب ،
و قيل : أهل بيته الأقربون ، و هم اولاده و علي و اولاده و قيل : عترة الأقربون و
الأبعدون عنهم ، انتهى .

«و الرضا من الله» أي المرضي من عنده «شرف الأشراف» أي أشرف من كل
شريف نسباً و حسباً ، و فرع كل شيء : أعلاه «نامي العلم» أي علمه دائماً في الزيادة
لأنه محدث «كامل الحلم» أي العقل و الاناء و التثبت في الأمور لا يستخفه شيء
من المكاره و لا يستغفره الغضب «مضطلع بالإمامة» أي قوي عليها من الصلابة و هي

عالمٌ بالسياسة ، مفروض الطاعة ، قائم بأمر الله عزّ وجلّ ، ناصحٌ لعباد الله ، حافظٌ لدين الله .

إنّ الأنبياء والأئمة صلوات الله عليهم يوفّقهم الله ويؤتيهم من مخزون علمه وحكمه ما لا يؤتیه غيرهم ، فيكون علمهم فوق علم أهل الزمان في قوله تعالى : «أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمّن لا يهدي إلّا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون»^(١) وقوله تبارك وتعالى : «ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً»^(٢) وقوله في طالوت :

القوّة يقال : إضطلع بحمله أي قوى عليه ونهض به «عالم بالسياسة» أي بما يصلح الأئمة من قولهم سست الرعيّة أي أدبّتهم وأصلحتهم «قائم بأمر الله» لابتعيين الأئمة أو باجراء أمر الله تعالى على خلقه «وحكمه» معطوف على المضاف أو المضاف إليه ، تأكيداً أو تخصيصاً بعد التعميم ، أو المراد بالحكم الشرايع وبالعلم غيرها .

«في قوله تعالى» متعلّق بمقدّر أي ذلك المذكور في قوله تعالى ، ويحتمل أن تكون كلمة «في» تعليلية «أفمن يهدي إلى الحق» الآية صريحة في أن المتبوع يجب أن يكون أعلم من التابع ، وأنه لا بدّ أن يكون الامام غير محتاج إلى الرعيّة في علمه ، ولا ريب أن غير أمير المؤمنين عليه السلام من الصحابة لم يكونوا كذلك و «أم من لا يهدي» بتشديد الدال وقرء بفتح الهاء وكسر ها ، والاصل يهتدى فأدغمت وفتحت الهاء أو كسرت لا لثقاء الساكنين «و من يؤت الحكمة» يدلّ على فضل العلم والحكمة ، وتفضيل المفضول قبيح عقلاً ، وقد فسّرت الحكمة في الاخبار بمعرفة الامام «و قوله تعالى في طالوت» هو إسم أعجميّ عبريّ وقيل : أصله طولوت من الطول ، والمشهور أنّه لما سأل الله عليه السلام لقومه أن يبعث لهم ملكاً أتى بعضا يقاس بها من يملك عليهم ، فلم يساوها إلّا طالوت فقال : هو الملك عليكم ، فقال قومه : «أنتي يكون له الملك علينا» ويستأهل الامارة «و نحن أحقّ بالملك منه» لشرافة النسب وكثرة الأموال ، لأنّه كان من أولاد بنيامين ولم يكن فيهم النبوة والملك ، وكانوا من أولاد لاوي بن يعقوب وكانت النبوة فيهم ، ومن أولاد يهودا وكان الملك فيهم ولم

« إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكَهُ مِنْ يَشَاءِ وَ

يُؤْتِ سَعَةً مِنَ الْمَالِ » الَّذِي عَلَيْهِ مَدَارُ الْمُلْكِ وَالسُّلْطَانَةِ ، إِذْ كَانَ فَقِيرَ أَرَاغِيٍّ أَوْسَقَاءَ يَسْقَى عَلَى حِمَارٍ لَهُ مِنَ النَّيْلِ ، أَوْ دَبَّاحًا يَعْمَلُ الْأَدِيمَ عَلَى اخْتِلَافِ الْأَقْوَالِ فِيهِ « فَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكَهُ مِنْ يَشَاءِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ » فَدَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ الْإِصْطِفَاءَ وَإِبْتَاءَ الْمُلْكِ الْحَقُّ إِنَّمَا يَكُونُ مِنَ اللَّهِ وَبِتَعْيِينِهِ ، وَأَنَّ مَنَاطَ الْإِصْطِفَاءِ شَيْئَانِ : الْعِلْمُ وَالْجِسْمُ ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْجِسْمَ غَيْرُ مَقْصُودٍ فِي نَفْسِهِ بَلْ لِكُونِهِ مَلْزُومًا لِلشَّجَاعَةِ وَالْمُهَابَةِ عِنْدَ الْعَدُوِّ ، فَدَلَّتْ عَلَى أَنَّ الْإِمَامَ لَا بَدَأَ أَنْ يَكُونَ أَعْلَمُ وَأَشْجَعُ مِنْ جَمِيعِ الْأُمَّةِ ، وَلَا رَيْبَ فِي أَنَّ كَلَامًا مِنْ أَيْمَنَّا ﷺ كَانُوا أَعْلَمُ وَأَشْجَعُ مِمَّنْ كَانَ فِي زَمَانِهِمْ مِنَ الْمُدَّعِينَ لِلْخِلَافَةِ .

قال البيضاوي : لما استبعدوا تملكه لفقره وسقوط نسبه ردّ عليهم ذلك « أَوَّلًا » بِأَنَّ الْعَمْدَةَ فِيهِ إِصْطِفَاءُ اللَّهِ وَقَدْ إِخْتَارَهُ عَلَيْكُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمَصَالِحِ مِنْكُمْ « وَثَانِيًا » بِأَنَّ الشَّرْطَ فِيهِ وَفُورُ الْعِلْمِ لِيَتِمَكَّنَ بِهِ مِنْ مَعْرِفَةِ الْأُمُورِ السِّيَاسِيَّةِ وَجَسَامَةِ الْبَدَنِ لِيَكُونَ أَكْثَرُ خَطَرًا فِي الْقُلُوبِ وَأَقْوَى عَلَى مَقَاوِمَةِ الْعَدُوِّ وَمَكَايِدَةِ الْحُرُوبِ وَقَدْ زَادَهُ فِيهِمَا « وَثَلَاثًا » بِأَنَّهُ تَعَالَى مَالِكُ الْمُلْكِ عَلَى الْإِطْلَاقِ فَلَهُ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ يَشَاءِ « وَرَابِعًا » بِأَنَّهُ وَاسِعُ الْفَضْلِ يَوْسُتَعُ عَلَى الْفَقِيرِ وَيَغْنِيهِ ، عَلِيمٌ بِمَنْ يَلِيْقُ بِالْمُلْكِ ، انْتَهَى .

وَأَقُولُ : إِذَا تَأَمَّلْتَ فِي كَلَامِهِ ظَهَرَ لَكَ وَجُوهٌ مِنَ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ كَمَا أَوْ مَأْنَا إِلَيْهِ « أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ » فِي سُورَةِ النَّسَاءِ هَكَذَا : « وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ » فَالتَّغْيِيرُ إِمَّا مِنَ النَّسَاحِ أَوْ مِنْهُ ﷺ فَقَالَ بِالْمَعْنَى ، أَوْ لِكُونِهِ فِي قِرَائَتِهِمْ ﷺ هَكَذَا ، وَلَعَلَّ الْغَرَضَ مِنْ إِيرَادِ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِمْتَنَ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ بِإِزَالِ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ وَإِبْتَاءِ نَهَايَةِ الْعِلْمِ وَعَدَّ ذَلِكَ فَضْلًا عَظِيمًا ، وَأُثْبِتَ ذَلِكَ الْفَضْلَ لَجَمَاعَةٍ مِنْ تِلْكَ الْأُمَّةِ بِأَنَّهُمْ الْمَحْسُودُونَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّهُمْ مِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ . وَالْفَضْلُ : الْعِلْمُ وَالْحِكْمَةُ وَالْخِلَافَةُ ، مَعَ أَنَّهُ يَظْهَرُ مِنَ الْآيَتَيْنِ ، أَنَّ الْفَضْلَ

الله واسعٌ عليمٌ ، ^(١) وقال نبيّه ﷺ : « أنزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً » ^(٢) وقال في الأئمة من أهل بيت نبيّه وعترته وذريّته صلوات الله عليهم : « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً * فمنهم من آمن به ومنهم من صدّ عنه وكفى بجهنّم سعيراً » ^(٣).

وإنّ العبد إذا اختاره الله عزّ وجلّ لأموّ عباده ، شرح صدره لذلك ، وأودع قلبه ينابيع الحكمة ، وألهمه العلم الإلهاماً ، فلم يعي بعده بجواب ، ولا يحير فيه عن الصواب ، فهو معصومٌ مؤيّد ، موفق مسدّد ، قد آمن من الخطايا والزلل والعتار ، يخصّه الله بذلك ليكون حجّته على عباده ، وشاهده على خلقه ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

والشرف بالعلم والحكمة ، ولا ريب في أنّهم ﷺ كانوا أعلم ممّن إدّعى الخلافة في زمانهم .

« أم يحسدون الناس » أم منقطعة ، وعلى تأويله ﷺ : الناس : الأئمة ﷺ « فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً » هو الامامة وجوب الطاعة ، فكيف لا تؤتّى آل محمّد ؟ أو هم داخلون في آل إبراهيم وأشرفهم « فمنهم » أي من الأئمة « من آمن به » أي بالملك أو بالآباء « والصّدود » الاعراض والمنع « وكفى بجهنّم سعيراً » أي ناراً مسعرة يعدّ بون بها إن لم يعدّ بوا في الدنيا . « شرح صدره » أي وسّعه وفتح له لذلك أي لامور عباده « فلم يعي » بفتح اليايين وسكون المهملة ، أي لم يعجزه « بعده » أي بعد الاختيار أو بعد الإلهام أو بعد كلّ واحد من الشرح والإيداع والإلهام « ولا يحير » مضارع حار من الحيرة ، وفي بعض النسخ : ولا تحير ، مصدر باب التفعّل « فيه » أي في الجواب « مؤيّد » من الأيد بمعنى القوة أي بالملائكة أو الأئمّة « مسدّد » بروح القدس كما سيأتي .

(٢) راجع سورة النساء : ١١٣ .

(١) سورة البقرة : ٢٤٧ .

(٣) سورة النساء : ٥٣ .

فهل يقدرّون على مثل هذا فيختارونه أو يكون مختارهم بهذه الصفة فيقدّمونه ،
تعدّوا - و بيت الله - الحقّ و نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنّهم لا يعلمون ، وفي
كتاب الله الهدى و الشفاء ، فنبدوه و اتّبعوا أهواءهم ، فذمّهم الله و مقتّمهم و اتّعسّمهم
فقال جلّ و تعالى : «و من أضلّ ممّن اتّبع هواه بغير هدىّ من الله إنّ الله لا يهدي
القوم الظالمين»^(١) وقال : «فتعسّا لهم و أضلّ أعمالهم»^(٢) وقال : «كبر مقتاً عند الله و عند
الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كلّ قلب متكبر جبار»^(٣) و صلى الله على النبيّ محمد
و آله و سلّم تسليماً كثيراً .

«و بيت الله» يدلّ على جواز الحلف بحرمات الله ، فما ورد من المنع عن الحلف
بغير الله إمّا مخصوص بغير هذه أو بالدعاوي «كأنّهم لا يعلمون» الحقّ و الكتاب أو ليسوا
من ذوى العلم بل هم من البهايم «بغير هدى» قال البيضاوي : في موضع الحال للتوكيد
أو التقييد ، فإنّ هوى النفس قديوافاق الحق ، انتهى .

«إنّ الله لا يهدي» بالهدايات الخاصّة أو إلى الجنّة في الآخرة «القوم الظالمين»
الذين ظلموا أنفسهم بالانهماك في إتّباع الهوى «فتعسّا لهم» أي ألزمهم الله هلاكاً
أو اتّعسّمهم تعسّاً ، و التّعس بالفتح و بالتحريك : الهلاك ، و العثار : السقوط ، و الشرّ
و البعد و الانحطاط «و أضلّ أعمالهم» أي أبطلها فلم يجدوا لها أثراً عندما يجد
العاملون أثر أعمالهم .

«كبر مقتاً» قبل ذلك في سورة المؤمن : «كذلك يضلّ الله من هو مسرف مرتاب
الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتاً» و قال البيضاوي : فيه ضمير
«من» و إفراده لللفظ ، و يجوز أن يكون الذين مبتدأ و خبره كبر على حذف
مضاف ، أي و جدال الذين يجادلون كبر مقتاً ، أو بغير سلطان و فاعل كبر كذلك
أي كبر مقتاً مثل ذلك الجدال ، فيكون قوله : «يطبع الله» الخ إستينافاً للدلالة على
الموجب لخذلانهم .

٢ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسن بن محبوب ، عن إسحاق بن غالب ، عن أبي عبد الله عليه السلام في خطبة له يذكر فيها حال الأئمة عليهم السلام و صفاتهم : أن الله عزّ وجلّ أوضح بأئمة الهدى من أهل بيت نبينا عن دينه ، وأبلغ بهم عن سبيل مناجاه ، ومنح^(١) بهم عن باطن ينابيع علمه ، فمن عرف من أئمة محمد عليه السلام واجب حقّ إمامه ، وجد طعم حلالة إيمانه ، وعلم فضل طلاوة إسلامه ، لأن الله تبارك وتعالى نصب الإمام علماً لخلقه ، وجعله حجة على أهل موادّه وعالمه ، وأبسه الله تاج الوقار ، وغشاه من نور الجبار ، يمدّ بسبب إلى السماء ، لا ينقطع عنه موادّه ،

الحديث الثاني: صحيح .

« من أهل بيت نبينا » حال عن الأئمة أو بيان لها ، وتعدية الايضاح وما بعده بمن لتضمن معنى الكشف ونحوه ، والايلاج : الايضاح ، وإضافة السبيل إلى المنهاج إمّا بيانية أو المراد بالسبيل العلوم ، وبالمنهاج العبادات التي توجب وصول قربه تعالى ، والمنهاج : الطريق الواضح ، وميخ بتشديد الباء ، والمايخ الذي ينزل البئر فيملاء الدلو وهو أنسب ، والتشديد للمبالغة ، وفي بعض النسخ منح بالنون من المنحة العطية . « واجب حقّ إمامه » الاضافة من قبيل : جرد قطيفة ، والمعنى ما يجب عليه من معرفة الامام وحقه بحسب قابليته ، إذ معرفة كنه ذلك ليس في وسع أكثر الخلق ، وفي القاموس : الطلاوة مثلثة : الحسن والبهجة والقبول « على أهل موادّه » المادة الريادة المتصلة ، أي الذين يصل إليهم رزقه تعالى وتربيته أو هداياته وتوفيقاته الخاصة ، والضمير لله وكذا في « عالمه » بفتح اللام ، وهو معطوف على المواد ، وأعلى الأهل عطف تفسير أو عطف الأعم على الأخص ، قال في النهاية : ومنه حديث عمر : أصل العرب ومادة الاسلام أي الذين يعينونهم ويكثرون جيوشهم ويتقوى بركة أموالهم ، وكلّ ما أعنت به قوماً في حرب أو غيره فهو مادة لهم . « يمدّ بسبب » السبب : الحبل وما يتوصل به إلى الشيء ، أي يجعل الله بينه

(١) يظهر من كلام الشارح ان في النسخة التي عنده «ميخ» بالياء ، وفي بعض نسخ

الكتاب «فتح» .

ولا ينال ما عند الله إلا بجهة أسبابه ، ولا يقبل الله أعمال العباد إلا بمعرفته ، فهو عالم بما يرد عليه من ملتبسات الدجى ، ومعميات السنن ، ومشبهات الفتن ، فلم يزل الله تبارك و تعالى يختارهم لخلقه من ولد الحسين عليه السلام من عقب كل إمام ، يصطفيهم لذلك و يجتبيهم ، و يرضى بهم لخلقه و يرتضيهم ، كل ما مضى منهم إمامٌ نصب لخلقه من عقبه إماماً ، علماً بيناً ، و هادياً نيراً ، و إماماً فيماً ، و حجةً عالماً ، أئمة من الله ، يهدون بالحق و به يعدلون ، حجج الله و دعائه و رعايته على خلقه ، يدين بهديهم العباد و تستهل بنورهم البلاد ، و ينمو ببركتهم التلاد ، جعلهم الله حياةً للأنام ،

و بين سماء المعرفة و القرب و الكمال سبباً يرتفع به إليها من روح القدس ، و الالهامات و التوفيقات قال الله تعالى : « من كان يظن أن لن ينصره الله فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع » ^(١) قيل : أي فليمدد حبلاً إلى سماء الدنيا ثم ليقطع به المسافة حتى يبلغ عنانه « لا ينقطع عنه مواده » أي الزيادات المقررة له من الهدايات و الالهامات ، و الضمير راجع إلى الامام أو إلى الله أو إلى السبب على بعد في الأخير « من ملتبسات الدجى ، إلتباس الامور : إختلاطها على وجه يعسر الفرق بينها ، و الدجى جمع الدجية وهي الظلمة الشديدة ، أي عالم بالامور المشبهة في ظلم الجهالة و الفتن « و معميات بتشديد الميم المفتوحة يقال : عميت الشيء أي أخفيته ، ومنه المعمي « و مشبهات الفتن » أي الفتن المشبهة بالحق أو الامور المشبهة بالحق بسبب الفتن .

و القيم على الشيء : المتولّى عليه ، و المتولّى لأموره و مصالحه ، و منه : قيم الخان ، و منه أنت قيم السماوات و الارض و من فيهن ، أي الذي يقوم بحفظها و مراعاتها يؤتي كل شيء ما به قوامه « و به يعدلون » أي بالحق ، و الرعاة جمع الراعي و هو الحافظ و الحامي « يدين » أي يعبد « بهديهم » بضم الهاء و فتح الدال أو بفتح الهاء و سكون الدال و هو السيرة الحسنة « و تستهل » أي تتنور و تستضيء « بنورهم البلاد » أي أهلها « و تنمو ببركتهم التلاد » التال و التليد و التلاد : كل مال قديم و خلافه الطارف و الطريف ، و التخصيص به لأنه أبعد من النمو ، أولان الاعتناء به

و مصاييح للظلام ، و مفاتيح للكلام ، و دعائم للإسلام ، جرت بذلك فيهم مقادير الله على محتومها .

فالإمام هو المنتجب المرتضى ، و الهادي المنتجى ، و القائم المرتجى ، إصطفاه الله بذلك و اصطنعه على عينه في الذرّ حين ذرّاه ، و في البريّة حين برّاه ، ظلاً قبل

أكثر ، و يحتمل أن يكون كناية عن تجديد الآثار القديمة المندرسة ، و في القاموس : التآلد كصاحب و التآلد بالفتح و الضمّ و التحريك و التآلد و التليد و الاتآلد و المتآلد : ما ولد عندك من مالك أو تيج .

« جرت بذلك » الباء للسببيّة ، و ذلك إشارة إلى مصدر جعلهم أو إلى جميع ما تقدّم فيهم « مقادير الله » أى تقدير الله « على محتومها » حال عن المقادير أى كائنة على محتومها ، أو متعلّق بجرت أى جرت بسبب تلك الامور المذكورة الحاصلة فيهم تقديرات الله على محتومها ، اي قدرها الله تقديراً حتماً لا بداء فيها ولا تغيير « والهادي المنتجى » أى المخصوص بالمناجاة ، و إيداع الاسرار ، قال الجوهرى : إن تجى القوم و تناجوا أى تساروا و أنتجيتهم أيضاً إذا إختصصته بمناجاتك « و القائم » أى بأمر الامامة « المرتجى » اي للخير و الشفاعة في الدنيا و الآخرة « و اصطنعه على عينه » أى خلقه و ربّاه و أحسن إليه ، متعيّناً بشأنه ، عالماً بكونه أهلاً لذلك قال الله تعالى : « ولتضع على عيني » ^(١) قال البيضاوي : اي ولتربّي و يحسن إليك و أنا راعيك و راقبك ، و قال غيره : على عيني أى بمرئى مني ، كناية عن غاية الاكرام و الإحسان ، و قال تعالى : « و اصطنعتك لنفسى » ^(٢) قال البيضاوي : أى وأصطفيتك لمحبتى مثله فيما خوله من الكرامة بمن قرّبه الملك و استخلصه لنفسه .

« في الذّرّ حين ذرّاه » الذّرّ بالفتح صغار النمل ، الواحدة ذرّة ، استعير هنا لما يشبهها من الاجسام الصغار التي تعلّقت بها الارواح في الميثاق كما سيأتى ، و ذرّاه بالهمز كمنعه إذا خلقه ، و ربّما يقرأ بالالف المنقلبة عن الواو ، أى فرقّه و ميّزه حين أخرجه من صلب آدم « و البريّة » بتشديد الياء : المخلوقون من برّاه كمنعه إذا خلقه ، و هو

خلق نسمة عن يمين عرشه ، محبوباً بالحكمة في علم الغيب عنده ، إختاره بعلمه ، و انتجبه لطهره ، بقيّة من آدم عليه السلام وخيرة من ذرّيّة نوح ، ومصطفى من آل إبراهيم ، و سلالة من إسماعيل ، و صفوة من عترة محمد عليه السلام لم يزل مرعياً بعين الله ، يحفظه و

في الاصل مهموز و قد تركت العرب همزها ، و ربّما يجعل من البرى كالرمى و هو نحت السهم و نحوه ، فأصلها غير مهموز .

و قوله : « ظلاً » حال أو مفعول ثان لبراءة ، يتضمن معنى الجعل ، والمراد بالظلّ الرّوح قبل تعلّقه بالبدن « قبل خلقه نسمة » ^(١) اي قبل تعلّقه بالجسد ، ومن يقول بتجرّد الرّوح يأول كونه عن يمين العرش إمّا بتعلّقه بالجسد المثالي ، أو العرش بالعلم ، أو العظمة و الجلال ، و اليمين بأشرف جهاته « محبوباً بالحكمة » على صيغة المفعول ، أي منعماً عليه ، و هو حال مقدّرة لظلاً بقرينة قوله : « في علم الغيب » اي كان يعلم أنّه يحبوه العلم و الحكمة ، أو المراد أعطاه الحكمة [لعلمه] بأنّه أهل لها .

ثمّ اعلم أنّ ظاهر اللفظ أنّ الذّر في عالم الأرواح و البرأ في عالم الاجساد ، فقوله : ظلاً ، متعلق بالأوّل و فيه بعد ، و يحتمل أن يكون كلاهما في عالم الأرواح ، و يكون المراد بالذّر تفريقهم في الميثاق و بالبرأ خلق الارواح ، والحبوة العطية . « إختاره بعلمه » اي بأن أعطاه علمه أو بسبب علمه بأنّه يستحقّه « و انتجبه لطهره » أي لعصمته أو لأن يجعله مطهراً ، و على أحد الاحتمالين الضميران لله ، و على الآخر للامام « بقيّة من آدم » إي إنتهى إليه خلافة الله التي جعلها لآدم حيث قال : « إني جاعل في الأرض خليفة » .

والخيرة بكسر الخاء وسكون الياء وفتحها : المختار « ومصطفى من آل إبراهيم » إشارة إلى قوله تعالى : « إنّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم » ^(٢) الآية ، و السلالة - بالضم - : الذرّيّة و صفوة الشيء مثلثة ما صفا منه « لم يزل مرعياً بعين الله » اي

(١) و في المتن « قبل خلق نسمة » بدون الضمير ، و ما اختاره الفارح أظهر .

(٢) سورة آل عمران : ٢٣ .

يكلؤه بستره ، مطروداً عنه حبائل إبليس و جنوده ، مدفوعاً عنه وقوب الغواسق و نفوٲ كلّ فاسق ، مصروفاً عنه قوارف السوء ، مبرّءاً من العاهات ، محجوباً عن الآفات ، معصوماً من الزلّات ، مصوناً عن الفواحش كلّها ، معروفاً بالحلم و البرّ في يفاعه .

بحفظه و حراسته أو بعين عنايته ، والكلافة : الحراسة ، والطرد : الدفع ، و الحبائل جمع الحباله بالكسر : المصائد ، و الوقوب : الدخول ، و العسق : أوّل ظلمة الليل ، و الغاسق : ليل عظم ظلامه ، و لعلّه إشارة إلى قوله تعالى : « ومن شرّ غاسق إذا وقب » و فسر بأن المراد به ليل دخل ظلامه في كلّ شيء ، و تخصيصه لأنّ المضارّ فيه يكثر و يعسر الدفع ، فالمعنى أنّه يدفع عنه الشرور التي يكثر حدوثها بالليل غالباً ، أو المراد دفع شرور الجنّ و الهوام الموزية ، فإنّها تقع بالليل غالباً كما تدلّ عليه الاخبار ، أو المراد عدم دخول مظلمات الشكوك و الشبه و الجهالات عليه .

« و نفوٲ كلّ فاسق » أي لا يؤثّر فيه سحر الساحرين من قوله تعالى : « و من شرّ النّفّاثات في العقد » أو يكون كناية عن دفع و ساوس شياطين الانس و الجنّ و الأوّل أظهر ، و ماورد من تأييد السحر في النّبّي و الحسنين صلوات الله عليهم فمحمول على التقيّة ، و ردّها أكثر علمائنا ، و يمكن حمله على أنّه لا يؤثّر فيهم تأثيراً لا يمكنهم دفعه ، فلا ينافي تلك الاخبار لو صحّت « مصروفاً عنه قوارف السوء » من اقتراف الذنب بمعنى إكتسابه ، أو المراد الاتّهام بالسوء ، من قولهم : قرف فلاناً عابه أو اتّهمه ، و أقرّفه وقع فيه و ذكره بسوء ، و أقرّفه به عرّضه للتهمة .

و المراد بالعاهات و الآفات : الامراض التي توجب نفرة الخلق و تشويه الخلقة ، كالعمى و العرج ^(١) و الجذام و البرص و أشباهها ، و يحتمل أن يراد بالثاني الآفات النفسانيّة و أمراضها « في يفاعه » أي في صغره و بدو شبابه ، يقال : يفع الغلام : إذا راهق ، و في بعض النسخ : بالباء الموحّدة و القاف أي في بلاده التي نشأ فيها ، أو في جميع

منسوباً إلى العفاف والعلم والفضل عند انتهائه، مسنداً إليه أمر والده، صامتاً عن المنطق في حياته.

فإذا انقضت مدّة والده، إلى أن انتهت به مقادير الله إلى مشيئته، وجاءت الارادة من الله فيه إلى محبته، وبلغ منتهى مدّة والده عليه السلام فمضى وصار أمر الله إليه من بعده، وقلده دينه، وجعله الحجّة على عباده، وقيّمه في بلاده، وأيّده بروحه، وآتاه علمه، وأنبأه فصل بيانه، واستودعه سرّه، وانتدبه لعظيم أمره، وأنبأه فضل بيان علمه، ونصّبهُ علماً لخلقه، وجعله حجّة على أهل عالمه، وضياء لأهل دينه، والقيّم على عباده، رضي الله به إماماً لهم، استودعه سرّه، واستحفظه

البلاد، فأنّها كلّها له والاولّ أظهر للمقابلة بقوله «عند انتهائه» أي كماله في السن أو عند إمامته «مسنداً إليه أمر والده» أي يكون وصيته.

«إلى أن انتهت» في غيبة النعماني ليس «إلى أن» فيكون «إنتهت» جزاء الشرط وهو أصوب، وعلى هذه النسخة «فمضى» جزاء الشرط، «وإلى» متعلق بمقدّر، أي تسببت الأسباب إلى أن انقضت، أو يضمن الانقضاء معنى الانتهاء «إلى مشيئته» الضمير راجع إلى الله والضمير في قوله: «به» راجع إلى الولد، ويحتمل الوالد أي انتهت مقادير الله بسبب الولد إلى ما شاء وأراد من إمامته «وجاءت الارادة من عند الله فيه إلى محبته» الضمير راجع أيضاً إلى الله أي إلى ما أحب من خلافته «وأيّده بروحه» أي بروح القدس كما سيأتي «وأنبأه فصل بيانه» أي البيان الفاصل بين الحق والباطل، كما قال تعالى: «إنّه لقول فصل» ^(١) وفي بعض النسخ بالضاد المعجمة أي زيادة بيانه «وانتدبه» أي دعاه وحثه، وفي أكثر كتب اللغة أنّ الندب الطلب، و

علمه ، و استخبأه حكمته و استرعاه لدينه ، و اتدبه لعظيم أمره ، و أحيا به مناهج سبيله ، و فرائضه وحدوده ، فقام بالعدل عند تحيّر أهل الجهل ، و تحيير أهل الجدل ، بالنور الساطع ، و الشفاء النافع ، بالحقّ الأبلج ، و البيان اللائح من كلّ مخرج ، على طريق المنهج ، الذي مضى عليه الصادقون من آبائهم عليهم السلام ، فليس بجهل حقّ هذا العالم إلا شقيّ ، و لا يجهده إلا غويّ ، و لا يصدّه عنه إلا جريّ على الله جلّ و علا .

الانتداب الاجابة ، و يظهر من الخبر أنّ الانتداب أيضاً يكون بمعنى الطلب كما في مصباح اللغة ، حيث قال : إئتدبه للامر فإئتدب يستعمل لازماً و متعدياً .
 « و استخبأه » بالخاء المعجمة و الباء الموحدة مهموزاً أو غير مهموز تخفيفاً أي إستكتمه ، و في بعض النسخ بالحاء المهملة أي طلب منه أن يحبو الناس الحكمة « و استرعاه لدينه » أي طلب منه رعاية الناس و حفظهم لأموال دينه ، أو ألام زائدة « عند تحيير أهل الجهل » ^(١) أي عند ما يحيّر أهل الجهل الناس بشبههم ، و في بعض النسخ تحيّر على التفعّل و هو أنسب « و تحيير أهل الجدل » أي تزيينهم الكلام الباطل عند المناظرة ، في القاموس : تحيير الخطّ و الشعر و غيرهما : تحسينه « بالنور الساطع » الباء للسببية أو بدل أو عطف بيان لقوله : « بالعدل » و كذا قوله : « بالحقّ » بالنسبة إلى قوله : بالنور ، أو متعلّق بالنافع ، و الباء للسببية « الأبلج » الأوضح « من كلّ مخرج » من « تعليلية » .

(١) و في نسخة الاصل من الكافي « عند تحيير أهل الجهل و تحيير أهل الجدل » .

﴿ باب ﴾

﴿ أن الأئمة عليهم السلام ولاة الامر وهم الناس المحسودون ﴾
 ﴿ الذين ذكرهم الله عز وجل ﴾

١- الحسين بن محمد بن عامر الأشعري ، عن معلى بن محمد قال : حدثني الحسن ابن عليّ الوشاء ، عن أحمد بن عائذ ، عن ابن أذينة ، عن بريد العجلي قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل : «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر

باب ان الأئمة عليهم السلام ولاة الامر وهم الناس المحسودون الذين
 ذكرهم الله عز وجل

الحديث الاول : ضعيف .

«و أولى الامر منكم» قد تقدم القول فيه في باب فرض طاعة الأئمة عليهم السلام ، و قال ابن شهر آشوب رحمه الله في المناقب : الأئمة على قولين في معنى «أولى الامر» في هذه الآية :

أحدهما : أنها في أئمتنا عليهم السلام «و الثاني» أنها في أمراء السرايا ، و إذا بطل أحد الامرين ثبت الآخر ، و إلا خرج الحق عن الأئمة ، و الذى يدل على أنها في أئمتنا صلوات الله عليهم أن ظاهرها يقتضى عموم طاعة أولى الامر من حيث عطف الله تعالى الامر بطاعتهم على الأمر بطاعته و طاعة رسوله ، و من حيث أطلق الأمر بطاعتهم و لم يخص شيئاً من شيء لأنه سبحانه لو أراد خاصاً لبيّنه ، و في فقد البيان منه تعالى دليل على إرادة الكل ، و إذا ثبت ذلك ثبتت إمامتهم ، لانه لا أحد تجب طاعته على ذلك الوجه بعد النبي صلى الله عليه وآله إلا الامام ، و اذا اقتضت وجوب طاعة أولى الامر على العموم لم يكن بد من عصمتهم ، و إلا أدى إلى أن يكون قد أمر بالقبيح ، لان من ليس بمعصوم لا يؤمن منه وقوع القبيح ، فاذا وقع كان الاقتداء به قبيحاً ، و إذا ثبت

منكم ، ^(١) فكان جوابه :

دلالة الآية على العصمة وجوب الطاعة بطل توجهها الى أمراء السرايا ، لارتفاع عصمتهم ، و قال بعضهم هم علماء الأمة وهم مختلفون و في طاعة بعضهم عصيان بعض ، وإذا أطاع المؤمن بعضهم عصى الآخر ، والله تعالى لا يأمر بذلك ، ثم إن الله تعالى وصف أولى الأمر بصفة تدل على العلم والإمرة جميعاً في قوله : « وإذا جائهم أمر من الأمن أو الخوف أذا عوابه ولو ردّوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم » ^(٢) فرد إليهم الأمن أو الخوف للأمراء ، والاستنباط للعلماء ، ولا يجتمعان إلا لأمير عالم ، انتهى .

قوله عَلَيْهِ السَّلَام : كان جوابه ، قيل : سئل عَلَيْهِ السَّلَام عن معنى أولى الأمر فأجاب السائل ببيان آية أخرى ليفهم به ما يريد مع إيضاح وتشديد ولا يخفى ما فيه .

و اقول : سوء الفهم وإشكال الحديث إنما نشأ من أن المصنف (ره) أسقط تممة الحديث وذكرها في موضع آخر ، وفي تفسير العياشي بعد قوله : « إن الله كان عزيزاً حكيماً » ^(٣) « و الذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً لهم فيها أزواج مطهرة و ندخلهم ظلاً ظليلاً » قال : قلت : قوله : في آل ابراهيم : « و آتيناهم ملكاً عظيماً » ما الملك العظيم ؟ قال : أن جعل منهم أئمة ، من أطاعهم أطاع الله ، ومن عصاهم عصى الله ، فهو الملك العظيم قال : ثم قال « إن الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعماً يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً » قال : إنا غنى ، أن يؤدّى الأول منا إلى الامام الذي بعده الكتب والعلم والسلاح « وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » الذي في أيديكم ثم قال للناس : « يا أيها الذين آمنوا فجمع المؤمنين إلى يوم القيامة » أطيعوا الله وأطيعوا الرسول و أولى الأمر منكم « إنا غنى » خاصة ، فان خفتم تنازعاً في الأمر فارجعوا إلى الله وإلى الرسول وأولى

(١) سورة النساء : ٥٩ .

(٢) سورة النساء : ٨٣ .

(٣) اي في آخر الحديث .

« ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت و يقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً » ^(١) يقولون لأئمة الضلالة والدُّعاة إلى النار : هؤلاء أهدى من آل محمد سبيلاً « أولئك الذين لعنهم الله و من يلعن الله فلن تجد له نصيراً * أم لهم نصيب من الملك - يعني الإمامة والخلافة -

الامر منكم ، هكذا نزلت ، و كيف يأمرهم بطاعة أولى الامر و يرخص لهم في منازعتهم ، إنما قيل ذلك للمأمورين الذين قيل لهم : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول و أولى الأمر منكم » .

أقول : فظهر أنه ﷺ شرع في تفسير الآيات المتقدمة على تلك الآية و بين نزولها فيهم ﷺ ليتضح نزول هذه الآية فيهم أشدّ إيضاح وأبينه .

« ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت » قال البيضاوى : نزلت في يهود كانوا يقولون إن عبادة الأصنام أرضي عند الله مما يدعو إليه محمد ، و قيل : في حيي بن أخطب و كعب بن الأشرف و في جمع من اليهود خرجوا إلى مكة يحالفون قريشاً على محاربة رسول الله ، فقالوا : أنتم أهل كتاب ، و أنتم أقرب إلى محمد منكم إلينا ، فلاناً من مكرهم فاسجدوا آلهمتنا حتى نطمئن إليكم ففعلوا ، و الجبت في الأصل إسم صنم فاستعمل في كل معبد من دون الله ، و قيل : أصله الجبس و هو الذي لاخير فيه ، فقلبت سينه تاء .

و الطاغوت يطلق لكل باطل من معبود أو غيره « و يقولون للذين كفروا » لأجلهم وفيهم « هؤلاء » إشارة إليهم « أهدى من الذين آمنوا سبيلاً » أي أقوم ديناً و أرشد طريقاً « فلن تجد له نصيراً » يمنع العذاب عنه بشفاعته أو غيرها ، انتهى .

أقول : و على تأويله ﷺ الجبت والطاغوت : الأول و الثاني ، « و الذين كفروا » سائر خلفاء الجور ، و لا ينافي ذلك ما مرّ من نزول الآية ، لأن الله تعالى لما ذم المخالفين للرسول لعنهم فهو جار فيمن خالف أهل بيته ، لأنهم القائمون مقامه . « أم لهم نصيب من الملك » قال البيضاوى « أم » منقطعة ، و معنى الهمزة إنكار

فاذا لا يؤتون الناس فقيراً « نحن الناس الذين عنى الله ، و النقيير النقطة التي في وسط النواة » أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله^(١) نحن الناس المحسودون على ما آتانا الله من الامامة دون خلق الله أجمعين « فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة و آتيناهم ملكاً عظيماً » يقول : جعلنا منهم الرسل و الأنبياء و الأئمة ، فكيف

أن يكون لهم نصيب من الملك ، أو جحد لما زعمت اليهود من أن الملك سيصير إليهم « فاذا لا يؤتون الناس فقيراً ، أى لو كان لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون أحداً ما يوازي فقيراً ، وهو النقرة في ظهر النواة ، وهذا هو الاغراق في بيان شحهم ، فانهم بخلوا بالنقيير وهم ملوك فما ظنك بهم إذا كانوا أذلاء متفاقرين .

أقول : ويحتمل أن يكون المراد بالنقطة في كلامه عليه السلام النقرة ، و قال الطبرسي رحمه الله : قيل : المراد بالملك هنا النبوة .

« أم يحسدون الناس » قال الطبرسي : معناه بل أيحسدون الناس ، و اختلف في معنى الناس هنا فقيل : أراد به النبي صلى الله عليه وآله حسدوه على ما أعطاه من النبوة وإباحة تسعة نسوة و ميله إليهن ، و قالوا لو كان نبياً لشغلته النبوة عن ذلك ، فبين الله سبحانه أن النبوة ليست ببدع في آل إبراهيم « و ثانيها » أن المراد بالناس النبي و آله عليهم السلام عن أبي جعفر عليه السلام ، و المراد بالفضل فيه النبوة ، و في آله الامامة ، انتهى .

واقول : روى ابن حجر في صواعقه قال : أخرج أبو الحسن المغازلي عن الباقر عليه السلام انه قال في هذه الآية : نحن الناس و الله ، ولا يخفى أن تفسيرهم عليه السلام أنسب بلفظ الناس .

« فكيف يقرّون به في آل إبراهيم وينكروته في آل محمد ، و نجد أفضل من إبراهيم ، فكيف يستبعدون ذلك ، أو آل محمد من آل إبراهيم فلم لا يشملهم ؟ » يقول جعلنا منهم الرسل ، إمّا تفسير لايتاء مجموع الكتاب و الحكمة و الملك

يقرءون به في آل إبراهيم عليه السلام وينكرونها في آل محمد عليه السلام فمنهم من آمن به و منهم من صد عنه و كفى بجهنم سعيراً * إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزاً حكيماً.

٢- عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن محمد بن الفضيل ، عن أبي الحسن عليه السلام في قول الله تبارك و تعالى : « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله » قال : نحن المحسودون .

٣- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن النضر بن سويد عن يحيى الحلبي ، عن محمد الأحول ، عن حمران بن أعين قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : قول الله عز وجل : « فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب » ؟ فقال : النبوة ، قلت : « الحكمة » ؟ قال : الفهم و القضاء ، قلت : « و آتيناهم ملكاً عظيماً » ؟ فقال : الطاعة .

العظيم ، أو على الكف والنشر المرتب ، ويؤيد الأخير ما سيأتي .

« فمنهم من آمن به » اي بالايثاء أو بالملك العظيم ، و ضمير « منهم » للأمة ، و يقال صد صدوداً اي أعرض ، و صد فلاناً عن كذا صدأ اي منعه و صرفه « إن الذين كفروا بآياتنا » اي الآيات النازلة في الائمة أو هم عليهم السلام كما سيأتي « بدلناهم جلوداً غيرها » اي في الصفة « إن الله كان عزيزاً » اي قوياً غالباً على جميع الاشياء « حكيماً » يعاقب و يثيب على وفق حكمته .

الحديث الثاني : مجهول .

الحديث الثالث : حسن .

و فسر الكتاب بالنبوة لاستلزامه لها ، و لعل المراد بالفهم الالهام و بالقضاء العلم بالحكم بين الناس ، أو الفهم فهم مطلق العلوم ، و المعارف إشارة إلى الحكمة النظرية ، و القضاء إلى الحكمة العلمية « قال الطاعة » اي فرض طاعته على الخلق .

٤ - الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ، عن الوشاء ، عن حماد بن عثمان ، عن أبي الصباح قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل : « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله » فقال : يا أبا الصباح نحن والله الناس المحسودون .

٥ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن محمد بن أبي عمير ، عن عمر بن أذينة ، عن بريد العجلي عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى : « فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة و آتيناهم ملكاً عظيماً » قال : جعل منهم الرسل والأنبياء والأئمة فكيف يقرؤون في آل إبراهيم عليهم السلام وينكرونه في آل محمد ؟ عليه السلام قال : قلت : « و آتيناهم ملكاً عظيماً » ؟ قال : الملك العظيم أن جعل فيهم أئمة : من أطاعهم أطاع الله ، ومن عصاهم عصى الله ، فهو الملك العظيم .

﴿ باب ﴾

﴿ ان الأئمة عليهم السلام هم العلامات التي ذكرها الله عز و ﴾

﴿ (جل في كتابه) ﴾

١ - الحسين بن محمد الأشعري ، عن معلى بن محمد ، عن أبي داود المسترق قال : حدثنا داود الجصاص قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : « و علامات و بالنجم هم

الحديث الرابع : ضيف .

الحديث الخامس : حسن .

باب ان الأئمة عليهم السلام هم العلامات التي ذكرها الله عز و جل

في كتابه

الحديث الاول : ضيف .

« و علامات » قال الطبرسي (ره) أى و جعل لكم علامات أى معالم يعلم بها الطرق ، و قيل : العلامات الجبال يهتدى بها نهاراً « و بالنجم هم يهتدون » ليلا و المراد بالنجم الجنس ، و قيل : إن العلامات هي النجوم أيضاً لأن من النجوم ما يهتدى بها ، و منها ما يكون علامة لا يهتدى بها ، و قيل : أراد بها الاهتداء في القبلية ، انتهى .

يهتدون»^(١) قال : النجم رسول الله ﷺ و العلامات هم الائمة ﷺ .

٢- الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ، عن الوشاء ، عن أسباط بن سالم قال :
سأل الهيثم أباعبدالله ﷺ وأنا عنده عن قول الله عز وجل : « وعلامات و بالنجم هم
يهتدون » فقال : رسول الله ﷺ النجم ، والعلامات هم الائمة ﷺ .

٣- الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ، عن الوشاء قال : سألت الرضا ﷺ
عن قول الله تعالى : « وعلامات و بالنجم هم يهتدون » قال : نحن العلامات و النجم
رسول الله ﷺ .

و على تأويله ﷺ ضمير «هم» و ضمير «يهتدون» راجعان إلى العلامات و
هو أظهر ، لأن قبل هذه الآية «وألقي في الأرض رواسي أن تميدبكم و أنهاراً و سبلاً
لعلكم تهتدون» فكان الظاهر على التفسير المشهور «و أنتم تهتدون» فعلى تأويله ﷺ
لا يحتاج إلى تكلف الالتفات ، وهذه المعاني بطون للآيات لاتنافي كون ظواهرها أيضاً
مرادة ، فانه كما أن لأهل الأرض جبلاً و أنهاراً و نجوماً و علامات يهتدون بها إلى
طرقهم الظاهرة ، و بها تصلح أمور معاشهم ، فكذا لهم رواسي من الانبياء و الاوصياء
و العلماء بهم تستقر الأرض و تبقى ، و منابع للعلوم و المعارف بها يحيون الحياة
المعنوية و شمس و قمر و نجوم من الانبياء و الائمة ﷺ بهم يهتدون إلى مصالحهم
الدنيوية و الآخروية ، وقد تضمنت الآيات ظهراً و بطناً ، الوجهين جميعاً .

الحديث الثاني : ضعيف على المشهور.

الحديث الثالث : كذلك .

﴿باب﴾

﴿ أن الآيات التي ذكرها الله عز وجل في كتابه هم الأئمة عليهم السلام ﴾

١- الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ، عن أحمد بن محمد بن عبد الله ، عن أحمد بن هلال ، عن أمية بن علي ، عن داود الرقي قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك و تعالى : «وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون»^(١) قال : الآيات هم الأئمة ، والنذر هم الأنبياء عليهم السلام .

٢- أحمد بن مهران . عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني ، عن موسى بن محمد العجلي ، عن يونس بن يعقوب رفعه ، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل : «كذبوا بآياتنا كلها»^(٢) يعني الأوصياء كلهم .

باب ان الآيات التي ذكرها الله عز وجل في كتابه هم الأئمة عليهم السلام

الحديث الاول : ضعيف .

«الآيات» جمع الآية وهي العلامة ، وهم عليهم السلام علامات لسبيل الهداية ودلائل لعظمة الله سبحانه و قدرته و حكمته ، و النذر جمع التذير بمعنى المنذر ، و المشهور في تفسير الآيات : الحجج و البيّنات أو المعجزات ، أو ما خلقه الله في الآيات والأفانيس دالاً على وجوده و قدرته و علمه و حكمته .

و في الصحاح : ما يغني عنك هذا ، أي ما يجدي عنك و ما ينفعك .

الحديث الثاني : ضعيف .

« يعني الأوصياء » أي هم المقصودون في بطن الآية أو هم داخلون فيها .
فان قيل سابق الآية : «ولقد جاء آل فرعون النذر، كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر» وآل فرعون إنما كذبوا بموسى ؟

قلنا : وإن كذبوا بموسى لكن تكذيبهم بموسى يوجب تكذيبهم بأوصيائه

٣- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن محمد بن أبي عمير ، أو غيره ، عن محمد بن الفضيل ، عن أبي حمزة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قلت له : جعلت فداك إن الشيعة يسألونك عن تفسير هذه الآية « عم يتساءلون عن النبأ العظيم » قال : ذلك إلي إن

كهارون و يوشع ، بل الأنبياء والأوصياء المتقدمين عليه ، لأن كلهم أخبروا بموسى ، أو المعنى أن نظير ذلك التكذيب في هذه الأمة التكذيب بالأوصياء عليهم السلام ، مع أنه ورد في تفسير الامام عليه السلام أن موسى عليه السلام كان يخبر قومه بالنبى و أوصيائه عليهم السلام ، ويأمرهم بالإيمان بهم ، وقيل : التكذيب بواحد من الائمة تكذيب بالجميع لاشتراكهم في الحق والصدق والدين .

الحديث الثالث : مجهول .

« عم يتساءلون » قال البيضاوي : أصله « عما » فحذف الألف ، ومعنى هذا الاستفهام تفخيم شأن ما يتساءلون عنه ، كأنه لفخامته خفى جنسه فيسئل عنه ، والضمير لأهل مكة كانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم ، أو يسألون الرسول و المؤمنين عنه استهزاء أو للناس « عن النبأ العظيم » بيان للشان المفضم أو صلة يتساءلون ، و عم متعلق بمضمر مفسر به « كلاً سيعلمون » ردع عن التسائل ثم « كلاً سيعلمون » تكرير للمبالغة ، انتهى .

و أقول : تأويله عليه السلام مذكور في بعض كتب المخالفين ، روى السيد في الطرايف نقلاً من تفسير محمد بن مؤمن الشيرازى باسناده عن السدى يرفعه قال : أقبل صخر بن حرب حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : يا محمد هذا الأمر لنا من بعدك أم لمن ؟ قال صلى الله عليه وآله : يا صخر الأمر بعدى لمن هو منى بمنزلة هارون من موسى عليه السلام ، فأنزله الله : « عم يتساءلون عن النبأ العظيم » يعنى يسئلك أهل مكة عن خلافة علي بن أبي طالب « الذي هم فيه مختلفون » منهم المصدق بولايته و خلافته ، و منهم المكذب قال « كلاً » و هو ردع عليهم « سيعلمون » أى سيعرفون خلافته بعدك أنها حق [تكون] « ثم كلاً سيعلمون » أى يعرفون خلافته و ولايته إذ يسألون عنها في قبورهم ، فلا

شئت أخبرتهم وإن شئت لم أخبرهم ، ثم قال : لكنني أخبرك بتفسيرها ، قلت : «عم يتساءلون» ؟ قال : فقال : هي في أمير المؤمنين صلوات الله عليه ، كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه يقول : ما لله عز وجل آية هي أكبر مني ولا لله من نبي أعظم مني .

﴿ باب ﴾

﴿ ما فرض الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وآله من الكون ﴾

﴿ مع الائمة عليهم السلام ﴾

١- الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ، عن الوشاء ، عن أحمد بن عائذ ، عن ابن أذينة ، عن بريد بن معاوية العجلي قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل :

يبقي ميت في شرق ولا غرب ولا في بر ولا في بحر إلا ومنكر ونكير يستلان عن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام بعد الموت ، يقولان له : من ربك ؟ ومن نبيك ؟ ومن إمامك ؟

و روى مثله ابن شهر آشوب عن تفسير القطان بإسناده عن السدي مثله .
و روى محمد بن العباس بن مروان في تفسيره بإسناده إلى علقمة قال : خرج يوم صفين رجل من عسكر الشام وعليه سلاح وفوقه مصحف ، وهو يقرأ « عم يتساءلون عن النبا العظيم » فأردت البراز إليه فقال علي عليه السلام : مكانك ، و خرج بنفسه فقال له : أتعرف النبا العظيم الذي هم فيه مختلفون ؟ قال : لا ، فقال عليه السلام : أنا والله النبا العظيم الذي فيه إختلفتم ، وعلى ولايتي تنازعتم ، وعن ولايتي رجعتم بعد ما قبلتم و بينيكم [هلكنم] بعد ما بسفي نجوتم ، ويوم الغدير قد علمتم ويوم القيامة تعلمون ما علمتم ، ثم علاه بسيفه فرمى رأسه ويده .

باب ما فرض الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وآله من الكون

مع الائمة عليهم السلام

الحديث الاول : ضعيف .

« و كونوا مع الصادقين » قال الطبرسي (ره) في مصحف عبدالله و قراءة ابن

«اتقوا الله وكونوا مع الصادقين»^(١) قال : إيانا عني .

عبّاس : من الصادقين ، و روي ذلك عن أبي عبد الله عليه السلام ، ثم قال : أي مع الذين يصدقون في أخبارهم ولا يكذبون ، ومعناه كونوا على مذهب من يستعمل الصدق في أقواله ، و صاحبوهم و رافقوهم ، و قد وصف الله الصادقين في سورة البقرة بقوله : «و لكنّ البرّ من آمن بالله واليوم الآخر» إلى قوله «اولئك الذين صدقوا و أولئك هم المتّقون»^(٢) فأمر سبحانه بالافتداء بهؤلاء ، و قيل : المراد بالصادقين هم الذين ذكرهم الله في كتابه و هو قوله : « رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه » يعني حمزة بن عبد المطلب و جعفر بن أبي طالب عليهما السلام «و منهم من ينتظر»^(٣) يعني عليّ بن أبي طالب ، و روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عبّاس قال : كونوا مع الصادقين ، مع عليّ و أصحابه ، و روى جابر عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله : «كونوا مع الصادقين» قال : مع آل محمد عليهم السلام ، انتهى .

و أقول : التمسك بتلك الآية لاثبات الامامة في المعصومين بين الشيعة معروف ، و قد ذكره المحقق الطوسي طيّب الله روحه القدوسي في كتاب التجريد ، و وجه الاستدلال بها أن الله أمر كافة المؤمنين بالكون مع الصادقين ، و ظاهر أن ليس المراد به الكون معهم باجسادهم بل المعنى لزوم طرايقهم و متابعتهم في عقايدهم و أقوالهم و أفعالهم ، و معلوم أن الله تعالى لا يأمر عموماً بمتابعة من يعلم صدور الفسق والمعاصي عنه ، مع نهيه عنها ، فلا بدّ من أن يكونوا معصومين لا يخطئون في شيء حتّى تجب متابعتهم في جميع الامور ، و ايضاً اجتمعت الامة على أن خطاب القرآن عام لجميع الأزمنة لا يختصّ بزمان دون زمان ، فلا بدّ من وجود معصوم في كل زمان ليصحّ أمر مؤمني كل زمان بمتابعتهم .

فان قيل : لعلمهم أمروا في كل زمان بمتابعة الصادقين الكائنين في زمن الرسول صلى الله عليه وآله ، فلا يتمّ وجود المعصوم في كل زمان .

قلنا : لا بدّ من تعدّد الصادقين أي المعصومين لصيغة الجمع ، ومع القول بالتعدّد

(١) سورة التوبة : ١٢٠ . (٢) سورة البقرة : ١٧٧ .

(٣) سورة الاحزاب : ٢٣ .

يتعيّن القول بما تقول الامامية ، إذ لا قائل بين الأئمة بتعدّد المعصومين في زمن الرسول ﷺ مع خلوّ سائر الأزمنة عنهم ، مع قطع النظر عن بعد هذا الاحتمال عن اللفظ و سياّتي تمام القول في ذلك في أبواب النصوص على أمير المؤمنين صلوات الله عليه .

و العجب من إمامهم الرازي كيف قارب ثم جانب و سدّد ثم شدّد و أقرّ ثم أنكر و أصرّ حيث قال في تفسير تلك الآية : أنّه تعالى أمر المؤمنين بالكون مع الصادقين فلا بدّ من وجود الصادقين لأنّ الكون مع الشيء مشروط بوجود ذلك الشيء فهذا يدلّ على أنّه لا بدّ من وجود الصادقين في كلّ وقت ، و ذلك يمنع من إطباق الكلّ على الباطل ، فوجب إن أطبقوا على شيء أن يكونوا محقّين فهذا يدلّ على أن إجماع الأئمة حجة .

فان قيل : لم لا يجوز أن يقال المراد بقوله : كونوا مع الصادقين ، أي كونوا على طريقة الصادقين الصالحين كما أنّ الرّجل إذا قال لولده كن مع الصالحين لا يفيد إلّا ذلك ، سلّمنا ذلك لكن نقول : إنّ هذا الأمر كان موجوداً في زمان الرسول ﷺ فقط وكان هذا أمراً بالكون مع الرسول فلا يدلّ على وجود صادق في سائر الأزمنة ، سلّمنا ذلك لكن لم لا يجوز أن يكون ذلك الصادق هو المعصوم الذي يمتنع خلوّ زمان التكليف عنه كما تقول الشيعة .

فالجواب عن الأوّل : أنّ قوله : كونوا مع الصادقين أمر بموافقة الصادقين و نهى عن مفارقتهم ، و ذلك مشروط بوجود الصادقين ، و ما لا يتم الواجب إلّا به فهو واجب ، فدلت هذه الآية على وجود الصادقين ، وقوله : أنّه محمول على أن يكونوا على طريقة الصادقين ، فنقول : أنّه عدول عن الظاهر من غير دليل ، قوله : هذا الأمر مختصّ بزمان الرسول قلنا : هذا باطل لوجوه « الأوّل » أنّه ثبت بالتواتر الظاهر من دين محمد ﷺ أنّ التكليف المذكورة في القرآن متوجّهة على المكلفين إلى قيام

القيامه فكان الامر في هذا التكليف كذلك «و الثاني» أن الصيغة تتناول الاوقات كلها،
بدليل صحة الاستثناء «و الثالث» لما لم يكن الوقت المعين مذكوراً في لفظ الآية لم
يكن حمل الآية على البعض أولى من حملها على الباقي ، فاما أن لا يحمل على شيء فيفضي
إلى التعطيل وهو باطل ، أو على الكل وهو المطلوب «و الرابع» أن قوله : « يا
أيها الذين آمنوا اتقوا الله » أمر لهم بالتقوى وهذا الامر إنما يتناول من يصح منه
أن لا يكون متقياً وإنما يكون كذلك لو كان جازي الخطاء ، فكانت الآية دالة على
أن من كان جازي الخطاء وجب كونه مقتدياً بمن كان واجب العصمة ، وهم الذين
حكم الله بكونهم صادقين وترتب الحكم في هذا يدل على أنه إنما وجب على جازي
الخطاء كونه مقتدياً به ، ليكون ما نماً لجازي الخطاء عن الخطاء وهذا المعنى قائم في
جميع الازمان ، فوجب حصوله في كل الازمان ، قوله : لم لا يجوز أن يكون المراد هو
كون المؤمن مع المعصوم الموجود في كل زمان ، قلنا : نحن معترف بأنه لا بد من
معصوم في كل زمان إلا أننا نقول أن ذلك المعصوم هو مجموع الامة ، وأنتم تقولون
أن ذلك المعصوم واحد منهم ، فنقول : هذا الثاني باطل ، لأنه تعالى أوجب
على كل من المؤمنين أن يكونوا مع الصادقين ، وإنما يمكنه ذلك لو كان عالماً
بأن ذلك الصادق من هو ، لأن الجاهل بأنه من هو لو كان مأموراً بالكون
معه كان ذلك تكليف ما لا يطاق ، لأننا لا نعلم إنساناً معيناً موصوفاً بوصف العصمة ،
و العلم بأننا لا نعلم هذا الانسان حاصل بالضرورة ، فثبت أن قوله «كونوا مع الصادقين»
ليس أمراً بالكون مع شخص معين ، ولما بطل هذا بقي أن المراد منه الكون مع
جميع الامة ، وذلك يدل على أن قول مجموع الامة صواب وحق ولا نغني بقولنا الاجماع
حجة إلا ذلك ، انتهى كلامه .

و الحمد لله الذي حقق الحق بما جرى على أقلام أعدائه ، ألا ترى كيف شيد
ما ادعته الامامية بغاية جهده ثم بأي شيء تمسك في تزييفه و التعامى عن رده ،

• • • • •

وهل هذا إلا كمن طرح نفسه في البحر العجاج رجاء أن يتشبث للنجاة بخطوط الامواج ،
و لنشر الى شيء مما في كلامه من التهافت والاعوجاج .
فنقول كلامه فاسد عن وجوه :

أما أولاً فلا نه بعد ما اعترف أن الله تعالى إنما أمر بذلك لتحفظ الأمة عن
الخطاء في كل زمان ، فلو كان المراد ما زعمه من الاجتماع كيف يحصل العلم بتحقيق
الاجماع في تلك الاعصار مع انتشار علماء المسلمين في الامصار ، وهل يجوز عاقل
إمكان الاطلاع على جميع أقوال آحاد المسلمين في تلك الازمنة ، ولو تمسك بالاجماع
الحاصل في الازمنة السابقة ، فقد صرح بأنه لا بد في كل زمان من معصوم محفوظ
عن الخطاء .

و أما ثانياً: فبأنه على تقدير تسليم تحقق الاجماع و العلم به في تلك الازمنة
فلا يتحقق ذلك إلا في قليل من المسائل ، فكيف يحصل تحفظهم عن الخطأ بذلك .
واما ثالثاً: فبأنه لا يخفى على عاقل أن الظاهر من الآية أن المأمورين بالكون،
غير من أمروا بالكون معهم ، وعلى ما ذكره يلزم اتحادهما .

وأما رابعاً: فبأن المراد بالصادق إما الصادق في الجملة ، فهو يصدق على جميع المسلمين
فإنهم صادقون في كلمة التوحيد لا محالة ، أو في جميع الأقوال ، و الأول لا يمكن أن
يكون مراداً لأنه يلزم أن يكونوا مأمورين باتباع كل من آحاد المسلمين كما هو الظاهر
من عموم الجمع المحلى باللام ، فتعين الثاني وهو لازم العصمة ، و أما الذي اختاره
من إطلاق الصادقين على المجموع من حيث المجموع ، من جهة أنهم من حيث
الاجتماع ليسوا بكاذبين ، فهذا احتمال لا يجوز كرهه كرهى لم يأنس بكلام العرب قط .
و أما خامساً: فبأن تمسكه في نفي ما يدعيه الشيعة في معرفة الامام لا تخفى
سخافته ، إذ كل جاهل و ضال و مبتدع في الدين يمكن أن يتمسك بهذا في عدم
وجوب إختيار الحق و إلتزام الشرايع ، فليهود أن يقولوا: لو كان محمد ﷺ نبياً

٢- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن أبي نصر ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : سألته عن قول الله عز وجل : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ » قال : الصادقون هم الاثمة والصدّيقون بطاعتهم.

٣- أحمد بن محمد و محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسين ، عن محمد بن عبد الحميد عن منصور بن يونس ، عن سعد بن طريف ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : من أحب أن يحيى حياة تشبه حياة الأنبياء ، ويموت ميتة تشبه ميتة الشهداء

لكنّا عالمين بنبوته ، ولكنّا نعلم ضرورة أنّا غير عالمين به ، وكذا سائر فرق الكفر والضلالة ، وليس ذلك إلّا لتعصّبهم ومعاندتهم ، و تقصيرهم في طلب الحق ، ولو رفعوا أغشية العصبية عن أبصارهم ، ونظروا في دلائل إمامتهم ومعجزاتهم ، ومحاسن أخلاقهم وأطوارهم لأبصروا ما هو الحق في كل باب ، ولم يبق لهم شك ولا إرباب ، وكفى بهذه الآية على ما قرّر الكلام فيها دليلاً على لزوم الامام في كل عصر و زمان .

الحديث الثاني : صحيح .

« و الصدّيقون » عطف على الصادقين اي الصدّيقون في قوله تعالى : « من النبيّين و الصدّيقين » هم الاثمة ، و انما سمّوا بذلك لطاعتهم للانبياء في جميع ما أتوا به قبل كل أحد ، وعصمتهم من الخطاء فهم صادقون من جهة القول ، صدّيقون من جهة الفعل ، فضمير طاعتهم راجع إلى الصدّيقين ، أو عطف على الاثمة ، اي الصادقون هم الاثمة وهم الصدّيقون ، فالعطف للتفسير إشارة إلى أنّ المراد بالصدّيقين ايضاً هم عليهم السلام ، والضمير كما مرّ ويؤيده أنّ في بصائر الدرجات بدون العاطف ، ويحتمل الاخير وجهاً آخر ، وهو أن يكون المراد بالصدّيقين الشيعة ، فيحتمل إرجاع الضمير إلى الاثمة أو الصادقين إضافة إلى المفعول .

الحديث الثالث : مختلف فيه كالموثق .

و يسكن الجنان التي غرسها الرحمن فليتلوا علياً وليوال وليه و ليقند بالأئمة من بعده ، فانهم عترتي خلقوا من طينتي ، اللهم أرزقهم فهمي و علمي ، و ويل للمخالفين لهم من أمتي ، اللهم لاتلهم شفاعتي .

٤- محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسين ، عن النضر بن شعيب ، عن محمد بن الفضيل ، عن أبي حمزة الثمالي قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : قال رسول الله ﷺ : إن الله تبارك و تعالى يقول : استكمال حجتي على الأشقياء من أمتك : من ترك ولاية علي و والى أعداءه ، و أنكر فضله و فضل الأوصياء من بعده ، فإن فضلك فضلهم ، و طاعتك طاعتهم ، و حقك حقهم ، و معصيتك معصيتهم ، وهم الأئمة الهداة من بعدك ، جرى فيهم روحك و روحك ما جرى فيك من ربك و هم عترتك من طينتك و لحمك و دمك

«غرسها الرحمن» أي بقدرته و رحمانيته بلا توسط غارس ، و فيه إيماء الى أن دخول الناس الجنة بمحض الرحمة لا باستحقاقهم ، و يقال : تولاه إذا إتخذته ولياً اي إماماً ، و الموالاتة ضد المعاداة ، و الولي المحب و الناصر ، و ضمير «فانهم» لعلي و الأئمة ، و الدّعاء بعدم إنالة الشفاعة مع أنها من فعله إما لأن المراد به الامر بالشفاعة ، أو عدم إدخالهم في الشفاعة الاجمالية منه عليه السلام للأئمة ، أو المقصود به الاخبار عن عدم الانالة لا الدّعاء .

الحديث الرابع : مجهول .

و الاستكمال : الاتمام ، و هو مبتداء «و على الأشقياء» خبره «من ترك» بفتح الميم بدل الأشقياء ، و الولاية بالكسر : المحبة و الطاعة ، و بالفتح : الامارة و السلطنة ، «فان فضلك فضلهم» أي كلما ثبت لك من العلم و العصمة و ساير الفضائل فهو فضلهم ، و ثابت لهم «و طاعتك طاعتهم» أي لولم يطيعوهم لم يطيعوك ، أو أن فرض الطاعة كمائت لك ثبت لهم «و حقك» على الناس «حقهم» أي تجبر رعاية حقهم لرعاية حقك ، فان مودتهم أجر الرّسالة ، أولهم على الناس حق كمالك عليهم ، و في الفقرات نوع قلب للمبالغة «جرى فيهم روحك» بالضم أي روح القدس ، أو من سنخ روحك و

وقد أجرى الله عزّ وجلّ فيهم سنّتك وسنة الأنبياء قبلك ، وهم خزّاني على علمي من بعدك ، حقّ عليّ لقد اصطفيتهم وانتجبتهم وأخلصتهم وارتضيتهم ، ونجى من أحبّهم والاهم وسلم لفضلهم ، ولقد آتاني جبرئيل عليه السلام بأسمائهم وأسماء آبائهم وأحبائهم والمسلمين لفضلهم .

٥- عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسين بن سعيد ، عن فضالة بن أيّوب ، عن أبي المغرا ، عن محمد بن سالم ، عن أبان بن تغلب قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من أراد أن يحيى حياتي ، ويموت ميتتي ويدخل جنّة عدن التي غرسها الله ربّي بيده ، فليتولّ عليّ بن أبي طالب وليتولّ وليّه ، وليعاد عدوّه ، وليسلم للأوصياء من بعده ، فإنّهم عترتي من لحمي ودمي ،

مثله ، والحمل على المبالغة « وروحك » بالفتح وهو الراحة والرحمة ونسيم الرّيح ، كناية عن الألفاظ الربانيّة « ما جرى » أي نحو ما جرى أو قدره « ولحمك ودمك » كناية عن غاية القرابة الجسمانيّة والروحانيّة والعقلائيّة « سنّتك » أي طريقتك من الهداية والرياسة ، والتكميل والارشاد « لقد اصطفيتهم » اللّام جواب القسم لأنّ قوله « حقّ عليّ » بمنزلة القسم ، أو حقّ خبر مبتداء محذوف وقوله : « لقد اصطفيتهم » إستيناف بيانيّ والانتجاب : الاختيار « ولقد آتاني » من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله .

الحديث الخامس : مجهول .

والعدن : الإقامة ، وقيل : جنّة العدن اسم لمدينة الجنّة ، وهي مسكن الأنبياء والعلماء والشهداء وأئمة العدل ، والناس سواهم في جنّات حوالها ، وقيل : هي قصر لا يدخله إلّا نبيّ أو صدّيق أو شهيد أو إمام عدل ، وقيل : للعدن نهر على حافتيه جنّات عدن والاول أصوب « فليتولّ » أي يعتقد ولايته وإمامته « وليتولّ » أي يحبّ ، ويحتمل أن يكون الاول أيضاً بمعنى المحبّة ، والتسليم للأوصياء إطاعتهم في الأمر والنواهي ، وقبول كلّ ما يصدر منهم قولاً وفعلاً « فانّهم » أي الأوصياء أو هم مع

أعظاهم الله فهمي و علمي ، إلى الله أشكو [أمر] أمتي ، المنكرين لفضلهم ، القاطعين فيهم صلتى ، وأيم الله ليقتلن إبنى لا أنا لهم الله شفاعتي .

٦ - محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسين ، عن موسى بن سعدان ، عن عبد الله بن القاسم ، عن عبد القهار ، عن جابر الجعفي ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : من سره أن يحيى حياتي ، ويموت ميتتي ، ويدخل الجنة التي وعدنيها ربى و يتمسك بقضيب غرسه ربى بيده فليتلو علي بن أبي طالب عليه السلام وأوصياه من بعده ، فإنهم لا يدخلونكم في باب ضلال ، ولا يخرجونكم من باب هدى ، فلا تعلموهم فإنهم أعلم منكم وإنى سألت ربى ألا يفرق بينهم وبين الكتاب حتى يردا علي الحوض هكذا - و ضم بين أصبعيه - وعرضه ما بين صنعاء إلى أيلة ، فيه

على «القاطعين فيهم» أى بسببهم أوفى حقهم «صلى» أى برى وإحسانى ، إذمودتهم عليه السلام أجر الرسالة والاقرار بامانتهم ومتابعتهم قضاء لحق الرسول ﷺ «وأيم» بفتح الهمزة وسكون الياء مبتداء مضاف ، وأصله أيمن جمع يمين ، وخبره محذوف وهو يمينى ، والمقصود الحلف بكل «ما» حلف بالله ، والمراد بالابن الحسين عليه السلام ، وربما يقرأ بصيغة التثنية إشارة إلى الحسن والحسين عليهما السلام .

الحديث السادس : ضعيف .

«و القضيبي» : الفصن ، واليد : القدرة «فأنهم أعلم منكم» أى فى كل ما تريدون تعليمهم فيه ، فلا يرد أن العالم قد يعلم الأعم «أن لا يفرق بينهم وبين الكتاب» أى يجعلهم الحافظين للكتاب ، المفسرين له ، العاملين به ، الداعين إليه وإلى العمل به ، والمراد بالأصبعين السبابتان في اليدين «و صنعاء» ممدودة قصبة فى اليمن .

«و إيلة» فى أكثر النسخ هنا بفتح الهمزة وسكون الياء المنشأة التحتانية : قال فى القاموس : إيلة جبل بين مكة والمدينة قرب ينبع ، وبلد بين ينبع ومصر ، وحصن معروف ، وإيلة بالكسر : قرية بباخرز وموضعان آخران «انتهى» وفى أكثر روايات

قَدْحان فضة وذهب عدد النجوم .

٧- الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ، عن محمد بن جمهور ، عن فضالة بن أيوب عن الحسن بن زياد ، عن الفضل بن يسار قال : قال أبو جعفر عليه السلام : وإن الروح والراحة والفلج والعون والنجاح والبركة والكرامة والمغفرة والمعافة واليسر والبشرى والرضوان والقرب والنصر والتمكين والرجاء والمحبة من الله عز وجل

الحوض في ساير الكتب : بضم الألف والباء الموحدة واللام المشددة ، وهي بلد قرب بصرة في الجانب البحري ولعله موضع البصرة اليوم .

«و القدحان» بضم القاف وسكون الدال جمع قدح بالتحريك ، وهو إناء يروى الرّجلين ، أو إسم يجمع الصغار والكبار ، و « عدد » منصوب بنزع الخافض ، أي بعدد ، ويعبر بعدد النجوم عن الكثرة بحيث لا يحصى ، لأن ما يحصل به المجرة من النجوم لا يمكن إحصاؤه .

الحديث السابع : ضعيف .

وكأنه سقط منه « قال رسول الله صلى الله عليه وآله » كما يظهر من آخر الخبر .
والروح بالفتح نسيم الرياح ، والمراد هنا روح الجنة أو النفخات القدسية ، والفلج بالجيم بمعنى الغلبة ، وفي بعض النسخ بالحاء المهملة وهو محرّكة الفوز والنجاة والبقاء في الخير كما في القاموس ، والعون : الاعانة على الخيرات ، والنجاح : الفوز بالمطلوب ، والبركة : الثبات في الخير أو النماء والزيادة في الخيرات الدنيوية والسعادات الآخروية ، والكرامة : الشرف والقرب عند الله ، والمعافة : دفع الله عنه مكاره الدنيا والعقبي ، واليسر : رفع العسر فيهما ، والبشرى : الاخبار بما يسر أي عند الموت أو الأعم ، والرضوان بالكسر والضم ، أي الرضا من الله والقرب منه تعالى ، والنصر على الأعداء الظاهرة والباطنة ، والتمكين : أي الاقتدار على جلب المنافع ودفع المكروه ، أو المنزلة عند الله .

وقوله : « من الله » متعلق بالجميع أو بالأخير فقط ، « حقاً عليّ » أي حقاً

لمن تولى علياً وائتمّ به ، وبرىء من عدوّه ، وسلم لفضله وللاوصياء من بعده ، حقّاً عليّ أن أدخلهم في شفاعتي وحقّ عليّ ربّي تبارك وتعالى أن يستجيب لي فيهم ، فإنّهم أتباعي ومن تبعني فإنّه منّي .

﴿ باب ﴾

﴿ ان اهل الذكر الذين امر الله الخلق بسؤالهم هم الائمة عليهم السلام ﴾

١ - الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ، عن الوشاء ، عن عبدالله بن عجلان ، عن ابي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ : « فاسألوا اهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » ^(١)

حقّاً عليّ وثبت ولزم ، ويحتمل أن يكون حقّاً تأكيداً للجملة السابقة نحو : لا إله إلا الله حقّاً إحترافاً عن إنتحل التوكلي ولم يتصف به ، فيكون «عليّ» إبتداء الكلام اي واجب ولازم عليّ إدخالهم في شفاعتي ، وحقّ عليّ ربّي أي واجب عليه أن يستجيب دعائي فيهم ، ويمكن أن يقرء حقّ بصيغة الماضي المجهول « فإنّهم أتباعي » في جميع الامور «و من تبعني» كذلك «فاته منّي» وكعضوي بل كنفسى كما قال تعالى : « فمن تبعني فاته منّي » ^(٢) وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : عليّ منّي وأنا من عليّ .

باب ان اهل الذكر الذين امر الله الخلق بسؤالهم هم الائمة عليهم السلام

الحديث الاول : ضعيف على المشهور .

« فاسئلوا اهل الذكر » قال الطبرسي (ره) : فيه أقوال : « احدها » انّ المعني بذلك اهل العلم بأخبار من مضى من الامم ، سواء كانوا مؤمنين أو كفّاراً وسمّي العلم ذكراً لانّ الذكر منعقد بالعلم « وثانيها » أن المراد بأهل الذكر اهل الكتاب عن ابن عباس ومجاهد ، اي فاسئلوا اهل التوراة والانجيل إن كنتم لا تعلمون ، يخاطب مشركي مكّة ، و ذلك أنّهم كانوا يصدّقون اليهود والنصارى فيما كانوا يخبرون به من كتبهم ،

قال رسول الله ﷺ : الذكر أنا و الائمة اهل الذكر ، و قوله عزّ و جل : « و إنه لذكر لك و لقومك و سوف تسألون ، ^(١) قال أبو جعفر عليه السلام : نحن قومه و نحن المسؤولون .

لأنهم كانوا يكذبون النبي ﷺ لشدة عداوتهم «وثالثها» أن المراد به أهل القرآن ، لأن الذكر هو القرآن عن ابن زيد ، ويقرب منه ما رواه جابر و محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال : نحن أهل الذكر ، وقد سمى الله رسوله ذكراً في قوله : « ذكرأ رسولاً ، على أحد الوجهين ، انتهى .

و اقول : يظهر من الاخبار لكونهم عليهم السلام أهل الذكر وجه آخر ، و هو أن الذكر القرآن و هم أهل القرآن كما يؤمى اليه آخر الخبر ، وروي الصفار في البصائر بأسانيد حجة عن الباقر عليه السلام في تفسير هذه الآية أنه قال : الذكر القرآن و نحن أهلها ، و نحن المسؤولون ، وهذا التفسير مما روثه العامة أيضاً .

روى الشهرستاني في تفسيره المسمى بمفاتيح الاسرار عن جعفر بن محمد عليه السلام أن رجلاً سأله فقال : من عندنا يقولون في قوله تعالى : « فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون » أن الذكر هو التوراة و أهل الذكر هم علماء اليهود ؟ فقال عليه السلام : و الله إذن يدعوننا إلى دينهم ، بل نحن و الله أهل الذكر الذين أمر الله تعالى بردّ المسئلة إلينا ، قال : وكذلك نقل عن علي عليه السلام أنه قال : نحن أهل الذكر .

و روى السيد في الطرائف ، و العلامة في كشف الحق نقلاً عن تفسير محمد بن مؤمن الشيرازي من علماء الجمهور ، واستخرجه من التفاسير الاثني عشر عن ابن عباس في قوله تعالى : « فاسئلوا أهل الذكر » قال : هو محمد و علي و فاطمة و الحسن و الحسين عليه السلام ، هم أهل الذكر و العلم و العقل و البيان ، و هم أهل بيت النبوة و معدن الرسالة و مختلف الملائكة ، و الله ما سمى المؤمن مؤمناً إلا كرامة لأمير المؤمنين عليه السلام ، قالوا : و رواه سفيان الثوري عن السدي عن الحارث .

« و إنه لذكر لك و لقومك » قال الطبرسي (ره) : أي و أن القرآن الذي أوحى

٢- الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ، عن محمد بن أورمة ، عن علي بن حسان ، عن عمه عبد الرحمن بن كثير قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » قال : الذكر محمد عليه السلام و نحن أهل المسؤولون ، قال : قلت : قوله : « وإنه لذكر لك ولقومك » سوف تسألون ، قال : إيانا عنى و نحن أهل الذكر و نحن المسؤولون .

٣- الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ، عن الوشاء قال : سألت الرضا عليه السلام فقلت له : جعلت فداك « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » ؟ فقال : نحن أهل الذكر و نحن المسؤولون ، قلت : فأنتم المسؤولون و نحن السائلون ؟ قال : نعم ، قلت : حقاً علينا أن نسألكم ؟ قال : نعم ، قلت : حقاً عليكم أن تجيبونا ؟ قال : لا ، ذاك إلينا

إليك لشرف لك ولقومك من قريش عن ابن عباس و السدي ، و قيل : ولقومك ، أي للعرب لأن القرآن نزل بلغتهم ، ثم يختص ذلك الشرف بالأخص فالأخص من العرب ، حتى يكون الشرف لقريش أكثر من غيرهم ، ثم لبني هاشم أكثر من غيرهم ممّا يكون لقريش « سوف تسألون » عن شكر ما جعله الله لكم من الشرف ، و قيل : تسألون عن القرآن و ممّا يلزمكم من القيام بحقه ، انتهى .

و اقول : على تفسيره عليه السلام يحتمل أن يكون الذكر في الآية بمعنى المذكر « سوف تسألون » أي أنت و قومك عن معاني القرآن الى آخر الزمان ؛ و هذا أنسب بظاهر الخطاب كما لا يخفى على ذوى الالباب .

الحديث الثاني : ضعيف .

« إيانا عنى » تفسير لقوله تعالى : « لقومك » .

الحديث الثالث : ضعيف على المشهور .

« ذاك إلينا » أي لم يفرض علينا جواب كل سائل و كل سؤال ؛ بل إنّما يجب عند عدم التقيّة و تجويز التأثير ؛ و كون السائل قابلاً لفهم الجواب ؛ فلا ينافي ما مرّ من وجوب تعليم الجهّال على العلماء ، و لعلّ الاستشهاد بالآية على وجه التنظير أي

إن شئنا فعلنا وإن شئنا لم نفعل ، أما تسمع قول الله تبارك وتعالى : « هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب » ^(١) .

٤- عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن النضر بن سويد ، عن عاصم بن حميد ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل : « وإنه لذكر لك ولقومك » وسوف تسألون ، فرسول الله ﷺ الذكر وأهل بيته عليهم السلام المسؤولون وهم أهل الذكر .

كما أن الله تعالى خير سليمان بين المنّ وهو العطاء والامساك في الامور الدنيوية ، كذلك فوض إلينا في بذل العلم ، ويحتمل أن يكون في سليمان عليه السلام ايضاً بهذا المعنى أو الأعم .

قال البيضاوي : « هذا عطاؤنا » أي هذا الذي أعطيناك من الملك والبسط والتسلط على مالم يسلط به غيرك عطاؤنا « فامنن أو أمسك » فاعط من شئت وامنع من شئت « بغير حساب » حال من المستكن في الامر ، أي غير محاسب علي منه ، وإمساكه لتفويض التصرف فيه إليك ، أو من العطاء أو صلة وما بينهما اعتراض ، والمعنى أنه عطاء جم لا يكاد يمكن حصره .

الحديث الرابع : صحيح ، ولعل فيه اسقاطاً أو تبديلاً لاحدي الآيتين بالآخرى من الرواة أو النسخ .

وربما يأول بتقدير مضاف أي فرسول الله ذو الذكر أو المذكر ، لأن اللام في قوله : « لك ولقومك » للتعليل لا للاتفاق ، لأنه لا يختص به وبقومه ، بل هو شامل للعالمين « وأهل بيته » عطف على رسول الله « والمسؤولون » نعت لأهل بيته ، أو مبتداء وخبر ، والفرض أن العمدة والمتصود الأصلي في هذا الخطاب كون أهل بيته المسؤولون وقوله : « وهم أهل الذكر » إشارة إلى تفسير الآية الاخرى يعني أنهم جامعون لكونهم ذكراً ولكونهم أهل الذكر .

٥- أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن حماد ، عن ربعي ، عن الفضيل ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تبارك و تعالى : « وإنه لذكر لك و لقومك و سوف تسألون » قال : الذكر القرآن و نحن قومه و نحن المسؤولون .

٦- محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسين ، عن محمد بن إسماعيل ، عن منصور بن يونس ، عن أبي بكر الحضرمي ، قال : كنت عند أبي جعفر عليه السلام و دخل عليه الورد أخوالكميت فقال : جعلني الله فداك اخترت لك سبعين مسألة ما تحضرنى منها مسألة واحدة ، قال : ولا واحدة يا ورد ؟ قال : بلى قد حضرنى منها واحدة ، قال وما هي ؟ قال : قول الله تبارك و تعالى : « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » من هم ؟ قال : نحن ، قال : قلت : علينا أن نسألكم ؟ قال : نعم ، قلت : عليكم أن تجيبونا ؟ قال : ذاك إلينا .

٧- محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسين ، عن صفوان بن يحيى ، عن العلاء بن رزين عن محمد بن مسلم ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إن من عندنا يزعمون أن قول الله عز و جل : « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » أنهم اليهود و النصارى ،

الحديث الخامس : صحيح .

« الذكر القرآن » بيان لمرجع الضمير ، و ضمير « قومه » للمخاطب في ذلك « و نحن المسؤولون » أي المقصود بالسؤال أو منهم .

الحديث السادس : حسن موثق .

و الكميت بن زيد من الشعراء المشهورين و كان مداحاً لأهل البيت عليهم السلام « و لا واحدة » بتقدير الاستفهام « قال بلى » إما مبني على حضور الواحدة بعد نسيان الكل أو حمل أوّل الكلام على المبالغة .

الحديث السابع : صحيح .

« إن من عندنا » أي من المخالفين « أنهم » بالفتح بدل « أن قول الله » و الضمير

قال : إذا يدعونكم إلى دينهم ! قال : - قال بيده إلى صدره - نحن أهل الذكر ونحن المسؤولون .

٨ - عِدَّةٌ من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن الوشاء ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : سمعته يقول : قال علي بن الحسين عليه السلام : على الأئمة من الفرض ما ليس على شيعتهم ، وعلى شيعتنا ما ليس علينا ، أمرهم الله عز وجل أن يسألونا ، قال : « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » ، فأمرهم أن يسألونا وليس علينا الجواب ، إن شئنا أجبنا وإن شئنا أمسكنا .

٩ - أحمد بن محمد ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال : كتبت إلى الرضا عليه السلام كتاباً فكان في بعض ما كتبت : قال الله عز وجل : « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » ، وقال الله عز وجل : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل

لأهل الذكر » إلى صدره « متعلق بقال بتضمنين معنى الإشارة ، أو القول بمعنى الفعل كما هو الشايح .

الحديث الثامن : صحيح .

« على الأئمة عليهم السلام من الفرض ، مثل خشونة الملابس و جشوبة المأكول كما سيأتي » و على شيعتنا ، إلتفات أو إبتداء كلام من الرضا عليه السلام .

الحديث التاسع : صحيح .

« ما كان المؤمنون » أي ما استقام لهم « أن ينفروا » كلهم إلى أهل العلم لطلبه لأن ذلك يوجب اختلال نظام معاشهم « فلولا » أي فهلاً « نفر من كل فرقة » كثيرة « طائفة » قليلة « ليتفقهوا في الدين و لينذروا قومهم » من مخالفة الرب « إذا رجعوا إليهم » .

و استدلال به على أن طلب العلم واجب كفاي ، و على حجية خبر الواحد ، و في الآية وجه آخر ، وهو أنها نزلت في شأن المجاهدين أي ما كان لهم أن ينفروا كافة إلى الجهاد ، بل يجب أن ينفر من كل فرقة طائفة ليتفقهه الباقيون و لينذروا

فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون^(١)،
فقد فرضت عليهم المسألة ، ولم يفرض عليكم الجواب ؟ قال : قال الله تبارك و تعالى :
« فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه »^(٢).

﴿ باب ﴾

﴿ ان من وصفه الله تعالى في كتابه بالعلم هم الائمة عليهم السلام ﴾

١ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن عبدالله بن المغيرة ، عن عبد المؤمن بن
القاسم الأنصاري ، عن سعد ، عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ و جلّ :
« هل يستوي الذين يعلمون و الذين لا يعلمون إنما يتذكرأولوا الألباب »^(٣) قال
أبو جعفر عليه السلام : إنما نحن الذين يعلمون ، والذين لا يعلمون عدونا ، وشيعتنا
أولوا الألباب.

٢ - عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن النضر بن سويد ،
عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله عزّ و جلّ : « هل يستوي الذين يعلمون و الذين

قومهم إذا رجع النافرون إليهم ، فتدلّ على أنّ الجهاد واجب كفائيّ .
« قال » اى كتب « قال الله تبارك و تعالى ، لعله عليه السلام فسرّ الآية بعدم وجوب
التبليغ عند اليأس من التأثير كما هو الظاهر من سياقها ، و الحاصل أنّ عدم الجواب
للتفتية و المصلحة ، و قيل : لعلّ المراد أنّه لو كنّا نجيبكم عن كلّ ما سئلتهم فربّما
يكون في بعض ذلك ما لاستجيبونا فيه ، فتكونون من أهل هذه الآية ، فالاولى بحالكم
ألاّ نجيبكم إلّا فيما نعلم أنكم تستجيبونا فيه .

باب أن من وصفه الله تعالى في كتابه بالعلم هم الائمة صلوات الله عليهم

الحديث الاول : مجهول .

الحديث الثاني : صحيح .

« هل يستوي الذين » الاستفهام للانكار و المراد يعلمون كلّ ما تحتاج إليه

(١) سورة التوبة : ١٢٣ .

(٢) سورة القصص : ٥٠ .

(٣) سورة الزمر : ٩ .

لا يعلمون إنما يتذكروا ولولا الألباب، قال: نحن الذين يعلمون وعدوؤنا الذين لا يعلمون
وشيعتنا أولوا الألباب.

﴿باب﴾

﴿ان الراسخين في العلم هم الائمة عليهم السلام﴾

١ - عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ ، عَنْ النَّضْرِ بْنِ
سُوَيْدٍ ، عَنْ أَيُّوبَ بْنِ الْحَرَّ وَ عُمَرَ بْنِ عَلِيٍّ ، عَنْ أَبِي بصيرٍ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ :
نَحْنُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ وَ نَحْنُ نَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ .

الامة «و الذين لا يعلمون» جميع ذلك «انما يتذكر اولوا الالباب» اي أصحاب العقول
السليمة ، فانهم يعلمون فضل أهل العلم على غيرهم ، و مصداقهم الشيعة ، لأنهم
إختاروا إمامة الأعلّم وفضّلوه على غيره ، وبالجمله هذه الآية تدلّ على إمامة أئمّتنا
عليهم السلام ، إذ تدلّ على أن مناط الفضل و معياره العلم ، ولا ريب في أن أئمّتنا عليهم السلام في
كلّ عصر كانوا أعلّم من المدّعين للخلافة من غيرهم .

باب ان الراسخين في العلم هم الائمة عليهم السلام

الحديث الاول (١) :

« نحن الراسخون في العلم » إشارة إلى قوله سبحانه : « هو الذي أنزل عليك
الكتاب منه آيات محكمات هن أمّ الكتاب » اي أصله «و آخر متشابهات» و اختلف
في تفسير المحكم و المتشابه ، ف قيل : المحكم ما علم المراد بظاهره من غير قرينة ، و
المتشابه ما لا يعلم المراد بظاهره حتّى يقرن به ما يدلّ على المراد منه لا لباسه ، و
قيل : المحكم ما لا يحتمل من التأويل إلاّ وجهاً واحداً ، و المتشابه ما يحتمل وجهين
فضاعداً ، و قيل : المحكم ما يعلم تعيين تأويله ، و المتشابه ما لم يعلم تعيين تأويله
كقيام الساعة .

قال تعالى : « فأما الذين في قلوبهم زيغ » أي ميل عن الحق « فيتبعون ما تشابه

٢ - علي بن محمد ، عن عبد الله بن علي ، عن إبراهيم بن إسحاق ، عن عبد الله بن حماد ، عن بريد بن معاوية ، عن أحدهما عليهما السلام في قول الله عزّ وجلّ : « وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم » ^(١) فرسول الله صلى الله عليه وآله أفضل الراسخين في العلم ، قد علّمه الله عزّ وجلّ جميع ما أنزل عليه من التنزيل والتأويل ، وما كان الله لينزل

منه ، أي يحتجّون به على باطلهم « ابتغاء الفتنة » أي لطلب الضلال والاضلال وإفساد الدين على الناس ، وروى عن الصادق عليه السلام أن الفتنة هي الكفر « وابتغاء تأويله ، أي ولطلب تأويله على خلاف الحق .

« وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم » قال الطبرسي رحمه الله : أي الثابتون في العلم ، الضابطون له المتقنون فيه ، واختلف في نظمه وحكمه على قولين : « أحدهما » أن الراسخون معطوف على الله بالواو على معنى أن تأويل المتشابه لا يعلمه إلا الله وإلا الراسخون في العلم ، فانهم يعلمونه « ويقولون » على هذا في موضع النصب على الحال ، وتقديره قائلين « آمنّا به كلّ من عند ربنا » وهذا قول ابن عباس ومجاهد والريبع ومحمد بن جعفر بن الزبير ، وإختيار أبي مسلم ، وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام ، والقول الآخر : أن الواو في قوله « و الراسخون » واو الاستيناف فعلى هذا القول يكون تأويل المتشابه لا يعلمه إلا الله تعالى ، والوقف عند قوله : « إلا الله » ويبتدء بـ « و الراسخون في العلم يقولون آمنّا به » فيكون مبتداء وخبراً ، وهؤلاء يقولون أن الراسخين لا يعلمون تأويله ، ولكنهم يؤمنون به « كلّ من عند ربنا » معناه المحكم والمتشابه جميعاً من عند ربنا ، « وما يذكر » أي وما يتفكر في آيات الله ولا يرد المتشابه إلى المحكم « إلا أولوا الالباب » أي ذوّوا العقول .

الحديث الثاني : ضيف .

« من التنزيل » أي المدلول المطابق أو التضمني ، والتأويل أي المعنى الالتزامي ، ما يوافق ظاهر اللفظ ، والتأويل ما يصرف إليه اللفظ لفريضة أو دليل عقلي أو نقلي ،

عليه شيئاً لم يعلمه تأويله ، وأوصياؤه من بعده يعلمونه كله ، والذين لا يعلمون تأويله إذا قال العالم فيهم بعلم ، فأجابهم الله بقوله : « يقولون آمناً به كلٌّ من عند ربنا » والقرآن خاصٌ وعامٌ ومحكمٌ ومتشابهٌ وناسخٌ ومنسوخٌ ، فالراسخون في العلم يعلمونه .

« والذين لا يعلمون » مبتداء وجملة الشرط والجزاء خبره ، وقيل : قوله : فأجابهم خبر، وفيه بعد لخلو الشرط عن الجزاء إلا بتقدير ، والمراد بالذين لا يعلمون الشيعة ، أي الشيعة والمؤمنون .

« إذا قال العالم » أي الامام عليه السلام « فيه » ^(١) أي في القرآن وفي تأويل المتشابه ، وفي بعض النسخ « فيهم » أي الامام الذي بين أظهركم ، فالظرف حال عن العالم « بعلم » أي بالعلم الذي أعطاه الله وخصه به « يقولون » أي الشيعة في جواب الامام بعد ما سمعوا التأويل منه « آمناً به » فالضمير في قوله : فأجابهم راجع إلى الراسخين ، أي أجابهم من قبل الشيعة ، ويحتمل إرجاعه إلى الشيعة على طريقة الحذف و الاتصال أي أجاب لهم ، وقيل : معنى فأجابهم : قبل قولهم ومدحهم ، فالضمير راجع إلى الشيعة .

وفي بعض النسخ « والذين يعلمون » بدون حرف النفي ، أي الذين يعلمون من الشيعة بتعليم الامام والأول أصوب ، وقيل على الاول : الذين عطف على « أوصياؤه من بعده » بتقدير والذين لا يعلمون تأويله يعلمونه كله « فيهم » حال للعالم ، والمراد أن الشيعة الامامية يعلمون تأويل ما تشابه كله بشرطين : « الاول » أن يكون الامام العالم حاضراً فيهم لا غائباً عنهم ، فان الغائب لا يفيد قوله العلم إلا إذا تواتر ، وقلما يكون « والثاني » أن يعلمهم الامام العالم بأن لا يكون كلامه في تأويل ما تشابه عن تقيّة ، وقوله : فأجابهم الله لافادة أن جملة يقولون استيناف بياني لجواب سؤال مقدّر ، ولا يخفي ما فيه .

(١) هذا التفسير على ما في بعض النسخ وفي المتن « فيهم » .

٣ - الحسين بن محمد ، عن معلّى بن محمد ، عن محمد بن أورمة ، عن علي بن حسان عن عبدالرحمن بن كثير ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : الراسخون في العلم أمير المؤمنين والأئمة من بعده عليهم السلام .

﴿ باب ﴾

﴿ ان الأئمة قد أوتوا العلم و اثبت في صدورهم ﴾

١ - أحمد بن مهران ، عن محمد بن علي ، عن حماد بن عيسى ، عن الحسين بن المختار ، عن أبي بصير قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول في هذه الآية : « بل هو آيات بيّنات في صدور الذين أوتوا العلم » ^(١) فأومأ بيده إلى صدره .

الحديث الثالث : ضعيف .

« أمير المؤمنين » أي بعد الرسول صلى الله عليه وآله .

باب ان الأئمة (ع) قد أوتوا العلم و اثبت في صدورهم

الحديث الاول : ضعيف .

« بل هو آيات بيّنات في صدور الذين أوتوا العلم » ^(١) قال الطبرسي قدس سرّه : يعني أن القرآن دلالات واضحات في صدور العلماء وهم النبي صلى الله عليه وآله والمؤمنون به ، لأنهم حفظوه ودعوه ورسخ معناه في قلوبهم ، وقيل : هم الأئمة من آل محمد عليهم السلام عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام ، وقيل : إن « هو » كناية عن النبي صلى الله عليه وآله ، أي إنه في كونه أمياً لا يقرء ولا يكتب « آيات بيّنات » في صدور العلماء من أهل الكتاب لأنه منعوت في كتبهم بهذه الصفة ، انتهى .

« فأومأ بيده إلى صدره » الإيماء للإشارة إلى أن المراد بالذين أوتوا العلم الأئمة الذين أنعمهم عليهم السلام ، فالمراد بالعلم علم جميع القرآن ظهره وبطنه ومحكمه ومتشابهه ، بحيث لا يذهب عنهم بسهولة ولا نسيان .

الحديث الثاني : ضعيف .

٢- عنه ، عن محمد بن علي ، عن ابن محبوب ، عن عبد العزيز العبدى ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل : « بل هو آيات بيّنات في صدور الذين اوتوا العلم » قال : هم الائمة عليهم السلام .

٣- وعنه ، عن محمد بن علي ، عن عثمان بن عيسى ، عن سماعة ، عن أبي بصير ، قال : قال أبو جعفر عليه السلام في هذه الآية : « بل هو آيات بيّنات في صدور الذين اوتوا العلم » ... ثم قال : أما والله يا أبا عبد الله ما قال بين دفعتي المصحف ؟ قلت : من هم جعلت فداك ؟ قال : من عسى أن يكونوا غيرنا ؟

الحديث الثالث : ضعيف .

د قال أبو جعفر عليه السلام هذه الآية ، اي قرءها ، و في بعض النسخ « في هذه » اي قرئها و فسرّها .

قوله عليه السلام : « أما والله » أما بالتخفيف حرف استفتاح ، و أبو محمد كنية أخرى لأبي بصير ، و كلمة « ما » في قوله : « ما قال » نافية أى لم يقل أن الآيات بين دفعتي المصحف أى جلديه الذين يحفظان أوراقه ، بل قال « في صدور الذين اوتوا العلم » ليعلم أن القرآن حمله يحفظونه عن التحريف في كل زمان ، و هم الائمة عليهم السلام ، و يحتمل على هذا أن يكون الظرف في قوله : « في صدور » متعلقاً بقوله « بيّنات » فاستدل عليه السلام به على أن القرآن لا يفهمه غير الائمة عليهم السلام ، لأنه تعالى قال : الآيات بيّنات في صدور قوم ، فلو كانت بيّنة في نفسها لما قيد كونها بيّنة بصدور جماعة مخصوصة .

و يحتمل أن تكون كلمة (ما) موصولة فيكون بياناً لمرجع ضمير (هو) في الآية ، أى الذي قال تعالى انه آيات بيّنات هو ما بين دفعتي المصحف لكنّه بعيد جدّاً .

« من عسى أن يكونوا » الاستفهام للإنكار .

٤- محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسين ، عن يزيد شعر ، عن هارون بن حمزة عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سمعته يقول : «بل هو آيات بيّنات في صدور الذين أوتوا العلم» قال : هم الأئمة عليهم السلام خاصّة .

د- عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن محمد بن الفضيل قال : سأله عن قول الله عزّ وجلّ : «بل هو آيات بيّنات في صدور الذين أوتوا العلم» قال : هم الأئمة عليهم السلام خاصّة .

باب

❦ (في أن من اصطفاه الله من عباده واورثهم كتابه هم الأئمة عليهم السلام) ❦

١- الحسين بن محمد ، عن معلّى بن محمد ، عن محمد بن جمهور ، عن حماد بن عيسى عن عبد المؤمن ، عن سالم قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : «ثم أوردنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات

الحديث الرابع : صحيح على الظاهر .

الحديث الخامس : مجهول .

باب في أن من اصطفاه الله من عباده واورثهم كتابه هم الأئمة (ع)

الحديث الاول (١) .

«ثم أوردنا الكتاب» قال الطبرسي (ره) أى القرآن أو التوراة أو مطلق الكتب الذى اصطفيناه من عبادنا، قيل: هم الانبياء وقيل: هم علماء أمة محمد صلى الله عليه وآله، والمروى عن الباقر والصادق عليهما السلام أنهما قالا: هي لنا خاصّة وإيانا عنا ، وهذا أقرب الأقوال .

«فمنهم ظالم لنفسه» اختلف في مرجع الضمير على قولين : «احدهما» أنّه يعود إلى العباد واختاره المرتضى رضى الله عنه «والثاني» أنّه يعود إلى المصطفين ، ويؤيده ما ورد في الحديث عن أبي الدرداء قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في الآية : أمّا

(١) كذا في النسخ .

بإذن الله^(١) قال: السابق بالخيرات: الإمام، والمقتصد: العارف للإمام، والظالم لنفسه: الذي لا يعرف الإمام.

٢- الحسين، عن معلّى، عن الوشاء، عن عبد الكريم، عن سليمان بن خالد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قوله تعالى: «ثم أوردنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا»، فقال: أي شيء تقولون أتم؟ قلت: تقول إنها في الفاطميين؟ قال: ليس

السابق فيدخل الجنة بغير حساب، وأما المقتصد فيحاسب حساباً يسيراً، وأما الظالم لنفسه فيحبس في المقام ثم يدخل الجنة، فهم الذين قالوا «الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن»^(١).

وروى اصحابنا عن زياد بن المنذر عن أبي جعفر عليه السلام: أما الظالم لنفسه منا فهو عمل عملاً صالحاً وآخر سيئاً، وأما المقتصد فهو المتعبد المجتهد، وأما السابق بالخيرات فعلى الحسن والحسين عليهم السلام، ومن قتل من آل محمد شهيداً بإذن الله، انتهى.

والظاهر من أخبار هذا الباب وغيرها مما ذكرناه في كتابنا الكبير أن الضمائر راجعة إلى أهل البيت عليه السلام وسائر الذرية الطيبة، والظالم الفاسق منهم، والمقتصد الصالح منهم، والسابق بالخيرات الإمام، ولا يدخل في تلك القسمة من لم تصح عقيدته منهم أو ادعى الإمامة بغير حق، أو الظالم من لم تصح عقيدته، والمقتصد من صحّت عقيدته ولم يأت بما يخرجّه عن الإيمان، فعلى هذا الضمير في قوله تعالى: «جنّات عدن يدخلونها» راجع إلى المقتصد والسابق، لا الظالم، وعلى التقديرين المراد بالاصطفاء إن الله تعالى إصطفى تلك الذرية الطيبة بأن جعل منهم أوصياء وائمة، لانه إصطفى كلاً منهم، وكذا المراد بإيراث الكتاب أنه أورثه بعضهم، وهذا شرف للكل إن لم يضيّعوه.

الحديث الثاني: ضيف.

«أي شيء تقولون» أي معشر الزيدية القائلين بأن كل من خرج بالسيف

حيث تذهب ليس يدخل في هذا من أشار بسيفه ودعا الناس إلى خلاف ، فقلت : فأى شيء الظالم لنفسه؟ قال : الجالس في بيته لا يعرف حق الإمام ، والمقتصد : العارف بحق الإمام ، و السابق بالخيرات : الامام .

٣- الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ، عن الحسن ، عن أحمد بن عمر قال : سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن قول الله عز وجل : « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا » الآية ، قال : فقال : ولد فاطمة عليها السلام والسابق بالخيرات : الامام ، والمقتصد : العارف بالامام ، و الظالم لنفسه : الذي لا يعرف الامام .

٤- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن محبوب ، عن أبي ولاد قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل : « الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته

من أولاد فاطمة عليها السلام فهو إمام مقترض الطاعة ، و كان سليمان ممتن خرج مع زيد فقطعت إصبه ، ولم يخرج معه من أصحاب أبي جعفر عليه السلام غيره ، لكن قالوا : أنه تاب من ذلك و رجع إلى الحق قبل موته ، و رضى أبو عبد الله عليه السلام منه بعد سخطه ، و توجع بموته .

« ليس حيث تذهب » أى من شموله لكل الفاطميين « من أشار بسيفه » أى دلّ الناس على إمامته جبراً بسيفه أو رفع سيفه للدعوة إلى إمامته ، قال الفيروز آبادى أشار إليه : أو ما ، و أشار عليه بكذا أمره به ، وأشار النار وبها : رفعها .

الحديث الثالث : ضيف على المشهور .

قوله عليه السلام : « ولد فاطمة » أى هم معظمهم وأكثرهم ، و إلا فالظاهر دخول أمير المؤمنين صلوات الله عليه فيهم .

الحديث الرابع : صحيح .

« الذين آتيناهم الكتاب » قال الطبرسى (ره) قيل : نزلت في أهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن أبي طالب من الحبشة ، و قيل : هم من آمن من اليهود ، و قيل : هم أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

أولئك يؤمنون به»^(١) قال : هم الائمة عليهم السلام.

«يتلونه حقّ تلاوته» قال : اختلف في معناه على وجوه «أحدها» أنهم يتبعونه
يعنى التوراة أو القرآن حقّ اتباعه ، ولا يحرّفونه ثمّ يعملون بحلاله و يقفون عند
حرامه «و ثانيها» أن المراد يصفونه حقّ صفته في كتبهم لمن يسألهم من الناس ، وعلى
هذا يكون الهاء راجعة إلى محمد وآله وعلّيته «و ثالثها» ما روى عن أبي عبد الله عليه السلام «إنّ
حقّ تلاوته هو الوقوف عند ذكر الجنة و النار ، يسئل في الأوّل و يستعيز في الاخرى
«و رابعها» أن المراد يقرؤنه حقّ قراءته ، يرتلون ألفاظه و يفهمون معانيه «و
خامسها» أن المراد يعملون حقّ العمل به فيعملون بمحكمه و يؤمنون بمتشابهه ،
و يكونون ما أشكل عليهم إلى عالمه ، «أولئك يؤمنون به» اي بالكتاب ، و قيل :
بالنبي ، انتهى .

و أقول : على تفسيره عليه السلام لعلّ المراد الذين أوردناهم القرآن لفظاً و معنى ،
فانّ جميع القرآن عندهم و علم جميعه مختصّ بهم ، و جملة «يتلونه» خبر المبتداء «و
حقّ تلاوته» قراءته كما نزل به جبرئيل بدون زيادة و لا نقصان في اللفظ ، و لا في
حر كانه و سكناته ، و بدون تغيير في ترتيب نزوله مع فهم جميع معانيه ظهراً و بطناً ،
و معلوم أن قرائته على الوجه المذكور مخصوص بهم عليهم السلام ، لما سيأتى أنّه لا يجمع
القرآن غيرهم ، ولا يعلم معاني القرآن إلّا هم ، وهم المؤمنون به حقاً إنمن لم يعرف
جميع معانيه لا يؤمن به حقّ الايمان .

﴿ باب ﴾

﴿ ان الائمة في كتاب الله امامان : امام يدعو الى الله ﴾

﴿ وامام يدعو الى النار ﴾

١- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسن بن محبوب ، عن عبد الله بن غالب ، عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال : لما ترات هذه الآية : « يوم ندعوا كلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ » ^(١) قال المسلمون : يا رسول الله أَلست إمام الناس كلهم أجمعين ؟ قال : فقال رسول الله عليه السلام : أنا رسول الله إلى الناس أجمعين و لكن سيكون من بعدي أئمة على الناس من الله من أهل بيتي ، يقومون في الناس فيكذبون ، و يظلمهم أئمة الكفر و الضلال و أشياعهم ، فمن و الاهم و اتبعهم و صدقهم فهو مني و معي و سيلقاني ، ألا ومن ظلمهم و كذبهم فليس مني و لا معي وأنا منه بريء .

باب ان الائمة في كتاب الله امامان امام يدعو الى الله و امام يدعو الى النار

الحديث الاول : صحيح .

« يوم ندعوا كلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ » قال الطبرسي (ره) فيه أقوال : « أحدها » أن معناه نبيتهم ، و هذا معنى ما رواه ابن جبير عن ابن عباس ، وروي أيضاً عن علي عليه السلام أن الأئمة إمام هدى و إمام الضلالة ، ورواه الوالبي عنه : بائمتهم في الخير و الشر « و ثانيها » معناه بكتابتهم الذي أنزل عليهم « و ثالثها » بمن كانوا يأتون به من علمائهم و أئمتهم ، و يجمع هذه الأقوال ما رواه الخاص و العام عن الرضا عليه السلام بالاسانيد الصحيحة أنه روى عن آبائه عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : فيه يدعى كلَّ أُناسٍ بإمام زمانهم ، و كتاب ربهم و سنة نبيتهم « و رابعها » بكتابتكم الذي فيه أعمالهم « و خامسها » بآماتهم ، انتهى .

« فيكذبون » على بناء التفعيل بصيغة المجهول « فهو مني » أي من حزبي وأعواني و معي في الآخرة .

٢ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ؛ و محمد بن الحسين ، عن محمد بن يحيى عن طلحة بن زيد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال : إن الأئمة في كتاب الله عز وجل إمامان قال الله تبارك وتعالى : « وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا » ^(١) لا بأمر الناس يقدّمون أمر الله قبل أمرهم ، وحكم الله قبل حكمهم ، قال : « وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار » ^(٢) يقدّمون أمرهم قبل أمر الله ، وحكمهم قبل حكم الله ، و يأخذون بأهوائهم خلاف ما في كتاب الله عز وجل .

الحديث الثاني : ضيف كالموثق .

« وجعلناهم أئمة » اي يقتدى بهم في أقوالهم وأفعالهم يهدون الخلق إلى طريق الجنة بأمرنا « لا بأمر الناس » تفسير لقوله تعالى : « بأمرنا » اي ليس هدايتهم للناس و امامتهم بنصب الناس وأمرهم بل هم منصوبون لذلك من قبل الله تعالى ، و مأمورون بأمره ، أو ليس هدايتهم بعلم مأخوذ من الناس أو بالرأى ، بل بما علم من وحى الله سبحانه وإلهامه كما بيّنه بقوله : « يقدّمون أمر الله قبل أمرهم » والظاهر إرجاع الضمير إلى أنفسهم كما يؤيده الفقرات الآتية ، ويحتمل إرجاعه إلى الناس .

« وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار » قال الطبرسي قدس سره : هذا يحتاج إلى تأويل لأن ظاهره يوجب أنه تعالى جعلهم أئمة يدعون إلى النار ، كما جعل الانبياء أئمة يدعون إلى الجنة ، وهذا ما لا يقول به أحد ، فالمعنى أنه أخبر عن حالهم بذلك وحكم بأنهم كذلك ، وقد تحصل الاضافة على هذا الوجه بالتعارف ، و يجوز أن يكون المراد بذلك أنه لما أظهر حالهم على لسان أنبيائه حتى عرفوا ، فكأنه جعلهم كذلك ، ومعنى دعائهم إلى النار أنهم يدعون إلى الافعال التي يستحق بها دخول النار من الكفر والمعاصي ، انتهى .

وقوله : « خلاف » مفعول مطلق بغير اللفظ ، أو مفعول له كأنهم قصدوا

الخلاف .

(١) سورة المزل : ٢١ .

(٢) سورة القصص : ٢١ .

﴿ باب ﴾

(ان القرآن يهّدي للامام) (١)

١- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسن بن محبوب قال : سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن قوله عز وجل : «و لكل جعلنا موالى ممّا ترك الوالدان

باب اى نادر

الحديث الاول : صحيح .

«و لكل جعلنا موالى» فيه وجوه «الاول» أن المعنى لكل شيء «مما ترك الوالدان و الاقربون» من المال «جعلنا موالى» و رآنا يلونه و يحوزونه فمن للتبيين «الثاني» لكل قوم جعلناهم موالى نصيب مما ترك الوالدان و الاقربون «الثالث» لكل أحد جعلنا موالى مما ترك أي وارثاً ، على أن «من» صلة موالى لأنهم في معنى الوارث ، و في «ترك» ضمير كلّ و فسر الموالى بقوله : «الوالدان و الاقربون» كأنه قيل : من هم ؟ فقيل : «الوالدان و الاقربون و الذين عقدت أيمانكم» هكذا قرء الكوفيون و قرء الباقر «عقدت» و هو مبتداء ضمن معنى الشرط ، فقرن خبره و هو «فآتوهم نصيبهم» بالفاء ، و يجوز أن يكون منصوباً على شريطة التفسير ، و يجوز أن يعطف على «الوالدان» و يكون المضمّر في «فآتوهم» للموالى .

قال المفسرون : المراد بالذين عقدت مولى الموالاة ، كان الرّجل يعاقد الرّجل فيقول دمي دمك ، و هدمي هدمك ، و ثاري ثارك ، و حربي حريك ، و سلمى سلمك ، و ترثني و أرثك ، و تعقل عني و أعقل عنك ، فيكون للحليف السّدس من ميراث الحليف ، فنسخ ذلك بقوله : «و أولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله» والميراث بالمعاقدة و المعاهدة المسمّى بضمان الجريرة منسوخ عند الشافعي مطلقاً لا إرث له ، و عندنا ثابت عند عدم الوارث النسبي و السببي ، فلا حاجة إلى القول بنسخ الآية .

(١) هذا العنوان غير موجود في بعض نسخ الكافي ، ومن تفسير الشارح الباب بالنادر

يظهر أيضاً ان نسخه كذلك .

و الأقربون والذين عقدت أيمانكم ^(١) قال : إنما عنى بذلك الأئمة عليهم السلام بهم عقد الله عز وجل أيمانكم .

و قال بعضهم : المعاقدة هنا هي المصاهرة ، و ما ذكره عليه السلام في الخبر هو المتبع ، فيكون إشارة إلى إرث الامام عليه السلام عند فقد سائر الوراث .

« بهم عقد الله عز وجل أيمانكم » لعل المراد بالايان العهود الايمانية ، و عقد الجبل و العهد شده و إحكامه ، أى بولايتهم والاقرار بامامتهم شد الله عهوداً بيمانكم ، و حكم بكونكم مؤمنين في الميثاق و في الدنيا ، فيكون بياناً لحاصل المعنى ، و يكون المراد في الآية عقدت أيمانكم بولايتهم دينكم أو عقدت أيديكم بيعتكم و ولايتهم .

قال في النهاية في حديث ابن عباس في قوله : « و الذين عاقدت أيمانكم » المعاقدة المعاهدة ، و الميثاق و الايمان جمع يمين القسم أو اليد .

و قال الطبرسى رحمه الله في حجة القرائين ، قال أبو على : الذكر الذي يعود من الصلة إلى الموصول ينبغي أن يكون ضميراً منصوباً ، فالتقدير و الذين عاقدتهم أيمانكم ، فجعل الايمان في اللفظ هي المعاقدة ، و المعنى على الحالفين الذين هم أصحاب الايمان ، و المعنى الذين عاقدت حلفهم أيمانكم فحذف المضاف و أقيم المضاف إليه مقامه ، فعاقدت أشبه بهذا المعنى ، لأن لكل نفس ^(٢) من المعاقدين يميناً على المخالفة ، و من قال عقدت أيمانكم كان المعنى عقدت حلفهم أيمانكم فحذف الحلف و أقام المضاف إليه مقامه ، و الذين قالوا « عاقدت » حملوا الكلام على اللفظ ، لأن الفعل لم يسند إلى أصحاب الايمان في اللفظ وإنما أسند إلى الايمان .

(١) سورة النساء : ٣٣ .

(٢) وفي المصدر لكل نفر

٢- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن إبراهيم بن عبد الحميد عن موسى بن أكيل الثميري ، عن العلاء بن سيابة ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ» قال : يهدي إلى الإمام .

﴿ باب ﴾

« أن النعمة التي ذكرها الله عزو جل في كتابه الأئمة عليهم السلام »

١- الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ، عن بسطام بن مرة ، عن إسحاق بن حسان ، عن الهيثم بن واقد ، عن علي بن الحسين العبدى ، عن سعد الأسكاف ، عن الأصبغ بن نباتة قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : ما بال أقوام غيروا سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وعدلوا عن وصيته ؟ لا يتخوفون أن ينزل بهم العذاب ، ثم تلا هذه الآية : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُورِ * جَهَنَّمَ » ^(١) ثم قال : نحن النعمة التي

الحديث الثاني : مجهول .

« التي هي أقوم » أي للملة التي هي أقوم الملل ، والطريقة التي هي أقوم الطرق ، وفسر في الخبر بالإمام ، لأنه الهادى إلى تلك الملة و ولايته الجزء الأخير بل الأعظم منها ، وهو المبين لتلك الطريقة و الداعى إليها ، والقرآن يهدي إليه في آيات كثيرة كما عرفت .

باب ان النعمة التي ذكرها الله في كتابه عزو جل هم الأئمة عليهم السلام

الحديث الاول : ضعيف .

« بدّلوا نعمة الله كُفْرًا » قال الطبرسى (ره) : يحتمل أن يكون المراد ألم تر إلى هؤلاء الكفار عرفوا نعمة الله بمحمد ، أي عرفوا محمداً ثم كفروا به ، فبدّلوا مكان الشكر كُفْرًا ، و روي عن الصادق عليه السلام أنه قال : نحن والله نعمة الله التي أنعم بها على عباده و بنا يفوز من فاز ، و يحتمل أن يكون المراد جميع نعم الله على العموم بدّلوها

أنعم الله بها على عباده ، وبنا يفوز من فاز يوم القيامة .
٢- الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد رفعه في قول الله عز وجل : « فبأي آلاء ربكما تكذبان » :

أفبح التبديل ، و اختلف في المعنى بالآية فروى عن أمير المؤمنين عليه السلام و ابن عباس و ابن جبير وغيرهم أن المراد بهم كفار قريش كذبوا نبئهم ، و نصبوا له الحرب و العداوة ، و سأل رجل أمير المؤمنين عليه السلام عن هذه الآية ؟ فقال : هما الأفجران من قريش بنو أمية و بنو المغيرة ، فأما بنو أمية فمتّعوا إلى حين ، و أما بنو المغيرة فكفيتهم يوم بدر « و أحلّوا قومهم دار البوار » أي أنزلوا قومهم دار الهلاك بأن أخرجوهم إلى بدر ، و قيل : أنزلوهم دار الهلاك أي النار بدعائهم إلى الكفر ، و قال الزمخشري : أي بدلّوا نعمة الله كفرًا لأن شكرها الذي وجب عليهم و ضعوا مكانه كفرًا ، أو أنهم بدلّوا نفس النعمة كفرًا ، على أنهم لما كفروها سلبوها فبقوا مسلوب النعمة موصوفين بالكفر ، ثم ذكر حديث الأفجرين عن عمر كامر ، و قال « جهنم » عطف بيان لدار البوار ، انتهى .

أقول : فيمكن حل الاخبار على أن نعمة الله أهل البيت عليهم السلام ، و الاقرار بولايتهم شكر تلك النعمة ، فبدّلوا هذا الشكر بالكفران و إنكار الولاية ، أو بدلّوا النعمة بالكفر أي بقوم هم اصول الكفر و هم أعداء أهل البيت ، فتركوا ولايتهم ، و قالوا بولاية أعدائهم .

الحديث الثاني : ضعيف .

« فبأي آلاء ربكما تكذبان » ، فان قيل : الآيات السابقة على تلك الآية مشتملة على نعم مخصوصة ليس فيها ذكر النبي و الوصي ، فكيف تحمل هذه الآية عليهما .

قلت : ذكر بعض النعم لا ينافي شمول الآلاء جميع النعم التي أعظمها النبي و الوصي ، مع أنه قد ورد في الآيات السابقة بحسب بطونها بهم عليهم السلام أيضاً كما روى

أبا النبي أم بالوصي تكذب بان؟ نزلت في «الرحمن» .

٣- الحسين بن محمد ، عن معلى عن محمد ، عن محمد بن جهور ، عن عبد الله بن عبد الرحمن ، عن الهيثم بن واقد ، عن أبي يوسف البراز قال : تلا أبو عبد الله عليه السلام هذه الآية : « و اذكروا آلاء الله » قال : أتدري ما آلاء الله؟ قلت : لا ، قال : هي أعظم نعم الله على خلقه وهي ولايتنا .

عن الرضا عليه السلام في قوله تعالى : « الرحمن علم القرآن خلق الانسان » قال : ذاك أمير المؤمنين عليه السلام قال الراوى : قلت : « علمه البيان »؟ قال : علمه بيان كل شيء يحتاج الناس إليه ، وفسر عليه السلام « النجم » بالرسول « و الشجر » بالائمة عليه السلام و قال عليه السلام : « السماء » رسول الله عليه السلام « و الميزان » أمير المؤمنين نسبه لخلقه ، قلت : « أن لا تطغوا في الميزان » قال : لا تعصوا الامام « و أقيموا الوزن بالقسط » قال : أقيموا الامام العدل « و لا تخسروا الميزان » قال : لا تبخسوا الامام حقه ولا تظلموه .

وقد ورد في روايات كثيرة تأويل الشمس و القمر بالرسول و أمير المؤمنين صلوات الله عليهما ، فحمل الآلاء في تلك الآية على النبي والوصي غير بعيد .

« نزلت في الرحمن » لعلمه من كلام الراوى .

الحديث الثالث : ضعيف .

« و اذكروا آلاء الله » هذا غير موافق لما عندنا من القرآن ، إذ فيه في موضع من الاعراف « فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون » ^(١) و في موضع آخر « فاذكروا آلاء الله و لاتعصوا في الأرض مفسدين » ^(٢) و في آل عمران و غيرها « و اذكروا نعمة الله » و الظاهر أنه كان بالفاء فصحقه النسخ « هي أعظم نعم الله » أي هي المقصودة بالذات فيها ، إذ الولاية أعظمها .

(١) سورة الاعراف : ٦٨ .

(٢) سورة الاعراف : ٧ .

٤- الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ، عن محمد بن أورمة ، عن علي بن حسان
عن عبد الرحمن بن كثير قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام ، عن قول الله عز وجل : « ألم تر
إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً » الآية ، قال : عنى بها قاطبة الذين عادوا رسول
الله ﷺ و نصبوا له الحرب وجحدوا وصيته وصيه .

إلى هنا ينتهى الجزء الثانى حسب تجزئتنا ويتلوه الجزء الثالث
إنشاء الله تعالى وأوله : « باب انّ الائمة عليهم السلام ولاية الامر وهم
الناس المحسودون الذين ذكرهم الله عز وجل » .

والحمد لله أولاً وآخراً

الفهرست

عدد الاحاديث	عناوين الابواب	رقم الصفحة
٨	باب النهى عن الجسم و الصورة	١
٦	« صفات الذات	٩
٢	« آخر وهو من الباب الاول	١٣
٧	« الارادة انها من صفات الفعل	١٥
٤	« حدوث الاسماء	٢٤
١٢	« معانى الاسماء واشتقاقها	٣٧
	« آخر وهو من الباب الاول إلا أن فيه زيادة و هو الفرق	٥٠
٢	ما بين المعانى التى تحت اسماء الله وأسماء المخلوقين	
٢	« تأويل الصمد	٦٠
٩٠	« الحركة والانتقال	
	« فى قوله تعالى : ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم	٦٧
	« فى قوله تعالى : الرحمن على العرش استوى	٦٨
	« : هو الذى فى السماء اله و فى الارض اله	٧١
٧	« العرش والكرسى	٧٢
٤	« الروح	٨٢
٧	« جوامع التوحيد	٨٤
١١	« النوادر	١١١

رقم الصفحة	عناوين الأبواب	عدد الاحاديث
١٢٢	باب البداء	١٧
١٤٩	« في انه لا يكون شيء في السماء والارض إلا بسبعة	٢
١٥٥	« المشيئة والارادة	٦
١٦٤	« الالباء والاختبار	٢
١٦٥	« السعادة والشقاء	٣
١٧١	« الخير والشر	٣
١٧٣	« الجبر والقدر والامر بين الامرين	١٤
٢١٣	« الاستطاعة	٤
٢٢١	« البيان والتعريف ولزوم الحجة	٦
٢٢٧	« اختلاف الحجّة على عباده	١
٢٣٤	« حجج الله على خلقه	٤
٢٤٣	« الهداية انها من الله عز وجل	٤

كتاب الحجّة

٢٥٦	باب الاضطرار الى الحجّة	٥
٢٨٠	« طبقات الانبياء والرسول والائمة	٤
٢٨٧	« الفرق بين الرسول والنبي والمحدث	٤
٢٩٣	« ان الحجّة لا تقوم لله على خلقه إلا بامام	٤
٢٩٤	« ان الارض لا تخلو من حجة	١٣
٢٩٨	« انه لو لم يبق في الارض إلا رجلان لكان أحدهما الحجّة	٥
٣٠٠	« معرفة الامام والرد إليه	١٤
٣٢٣	« فرض طاعة الائمة	١٧

رقم الصفحة	عناوين الأبواب	عدداً لحديث
٣٣٧	باب في انّ الائمة شهداء الله عز وجل على خلقه	٥
٣٤٤	« انّ الائمة عليهم السلام هم الهداة	٤
٣٤٦	« انّ الائمة عليهم السلام ولاة امر الله و خزنة علمه	٦
٣٥٠	« انّ الائمة عليهم السلام خلفاء الله عز وجل في أرضه و ابوابه التي منه يؤتى	٣
٣٥٢	« انّ الائمة عليهم السلام نور الله عز وجل	٦
٣٦٦	« انّ الائمة هم أركان الارض	٣
٣٧٦	« فادر جامع في فضل الامام و صفاته	٢
٤٠٧	« انّ الائمة ولاة الامر و هم الناس المحسودون الذين ذكرهم الله عز وجل في كتابه	٥
٤١٢	« انّ الائمة عليهم السلام هم العلامات التي ذكرها الله عز وجل في كتابه	٣
٤١٤	« انّ الآيات التي ذكرها الله عز وجل في كتابه هم الائمة عليهم السلام	٣
٤١٦	« ما فرض الله عز وجل و رسوله صلى الله عليه و آله من الكون مع الائمة عليهم السلام	٧
٤٢٦	« انّ أهل الذكر الذين امر الله الخلق بسؤالهم هم الائمة عليهم السلام	٩
٤٣٢	« انّ من وصفه الله تعالى في كتابه بالعلم هم الائمة عليهم السلام	٢
٤٣٣	« انّ الراسخين في العلم هم الائمة عليهم السلام	٣
٤٣٦	« انّ الائمة قد اوتوا العلم و أثبت في صدورهم	٥

رقم الصفحة	عناوين الأبواب	عدد الاحاديث
٣٣٨	باب في ان من اصطفاه الله من عباده و أورثهم كتابه هم الائمة عليهم السلام	٣
٣٣٩	« ان الائمة في كتاب الله امامان : امام يدعو إلى الله و امام يدعو إلى النار	٢
٣٤٤	« ان القرآن يهتدى للامام	٢
٣٤٦	« ان النعمة التي ذكرها الله عز وجل في كتابه الائمة <small>عليهم السلام</small>	٣